

أبو طَالِبٍ

معارف ومناقب

دراسة تحليلية تعنى بشخصية أبي طالب  
وآثاره وأثره في حقها

بمشاركة المؤلف  
السيد زرار آل سنبل النبطي

مكتبة دار الفکر

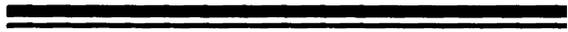


أبو طَالِبٍ

مَعَارِفٌ وَمَبَاهِجٌ

ذَلِكَ تَحْلِيلٌ لِمَا تَعْنِي بِمَنْعَةِ تَرْوِيحِ الْعِلْمِ

وَأَشْرَعُوا وَأَكْرَمُوا حَقِّي





أَبُو طَالِبٍ

مَعَارِفٌ وَمِنَاقِبٌ

دَرَسَتْ تَحْلِيلِيَّةٌ تُعْنَى بِشَخْصِيَّةِ أَبِي طَالِبٍ

وَتُرْشِدُ مَا وَادَّ فِي حَقِّهِ

بقلم جماعة القادسية

الشيخ زيار آل سنبل القضيبي

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

دار وصي لقامم

للطباعة والنشر والتوزيع

## هوية الكتاب

اسم الكتاب: أبو طالب عليه السلام معارف ومناقب، دراسة تحليلية تُعنى بشخصية  
أبي طالب عليه السلام وتراثه وما ورد في حقّه .

المؤلف: العلامة الشيخ نزار آل سنبل القطيفي .

طباعة ونشر: دار وحي القلم للطباعة والنشر والتوزيع .

الطبعة: الأولى .

سنة الطبع: ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م .

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة .

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

دار وحي القلم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الإهداء

إلى عبَقِ الوجودِ وعطرِ الحياة  
إلى الروحِ الساكنةِ في جَسَدِ الكونِ فتملؤه حيويّة  
أضع هذه البضاعة المزجاة  
فلا تحرمني من قبولها فإنَّ شفيعها معها  
فقد لمع نورها بمعارف جدِّك ومناقبه



## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين  
وآله الطاهرين المنتجبين، وعلى كفيله والد سيّد الوصيّن.

وبعد،

فإنّ شخصيّة أبي طالب عليه السلام فرضت نفسها في مكّة المكرّمة على جميع  
أهلها؛ بل وعلى من حولها، فصار سيّد البطحاء بلا منازع؛ لكرم المحتد  
والمنبت، ولنبل الصفات والخصال التي تزين بها وتزيّنت به، من كرم وجود،  
وحنكة وسياسة، وشجاعة وبسالة، وفصاحة وبلاغة، وعفة ونزاهة، وسداد  
رأي وبُعد نظر وغيرها...

ويكفيه فخراً واستقامة وقرباً من الله تعالى أنّه كفل النبيّ صلى الله عليه وآله صغيراً،  
وحامى عنه كبيراً، فكان بالنسبة إليه مجنّاً يقيه عادية الأشرار، ودرعاً يتّقي به  
نوازل الأخطار، وجبلاً يعصمه من الناس، فاستطاع الرسول صلى الله عليه وآله - مع

وجود هذه الدرع الحصينة - أن يبلغ رسالة ربّه في الجاهلين، ويسفّه أحلام المشركين، وينشر الهدى للمتّقين، حتى امتلأت مشارق الأرضين، وأقطار الآفاق بالنور المبين.

وكان النبي ﷺ في مأمن من شرور قومه ما دام أبو طالب ﷺ حياً يمشي على الأرض؛ إذ خاف المشركون من قدرته، ورهبوا من هيئته وسطوته. ولقد كان أبو طالب ﷺ في تلك الفترة العصيبة من البعثة النبويّة يحثّ النبي ﷺ بشعره ويقول، ويؤيده بموقفه وبفعله.

ولما انتهت أيامه، واختار الله له دار أوليائه، هجم الدهر الخؤون على سيد المرسلين، فاضطر إلى مغادرة موطن آبائه، ومحل ميلاده، مكة المكرمة بعد أن «جاءه الوحي من ربّه، فقال له جبرئيل ﷺ: إِنَّ اللَّهَ بِكَ يَاقُوتَةَ السَّلَامِ، وَيَقُولُ لَكَ: اخْرُجْ عَنِ مَكَّةَ فَقَدْ مَاتَ نَاصِرُكَ»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن ارتحل النبي ﷺ إلى دار الكرامة، وصارت دولة الإسلام عند غير أهل بيته ﷺ، وانتقلت حكومة دار الإسلام من شخص لآخر، ومن قبيلة إلى أخرى، حتى صارت بيد بني أمية تارة، وعند بني العباس أخرى، وهم من أشبعوا غيظاً وحسداً على أهل البيت ﷺ، ولا سيّما على سيّدهم أمير المؤمنين ﷺ نبيغ خامل الأقلين، وأخرج الشيطان رأسه من مغرزه، فظهرت

(١) إيمان أبي طالب: ٢٤.

حسيكة النفاق، وانتشرت الشائعات بتكفير أبيه عليه السلام، ورويت الروايات، ونسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله المقولات، فانقسمت الأمة بعد ذلك في أبي طالب عليه السلام إلى طوائف:

**الطائفة الأولى:** من قالت بإسلامه وإيمانه، وهم الشيعة الإمامية، وتبعهم جماعة من غيرهم.

**الطائفة الثانية:** من قالت بكفره، وهم قسم من أهل السنة.

**الطائفة الثالثة:** من توقفت في أمره عليه السلام؛ كابن أبي الحديد المعتزلي صاحب شرح النهج، مع الاعتراف بفضله وحقه على جميع المسلمين. وقد كُتِبَت الكتب، وصُنِفَت المصنفات في بيان إيمانه، وأقام علماءنا رضوان الله عليهم الأدلة الواضحة، والحجج الدامغة على إيمانه عليه السلام، وقد سبقهم في ذلك بيانات الأئمة عليهم السلام واحتجاجاتهم.

وأقول: إنَّ من هوان الدنيا على الله تعالى أن يحتاج أبو طالب عليه السلام إلى البحث في إثبات إيمانه، وإقامة الدليل على إسلامه؛ ولكنَّ ضجيج الإعلام المزيّف قد ملأ الساحة صراحاً وزعيقاً ضدَّ أبي طالب عليه السلام، وغرَسَ في نفوس الناس القول بكفره، فنشأ على ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير؛ حتى صار من المسلّمات عند جمهور المخالفين، فاضطر علماءنا أن يرفعوا ركام الشائعات عن اسمه المبارك، فرفعوه نوراً يتجلّى في الأفق، ومناراً يضيء في

السماء؛ حيث هو محلّه الحقيقيّ، فإراه كلّ من لم تَسْتَر عينيه مضلّاتُ الفتن.  
 وإنّني في هذه الدراسة انتحيت معنى أسمى من محاولة إثبات إسلامه  
 وإيمانه، فهو-بحسب اعتقادي، وما دلّ عليه الواقع التّاريخيّ، من خلال  
 شعره ونثره ومواقفه- في المحلّ الأعلى، والمنزل الأرفع عند الله تعالى، وعند  
 رسوله عليه السلام، فشموخ عقيدته تفوق حدّ الإدراك، فلا تُنال بالوصف، ولا  
 يدركها الطرف، ولا يحوم حولها الخيال.

فلهذا حاولت هنا أن أزيح الستار عن صِفَةٍ يتّصف بها أبو طالب عليه السلام، لا  
 يدانيه فيها أحد غيره، إلّا من اصطفاهم الله تعالى لأمره وارتضاهم لسره.  
 حاولت في هذه الدراسة أن أتعرّف على معارف أبي طالب عليه السلام الدينيّة  
 والمعرفيّة، وذلك من خلال تراثه الواصل إلينا، من نثره ومن شعره، قبل  
 البعثة وبعدها، ممّا يدلّل على معرفة خاصّة بالله تعالى، لا يدانيه فيها إلّا الأنبياء  
 والأوصياء ومن تلاهم، فهو ليس بمؤمن فقط؛ بل هو صاحب روح شفّافة  
 تقرأ الغيب من وراء ستر رقيق، وصاحب معرفة شاذجة بالله تعالى، وبنبيّه  
 الخاتم عليه السلام لا تُجارى ولا تُقاس، كما سيتضح كلّ ذلك للقارئ اللبيب.

ففي الرواية عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: « كان أمير  
 المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يُروى شعر أبي طالب عليه السلام، وأن يدوّن، وقال: تَعَلَّموه

وَعَلِّمُوهُ أَوْلَادَكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وفيه علم كثير<sup>(١)</sup>، فما مدى سعة هذا العلم الذي يصفه باب مدينة العلم بأنه علم كثير؟!!

فليس غرضي الأساس في هذه الدراسة إثبات إيمانه، فهو أمر مفروغ عنه، ومقطوع به عند أولي الإيـمان، والحمد لله وليّ الإحسان، فكلّ قول من أقواله الآتية، وأفعاله الواصلة تدلّ بالصرّاحة، أو بالملازمة الواضحة على عميق إيمانه؛ ولكن مهـما حاولت الابتعاد عن بيان هذا الجانب إلّا أنّ الشعر يقودني لبيانه قوداً.

وكيفما كان الغرض فالدراسة تقتضي أن أمهدّ تمهيداً في نقاط، تُعتبر ضروريةً لمثل هذه الدراسة وبنحو الاختصار:

النقطة الأولى: ترجمة أبي طالب عليه السلام.

النقطة الثانية: مختصر في أدلّة إيمانه.

النقطة الثالثة: كلمة في ديوانه.

### تنبيه :

إنني في هذه الدراسة حاولت قدر الإمكان أن أقتنص من النصوص الواصلة إلينا من تراث أبي طالب عليه السلام الأدبي، شعراً أو نثراً كالخطب والوصايا، وأن أستلهم منها المعاني، وأن أتحاكم للنصّ في حدّ نفسه، فأتعامل

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ١٣٠.

معه معاملة القارئ العربيّ لما يظهر له من ألفاظ النصوص التي يقرؤها، وما يمكن أن يشير إليه اللفظ مع الاستعانة بالأشباه والنظائر.

وأنا بدوري أدعو أهل الإنصاف أن يتعاملوا مع ظاهر نصوص أبي طالب عليه السلام ومواقفه وأفعاله مجرّدين أنفسهم عن أيّ حكم مسبق من الموروث العقديّ الواصل إليهم عسى أن تتغيّر الصورة بتغيّر زاوية المصوّر والتصوير، والله الموفق، وهو الغاية.

كما أودّ أن أشير إلى أنّ هذه الدراسة مرّت بمراحل مختلفة صعوداً ونزولاً، ولم تكن في سياق واحد في الكتابة، وذلك كلّ حسب الظروف التي مررت بها، والفرص التي سنحت لي، ولقد استغرق ذلك سنين متقطّعة، في أمكنة مختلفة، فأسأل الله تعالى أن تكون خالصة لوجهه الكريم، مرضية عند سيّد المرسلين وآله الطاهرين، ووفاء لبعض حقوق أبي طالب عليه صلوات الله وصلوات المصلّين.

### قصة الكتاب :

قبل عدّة سنوات كنت في النجف الأشرف، وفي ليلة السادس والعشرين من شهر رجب عقد العلامة الشيخ محمد رضا المامقانيّ حفظه الله - وقد قدم للنجف الأشرف زائراً - مجلس وفاة أبي طالب عليه السلام في مدرسة السيد اليزديّ رحمته الله الكبرى، حسب المتعارف عند الإيرانيين من إحياء يوم وفاته في

السادس والعشرين من رجب، وصعد المنبر العلامة الفاضل الحفظة السيد محمد رضا إمام الجزائري حفظه الله، فأفاد في فضل أبي طالب عليه السلام بما أفاض حول شخصيته عليه السلام، فانقدح في ذهني أن أكتب كتاباً حول معارف أبي طالب عليه السلام في شعره، وبقيت الفكرة تُخامر الذهن، إلى أن حصل أمر أزعجني وأهمّني فعاهدت أمير المؤمنين عليه السلام وأنا عند ضريحه المقدّس إن خلّصني منه أن أكتب الكتاب الذي اختمرت فكرته في الذهن، ثم بعدها - والله الحمد والمنّة - قضي الأمر بما أسرّني، فابتدأت في الكتاب، ولكن مع تباطئ وإرجاء؛ لانشغالي بالتدريس، وبكتابة تقرير دروس الأستاذ المعظم آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراسانيّ دام ظله في الفقه.

وبعد مدّة وقع ما لم يكن في الحسبان ممّا أوجب قلقي، وقلق العائلة، وقلق من سمع من المحبّين، فخاطبت وقتها أبا طالب عليه السلام بالشعر المنسوب لابنه أمير المؤمنين عليه السلام، وقلت له:

أبا طالب عصمة المستجير

هكذا قال فيك ابنك أمير المؤمنين عليه السلام وقد استجرت بك، فإن أجررتني ورجعت إلى حيث كنت قبل كذا - وعينُ وقتاً - كان لك عهدي أن أتمّم الكتاب الذي شرعت فيه، والحمد لله ارتفع المحذور والأمر المقلق فرجعت لإتمام الكتاب في نفس ذلك اليوم أو في اليوم التالي له، وقد تلكأ العمل فيه

أيضاً إلى أن وفقني الله تعالى وشددت العزم على إنهائه في هذا الشهر الكريم حتى تمّ لي إنجازة فيه، فأسأل الله تعالى أن يكون في رضاه وتحت عنايته.

يوم الأحد : ١٨ / شهر رمضان المبارك / ١٤٤٤ هـ

نزار بن الوجيه المرحوم الحاج محمد شوقي آل سنبل

# **الباب الأول**

## **عبق من السيرة العطرة**



## الفصل الأول : أبو طالب عليه السلام في سطور

أبو طالب عليه السلام كنية اشتهر بها سيد البطحاء - واسمه عبد مناف، وقيل: عمران، وقيل: شيبه<sup>(١)</sup> - ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب...

أمّه: فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية.

ولد قبل النبي عليه السلام بخمس وثلاثين سنة<sup>(٢)</sup>.

وَحَلَفَ أباه عبد المطلب في بني هاشم خاصّة، وقريش عامّة، فكان «شيخهم والمطاع فيهم»، و«رئيس مكّة» الذي «كانت قريش تسميه الشيخ»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن أبي الحديد: «وفي حديث عفيف الكنديّ، لما رأى النبي عليه السلام

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤١.

(٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٩ / ١.

يصلِّي في مبدأ الدعوة، ومعه غلام وامرأة، قال: فقلت للعباس أي شيء هذا؟

قال: هذا ابن أخي، يزعم أنه رسول من الله إلى الناس، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام - وهو ابن أخي أيضاً - وهذه المرأة، وهي زوجته.

قال: فقلت: ما الذي تقولونه أنتم؟

قال: ننتظر ما يفعل الشيخ، يعني أبا طالب»<sup>(١)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٩ / ١.

وروى خبر عفيف كثير من أصحاب الحديث والتراجم، ولم يذكروا ما في الذيل، حسب الطبقات الموجودة عندنا، ولا يخفاكم التصرف في الطبقات الجديدة في كثير من الموارد، وممن نقله النسائي في سننه: ١٠٦ / ٥، وخصائصه: ٤٥؛ حيث روى بسنده عن عفيف قال: «جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما ارتفعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل القبلة، فقام مستقبلاً، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً فسجد معه.

فقلت يا عباس، أمر عظيم!

فقال لي: أمر عظيم.

فقال: أتدري من هذا الشاب؟

فقلت: لا.

فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، هذا بن أخي.

وقال تدري من هذا الغلام؟

وهو أول من سنّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتتها السنة في الإسلام<sup>(١)</sup>.

وكانت السقاية بيد أبي طالب ﷺ وراثته له من آبائه، ثم سلّمها - لما شاخ وشغله أمر ابن أخيه بعد بعثته - إلى أخيه العباس بن عبد المطلب.

تزوج أبو طالب ﷺ «فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي»، وكانت «أول هاشمية ولدت لهاشمي، وهي التي نشأ رسول الله ﷺ في كنفها، وكان يدعوها أمي... وكان يوجب حقّها كما يوجب حقّ الأم»، وكانت مع قافلة أولى المهاجرت إلى المدينة المنورة ممّن هاجر إليها من المسلمين والمسلمات، وأدركتها الوفاة في دار الهجرة، فصلّى عليها رسول الله ﷺ، «وألبسها قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقال أصحابه: ما

فقلت: لا.

قال: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، هذا بن أخي.

هل تدري من هذه المرأة التي خلفهما؟

قلت: لا.

قال: هذه خديجة ابنة خويلد زوجته.

إنّ ابن أخي هذا أخبرني أنّ ربّه ربّ السماء والأرض، أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا

والله ما على الأرض كلّها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

وابن عبد البرّ في الاستيعاب: ٣/ ١٢٤٣، وغيرهما.

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢١٩ عن الزبير.

رأيتك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها».

ورزق أبو طالب ﷺ من البنين أربعة:

١- طالب، وكان أكبر ولده.

٢- عقيل.

٣- جعفر، قتل يوم مؤته شهيداً، وهو ذو الجناحين يطير بهما في الجنة.

٤- عليّ ﷺ وهو أمير المؤمنين وسيد الوصيّين.

كما رزق من البنات:

١- أم هانئ، واسمها هند أو فاختة، تزوّجها هبيرة بن أبي وهب

المخزوميّ.

٢- جمانة، تزوّجها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

٣- ربيعة، وتُعرف بكنتيتها أمّ طالب أيضاً.

٤- وقال بعضهم: له ابنة اسمها أسماء<sup>(١)</sup>.

ولمّا توفي عبد المطلب وآلت شؤونه العامّة والخاصّة إلى وارث مجده أبي

طالب، قام بإنفاذ وصيّة أبيه بابن أخيه النبيّ محمد ﷺ بكلّ أمانة وحنان

وإخلاص، وولي أمر ابن أخيه - وكان له من العمر يومذاك ثمانية أعوام - بأفضل وجه وأكمله.

يقول ابن اسحاق: كان أبو طالب للنبي ﷺ «عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصرأ على قومه».

ويقول أيضاً: «فلم يزل أبو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله ﷺ وحمائته والقيام دونه حتى مات».

ويقول النقيب أبو جعفر يحيى بن محمد: «إن أبا طالب كان رئيس بني هاشم وشيخهم والمطاع فيهم، وكان محمد رسول الله ﷺ يتيمه ومكفوله وجارياً مجرى أحد أولاده عنده، ثم خضع له واعترف بصدقه ودان لأمره، حتى مدحه بالشعر كما يمدح الأدنى الأعلى».

اختصر ابن أبي الحديد كل تاريخ أبي طالب في نصرته الإسلام بكلمة خالدة صادقة وهي: «إن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً»<sup>(١)</sup>.

وبهذه الجملة الأخيرة نقول: إن لأبي طالب ﷺ حقاً على كل مسلم إلى أن

(١) ما بين القوسين لخصناه من مقدمة الديوان تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين: ١٢ - ١٨، وأضفنا عليه، وهو بدوره نقله عن عدة مصادر، منها: الإصابة لابن حجر، وطبقات ابن سعد، والاستيعاب، وأسد الغابة، وتاريخ الطبري، والسير والمغازي، وسيرة ابن هشام، وأسنن المطالب، وشرح نهج البلاغة.

تقوم الساعة؛ لأنَّ الإسلام وصل إليه ببركة مواقف أبي طالب عليه الحكيمة والشجاعة.

## الفصل الثاني : صفات وشمائل

ذكر المؤرخون صفات كمالية يتحلّى بها أبو طالب عليه السلام، تجعل منه زعيماً من أكابر زعماء العرب في عصره؛ بل في التاريخ، فوصفوه بكلّ حسن، ومدحوه بكلّ جميل، فإليك بعض ما كتبه فيه:

### أولاً: روايات المعصومين عليهم السلام :

#### ١- أبو طالب في المحشر :

قال ابن بابويه: «وقال عليه السلام: يحشر أبو طالب عليه السلام يوم القيامة في زيّ الملوك وسياء الأنبياء عليهم السلام»<sup>(١)</sup>.

#### ٢- أبو طالب لا تمسه النار :

في الكافي الشريف بسنده: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: إنّي قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك؛ فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فأمنة بنت وهب، وأمّا حجر

كفلك فحجر أبي طالب.

وفي رواية ابن فضال: وفاطمة بنت أسد<sup>(١)</sup>.

لنقف قليلاً مع هذه الرواية الشريفة، ولنسرح بفكرنا في عالم المعنى البعيد؛ لنرى أن الله تعالى الكريم الرحيم الودود المحسن، كيف يتعامل مع خلقه بفيض كرمه، وسعة رحمته، وجميل إحسانه، فهو الذي يشكر لعبده حسن صنيعه، فيعطيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على خيال بشر؛ لأنه عمل بواجبه الملقى على عاتقه، وقام بوظيفته، فهل يغض بكرمه عمّن كفل سيّد خلقه، وحرس إمام أنبيائه، ونصر أمينه على وحيه؟!!

لا، وألف لا.

بل لم يجعل حجره مهبطاً لكفالة نبيّه، إلّا لكونه مفروشاً بورود التقوى، ومزيناً بحليّ الإيمان وزهور الهدى؛ فإنّ من المحال أن يضع الحكيم عطره في قارورة ملوثة، وإنّ الكفر أشدّ أنواع التلوّث، والحجر الكافر أصدق مصاديق التلوّث.

فالنبيّ الطاهر المطهر، والنقيّ من كلّ كدر لا يتسلسل إلّا من النجباء الأطهار، ولا ينحدر إلّا من السلالة الأبرار، ولا يتربّى إلّا في حجور الأخيار، فلا يمسّهم حريق، ولا تدنو من أذيالهم النار.

## ٣- حبّ النبيّ لأحدٍ أحبّ أبي طالب :

روى الشيخ الصدوق عليه السلام بسنده: «عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان رسول الله ﷺ يقول لعقيل: إني لأحبك يا عقيل حبين، حباً لك، وحباً لأبي طالب لك»<sup>(١)</sup>.

إنّ طبيعة النفس البشريّة السويّة أن تحبّ الأمور الطيّبة في نفسها، فترى الإنسان السويّ يحبّ شمّ الورود ذات الروائح العطرة، ويكره شمّ الورود ذات الروائح الكريهة، ويحبّ رؤية المناظر الجميلة، ويكره رؤية المناظر القبيحة، يحبّ الإنسان الكريم، ويكره البخيل، ويحبّ العفيف ويكره المتهتك، ويحبّ الشجاع، ويكره الجبان، ويحبّ لقاء العالم ومجالسته، ويكره مجالسة الجاهل، وهكذا...

فإذا رأيت إنساناً عاقلاً سويّ النفس وسليماً، متعلّقاً أو محبباً لغيره فابحث عن سبب ذلك، تراه لوجود خصال أو صفات أوجبت ذلك، فربّما تكون لوجود صفة واحدة فيه كالجمال، أو خصلة كالشجاعة أو العلم، وربّما لاجتماع فضائل متعدّدة توجب محبّته في النفوس، كأن يكون عالماً، كريماً، عفيفاً، شجاعاً..

هذه قاعدة عقلائيّة، يمشي عليها العقلاء بما هم عقلاء، ولكنّ الملاحظ

(١) الخصال: ٧٦.

هنا أن النبي ﷺ أحب عقيلًا حيين: حب لعقيل نفسه، وذلك لوجود أسباب توجب ذلك الحب، وأما الحب الآخر لعقيل فسببه حب أبي طالب ﷺ له، فجعل حب أبي طالب ﷺ لأحد أحد موجبات حصول الحب في نفس النبي ﷺ، وهذا يكشف عن وجود حب خاص لأبي طالب ﷺ نفسه؛ بحيث صار حبه لأحد سبباً لحدوث الحب في نفس النبي ﷺ، ولا يكون ذلك إلا لوجود ارتباط روحي خاص بين روح النبي ﷺ وبين روح أبي طالب ﷺ، ولا يمكن حصول ذلك الارتباط بينهما إلا لوجود خصال خير في نفس أبي طالب ﷺ أوجبت ذلك، فلا يعقل أن يكون أبو طالب ﷺ مشركاً وهو يتمتع بهذه المنزلة من الحب في نفس النبي ﷺ، وقد قال تعالى في بليغ آياته: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

#### ٤- نور أبي طالب في يوم القيامة :

روى ابن شاذان القمي رحمه الله بسنده عن أمير المؤمنين علي ﷺ أنه «كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله فيه وأبوك معذب في النار.

فقال له: مه، فضَّ الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كلِّ مذنب على وجه الأرض لشقَّعه الله تعالى فيهم، أبي معذب بالنار وأنا ابنه قسيم الجنة والنار، والذي بعث محمداً بالحق نبياً إنَّ نور أبي، أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد عليه السلام، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين ونور أولاده من الأئمة عليهم السلام.

ألا إنَّ نوره من نورنا، خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام<sup>(١)</sup>.

(١) مائة مقبلة: ١٧٥. وسند الحديث:

حدَّثني القاضي أبو الحسن محمد بن عثمان بن عبد الله النصيبي في داره، وهو من مشايخ النجاشي، وقد قال السيد الخوئي رحمته الله بوثاقة كلِّ مشايخ النجاشي.

قال: حدَّثني جعفر بن محمد العلوي، وهو ابن عبيد الله بن موسى بن جعفر، من رواة كامل الزيارات، فيكون ثقة على مبنى من يرى وثاقة رواة كامل الزيارات، وأيضاً وصفه محمد بن عثمان شيخ النجاشي المتقدم ذكره بالشريف الصالح في عدة موارد، وهو من صفات المدح الدالة على حسنه لولا أنها تدلُّ على الوثاقة أيضاً.

عن عبد الله بن أحمد، وهو عبد الله أو عبيد الله بن أحمد بن نهيك، قال عنه النجاشي: (الشيخ الصدوق، ثقة). قال: حدَّثني محمد بن زياد، وهو ابن أبي عمير الثقة الجليل.

عن المفضل بن عمر، وهو وإن اختلف فيه إلا أنَّ الشيخ المفيد رحمته الله عدّه من خاصّة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وثقلته الفقهاء، وعدّه الشيخ الطوسي رحمته الله من الوكلاء الممدوحين.

عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام، عن أبيه عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فالسند على بعض المباني الرجالية لا غبار عليه.

ورواه الشيخ الطوسي ﷺ في الأمالي بسنده إلى المفضل بن عمر أيضاً باختلاف يسير<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الفضيلة يقف كمينت العقل، وتجنّف الأقلام، وتنحسر بحار العلم، فلا تجد عبارة وافية، ولا كلمة شافية لتعبّر عن مكنون ذلك النور، فسلام الله عليك يا أبا طالب يوم ولدت، ويوم دافعت عن نبيك، ويوم متّ، ويوم تبعث حيّاً، رزقنا الله شفاعتك وشفاعة ابن أخيك، وشفاعة ذريّتك.

دعنا نتأمّل قليلاً لعلّ إشراقة إلهام تشعّ في عقولنا القاصرة؛ لتدرك شيئاً من أسرار الأنوار الباهرة، فقد تاه الفكر من شدّة اللمعان.

إذاً خلينا وهذه الرواية المعتبرة على مباني السيد الخوئيّ ﷺ الرجاليّة، وغضضنا النظر عن بقيّة الروايات والأدلة الأخرى، فسنقول ممّا نستلهمه منها:

إنّه لا شكّ أنّ للأنوار عالماً فوق عالم المادّة وأشرف منها، ولا شكّ أنّ نور النبيّ ﷺ يعلو جميع الأنوار، وأن نور وصيّهِ أمير المؤمنين ﷺ متّحد معه، ومعهم في تلك المرتبة النوريّة نور السيدة الزهراء ﷺ وأنوار الأئمّة الطاهرين ﷺ، ولا شكّ أنّ هذه الأنوار المقدّسة تفوق كلّ أنوار عالم الوجود، بما فيهم أنوار الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقرّبين.

هذا ما ندين الله تعالى به، ونعتقده فيهم ﷺ، من خلال الأدلة الدالة على ذلك.

وإذا عرفنا هذه الجهات نعرف علو مرتبة نور أبي طالب ﷺ الذي يطفى جميع أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار؛ يعني يطفى حتى أنوار بقية الأنبياء والمرسلين ﷺ، كما هو المستفاد من الجمع بين المستثنى والمستثنى منه؛ فإنَّ المستثنى منه هو (أنوار الخلائق)، وهو جمع مضاف إلى جمع، فيفيد العموم، ثم استثنى منه خمسة أنوار فقط.

وحسب هذه الجملة يكون المستفاد من الرواية أنه ﷺ أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين ﷺ؛ لأنَّ إطفاءه لنورها يدلُّ على أنَّ ضوئه ولمعان نوره وكاشفيته أقوى من نورها؛ بحيث يغطي عليها، ولا يكون ذلك كذلك في العالم الأخرويِّ المبنيِّ على العدالة المطلقة، ووضع الأمور في مواضعها إلا لكونه أفضل منها؛ فإنَّ الله تعالى هو العادل المطلق، والحكيم المطلق، ولا يعمل شيئاً إلا بميزان دقيق، فلماذا يجعل نوره يطفى بقية الأنوار إن لم يكن هو أفضل منها ومقدماً عليها؟

ولو تمت هذه الرواية وهذه الاستفادة منها، ولم يكن هناك ما يعارضها -ولو بالنسبة لأولي العزم من الرسل ﷺ - لم يكن ذلك مثار عجب واستغراب، ولا يكون مشوباً بالغلو والارتفاع؛ لأنَّ الغلو هو التجاوز عن

الحدّ، وإعطاء الموصوف صفة جليّة هي لغيره، وأعلى من استحقاقه، كأن يوصف العبد بصفات الإله المختصة، أو يوصف الرجل العادي بصفات النبيّين، ونحن لا نعرف حدّه أو حدّ أيّ أحد من البشر إلا من خلال الأدلّة، ومن خلال هذه الرواية يكون فضله مستمداً من أنوار العالين، الذين رأهم إبليس فأخذ الحسد والكبر فلم يسجد لآدم فقيل له: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (١).

وقد ذكّرت الرواية ما يُفيد التعليل؛ أي إنّ علّة إطفائه لبقية أنوار الخلائق: «إنّ نوره من نورنا، خلقه الله ﷻ من قبل أن يخلق آدم ﷺ بألفي عام».

بل هو في رواية الشيخ ﷺ تعليل صريح؛ حيث قال: «لأنّ نوره من نورنا الذي خلقه الله ﷻ من قبل خلق آدم بألفي عام».

وأما على الرواية الأخرى فقد استثنى أنوار الأنبياء ﷺ أيضاً، وهي الرواية المروية عن الإمام عليّ بن موسى الرضا ﷺ، عن آبائه ﷺ: «أنّ أمير المؤمنين ﷺ كان يخطب على منبر الكوفة - وهي الخطبة المعروفة بالغراء - وقال فيها: أنا عبد الله، وأخو رسول الله، وزوج ابنته، وأبو السبطين، أنا يعسوب الدين، أنا مولى المؤمنين، أنا إمام المتّقين، أنا الشفيع لشيعتي في يوم الدين، أنا

قسيم الجنة والنار، أنا حامل اللواء يوم القيامة، أنا صاحب الحوض والشفاعة، أنا حامل مفاتيح الجنة.

فقام إليه المنذر بن الجارود وقال: يا أمير المؤمنين، أنت بالمكان الذي تذكر وأبوك معذب في النار؟!!

فقال: مهلاً، فض الله فاك!! قال: أبي يعذب في النار وأنا ابنه قسيم الجنة والنار؟!!

والله لو شفع أبي لكلّ مذنب على وجه الأرض لأجابه الله، وإن نور أبي ليطفى نور الخلائق يوم القيامة ما خلا نور الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وسمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: مثل عمي أبي طالب في هذه الأمة كمثّل أصحاب الكهف في بني إسرائيل؛ أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فاتاهم أجرهم مرتين<sup>(١)</sup>.

ولا يزال مقام أبي طالب عليه السلام -حتى على هذه الرواية- باقياً في علوه عالياً في شموخه؛ فإنّ أبا طالب عليه السلام يكون أفضل من سائر الخلائق ما عدا الأنبياء، ويندرج تحت المستثنى منه جميع الأولياء والصالحين والشهداء والصدّيقين.

### تنبيه :

لا يخفى أنّ الغرض فعلاً استنطاق الروايات في حدّ نفسها، واستفادة

(١) العقد النضيد والدرّ الفريد: ٣٠.

مقام أبي طالب ﷺ من خلال ما ورد في حقّه، وأمّا المفاضلة بينه وبين سائر الأنبياء ﷺ فيحتاج إلى ملاحظة سائر الأدلّة والمقارنة بينها، وليس هذا المقام محلّ البحث فيها؛ لكيلا نخرج بالدراسة عن مسارها.

كما لا يخفى أن للأنبياء والمرسلين ﷺ، ولا سيّما أولي العزم منهم، مقاماً عالياً عند الله تعالى؛ بحيث اصطفاهم على سائر خلقه، والقدر المتيقّن عندنا حسب الأدلّة الواصلة إلينا أفضليّة النبي ﷺ وأوصيائه المعصومين على سائر الخلق، فلتكن على ذكر من هذا الكلام.

#### ٥- مقام الشفاعة :

ونستكشف من الرواية السابقة - أعني ما عن أمير المؤمنين علي ﷺ أنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله...، إلى قوله: لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله تعالى فيهم-، أن أبا طالب ﷺ يملك مقام الشفاعة، ومقام الشفاعة لا يُعطى لأحد إلّا إذا كان له قرب خاصّ من الله تعالى، وكلّ بحسبه، فربّما يُعطاه المؤمن بنطاق خاصّ؛ كما ورد عن أبي عبد الله ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: ما من أهل بيت يدخل واحد منهم الجنة إلّا دخلوا أجمعين الجنة».

قيل: وكيف ذلك؟

قال: يشفع فيهم فيشفع حتى يبقى الخادم فيقول: يا ربّ خويدمتي قد

كانت تقيني الحرّ والقرّ، فيُشَفَّعُ فيها»<sup>(١)</sup>.

وربّما يُعطاها العالم من أجل عمله بعلمه وتأديبه الناس، كما ورد في علل الشرائع بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام : «إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قف تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم»<sup>(٢)</sup>.

وربّما يُعطاها المؤمن بنطاق أوسع، كما ورد: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تستخفّوا بشيعة عليّ؛ فإنّ الرجل منهم ليشفع لعدد ربيعة ومضر»<sup>(٣)</sup>.

وربّما يكون التفاوت بحسب درجات المؤمن وقربه المعنويّ من الله تعالى، ولكنّا نجد في الرواية السابقة أنّ أبا طالب عليه السلام لو أراد أن يشفع في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله تعالى فيهم!

إذن مقام الشفاعة الذي يملكه أبو طالب عليه السلام مقام عظيم جداً، وهو يكشف عن قرب معنويّ من الله تعالى قريب جداً؛ بحيث به حصل على هذا المقام الذي لا يناله إلا أقرب المقرّبين، من الأنبياء والمرسلين أو سادة

(١) بحار الأنوار: ٥٦ / ٨.

(٢) بحار الأنوار: ٥٦ / ٨.

(٣) بحار الأنوار: ٥٦ / ٨.

الوصيين .

### ٦- مقامه وأثره في الآخرة :

روى أبو الفتح الكراجكي بسنده إلى أبان بن محمد قال: « كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى عليه السلام: جعلت فداك، قد شككت في إيمان أبي طالب عليه السلام. قال: فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فمن يتبع ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ <sup>(١)</sup>.

إنك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب عليه السلام كان مصيرك إلى النار» <sup>(٢)</sup>.

وحسبُ ذهنك أن يذهب كلُّ مذهب؛ ليدرك شيئاً من عظمة هذا العملاق، الذي جعل عدم الإقرار بإيمانه سبباً لدخول النار؛ ف«إنك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب عليه السلام كان مصيرك إلى النار».

### ٧- مع النبيين :

وقال الكراجكي: «وبإسناده -أي إسناد شيخه- عن أبان بن محمد عن يونس بن نباتة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا يونس ما يقول الناس في إيمان أبي طالب؟

قلت: جعلت فداك، يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها أم رأسه.

(١) سورة النساء: ١١٥.

(٢) كنز الفوائد: ٨٠.

فقال: كذب أعداء الله، إِنَّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً<sup>(١)</sup>.

واربط هذه الرواية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا<sup>(٣)</sup>.

فإنَّ المستفاد من ذلك أنَّ أبا طالب ﷺ قد أطاع الله والرسول بمثل ما أرادت الآية الشريفة فكانت منزلته في الآخرة من رفقاء النبيين...؛ فإنَّ الإمام ﷺ في هذه الرواية أعطى النتيجة المعلقة في الآية على الطاعة، فالطاعة متحققة منه قطعاً.

ثمَّ إنَّ الذي يظهر لنا أنَّ هذه الطاعة التي توجب مرافقة النبيين وسائر من ذكروا في الآية ليست من قبيل طاعة عامّة الناس ممَّن أطاعوا وعصوا ف ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾<sup>(٤)</sup>.

#### ٨- عبد الله وأبو طالب أظهر طاهرين ؛

في الكافي الشريف بسنده عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إِنَّ الله كان إذ لا كان

(١) كنز الفوائد: ٨٠.

(٢) سورة النساء: ٦٩ - ٧٠.

(٣) سورة التوبة: ١٠٢.

فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نُورَتْ منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نُورَتْ منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين؛ إذ لا شيء كُؤن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليه (١).

ووصف عبد الله وأبي طالب عليه بـ(أطهر طاهرين) يدع العقل مبهوراً مما يرى من جلال عظمتها، ولكنّه هو الموافق للعقل والاعتبار؛ فإنّ الحامل لنور أفضل خلق الله تعالى لا بدّ أن يكون في أرفع درجات الطهارة والنزاهة؛ فإنّ العقلاء يضعون مجوهراتهم الثمينة، وممتلكاتهم ذات الفخامة في أفخم وعاء وأجمله وأنظفه، ويضنّون بها عن رؤية الغير لها فضلاً عن لمسها وحملها، كما لا تجرد عاقلاً يضع طعاماً في وعاء قدر، أو في إناء ملوّث، فضلاً عن أن يضعه في مكان نجس، والله تعالى خالق العقل، وواهبه للعقلاء، فلا يمكن أن يضع نور خير بريّته، وخاصة خلقه في مكان مشوب بأدنى شائبة.

ثمّ إنّنا لو وقفنا على لفظ (أطهر طاهرين) وما فيها من أفعال التفضيل المضاف للنكرة لرأينا أنّه يحمل من العموم والإطلاق ما الله به عليم من حيث الأزمنة والأشخاص؛ ولكن سأترك تفسير هذا الجانب إلى شراح الكافي، قال

الشيخ المازندراني رحمته الله: «فلم يزالا من لدن آدم عليه السلام يجريان طاهرين من الأخباث، مطهَّرين من الذنوب والأرجاس، في الأصلاب الطاهرة من السفاح، حتى افترقا في صلب عبد المطلب ووقعا في صلب أطهر طاهرين في عصره: في صلب عبد الله، وصلب أبي طالب، فخرج من صلب عبد الله سيّد الأنبياء، ومن صلب أبي طالب أشرف الأوصياء صلّى الله عليهما، هذا ما خطر بالبال والله أعلم بحقيقة الحال»<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة المجلسي رحمته الله: «أطهر طاهرين على التثنية؛ أي في زمانها»<sup>(٢)</sup>.

#### ٩- يحشر في زمرة عبد المطلب :

أخرج جامع الديوان بسنده عن راشد الحماني قال: «سُئِلَ أبو عبد الله عليه السلام

- يعني الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - عن أهل الجنّة فقال:

الأنبياء في الجنّة، والصالحون في الجنّة، والأسباط في الجنّة، ومن يحشر أمة وحده في الجنّة، وأجلّ العالم مجدّاً محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله يقدم آدم فمن بعده من آباء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذه الأصناف التي ذكرت به محققون، وعبد المطلب له نور الأنبياء

(١) شرح أصول الكافي: ٧ / ١٥٠.

وجمال الأوصياء وهيبة الملوك، ويحشر أبو طالب في زمرة، وعلى ملته...»<sup>(١)</sup>.

### ١٠- إيمان أبي طالب أرجح من إيمان الخلق :

أخرج السيّد فخّار بن معد في كتابه بسنده «عن أبي بصير ليث المراديّ قال: قلت لأبي جعفر ﷺ : سيدي إنّ الناس يقولون: إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلى منه دماغه.

فقال ﷺ : كذبوا والله، إنّ إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم.

ثمّ قال: كان والله أمير المؤمنين يأمر أن يُحجَّجَ عن أبِ النبيّ، وأمه وعن أبي طالب حياته، ولقد أوصى في وصيّته بالحجّ عنهم بعد مماته»<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى لطف ما قام به أمير المؤمنين ﷺ من أمره بالحجّ عن هؤلاء الثلاثة - والد النبيّ ووالدته وأبيه صلوات الله عليهم -؛ فإنّه يعلم ما يروّجه أعداؤه، وما سيرّوجونه من بعده، من اتهامهم إياهم بالكفر، وأنهم من أهل النار والعياذ بالله، فصنع ما صنع، وفي سنين متبادية؛ ليتّضح لذي عينين كذب أهل الشقاء والرّين؛ فإنّ القيام بهذا العمل في أعوام متبادية يحفر في ذاكرة المسلمين حقيقة إيمانهم بالله الواحد الأحد، ويحصل في أذهان المسلمين

(١) الديوان: ٢٦٩.

(٢) الحجّة على الذاهب إلى إيمان أبي طالب: ٨٥.

اقتران مؤكداً بين هذه الذوات المقدّسة والإيمان بالله تعالى.

وقد علّق السيد فخار رحمته على هذا الحديث، بكلام طويل لطيف، أثرنا

ذكره في الهامش؛ ليطلع عليه القارئ العزيز<sup>(١)</sup>.

(١) قال رحمته في الصفحة ٨٥ من الحجّة على الذهاب إلى إيمان أبي طالب:

«فهذه الأخبار المختصّة بذكر الضحّاح من نار، وما شاكلها من متخصّصات ذوي الفتن، وروايات أهل الضلال وموضوعات بني أميّة، وأشياعهم الناصبين العداوة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهي في نفسها تدلّ على أنّ مفتعلها والمجتري على الله بتخصّصها متحامل غمر جاهل، قليل المعرفة باللغة العربيّة التي خاطب الله بها عباده، وأنزل بها كتابه؛ لأنّ الضحّاح لا يُعرف في اللغة إلا لقليل الماء، فحيث عدل به إلى النار ظهرت فضيحتة، واستبان جهله وتحامله.

وأيضاً: فإنّ الأئمة متّفقة على أنّ الآخرة ليس فيها سوى الجنّة والنار، فالمؤمن يدخله الله الجنّة، والكافر يدخله الله النار.

فإن كان أبو طالب كافراً على ما يقوله مخالفنا، فما باله يكون في ضحّاح من نار من بين الكفّار، ولم تُجعل له نار وحده من بين الخلائق، والقرآن متضمّن أنّ الكافر يستحقّ التأبيد والخلود في النار؟

فإن قيل: إنّما جعل في ضحّاح من نار لتربيته للنبي صلى الله عليه وآله وذوّبه عنه، وشفقته عليه، ونصره إياه.

قلنا: تربية النبي صلى الله عليه وآله والذّبّ عنه، وشفقته عليه والنصرة له طاعة لله تعالى يستحقّ في مقابلها الثواب للدائم، فإن كان أبو طالب فعلها، وهو مؤمن بما لله لا يكون في الجنّة كغيره من المؤمنين، وإن كان فعلها وهو كافر فإنّها غير نافلة له، لأنّ الكافر إذا فعل فعلاً لله تعالى فيه طاعة لا يستحقّ عليه ثواباً؛ لأنّه لم يوقعه لوجهه متقرباً به إلى الله تعالى، من

حيث أنه لم يعرف الله تعالى ليتقرب إليه، فيجب أن يكون عمله غير نافع له. فما استحق أن يجعل في ضحضاح من نار فهو: إما مؤمن يستحق الجنة كما نقول، وإما كافر يستحق التأبيد في الدرك الأسفل من النار على وجه الاستحقاق والهوان كغيره من الكفار، وهذا لا يقوله مخالفنا.

وقد أبطلنا أن يكون في ضحضاح من نار، فلم يبق إلا أن يكون في الجنة حسب ما بيناه.

**مصدر هذا الحديث:**

وأيضاً: فإن هذه الأحاديث المتضمنة أن أبا طالب في ضحضاح من نار مختلفة، أصلها واحد، وراويها منفرد بها؛ لأنها جميعها تستند إلى المغيرة بن شعبة الثقفي، لا يروي أحد منها شيئاً سواه، وهو رجل ظنين في حق بني هاشم، متهم فيما يرويه عنهم؛ لأنه معروف بعداوتهم مشهور ببغضه لهم، والانحراف عنهم.

**المغيرة في الميزان:**

وروي عنه: أنه شرب في بعض الأيام، فلماً سكر، قيل: ما تقول في بني هاشم؟ فقال: والله ما أردت لهاشمي قط خيراً.

والمغيرة هو الذي حسن لعائشة الخروج إلى البصرة حتى كان من أمرها ما كان بغضاً  
لأمير المؤمنين ﷺ.

وهو مع بغضه لبني هاشم، واشتهاره بالانحراف عنهم رجل فاسق، وثبوت فسقه معلوم عند الأمة لوجوه...

ثم بعد كلام ساق الخبر الآتي بسنده عن أبي بكر، قال:

لما عزل عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان، عن البصرة، وبعث بالمغيرة بن شعبة غزا ميسان ففتحها، وبعث أبا بكر بشيراً بالفتح، وأقام بالبصرة أميراً، وقد أخذت بها المنازل، وكثر بها الناس، وحسن بها حالهم، ثم رجع أبو بكر إلى البصرة قافلاً من عند عمر، فكان المغيرة بن شعبة يخرج كل يوم من دار الأمانة وسط النهار، فيلقاه أبو بكر فيقول:

أين تذهب أيها الأمير؟

فيقول لي: حاجة، فيقول له: ما هذه الحاجة؟ إنَّ الأمير يُزار ولا يزور.

وكانت امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة، يقال لها: أم جميل بنت سبيعة، وكان لها زوج من قومها، يقال له الحجاج بن عبيد جارة لأبي بكرة، فبينا أبو بكرة في غرفة له، وعنده أخواه: نافع وزباد، ورجل آخر، يقال: شبل بن معبد، وغرفة الهلالية، بحذاء غرفة أبي بكرة، قال: فضربت الريح باب غرفة جاره أبي بكرة الهلالية ففتحته.

فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة بن شعبة على المرأة ينكحها، قال: فقال أبو بكرة لأصحابه الثلاثة إنكم قد ابتليتكم، فأثبتوا الشهادة.

قال: فنظروا حتى أثبتوا، قال: فنزل أبو بكرة فجلس حتى مرَّ عليه المغيرة خارجاً من عند المرأة، فقال له: إنَّه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا.

وكتب إلى عمر بن الخطاب بالذي كان، فكتب عمر إلى المغيرة وإلى الشهود جميعاً أن يقدموا عليه، فلما قدموا عليه صفَّهم، ودعا أبا بكرة قبلهم، فأثبت الشهادة، وذكر أنه رآه يدخل كما يدخل الميل في المكحلة، وقال: لكأني أنظر إلى أثر الجدري بفخذ المرأة.

ثمَّ دعا نافعاً فشهد بمثل شهادة أبي بكرة، وأثبتها، ثمَّ دعا شبل بن معبد، فشهد بمثل شهادة نافع وأبي بكرة، وأثبتها. فقال عمر بن الخطاب:

أردى المغيرة الأربعة، ثمَّ دعا زياداً، فلما أقبل، قال عمر: إنِّي لأرى رجلاً ما كان ليشهد اليوم إلا بحق.

ويروى: إنَّ عمر لما رأى زياداً، قال: إنِّي لأرى وجه رجل ما كان الله يخزي رجلاً من المهاجرين بشهادته فقال: شبل بن معبد -وهو الثالث من الشهود- أفتجلد شهود الحق، وتبطل الحدَّ أحب إليك يا عمر؟

فقال عمر: لزياد ما تقول؟

فقال: قد رأيت منظرأ قبيحاً، ونفساً عالياً، ولقد رأيت بين فخذي المرأة ولا أدري، هل كان خالطها أم لا؟

فقال عمر: الله أكبر.

## ١١- افتخار أمير المؤمنين ﷺ بأبيه :

ذكر المسعودي حديث أبي ذرّ، وما جرى بينه وبين عثمان، ومن جملة ما ذكره:

«وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته -وقيل: ابنته-، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة، فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها، طلع عليه علي بن أبي طالب ﷺ، ومعه ابناه الحسن والحسين، وعقيل أخوه، وعبد الله بن جعفر، وعمّار بن ياسر.

فاعترض مروان فقال: يا علي، إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدرِ بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط، وضرب بين أذني راحلته، وقال: تنحّ نحاك الله إلى النار.

ومضى مع أبي ذرّ فشيّعه، ثمّ ودّعه وانصرف، فلما أراد عليّ الانصراف

---

فقال المغيرة: والله أكبر، الحمد لربّ الفلق، والله لقد كنت علمت أنّي سأخرج عنها سالماً. فقال له عمر: أسكت فوالله لقد رأوك بمكان سوء، فقبح الله مكاناً رأوك فيه، وأمر بجلد الشهود الثلاثة...

إلى نهاية القصة، ثمّ قال:

فكيف يجوز اعتقاد ما يرويه المغيرة، وهذه صفته، ويترك ما اتفق عليه أهل بيت رسول الله ﷺ وشيعتهم الذين هم أهل الرواية، ومظان الدراية».

بكى أبو ذرّ، وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله ﷺ.

فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به عليّ بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من عليّ؟ ردّ رسولي عمّا وجهته له، وفعل كذا، والله لنعطينه حقه.

فلما رجع عليّ استقبله الناس، فقالوا له: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان؛ لتشيعك أبا ذرّ، فقال عليّ: غضبُ الخيلِ على اللّجُمِ.

فلما كان بالعشيّ جاء إلى عثمان، فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان؟ ولم اجترأت عليّ ورددت رسولي وأمري؟!!

قال: أمّا مروان فإنه استقبلني يردّني فرددته عن ردّي، وأمّا أمرك فلم أردّه.

قال عثمان: ألم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ وعن تشييعه؟ فقال عليّ: أو كلّ ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟! بالله لا نفعل.

قال عثمان: أقدّ مروان.

قال: وممّ أقيده؟

قال: ضربت بين أذني راحلته وشمتمته، فهو شاتمك وضارب بين أذني

راحلتك.

قال عليٌّ: أمّا راحلتي فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها، بما لا أكذب فيه، ولا أقول إلاّ حقاً.

قال عثمان: ولم لا يشتبك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه؟! فغضب علي بن أبي طالب وقال: إليّ تقول هذا القول؟! وبمروان تعدلني؟! فأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأمّي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد نثنتها، وهلمّ فانثلك.

فغضب عثمان واحمرّ وجهه، فقام ودخل داره، وانصرف عليٌّ، فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار...»<sup>(١)</sup>.

## ١٢- التوسّل بأبي طالب :

في الكافي للكلينيّ رحمته: «عن داود الرقيّ قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل مال قد خفت تواه»<sup>(٢)</sup> فشكوت إليه ذلك فقال لي:

إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٤١.

(٢) تواه: هلاكه، أو ضياعه.

ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصلَّ عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلَّ عنها ركعتين، ثم ادعُ أن يُردَّ عليك مالك.

قال: ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا وإذا غريمي واقف يقول:  
يا داود حبستني، تعال أقبض مالك»<sup>(١)</sup>.

فمن الواضح أن إرشاد الإمام ﷺ داود الرقيي - حسب هذه الرواية - للتوسل بهذه الذوات الطاهرة، بهذه الصورة الفاخرة، يدل على مقام رفيع عند الله تعالى، وشأن عظيم لهم؛ فإنَّ بركة هذه العبادة التي تكون نيابة عنهم تلقي بشعاعها، فيقذف الله تعالى في قلب الطرف الآخر أن يرجع لرشده ويؤدي ما عليه.

### ١٣- كرامة من كرامات النبي ﷺ لأبي طالب ﷺ :

روى ابن عساكر بسنده عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال: «كنت بذئ المجاز مع ابن أخي -يعني النبي ﷺ- فأدركني العطش، فشكوت إليه، فقلت: يا ابن أخي قد عطشت، وما قلت له ذاك وأنا أرى عنده شيئاً إلاّ الجزع، قال: فشنى وركه ثم نزل، فقال: يا عم أعطشت؟

قال: قلت: نعم.

قال: فأهوى بعبقه إلى الأرض فإذا أنا بالماء، فقال: اشرب يا عم قال

فشربت»<sup>(١)</sup>.

وعلى محقق الكتاب في الهامش بقوله: «ونقل أبو شامة رواية أخرى قال:  
وفي رواية: فركل الأرض برجله، فنبع الماء».

## ثانياً: أقوال العلماء والمؤرخين :

### ١- ميشه التمار :

«والله ما عبدَ عليٌّ، ولا عبدَ أحدٍ من آبائه غير الله تعالى إلى أن توفاهم الله  
تعالى»<sup>(٢)</sup>.

### ٢- إسحاق بن عيسى :

«لم يكن أحد يسود في الجاهلية إلا بهال، إلا أبو طالب فإنه ساد باتباعه  
أخلاق عبد المطلب وكان كاملاً»<sup>(٣)</sup>.

### ٣- ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق: «وكان<sup>(٤)</sup> له<sup>(٥)</sup> عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصرأ على

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٠٨ / ٦٦، وفي الهامش: رواه ابن حجر في الإصابة عن ابن سعد  
في الطبقات ٤ / ١١٩.

(٢) الديوان: ٢٧١.

(٣) الديوان: ٢٦٥، والظاهر أن المراد بإسحاق هو إسحاق بن عيسى الهاشمي.

(٤) يعني: أبا طالب.

(٥) يعني: النبي ﷺ.

قومه»<sup>(١)</sup>.

#### ٤- البلاذريّ:

قال البلاذريّ في أنساب الأشراف: «كان منيعاً عزيزاً في قريش، قال لعامر ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمه أمّ حكيم بنت عبد المطلب: نافر من شئت وأنا خالك.

وكانت قريش تطعم فإذا أطعم (أبو طالب) لم يُطعم يومئذٍ أحدٌ غيره»<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- المسعودي:

وقال المسعودي في إثبات الوصية: «وكان أبو طالب محترماً معظماً كشافاً للكروب، غير هذر ولا مكثار، ولا عاقٌّ؛ بل برّ وصول، جواد بما يملك، سمح بما يقدر، لا يثنيه عن مبادرة الخطاب وجلّ، ولا يدركه لدى الخصام مللٌ، فشغف برسول الله عليه السلام شغفاً شديداً»<sup>(٣)</sup>.

وقال: «وكانت ألطاف خديجة وهداياها إلى منزل أبي طالب متصلة حتى أصابت قريشاً أزمة شديدة، وسنة معصوبة، وكان أبو طالب رجلاً جواداً معطاء سمحاً فقلّ ماله وكثر عياله وأجحفت السنة بحاله»<sup>(٤)</sup>.

(١) السيرة النبوية: ٢ / ٢٨٢، البداية والنهاية: ٣ / ١٥١.

(٢) أنساب الأشراف: ٢ / ٢٣.

(٣) إثبات الوصية: ٣٥.

(٤) إثبات الوصية: ١٤٤.

## ٦- السيوطي:

وقال السيوطي في كفاية الطالب: «وأخرج الطبراني عن عمار قال: كان أبو طالب يصنع الطعام لأهل مكة، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل لم يجلس حتى يأخذ شيئاً فيضعه تحته، فقال أبو طالب: إن ابن أخي ليحس بكرامة»<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أن التعبير بـ(كان يصنع الطعام) يدل على الاستمرار، وأن هذا شأنه وديدنه، فيكشف ذلك كشفاً لا لبس فيه عن أنه في الطليعة من كرماء العرب<sup>(٢)</sup>.

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٣.

(٢) فهو في الكرم يحذو حذو أبيه -ومن يشابه أبه فما ظلم- ويفتخر بذلك؛ ففي تاريخ اليعقوبي: (١/ ٢٤٨) قصّة يعجبني ذكرها على طولها؛ ليقف القارئ مبهوراً أمام النبل والكرم والجود في الدوحة التي يستظل فيها أبو طالب ﷺ قال: «وكان عبد المطلب لما حفر زمزم صار إلى الطائف، فاحتفر بها بئراً يقال لها ذو الهرم، فكان يأتي أحيلناً، فيقيم بذلك الماء، فأتى مرة، فوجد به حيين من قيس عيلان، وهم بنو كلاب، وبنو الرباب، فقال عبد المطلب: الماء مائي، ولنا أحقّ به، وقال القيسيون: الماء ماؤنا، ونحن أحقّ به.

قال: فإني أنا فركم إلى من شئتم، يحكم بيني وبينكم، فنافروه إلى سطيح الغساني، وكان كاهن العرب يتنافرون إليه، فتعاهد القوم وتعاهدوا على أن سطيحاً إن قضى بالماء لعبد المطلب، فعلى كلاب وبنو الرباب مائة من الإبل لعبد المطلب، وعشرون لسطيح، وإن قضى سطيح بالماء للحيين، فعلى عبد المطلب مائة من الإبل للقوم، وعشرون لسطيح، فانطلقوا، وانطلق عبد المطلب بعشرة نفر من قريش، فيهم حرب بن أمية، فجعل عبد

المطلب لا ينزل منزلاً إلا نحر جزوراً، وأطعم الناس، فقال القيسيون: إن هذا الرجل عظيم الشأن، جليل القدر، شريف الفعل، وأنا نخشى أن يطمع حاكمنا بهذا، فيقضي له بالماء، فانظروا لا نرضى بقول سطیح حتى نخبئ له خبأً، فإن أخبرنا ما هو رضينا بحكمه، وإلا لم نرض به.

فبينما عبد المطلب في بعض الطريق إذ فني ماؤه وماء أصحابه، فاستسقى القيسيين من فضل مائهم، فأبوا أن يسقوهم، وقالوا: أنتم الذين تخاصموننا وتنازعوننا في مائنا، والله لا نسقيكم!

فقال عبد المطلب: أيهلك عشرة من قريش، وأنا حي؟ لأطلبن لهم الماء، حتى ينقطع خيط عنقي، وأبلي عذراً، فركب راحلته، وأخذ الفلاة، فبينما هو فيها إذ بركت راحلته وبصر به القوم، فقالوا: هلك عبد المطلب! فقال القرشيون: كلا والله لهو أكرم على الله من أن يهلكه، وإنما مضى لصلاة الرحم، فانتهوا إليه، وراحلته تفحص بكركرتها على ماء عذب روي، قد ساح على ظهر الأرض، فلما رأى القيسيون ذلك أهرقوا أسقيتهم، وأقبلوا نحوهم ليأخذوا من الماء، فقال القرشيون: كلاً والله، أستم الذين منعمونا فضل مائكم؟ فقال عبد المطلب: خلوا القوم، فإن الماء لا يمنع!

فقال القيسيون: هذا رجل شريف سيد، وقد خشينا أن يقضى له علينا، فلما وصلوا إلى سطیح قالوا: إننا قد خبأنا لك خبأً، وأخذ إنسان منهم ثمرة في يده فقال: فأخبرنا ما هو؟ فقال: خبأتم لي ما طال فسمك، ثم أينع، فما هلك، ألق الثمرة من يدك! فقالوا: قاتله الله! أخبئوا له خبأً هو أخفى منه.

فأخذ إنسان جرادة، فقالوا له: إننا قد خبأنا لك خبأً، فأخبرنا ما هو؟ قال: خبأتم لي ما رجله كالمنشار، وعينه كالدينار. قالوا: إي.

قال: ما طار، فسطع، ثم قبض، فوقع، فترك الصيد أنفع. قالوا: ما له، قاتله الله؟ أخبئوا له خبأً هو أخفى من هذا! فأخذوا رأس جرادة، فجعلوه في

قال أبو طالب عليه السلام :

ونطعم حتى يأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد<sup>(١)</sup>

٧- ابن أبي الحديد:

وجاء في شرح نهج البلاغة: «وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا: قل أن يسود فقير، وساد أبو

---

خرز مزادة، ثمّ علّقه في عنق كلب لهم يقال له سوار، ثمّ ضربه حتى ذهب، ثمّ رجع على الطريق، فقالوا: قد خبأنا لك خبأ، فأخبرنا ما هو؟  
قال: خبأتكم لي رأس جرادة، في خرز مزادة، بين عنق سوار والقلادة.  
قالوا: اقضِ بيننا!

قال: قد قضيت، اختصمتم أنتم وعبد المطلب في ماء بالطائف يقال له ذو الهرم، فالماء ماء عبد المطلب، ولا حقّ لكم فيه، فأدّوا إلى عبد المطلب ملئة من الإبل، وإلى سطيح عشرين، ففعلوا.

وانطلق عبد المطلب ينحر ويطعم، حتى دخل مكة، فنادى مناديه:  
يا معشر أهل مكة! إنّ عبد المطلب يسألکم بالرحم، لمّا قام كلّ رجل منكم حدّثته نفسه أن يغينيني عن هذا الغرم، فأخذ مثل ما حدّثته نفسه.  
فقاموا وأخذوا من بعير واثنين وثلاثة على قدر ما حدّثت كلّ امرئ منهم نفسه، وفضلت بعد ذلك جزائر، فقال عبد المطلب لابنه أبي طلب: أي بني! قد أطعمت الناس، فانطلق بهذه الجزائر، فانحرها على أبي قبيس، حتى يأكلها الطير والسباع، ففعل أبو طالب ذلك، فأصابها الطير والسباع.  
قال أبو طالب:

ونطعم حتى يأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيضين ترعدُ

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢٤٨ / ١.

طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه الشيخ»<sup>(١)</sup>.

#### ٨- ابن شهر آشوب:

وفي مناقب آل أبي طالب: «وكانت السباع تهرب عن أبي طالب فاستقبله أسد في طريق الطائف وبصبص<sup>(٢)</sup> له وتمرغ قبّله، فقال أبو طالب: بحق خالقتك أن تبين لي حالك.

فقال الأسد: إنّما أنت أبو أسد الله، ناصر نبيّ الله ومريّيه، فازداد أبو طالب في حبّ النبيّ عليه السلام والإيمان به»<sup>(٣)</sup>.

#### ٩- الشيخ الصدوق:

وجاء في كمال الدين: «وكان عبد المطلب وأبو طالب من أعرّف العلماء وأعلمهم بشأن النبيّ عليه السلام وكانا يكتمان ذلك عن الجهّال وأهل الكفر والضلال»<sup>(٤)</sup>.

#### ١٠- الشيخ الكليني:

ومّا ذكر في صفته: «وكان ممن يهابه الرّجال ويكرهه غصبه»<sup>(٥)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٩ / ١.

(٢) بصبص الكلب: أي تحرك ذنبه، والتمرغ: التقلّب والتمعك في التراب.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢٧ / ١.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ١٧١ / ١.

(٥) الكافي (ط الإسلاميّة): ٣٧٤ / ٥.

## ١١- الشيخ الطبرسي:

جاء في إعلام الوری: «وكان أبو طالب له خطر عظيم، وشأن رفيع، ولسان شافع جسيم»<sup>(١)</sup>.

## ١٢- النويري:

وقال النويري: «كان أبو طالب حاكم قريش، وسيدها، ومرجعها في الملّمات»<sup>(٢)</sup>.

## ١٣- الحلبي:

وفي السيرة الحلبية: «وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كآبيه عبد المطلب كما تقدّم»<sup>(٣)</sup>.

ومن صفاته اللامعة في حياته الشجاعة والبسالة والإقدام وقوة الجنان والحنكة وسرعة البديهة، ومواقفه مع قريش في نصرته النبي ﷺ كلّها دليل واضح على ذلك.

ومما يحسن ذكره في هذا المجال هذه الرواية: «وأخبرني الشيخ محمد بن إدريس يرفعه قال: قيل لتأبط شراً»<sup>(٤)</sup> الشاعر - واسمه ثابت بن جابر - من

(١) إعلام الوری بأعلام الهدى: ١ / ٢٧٤.

(٢) ظلامة أبي طالب للسيد جعفر مرتضى: ٤٣، عن نهاية الإرب: ١ / ٣٢٤ ط ٢.

(٣) السيرة الحلبية: ١ / ١٨٤.

(٤) سُمي بذلك لأنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: تأبط شراً وخرج.

سيّد العرب؟ فقال: أخبركم، سيّد العرب أبو طالب بن عبد المطلب.

الأحنف بن قيس، وقيل للأحنف بن قيس التميمي<sup>(١)</sup>: من أين اقتبست هذه الحكم وتعلّمت هذا الحلم؟

قال: من حكيم عصره وحليم دهره: قيس بن عاصم المنقري<sup>(٢)</sup>، ولقد قيل

(١) اسمه الضحّاك، وقيل: صخر بن قيس، أدرك النبي ﷺ ولم يره، ودعا له النبي ﷺ وكان أحد الحكماء الدهاة العقلاء، وقدم على عمر في وفد البصرة، فرأى منه عقلاً وديناً وحسن سم، فتركه عنده سنة ثمّ أحضره وقال: يا أحنف أتدري لم احتبستك عندي؟ قال: لا.

قال: إنّ رسول الله ﷺ حذرنا كلّ منافق عليم فخشيت أن تكون منهم، ثمّ كتب معه كتاباً إلى الأمير على البصرة يقول له: الأحنف سيّد أهل البصرة فما زال يعلو من يومئذ، وكان ممّن اعتزل الحرب بين علي وعائشة بالجمل وشهد صفين مع علي ﷺ، وبقي إلى امارّة مصعب بن الزبير على العراق، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستين. انظر: أسد الغابة: ١ / ٥٥.

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس، وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم وأسلم سنة تسع، ولما رآه النبي ﷺ قال: هذا سيّد أهل الوبور. وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، قيل للأحنف بن قيس ممّن تعلّمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم رأيت يوماً قاعداً ببناء داره، محتبياً بحمائل سيفه يُحدّث قومه إذا أتى برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل: هذا ابن أخيك قتل ابنك، قال: فوالله ما حلّ حبوته ولا قطع كلامه، فلمّا أتمّه التفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي بنسباً فعلت؛ أئمت برّبك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك، فحلّ كتافه وقال: وار أخاك وسق إلى أمك مائة من الإبل دية ابنها فإتمها غريبة.

لقيس حلم من رأيت فتحلّمت؟ وعلم من رأيت فتعلّمت؟

فقال: من الحكيم الذي لم ينفد قطّ حكمته: أكثم بن صيفي التميمي<sup>(١)</sup>.

ولقد قيل لأكثم: ممّن تعلمت الحكمة والرئاسة والحلم والسيادة؟

فقال: من حليف الحلم والأدب سيّد العجم والعرب أبي طالب بن

عبدالمطلب<sup>(٢)</sup>.

قال الحسن البصري: لمّا حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال: يا بنيّ احفظوا عنيّ فلا أحد أنصح لكم مني، إذا أنا متّ فسودّوا كباركم، ولا تسودّوا صغاركم فتسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، وإياكم ومسألة الناس فإنّها آخر كسب المرء، ولا تقيموا عليّ نائحة فإنّي سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النائحة.

انظر: أسد الغابة: ٤ / ٢٢٠.

(١) هو أكثم بن صيفي بن عبد العزى، ولما بلغه ظهور رسول الله ﷺ أرسل إليه رجلين

يسألانه عن نسبه وما جاء به، فأخبرهما وقرأ عليهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية.

فعادا إلى أكثم فأخبراه فقرئا عليه الآية، فلما سمع أكثم ذلك قال: يا قوم أراه يأمر بمكارم

الأخلاق وينهى عن ملامتها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا أذناناً، وكونوا فيه أولاً

ولا تكونوا فيه آخراً، فلم يلبث أن حضرته الوفاة فأوصى أهله: أوصيكم بتقوى الله وصله

الرحم فإنّه لا يبلى عليها أصل ولا يهتصر عليها فرع.

انظر: أسد الغابة: ١ / ١١٢.

وإنما جوزنا بعض التطويل للإشارة إلى جلاله أبي طالب، كفاه شرفاً وفخراً كونه ناصر

رسول الله ووالد أمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٣٤.

## الفصل الثالث

### أدلة إيمانه

يمكننا القول بأن التشكيك في إسلام أبي طالب عليه السلام قد أثاره عتاة بني أمية وأتباعهم منذ زمن أمير المؤمنين عليه السلام، كما يظهر من رواية المفضل بن عمر المتقدمة الواردة في نوره عليه السلام؛ إذ فيها:

«... عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كان ذات يوم جالساً بالرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله به، وأبوك يعذب بالنار! فقال له: مه فض الله فاك....»<sup>(١)</sup>.

وما ذلك إلا محاولة منهم لاستنقاص ابنه أمير المؤمنين عليه السلام؛ لما يحملونه من ضغينة وحسد وعداء له عليه السلام، ثم لما استولوا على زمام الأمة اشتغلت (ماكنة) إعلامهم على قدم وساق، تنشر الظلمة في الآفاق، وتستر ضوء الشمس بمنخلها الممزق، وقد أعانهم بنو العباس في ذلك لما استولوا على

كرسي السلطنة؛ لغرض واضح في نفوسهم، قد أبدوه في ألسنتهم، كما فعل المنصور في كتاب له إلى محمد بن عبد الله بن الحسن لما خرج بالمدينة؛ حيث كتب فيها كتب ظلماً وعدواناً: «وقد بُعث النبي ﷺ وله أربعة أعمام، فأمن به اثنان أحدهما أبي، وكفر به اثنان أحدهما أبوك»<sup>(١)</sup>.

ومع اتفاق هاتين الدولتين المعاديتين لأهل البيت ﷺ على هذه المصلحة الدنيوية، ويدهم الإعلام والقوة والقدرة، أصبح هذا الأمر مسلماً به عند غير قليل من مؤرّخي البلاط، فتلقفته أجيال المخالفين لطريقة أهل البيت ﷺ بالتسليم، بوعي أو من دون وعي.

ولكن في كل بيت من شعر أبي طالب ﷺ دليلاً على حسن إسلامه وعميق إيمانه، وفي كل موقف من مواقفه برهاناً على عقيدته الخالصة الصافية، يدرك ذلك من قرأ سيرة الرسول ﷺ في بدء الدعوة بعين الإنصاف، متجرداً عن إملاء السلطة، وهوى النفس الأمارة بالسوء.

نعم، لا يَعْقِلُ ذلك إلا من قرأ التاريخ بعينه، وفكّر بعقله، وتأمّل بذهنه، ولم يقرأه بعين غيره، ولم يفكر بعقل الآخرين.

ولقد أسهب الأصحاب في بيان أدلة إيمان أبي طالب ﷺ، وكما قلنا كُتِبَتِ الكُتُبُ وألّفت المؤلفات في ذلك، فلم يتركوا للمعاند مجالاً، ولا للمنصف

(١) البداية والنهاية: ٩١/١٠، الإصابة لابن حجر: ٢٠٢/٧.

عذراً، ولكنّا - كما أشرنا في المقدّمة - لسنا بصدد بيان هذا الجانب، ولكن ترك بحثه في هذا الكتاب ربّما يعدّ نقصاً فيه، فلهذا سنختصر القول في ذلك، قبسة عجلان، وشربة ظمآن، فنقول وعلى الله التكلان:

### ثبت بأسماء من ألف في إيمانه من المتقدمين :

لقد شمّر العلماء منذ الصدر الأول عن ذراعهم وأقلامهم؛ لبيان الحقيقة الناصعة، فأزاحوا غَبَشَ الأهواء، ورفعوا ضباب الأفكار، وبيّنوا زيف دعوى من حاد عن الحقّ، واتّهم أبا طالب عليه السلام بالكفر، فأثبتوا لمن له عين تبصر، وقلب يعقل إيمان أبي طالب عليه السلام حتى صار واضحاً وضوح النور على المنار، أو كالشمس في رابعة النهار، فمنهم:

١- أحمد بن محمد بن أحمد بن طرخان الكنديّ أبو الحسين الجرجرائيّ: قال الشيخ النجاشيّ (ت: ٤٥٠هـ) في حقّه: «الكاتب، ثقة، صحيح السماع، وكان صديقنا، قتله إنسان يعرف بابن أبي العباس يزعم أنّه علويّ؛ لأنّه أنكر عليه نكرة، رحمه الله.

وله كتاب إيمان أبي طالب»<sup>(١)</sup>.

٢- أحمد بن القاسم: قال النجاشيّ: «رجل من أصحابنا، رأينا (رأيت)

بخطّ الحسين بن عبيد الله كتاباً له إيمان أبي طالب»<sup>(١)</sup>.

٣- أحمد بن محمد بن عمّار: قال النجاشيّ: «أبو علي الكوفي ثقة جليل من أصحابنا، له كتب، منها: كتاب العلل، كتاب أخبار النبي ﷺ، كتاب إيمان أبي طالب...»<sup>(٢)</sup>.

٤- سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعريّ القميّ: قال النجاشيّ: «أبو القاسم، شيخ هذه الطائفة وفقهها ووجهها. كان سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً، وسافر في طلب الحديث...»

وصنّف سعد كتباً كثيرة، وقع إلينا منها كتب الرحمة، كتاب الوضوء...، كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وأبي النبي ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

٥- سهل بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سهل الديباجيّ: قال النجاشيّ: «أبو محمد، لا بأس به، كان يخفي أمره كثيراً، ثمّ ظاهر بالدين في آخر عمره، له كتاب إيمان أبي طالب ﷺ».

أخبرني به عدّة من أصحابنا وأحمد بن عبد الواحد»<sup>(٤)</sup>.

(١) رجال النجاشيّ: ٩٥.

(٢) رجال النجاشيّ: ٩٥.

(٣) رجال النجاشيّ: ١٧٧.

(٤) رجال النجاشيّ: ١٨٦.

٦- علي بن بلال بن أبي معاوية : قال النجاشي: «أبو الحسن المهلبيّ الأزديّ، شيخ أصحابنا بالبصرة، ثقة، سمع الحديث فأكثر، وصنّف كتباً، كتاب المتعة، كتاب المسح على الرجلين، كتاب المسح على الخفين، كتاب البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي عليه السلام وعليهم.

أخبرنا بكتبه محمد بن محمد وأحمد بن علي بن نوح»<sup>(١)</sup>.

٧- محمد بن محمد بن النعمان : قال النجاشي: «...شيخنا وأستاذنا عليه السلام. فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم.

له كتب: ...كتاب إيمان أبي طالب...»<sup>(٢)</sup>.

٨- محمد بن أحمد بن الحسين النيسابوريّ : قال عنه الشيخ متعجب الدين ابن بابويه رحمته الله (ت: ٥٨٥ هـ): «الشيخ المفيد أبو سعيد...، ثقة، عين، حافظ، له تصانيف منها:

كتاب منى الطالب في إيمان أبي طالب...

أخبرنا بها شيخنا الامام جمال الدين أبو الفتوح الرازيّ الخزاعيّ سبطه عن والده عنه»<sup>(٣)</sup>.

(١) رجال النجاشي: ٢٦٥.

(٢) رجال النجاشي: ٣٩٩.

(٣) فهرست متعجب الدين ابن بابويه: ١٠٢.

٩- فخّار بن معد بن فخّار شمس الدين أبو عليّ الموسويّ الحائريّ: قال الشيخ عليّ النّازيّ الشّاهروديّ: «كان عالماً فاضلاً أديباً محدّثاً... له كتب منها: كتاب إسلام أبي طالب والرّدّ على منكره، توفي ١٧ رمضان سنة ٦٣٠، وهو من مشائخ السيد ابن طاووس إجازة في صفر سنة ٦١٦.

ونقل من خطّ الشهيد قال: روى السيد الفقيه الأديب النّسابة شمس الدين أبو عليّ فخّار بن معد...

ونقل العلامة المجلسيّ في البحار عن كتابه في إيّان أبي طالب ووصفه بالسيد الفاضل السعيد، وأنّه من أعظم محدّثينا وداخل في أكثر طرقنا»<sup>(١)</sup>.

هذا، وقد أحصى فضيلة الشيخ هاني المسكين رعاه الله في كتابه (بغية الطالب في حياة أبي طالب عليه السلام وما كتب عنه) العناوين التي كتبت في أبي طالب عليه السلام، من كتب ورسائل ومقالات، فبلغ عددها أربعمئة وأربعة عناوين، وعنده استدراك على المطبوع سوف يتداركه في طبعات لاحقة إن شاء الله تعالى.

### إجماع أهل البيت والشيعة على إسلامه :

قال العلامة المجلسيّ رحمته الله في البحار:

«وقد أجمعت الشيعة على إسلامه، وأنّه قد آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله في أوّل الأمر،

(١) مستدركات علم رجال الحديث: ٦ / ١٩٤.

ولم يعبد صنماً قط؛ بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام، واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى أن المخالفين كلهم نسبوا ذلك إليهم، وتواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامة في ذلك، وصنّف كثير من علمائنا ومحدّثينا كتاباً مفرداً في ذلك كما لا يخفى على من تتبّع كتب الرجال.

وقال ابن الأثير في كتاب جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النبي صلى الله عليه وآله غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام.

وقال الطبرسي رحمته الله: قد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجة؛ لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما. ثم نقل عن الطبري وغيره من علمائهم: الأخبار والأشعار الدالة على إيمانه<sup>(١)</sup>.

### كلمة جامع الديوان عن إسلام أبي طالب وذكر بعض أشعاره في ذلك :

وفي مقدمة ديوانه عليه السلام جمع علي بن حمزة البصري التميمي قال في جملة ما قال تحت عنوان: (ذكر إسلام أبي طالب عليه السلام):

«وقال أبو بشر: قد نجد لأبي طالب في الأخبار ألفاظاً تدلّ على إيمانه، من ذلك قوله في رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه أمين، وإنه صادق، وإنه ما كذبه قط، وإن الذي يُخبر به كائن لا محالة. وقد شرح طرق ذلك في تاريخه، والله يجازيه عن

(١) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٣٩.

ذلك بمشيئته.

ولولا التطويل لأوردنا ذلك، ولكن غرضنا نحن تصنيف شعره، وما يتعلّق به من أخباره.

ولولا استجازة طائفة من الحشوية -جذّ الله دابرهم ولعنهم- لم نحتج إلى ذكر بعض ما ذكرناه، ولكنهم -شاهت وجوههم- زعموا أنه كافر، واستجازوا لعنه، فلم نجد بُدّاً من إيراد ما أوردناه.

ونحن نذكر من شعره ما يدلّ على إيمانه بيتاً بيتاً؛ ليستدلّ به أيضاً؛ ويقرب تناوله على ملتسمه، والله نسأل العون بلطفه.

من ذلك قوله:

مليك الناس ليس له شريك  
هو الوهاب والمبدي المعيد  
ومن فوق السماء له لحق  
ومن تحت السماء له عبيد  
وقوله:

إن ابن أمانة النبي محمداً  
عندي بمثل منازل الأولاد  
وقوله:

فما برحوا حتى رأوا من محمد  
أحاديث تجلو غم كل فؤاد  
وقوله:

والله لا أخذل النبي ولا  
يخذه من بني ذو حسب  
وقوله:

مَنْعَنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِيكِ      بِيضٍ تَلَالَا كَلِمَعَ الْبُرُوقِ

وقوله:

فوالله لولا الله لا شيء غيره      لأصباحتمُّ لا تملكون لنا سرباً  
ثم ساق أبياتاً كثيرة تدلُّ على ما أراد، فمن شاء فليراجعها<sup>(١)</sup>.

وسياتي في مطاوي الدراسة التعرّض لها أو لبعضها مع التعليق عليها.  
ومن جملة الأبيات الدالة على إيمانه عليه السلام:

والله لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ      حَتَّى أَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينَا  
فاصدع بأمرِكَ ما عليك غضاضة      وابشر بذاك وقرّ منك عيوننا  
ودعوتني وعلمتُ أنّك ناصحي      ولقد دعوتَ وكنْتَ ثمّ أمينا  
ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمدٍ      منْ خيرِ أديانِ البريّةِ دينا  
قال العلامة الأميني رحمته الله:

«رواها الثعلبيّ في تفسيره، وقال: قد اتّفق على صحّة نقل هذه الأبيات

عن أبي طالب مقاتل، وعبد الله بن عباس، والقسم بن محضرة، وعطاء بن  
دينار».

ثمّ أحال العلامة الأميني رحمته الله على مصادر عديدة<sup>(٢)</sup>.

(١) الديوان بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين: ١٥٨ وما بعدها.

(٢) الغدير: ٧ / ٤٥٠.

## فائدة جديدة في إثبات إيمان أبي طالب ﷺ من قبل البعثة :

وأنا أكتب بعض الأخبار الآتية خطر في بالي وجه من الوجوه الدالة على إيمان أبي طالب من قبل بعثة الرسول ﷺ، ولا أعرف من أشار إليه ممن كتب حول إيمان أبي طالب ﷺ والله العالم، وهو:

أنَّ النبي ﷺ كان يعيش تحت كنف أبي طالب ﷺ فيأكل من طعامهم ويشرب من شرابهم، ولا شكَّ أنَّ من بين طعامهم لحوماً من الإبل أو غيرها، فلو لم يكونوا مؤمنين لكانت ذبائحهم غير شرعية، ومذبوحة على النصب أو باسم اللات والعزى، كعادة مشركي قريش، ومن الواضح أنَّها لو كانت كذلك لامتنع الرسول ﷺ عن أكلها حتى قبل بعثته، فهو الطاهر المطهر منذ أول يوم في نشأته، وهو المنزه عن كلِّ ذلك في جميع أدوار حياته، فعيشه في بيت أبي طالب ﷺ، وأكله معهم ومن زادهم دليل على طهارة ونزاهة وحلية ذبائحهم ولحومهم وأكلهم، وهذا دليل واضح على نزاهتهم وطهارتهم بالإيمان، ولم يحدث التأريخ أنَّه لا يأكل من طعامهم، ولا يشرب من شرابهم.

---

وقال رحمه الله: «راجع: خزنة الأدب للبغدادي ١ / ٢٦١، تاريخ ابن كثير: ٣ / ٤٢، شرح ابن أبي الخديد: ٣ / ٣٠٦، تاريخ أبي الفدا: ١ / ١٢٠، فتح الباري: ٧ / ١٥٣-١٥٥، الإصابة: ٤ / ١١٦، المواهب اللدنية: ١ / ٦١، السيرة الحلبية: ١ / ٣٠٥، ديوان أبي طالب: ١٢، طلبة الطالب: ٥، بلوغ الأرب: ١١ / ٣٢٥.. الخ».

وذكر في الهامش المصادر بطبعاتها الحديثة.

ولترسيخ المطلب نقول: أمّا امتناع الرسول عليه السلام عن أكل ما ذبح على النصب فهو من الوضوح بمكان، ويتأيد بما ورد عند الفريقين، فعند الإمامية ما أخرجه الشيخ الصدوق رحمته الله في الخصال: «يا علي؛ إنَّ عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

وعند القوم ممّا يدلّ على أنّه عليه السلام لا يأكل غير ما ذكر اسم الله عليه من قبل بعثته بالنبوة، ما جاء في صحيح البخاريّ، عن عبد الله بن عمر «إنَّ النبيّ عليه السلام لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل (بلدح) قبل أن ينزل على النبيّ الوحي فقدّمت إلى النبيّ عليه السلام سفرة فأبى أن يأكل منها.

ثمّ قال زيد: إنّي لست آكل ممّا تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الخبر ما يدلّ على دعوانا، وإن كان رواية الرواية أبوا إلا أن يُسيئوا إلى الرسول عليه السلام، فمن الواضح أنّ القضية - لو وقعت - لكان قائل الجملة الأخيرة، أعني: «إنّي لست آكل ممّا تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه» هو الرسول عليه السلام، والخطاب يكون لمن قدّم له السفارة من

(١) الخصال: ٣١٣.

(٢) صحيح البخاريّ: ٤/٢٣٢.

المشركين، ولكن أبوا إلا أن ينسبوا هذا المعنى لغيره ﷺ ممن له ارتباط بالراوي، ولا أدري ما هو محلّ إعراب زيد<sup>(١)</sup> من الكلام في هذه الرواية! فإنه مجرد لقي الرسول ﷺ، ولم يقدّم هو الطعام لرسول الله ﷺ حسب ظاهر الرواية.

ثم إن ظاهر كلام زيد أنّه خطاب للرسول ﷺ، وهذا خطب جليل؛ إذ كيف يخاطب الرسول ﷺ بقوله: «إني لست أكل ممّا تذبحون على أنصابكم»!! فينسب ذلك للرسول ﷺ!!

وكيف كان، فلفظ البخاريّ - مع غض النظر عن الجملة الأخيرة، ومَنْ هو المخاطب، وماذا يستفاد منها؟-، أهون من اللفظ الآخر الذي يستفاد منه أنّ صاحب السفارة هو النبيّ ﷺ، وصاحب الكلمة هو زيد، مخاطباً بها النبيّ ﷺ. يبيّن فيها اعتذاره عن الامتناع عن الأكل، وتلك والله الطامة الكبرى، والداهية العظمى، أن ينسبوا إلى الرسول ﷺ الشرك، وأن يعلمه بوّال على عقبه دناءة الشرك! ففي السنن الكبرى للنسائيّ:

«...سالم أنّه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله ﷺ أنّه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل عليه الوحي فقدّم إليه رسول

(١) زيد بن عمرو بن نفيل، ابن عمّ عمر بن الخطاب، وأبو زوجته عاتكة، وقالوا عنه أنّه كان يتعبّد في الجاهليّة بدين إبراهيم ﷺ ولو فرض صحّة ما ذكروه عنه إلا أنّه لا يبلغ لمقام النبيّ ﷺ حتّى يقال ما هو مذكور في الرواية في المتن.

الله ﷺ سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إنِّي لا آكل ممَّا تذبحون على أصنامكم ولا آكل إلَّا ما ذكر اسم الله عليه.

حدّث بهذا عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ «<sup>(١)</sup>.

نعم، ينحل الإشكال إذا أرجعنا الضمير في «ثم قال: إنِّي لا آكل..» إلى الرسول ﷺ، فيكون المعنى أن الرسول ﷺ خاطب زيداً - لما رآه امتنع من الأكل - بأنِّي لا آكل...، ولكنهم يرجعون الضمير إلى زيد، ويصرّحون به في بعض مروياتهم؛ ففي كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي:

«وفي الحديث الرابع عشر: أن رسول الله ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن ينزل الوحي، فقدّم إليه رسول الله ﷺ سفره فيها لحم، فقال زيد: إنِّي لا آكل ممَّا تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلَّا ما ذكر اسم الله عليه.

كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين، وخرج إلى الشام في طلبه، ولقي علماء اليهود وسأهم، فدعوه إلى دينهم فأبى، وقال: أنا على دين إبراهيم، وكان إنكاره على قريش ما هم فيه من قوّة يقظته وجودة فهمه، ومن استعمل عقله وفهمه دلّه على الخالق سبحانه، ومنعه من إضافة شريك وندّ.

وقوله: لا آكل ممَّا تذبحون على أنصابكم. الأنصاب: الأصنام.

وقال ابن جريج: هي حجارة كانوا يذبحون عليها ويعظمونها.  
 وربّما ظنَّ ظانٌّ أنّ رسول الله ﷺ كان يأكل ممّا يذبح على النصب، وليس  
 كذلك، فإنَّ الله سبحانه عصمه عن ذلك وعن أكل لحم الميتة، وكان يتَّبِع  
 شريعة إبراهيم.

بلى، إنّ الظاهر أنّه كان يأكل ممّا يذبحونه لنفسهم، ويرى أنّ الذكاء قد  
 وقعت بفعلهم، ولا يتّسع له أن يذبح لنفسه في كلّ وقت، وإنّما ظنَّ زيد فيه  
 أنّه يأكل من ذلك»<sup>(١)</sup>.

والأدهى من ذلك رواية إمامهم أحمد في مسنده:

«... عن نفيّل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن  
 جده قال كان رسول الله ﷺ بمكّة - هو وزيد بن حارثة - فمرّ بهما زيد بن  
 عمرو بن نفيل فدعوه إلى سفرة لهما، فقال: يا ابن أخي إنّّي لا آكل ممّا ذبح على  
 النصب.

قال: فما روي النبيّ ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً ممّا ذبح على النصب»<sup>(٢)</sup>.  
 فالراوي ينسب إلى الرسول ﷺ أنّه أكل ما يذبح على النصب، وينزّه جدّه  
 عن ذلك، ويضيف أنّ زيدا علّم الرسول ﷺ ! وبعد ذلك امتنع الرسول ﷺ

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٢ / ٥٧٩.

(٢) مسند أحمد: ١ / ١٨٩.

من أكل ما ذبح على النصب!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(١)</sup>، فهل يحتاج

المسدّد بوحي الله إلى زيد وأمثاله؟!!

### الإيمان بالقرآن :

يقول ردّاً على من وصفهم بأولي السّفه:

من القَبِيلَيْنِ مِنْ سَهْمٍ وَمَخْزُومٍ	لقد عجبت لأقوام أولي سَفِهٍ
هذا حديثٌ أتانا غير ملزومٍ	القائلين لما جاء النبيُّ به
مُنزَلٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَعْلُومٍ	وقد أتانا بحقٍّ غير ذي عِوَجٍ
مِمَّا تَنْزَلُ فِي صَادٍ وَحَامِيمٍ	فيه عجائب يرتاح الفؤاد لها
فيه بصائرٌ مِنْ حَقٍّ وَتَعْظِيمٍ	مِنَ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا شَيْءَ يُدْرِكُهُ

وقال:

على نبيٍّ كموسى أو كذي النونِ	أو يؤمنوا بكتابٍ منزلٍ عَجَبٍ
كما تبين في آياتِ ياسينِ	يأتي بأمرٍ جليٍّ غير ذي عِوَجٍ

ومن الواضح أنّ معرفة عدم الاعوجاج تتوقّف على معرفة الحقّ

بتفاصيله، وعلى معرفة الاعوجاج ودهاليزه ومنحنياته، وأبو طالب ﷺ

يكشف هنا عن معتقده في القرآن الكريم، ومعرفته به، فإنّه مُنزل من الحقّ

تبارك وتعالى، وأنَّ المنزَّل عليه نبيّ من الأنبياء كموسى، وذو النون، وأنَّ هذا النبيّ يأتي بأمرٍ جليّ واضح، وطريق مستقيم غير ذي عوج، وأنَّ الذي أوضح ذلك هي آيات الكتاب المنزَّل.

والخلاصة: أنَّ في هذا الشعر دلالة واضحة على:

١- معرفته بالحقِّ والباطل.

٢- وأنَّ ما أتى به النبيّ عليه السلام حقٌّ لا عوج فيه.

٣- وأنَّ هذا الحقُّ منزل في كتاب الله.

### أبو طالب داعية للإسلام :

وهذه منزلة أرقى من مجرد أنّه آمن بالرسول عليه السلام، وكان أحد المسلمين؛

بل صار يدعو إلى الإسلام، كما تشهد عليه الشواهد، منها:

١- قوله لابنه جعفر عليه السلام وقد مرَّ على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصليّ عن يمين

رسول الله عليه السلام يا بُنيَّ صلِّ جناح ابن عمك؛ ففي الرواية عن محمد بن عمر

الجرجانيّ، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «أول جماعة كانت، إنَّ

رسول الله عليه السلام كان يصليّ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه؛ إذ مرَّ أبو

طالب به وجعفر معه، فقال: يا بُنيَّ صلِّ جناح ابن عمك، فلما أحسَّ رسول

الله عليه السلام تقدّمهما، وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعْفَرًا ثِقَتِي      عِنْدَ مُلِمِّ الزَّمَانِ وَالْكَرْبِ

وَاللَّهِ لَا أَخْذُلُ النَّبِيَّ وَلَا  
لَا تَخْذُلَا وَانصُرَا ابْنَ عَمِّكُمَا  
يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِي ذُو حَسَبٍ  
أَخِي لِأُمِّي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي

قال: فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم»<sup>(١)</sup>.

أليس ذلك دعوة منه للالتحاق بركب الرسول عليه السلام، وما جاء به؟!!

ولم ينحصر رواية هذا المضمون برواة الشيعة، ولا بكتبهم؛ بل أخرجها غير واحد من العامة، فهذا الجاحظ يقول في العثمانية في الرد على إخوته في بعض دعاواهم: «..لأنكم رويتم أن أبا طالب قال لعلي عليه السلام: يا بني ألزمتك؛ فإنه لن يدعوك إلا إلى خير.

وقال لجعفر: صل جناح ابن عمك فأسلم بقوله»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة جعفر الطيار عليه السلام: «..وهو جعفر الطيار، وكان أشبه الناس برسول الله عليه السلام خُلُقًا وَخُلُقًا، أسلم بعد اسلام أخيه علي بقليل، روي أن أبا طالب رأى النبي عليه السلام وعلياً عليه السلام يصليان، وعلي عن يمينه، فقال لجعفر عليه السلام: صل جناح ابن عمك وصلني عن يساره»<sup>(٣)</sup>.

ونقله الحلبي في سيرته»<sup>(٤)</sup>.

(١) الأمامي للشيخ الصدوق: ٥٠٨، المجلس السادس والسبعون.

(٢) العثمانية: ٣١٥.

(٣) أسد الغابة: ١ / ٢٨٧.

(٤) السيرة الحلبية: ١ / ٤٣٣.

٢- رسالته الثانية إلى النجاشي وقد تقدّم ذكرها؛ إذ قال أصحاب السير:

فلما علم أبو طالب سرور النجاشي قال يدعوه إلى الإسلام، ويحثّه على

اتباع النبي صلى الله عليه وآله:

تَعَلَّمَ خِيَارَ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيَّ كَمُوسَى وَالْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ  
إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَ نَقْلُهَا.

وهنا تكمن حكمة أبي طالب عليه السلام، وحنكته، وانتهازه الفرص المناسبة، فهو في البدء مدح النجاشي على حُسن صنيعه بالمسلمين المهاجرين إلى الحبشة، ولما رأى من النجاشي السرور والارتياح؛ حيث مدحه سيّد قريش ولم يكن متوقفاً ذلك، انتهز فرصة دعوته إلى الإسلام، ولا يصدر من العاقل أن يدعو ملكاً من الملوك إلى دين وهو - أي الداعي - لا يعتقد به، فالدعوة من أبي طالب عليه السلام ليست نابغة من مؤمن آمن بالرسالة وحسب؛ بل تكشف عن أنّه يَعتَبِرُ نفسه جزءاً لا يتجزأ من حَمَلَةِ الرسالة، فهو عُجْنُهَا، وَعُجِنَتَ فِيهِ.

٣- وفي شرح نهج البلاغة: «قالوا وروي عن علي عليه السلام أنّه قال: قال لي أبي:

يا بُنَيَّ الزم ابن عمك؛ فإنك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل، ثم قال لي:

إِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي لَزُومِ مُحَمَّدٍ فَاشْدُدْ بِصَحْبَتِهِ عَلَيَّ يَدِيكَ»<sup>(١)</sup>

ونقله السيد فخّار بن معد، وقال في مقدّمته:

«وأخبرني: السيّد أبو علي عبد الحميد التقيّ رحمته الله بإسناده إلى الشريف الموضح يرفعه: قال: كان أبو طالب يحثّ ولدهُ علياً عليه السلام ويحضّه على نصر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال علي عليه السلام: قال لي أبي: يا بنيّ.. إلخ»<sup>(١)</sup>.

٤- ما تقدّم عن ابن شهر آشوب: «لما رأّت قريش يعلو أمره قالوا: لا نرى محمداً يزداد إلا كبراً وتكبراً، وإنّ هو إلا ساحر أو مجنون، وتوعّدوه وتعاقدوا لئن مات أبو طالب ليجمعنّ قبائل قريش كلّها على قتله، وبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصّاهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: إنّ ابن أخي كما يقول، أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا إنّ محمداً نبيّ صادق، وأمين ناطق، وإنّ شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربّه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوه من وراء حوزته، فإنّه الشرف الباقي لكم الدهر، وأنشأ يقول:

أوصي بنصر النبيّ الخير مشهده      علياً ابني وعمّ الخير عبّاساً<sup>(٢)</sup>  
إلى آخر الأبيات المتقدّمة.

٥- وقال السيّد فخّار بسنده عن محمّد بن إسحاق قال: «قال أبو

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٤٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥٥، وبحار الأنوار: ٣٥ / ١٢٨.

طالب ﷺ:

قل لِمَن كان من كنانة في العزِّ وأهل الندى وأهل المعالي  
 قد أتاكم من المليك رسولٌ فاقبلوه بصالح الأعمال  
 وانصروا أحمداً فإن من الـ له رداءً عليه غير مدالٍ»<sup>(١)</sup>

فهي دعوة واضحة منه ﷺ إلى كبار قومه وأهل العز من كنانة، وفيها تصريح وإقرار بأن الله تعالى هو المليك، وأن النبي محمداً ﷺ رسول من قبله، فاقبلوه بصالح الأعمال، وانصروه؛ فإن عليه من الله تعالى رداءً غير مدال.

٦- ومنه ما ذكره الشيخ المفيد ﷺ:

«وقال أيضاً ﷺ يحض حمزة بن عبد المطلب ﷺ على اتباع رسول الله ﷺ، والصبر على طاعته، والثبات على دينه:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمدٍ وكُنْ مُظْهِراً للدينِ وُفقت صابراً»  
 إلى آخر الأبيات التي تقدّمت<sup>(٢)</sup>.

٧- ويدخل في هذا العنوان قوله وهو يخاطب النبي ﷺ، كما قال ابن أبي الحديد: «قالوا ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمداً، ويُسْكِن جأشه، ويأمره بإظهار الدعوة:

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٨١.

(٢) إيمان أبي طالب: ٣٤.

لا يمنعنك من حقِّ تقوم به      أيديَّ تصول ولا سلق بأصواتِ  
فإنَّ كفَّكَ كفيَّ إن بليت بهم      ودون نفسك نفسي في الملماتِ<sup>(١)</sup>  
وفي البيت الثاني بيان للدفاع والوقاء والفداء.

وورد في الديوان بهذه الصورة:

«لا يمنعنك من حقِّ تقوم به      إبراق أيدي ولا إرعاد أصواتِ  
فدون نفسك نفسي غير متبِّ      ودون كفك كفي في الملماتِ<sup>(٢)</sup>»

### أبو طالب أول من سنَّ القسامة :

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج:

«قال الزبير: فأما أبو طالب بن عبد المطلب - واسمه عبد مناف - وهو كافل رسول الله صلى الله عليه وآله، وحاميه من قريش وناصره، والرفيق به، الشفيق عليه، ووصيَّ عبد المطلب فيه - فكان سيِّد بني هاشم في زمانه، ولم يكن أحد من قريش يسود في الجاهليَّة إلا بهال إلا أبو طالب، وعتبة بن ربيعة.

قال الزبير: أبو طالب أول من سنَّ القسامة في الجاهليَّة في دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتتها السنَّة في الإسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٧/١٤.

(٢) الديوان: ٢٠٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢١٩ / ١٥.

قال جامع الديوان: «وقال أبو بشر عليه السلام: أوّل من سنّ القسامة أبو طالب.

ثمّ ساق بسنده طريقين إلى صالح بن كيسان، وموسى بن عقبة قالاً:

في حديث الطلب بدم عمرو بن علقمة حين ضربه خدّاش بن عبد الله بعضاً فقتله، ثمّ جحد فلم يعرفوا من قتله، وطالت المطالبة، وكان أشدّ من يطلب بدم عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف: أبو طالب.

وكان خدّاش بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك...، هو المطلوب، حتى أخذوا فيه بالقسامة، فكان أوّل قسامة كانت، ثمّ أثبتتها السنّة في الإسلام، وكان الذي سنّها أبو طالب؛ لأنّهم رضوا به بعد شدّة المطالبة، وخدّاش يقول: إنّما ضربته بمنسأة ورحل فلم أعرف له خبراً، وأبو طالب يقول: قتلته ضربتك.

فاجتمع قوم خدّاش وقوم أبي طالب عند أبي طالب، وقالوا: قد سئمنا المطالبة، وأنت سيدنا، فاعتزل عن المطالبة واحكم فقد رضينا بحكمك، فقال أبو طالب:

أفي فضل حبلٍ لا أباك ضربته      بمنسأة قد جاء حبلٌ وأحبلُ  
فقال خدّاش:

تناول فضل الحبل منّي تعسفاً      فقنّعته المنسأة كي يتحلحلُ  
فقال أبو طالب:

قتلت الفتى أو توضحت بحجّة      فبيّن لنا ما كان إن كنت تعقلُ

فقال خدّاش:

فقل ما ترى إنّنا نصّبناك حاكماً  
فإنّك بالحسنى بحكمك تعدلُ  
فقال أبو طالب:

حكمتُ عليكم فيه خمسين حلفَةً  
تُبْرئُكم منه وأنت مرملُ  
فقال خدّاش:

وإلّا فماذا يا أبا الجود والندی  
يكون إذا لم يخلصوا عين مصللٍ<sup>(١)</sup>  
فقال أبو طالب:

فيحلف قوم يطلبون بمثلها  
فيؤخذُ بالدمّ الذي لا يُطلُّ  
فقال خدّاش:

قضيت بعدل فاضل ذي امامة<sup>(٢)</sup> وما زال في البهائم حكمك يفصلُ  
فقال أبو طالب: خذوا أيّان القوم أتهم ما قتلوا ولا عرفوا قاتلاً، وإلّا  
فاحلفوا لهم أنّ صاحبهم قتل صاحبكم حتى يسلموه برمته.  
فقال الفريقان: رضينا.

فحلف قوم خدّاش، فما رجعوا في مطالبة بعدّ، وثبت حكم أبي طالب في

(١) في الهامش: كذا في الأصل، وهو محرّف ومصحّف، والسياق يقتضي (عنه مُبدل) مثلاً أو (عنه معدّل).

(٢) في الهامش: كذا في الأصل، وأظنه (بعدلٍ فاصلٍ) بالصاد المهملة، و (ذي أمانة).

دين الإسلام»<sup>(١)</sup>.

والقسامة الآن من المصطلحات الفقهيّة المرتبطة بباب الديات، وقد عُرِّفَتْ بأنّها: «اليمين كالقسم، وحقيقتها أن يقسم من أولياء الدم خمسون نفرًا على استحقاقهم دم صاحبهم إذا وجدوه قتيلاً بين قوم ولم يعرف قاتله، فإن لم يكونوا خمسين أقسم الموجودون خمسين يميناً»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ المفيد رحمته الله في كتابه المقنعة: «وإذا لم يوجد في الدم رجلان عدلان يشهدان بالقتل، وأحضر وليّ المقتول خمسين رجلاً من قومه، يقسمون بالله تعالى على قاتل صاحبهم، قضى بالدية عليه. فإن حضر دون الخمسين حلف ولي الدم بالله من الأيمان ما يتمّ بها الخمسين يميناً، وكان له الدية. فإن لم تكن له قسامة حلف هو خمسين يميناً، ووجبت له الدية.

ولا تكون القسامة إلا مع التهمة للمطالب بالدم والشبهة في ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحب الجواهر رحمته الله: «وأما القسامة فهي الأيمان تقسم على جماعة يخلفونها كما في الصحاح، أو الجماعة الذين يخلفونها كما في القاموس، ولا يبعد صدقها عليهما كما عن المصباح، وعن غير واحد أنّها لغة اسم للأولياء الذين

(١) الديوان: ٢٦٠ - ٢٦٢.

(٢) النهاية: ٦٢ / ٤.

(٣) المقنعة: ٧٢٨.

يخلفون على دعوى الدم، وفي لسان الفقهاء اسم للأيمان، وعلى التقديرين هي اسم أقيم مقام المصدر، يقال: أقسم إقساماً وقسامة، وهي الاسم له، يقال: أكرم إكراماً وكرامة، ولا اختصاص لها بأيمان الدماء لغة، ولكن الفقهاء خصوها بها.

وصورتها: أن يوجد قتيل في موضع لا يعرف من قتله، ولا تقوم عليه بيعة، ويدعى الولي على واحد أو جماعة، ويقترن بالواقعة ما يشعر بصدق الولي في دعواه فيحلف على ما يدعيه، ويحكم له بما ستعرف إن شاء الله...»<sup>(١)</sup>. ولا أرى نفسي بحاجة إلى التعليق على هذا الأمر؛ فإن سنّ مثل هذا القانون الذي يحفظ به الدم الحرام، والأخذ به في زمانه، ثم إمضاء الشريعة الإسلامية له يدلّ دلالة واضحة على أنّ مؤسسه مرتبط بالوحي الإلهي، وما هو إلا إلهام من الساحة المقدّسة العليا؛ فإنّ اختيار هذا العدد بالخصوص - أعني خمسين رجلاً أو خمسين يميناً - لا يكون اعتباطاً ولا جزافاً؛ بل لا بدّ أن يكون مبنياً على ملاك يوجبه.

ثمّ إنّ تسليم الكلّ له، والأخذ به يدلّ على هيمنة خاصّة على النفوس والقلوب، واعتراف منهم بأهليّة أبي طالب ﷺ لسنّ القوانين، وتشريع الأحكام التي تنظّم شؤونهم وعلاقاتهم، وإقرار منهم بأنّ ما قام به أبو

طالب ﷺ عين الحق والصواب.

### قوانين سنّها أبو طالب فجاء بها الإسلام :

قال السيد الميلاني رحمته في كتابه قادتنا كيف نعرفهم:

«وانتهت إليه بعد أبيه عبد المطلب الزعامة المطلقة، وكان يروي الماء وفود مكة كافة؛ لأنّ السقاية كانت له، ورفض عبادة الأصنام فوحّد الله سبحانه.

١- ومنع نكاح المحارم.

٢- وقتل المؤدّة.

٣- والزنا.

٤- وشرب الخمر.

٥- وطواف العرّة في بيت الله الحرام.

ونزل بأكثرها القرآن وجاءت السنّة بها»<sup>(١)</sup>.

(١) قادتنا كيف نعرفهم: ٢٠ / ١.

## الفصل الرابع

### وفاته

روى الشيخ الصدوق رحمته الله في الأمالي بسنده: «قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عمّه أبي طالب عليه السلام وهو مسجّى، فقال: يا عمّ، كفلت يتيمًا، وربيت صغيرًا، ونصرت كبيرًا، فجزاك الله عنّي خيرًا، ثمّ أمر عليًا بغسله»<sup>(١)</sup>.

وروى عبد الرزاق الصنعانيّ في المصنّف: «أخبرنا محمّد بن راشد قال: سمعت مكحولاً يقول: تبع النبيّ صلى الله عليه وآله جنازة أبي طالب، يمشي بعراضها»<sup>(٢)</sup>، ولم يصلّ عليه، وهو يقول: وصلتك رحم، وجزيت خيرًا.

قال: ولم يقف على قبره»<sup>(٣)</sup>.

أقول: هذا السند شاميّ؛ بمعنى أنّ راويه من أهل الشام، فلهذا يحتاج إلى الحذر فيما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً أبا طالب عليه السلام، ومع ذلك نشير

---

(١) الأمالي: ٤٨٩.

(٢) يمشي في ناحية منها.

(٣) المصنّف: ٣٨ / ٦.

إلى:

قوله: (ولم يصلِّ عليه) وقوله: (ولم يقف على قبره)، أشار به لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَٰلِسُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى أنَّ هاتين العبارتين من قول الراوي، والرواي هو مكحول الدمشقي وقد قيل في حقه:

١- الذهبي: «مكحول الدمشقي عن مفتي أهل دمشق وعالمهم. وثقه غير واحد. وقال ابن سعد: ضعفه جماعة.

قلت: هو صاحب تدليس، وقد رمي بالقدر، فالله أعلم.

يروى بالإرسال عن أبي، وعبادة بن الصامت، وعائشة، وأبي هريرة...

إلى قوله: ... مات مكحول سنة ثلاث عشرة ومائة»<sup>(٢)</sup>.

٢- ابن ماجة في سننه: «.. عن مكحول، عن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم

حبيبة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مسَّ فرجه فليتوضأ.

في الزوائد: في الإسناد مقال، ففيه مكحول الدمشقي، وهو مدلس، وقد

رواه بالنعنة فوجب ترك حديثه، لا سيما وقد قال البخاري وأبو زرعة: إنَّه

(١) سورة التوبة: ٨٤

(٢) ميزان الاعتدال: ١٧٨ / ٤.

لم يسمع من عنبة بن أبي سفيان. فالإسناد منقطع<sup>(١)</sup>.

وكذلك في موارد أخرى رماه بالتدليس، لا حاجة لاستقصائها، والنتيجة أن مكحولاً:

١- مدلس.

٢- كثير الإرسال عمّن لم يلتق بهم من الصحابة.

٣- يسند عمّن لم يسمع منهم؛ بل يرسل بدون إسناد، كما في هذه الرواية فهو لم يسندها لأحد حتّى إلى الصحابة الذين لم يدركوا أوّل البعثة! فمن أخبره بما جرى في أيام مكّة؟!

وعلى كلّ حال فمن يكون هذا حاله لا يُعتمد على روايته، ومن مظاهر تدليسه هذه الرواية التي نقلناها عنه؛ فإنّ أصل فعل النبي عليه السلام المروي عنه - ويمكن استفادته من روايات أخرى - هو: (تبع النبي عليه السلام جنازة أبي طالب، وهو يقول: وصلتك رحم، وجزيت خيراً)، فأضاف الإضافات الأخرى من عنده ليدلس بها، ويقرن في ذهن القارئ بين ما نزل في المنافقين وبين أبي طالب عليه السلام.

ثم إنّ ما ذكره من عدم صلاة النبي عليه السلام على أبي طالب عليه السلام لا يدلّ على شيء مما يريد الراوي؛ لأنّ صلاة الجنازة لم تشرّع حينئذٍ، كما يفهم من بعض

(١) سنن ابن ماجه: ١ / ١٦٢.

الروايات الأخرى، ولهذا لم تذكر الروايات أنه ﷺ صلى على السيدة خديجة عليها السلام، وهي مَنْ هي في الإيمان والعمل، وهي أمُّ المؤمنين، وخيرة زوجات سيّد المرسلين.

ويشهد على ذلك ما نقله السيد فخّار بن معد رحمته الله بالسند إلى قوله: «سئل

أبو الجهم بن حذيفة<sup>(١)</sup>: أصلى النبي ﷺ علي أبي طالب؟

فقال: وأين الصلاة يومئذٍ؟ إنَّما فُرِضَتْ الصلاة بعد موته...»<sup>(٢)</sup>.

ونقول أيضاً: إنَّ الرواية التي رواها عبد الرزّاق بعد رواية مكحول

تكشف عن خلاف ما يريده مكحول في روايته وهي:

«أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن ابن جريج قال: سمعت

(١) في الإصابة لابن حجر: ٧ / ٦١: «أبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشيّ العدويّ.

قال البخاريّ وجماعة: اسمه عامر، وقيل: اسمه عبيد بالضم، قاله الزبير بن بكار، وابن سعد، وقالوا: إنَّه من مسلمة الفتح.

وقال البغويّ عن مصعب: كان من معمرٍ قريش، ومن مشيختهم....

قال: الزبير كان من مشيخة قريش، وهو أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب.

قال: وقال عمي: كان من المعمرين، حضر بناء الكعبة مرتين، حين بنتها قريش، وحين بناها ابن الزبير، وهو أحد الأربعة الذين تولّوا دفن عثمان».

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٦٨، وأخرجها راوي الديوان بسنده عنه أيضاً: ٢٦٨.

سليمان بن موسى يقول: لا تتبع جنازتهم، وإن كانت بينك وبينهم قرابة»<sup>(١)</sup>.

٣- ابن سعد في الطبقات قال: «حدّثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده عن عليّ قال: أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى، ثمّ قال: اذهب فاغسله، وكفّنه، وواره، غفر الله له ورحمه.

قال: ففعلت ما قال، وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً، ولا يخرج

من بيته»<sup>(٢)</sup>.

إلى هنا ما يمكن أن يصحّ؛ ولكن قلم الحقد على أهل البيت ﷺ أضاف:  
«حتى نزل عليه جبريل ﷺ بهذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالزَّوْجَةِ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال عليّ: وأمرني رسول الله ﷺ فاغتسلت».

ولكنّه قد غاب عن ذاكرته أنّ هذه الآية مدنيّة من سورة التوبة التي نزلت كلّها في أواخر عصر الرسول ﷺ في المدينة المنورة، وبعضهم اسثنى الآيتين الأخيرتين منها، فكيف يلتئم ذلك مع كونها نزلت بعد أيام من وفاة أبي طالب ﷺ؟!

(١) المصنّف: ٦ / ٣٨.

(٢) الطبقات: ١ / ١٣٣.

(٣) سورة براءة: ١١٣.

وما أحسن ما بيّنه علامة الغدير ﷺ في ذلك حين مناقشته لرواية من روايات البخاريّ:

«..إنَّ آية الاستغفار نزلت بالمدينة بعد موت أبي طالب بعدة سنين تربو على ثمانية أعوام، فهل كان النبيّ ﷺ خلال هذه المدة يستغفر لأبي طالب ﷺ أخذاً بقوله ﷺ: والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك؟

وكيف كان يستغفر له؟ وكان هو ﷺ والمؤمنون ممنوعين عن موادّة المشركين والمنافقين وموالاتهم والاستغفار لهم -الذي هو من أظهر مصاديق الموادّة والتحابب- منذ دهر طويل بقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾<sup>(١)</sup>.

هذه آية ٢٢ من سورة المجادلة المدنيّة النازلة قبل سورة البراءة -التي فيها آية الاستغفار- بسبع سور، كما في الإتقان: ١٧ / ١.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبرانيّ، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقيّ، وابن كثير، كما في تفسيره: ٤ / ٣٢٩، وتفسير الشوكانيّ: ٥ / ١٨٩، وتفسير الآلوسيّ: ٢٨ / ٣٧: إنَّ هذه الآية نزلت يوم بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة.

أو نزلت - على ما في بعض التفاسير - في (أحد)، وكانت في السنة الثالثة باتفاق الجمهور، كما قاله الحلبي في السيرة، فعلى هذه كلّها نزلت هذه الآية قبل آية الاستغفار بعدة سنين...».

ثمّ ساق الآيات التي تنهى عن موادة الكافرين والمشركين ممّا نزل قبل آية الاستغفار، ثمّ قال عليه السلام: «أترى النبي عليه السلام - مع هذه الآيات النازلة قبل آية الاستغفار - كان يستغفر لعمّه طيلة مدّة سنين وقد مات كافراً والعياذ بالله، وهو ينظر إليه من كذب؟ لاها الله، حاشا نبيّ العظمة...».

وقال أيضاً: «إنّ هناك روايات تضادّ هذه الرواية في مورد نزول آية الاستغفار من سورة البراءة، منها:

صحيحة أخرجها الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيثار، والضياء في المختارة، عن عليّ قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان.

فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟

فقال: أو لم يستغفر إبراهيم؟

فذكرت ذلك للنبي عليه السلام فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٣٦﴾ وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا

إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١﴾.

يظهر من هذه الرواية أن عدم جواز الاستغفار للمشركين كان أمراً معهوداً قبل نزول الآية، ولذلك ردع عنه مولانا أمير المؤمنين الرجل، وقوله ﷺ هذا لا يلائم مع استغفار النبي ﷺ لعمه على تقدير عدم إسلامه. وترى الرجل ما استند قط في تبرير عمله إلى استغفار رسول الله ﷺ لعمه، علماً بأنه ﷺ قط لا يستغفر لمشرك»<sup>(١)</sup>.

وقد أطلنا الكلام في هذه الجهة لأهميتها.

٤- قال اليعقوبي في تاريخه: «وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله ستّ وثمانون سنة، وقيل: بل تسعون سنة.

ولما قيل لرسول الله إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه، واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات، وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثم قال: يا عمّ ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيراً.

وقال: اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا

(١) سورة التوبة: ١١٣ - ١١٤.

(٢) الغدير: ١٠/٨ - ١٢.

أشدّ جزعاً؛ يعني مصيبة خديجة وأبي طالب.

وروي عنه أنّه قال: إنّ الله تعالى، وعدني في أربعة: في أبي وأمي وعمّي وأخ  
كان لي في الجاهليّة»<sup>(١)</sup>.

أقول: نفس تأيين المتوفّي، وما بحكم التأيين، من الوقوف على المسجّي في  
آخر عمره، وإطرائه بِجَمَلِ المدح والثناء والشكر، الصادر من شخصيّة  
عظيمة دليل على عظمة المتوفّي أو المسجّي، فما بالك إذا جاء أعظم شخصيّة  
في عالم الممكنات ووقف مؤبناً لرجل، أو شاكرآ له، ومادحاً لفعله؟!  
ألا يدلّ على عظمته، وعظمة ما قام به، الذي من أجله استحقّ ذلك  
التأيين أو الشكر والثناء والإطراء؟!!

لا شكّ في الإجابة بالإيجاب، لكلّ من أنصف وأصاب.

والذي يدلّك على عظيم منزلته عند الرسول عليه السلام عظيم ما نزل به؛ فإنّه  
حينما سمع أن أبا طالب عليه السلام قد مات عظم ذلك في قلبه، واشتدّ له جزعه.  
وقال في حقّه وحقّ السيدة خديجة: اجتمعت على هذه الأُمّة في هذه الأيام  
مصيبتان لا أدري بأيّهما أنا أشدّ جزعاً، فاعتبر موت أبي طالب عليه السلام مصيبة  
نزلت على الأُمّة، وليس عليه خاصّة، ولا عليه وعلى بني هاشم فقط.

نعم؛ يحقّ للرسول عليه السلام ذلك فقدّ فقدَ ركنين، أحدهما يمثّل وزارة الدفاع،

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣٥/٢.

والآخر وزارة الماليّة لو أردنا تطبيق المصطلحات الحديثة.

وتعالّ معي لقوله عليه السلام لعمه: (فجزاك الله عني خيراً)؛ فإنّه دليل على إيمانه، وعظمة ما قام به تجاهه وتجاه رسالته؛ فإنّ من المقطوع به أن لا يطلب الرسول عليه السلام من الله تعالى الجزاء بالخير لمشرك، ولا سيّما أنّ الطلب جاء عند الاحتضار، ممّا يعني أنّ المطلوب هو الخير في الآخرة، والمشرك لا أجر له في الآخرة على ما قام به في الدنيا.

نعم؛ ربّما يجازى المشرك في الدنيا بسعة من المال، أو من الجاه، أو في صحّة البدن، أو بالسمعة.

وأما في الآخرة فليس جزاء الله تعالى إلى عبده إلاّ بالعطاء الوفير، والخير الكثير، ونعمة دائمة، وجنة واسعة، فلا ينالها المشرك، ويحبى بها المؤمن.

ومن هذا نعرف ما قاله الرسول عليه السلام في الرواية التي نقلها السيوطي، فقال:

«وقال ابن سعد: أنبأنا عفان بن مسلم، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال العباس: يا رسول الله، أترجو لأبي طالب؟

قال: كلّ الخير أرجو من ربّي. أخرجه ابن عسّاكر»<sup>(١)</sup>.

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٧.

وأيضاً أمر الرسول ﷺ لأمر المؤمنين علي ﷺ بغسله دليل آخر؛ إذ لو كان أبو طالب مشركاً لأمر بدفنه بلا غسل.

وروى شيخنا المعلم الأكبر الشيخ المفيد بإسناد يرفعه أنه لما قبض رحمه الله، أتى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام رسول الله ﷺ، فأذنه بموته، فتوجّع لذلك النبي ﷺ وقال: امضِ يا عليّ، فتولّ غسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني.

ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، فلما رفعه على السرير اعترضه النبي ﷺ، فرقّ له، وقال: وصلتك رحم، وجزيت خيراً، فلقد ربّيت وكفلت صغيراً، وآزرت ونصرت كبيراً.

ثمّ أقبل على الناس، فقال: أما والله، لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين.

ثمّ علّق الشيخ المفيد رحمه الله على هذا الخبر بما يستحسن نقله وإن لم نكن بصدد ذلك فعلاً، وقد قرأته بعد ما علّقت بتعليقتي السابقة على خبر الشيخ الصدوق رحمه الله، قال:

«وفي هذا الحديث دليلان على إيمان أبي طالب ﷺ:

أحدهما: أمر رسول الله علياً صلوات الله عليهما وآلهما بغسله وتكفينه دون الحاضرين من أولاده؛ إذ كان من حضره منهم سوى أمير المؤمنين إذ

ذاك على الجاهلية؛ لأنَّ جعفرًا رحمه الله كان يومئذٍ ببلاد الحبشة، وكان عقيل وطالب حاضرين، وهما يومئذ على خلاف الإسلام، لا يسلم واحد منهما بعد<sup>(١)</sup>، وأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام مؤمن بالله تعالى ورسوله، فخصَّ المؤمن منهم بولاية أمره، وجعله أحقَّ به منهما، لإيمانه ووفاقه إياه في دينه.

ولو كان أبو طالب ﷺ مات على ما يزعم النواصب كافرًا، كان عقيل وطالب أحقَّ بتولية أمره من عليٍّ عليه الصلاة والسلام ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره؛ لانقطاع العصمة بينهما.

وفي حكم رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه الصلاة والسلام به دونها وأمره إياه بإجراء أحكام المسلمين عليه من الغسل والتطهير والتحنيط والتكفين والموارة، شاهد صدق في إيمانه على ما بيّناه.

والدليل الآخر: دعاء النبي ﷺ بالخيرات، ووعدته أمته فيه بالشفاعة إلى الله، واتباعه بالثناء والحمد والدعاء، وهذه هي الصلاة التي كانت مكتوبة إذ ذاك على أموات أهل الإسلام، ولو كان أبو طالب مات كافرًا لما وسع رسول

(١) عندي نظر في ثبوت كفرهما حينئذٍ، ولعلّه لم يظهر الإسلام لمصلحة كأبيهما، فناسب أن يكون الخطاب لأمر المؤمنين عليٍّ ﷺ بل يتأكد أن يكون الخطاب له ﷺ إذا قلنا بأمرين:

١- إنَّ أبا طالب ﷺ وصيٌّ من الأوصياء، كما تقدّم.

٢- إنَّ الوصيَّ لا يغسله إلَّا وصيٌّ.

الله ﷺ الشناء عليه بعد الموت، والدعاء له بشيء من الخير؛ بل كان يجب عليه اجتنابه، واتباعه بالذم واللوم على قبح ما أسلفه من الخلاف له في دينه، كما فرض الله ﷻ ذلك عليه للكافرين حيث يقول: ﴿وَلَا تُضَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الأمر على ما وصفناه، ثبت أن أبا طالب رضي الله عنه مات مؤمناً، بدلالة فعله ومقاله، وفعل نبي الله ﷺ به ومقاله، حسبما شرحناه<sup>(٣)</sup>. ثم قول الرسول ﷺ في رواية اليعقوبي: «اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشدّ جزعاً» دليل آخر على علو مقام أبي طالب ﷺ وعظيم منزلته بحيث اعتبر الرسول ﷺ فقده مصيبة كبيرة نازلة على الأمة، وقرنها بمصيبته بفقد أمّ المؤمنين السيّدة خديجة (رضي الله عنها)، ولا يدري بأيّ المصيبتين أشدّ جزعاً.

ومّا ورد فيما يرتبط بوفاته ﷺ:

(١) سورة براءة: ٨٤

(٢) سورة براءة: ١١٤.

(٣) إيمان أبي طالب: ٢٥.

ما رواه فخّار بن معد الموسويّ بسنده عن عامر بن واثلة قال:

«قال عليّ ﷺ: إنّ أبي حين حضره الموت شهدته رسول الله ﷺ فأخبرني

عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup>.

فيا ترى ما هذا الأمر الذي هو خير لأمر المؤمنين ﷺ من الدنيا وما

فيها؟!!

ليذهب ذهناك حيث يذهب؛ فإنّه لن يصل لمعرفة ذلك؛ ولكن حسبنا أن

نعرف بالدليل الإيّ - وهو ما يحصل فيه الانتقال من المعلول إلى العلة - أن

مقام أبي طالب ﷺ شامخ العظمة.

وفي كتاب الكامل في التاريخ: «توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة

بثلاث سنين، وبعد خروجهم من الشعب، فتوفي أبو طالب في شوال، أو في

ذي القعدة، وعمره بضع وثمانون سنة، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة

وثلاثين يوماً.

وقيل كان بينها خمسة وخمسون يوماً.

وقيل: ثلاثة أيام، فعظمت المصيبة على رسول الله بهلاكهما فقال رسول

الله ﷺ: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب؛ وذلك أن

قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ١١٢.

حياته! حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه، وحتى إن بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان رسول الله ﷺ يخرج ذلك على العود، ويقول: أي جوار هذا يا بني عبد مناف! ثم يلقيه بالطريق»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على عظيم حزن الرسول ﷺ ما رواه ابن سعد في الطبقات: «قالوا لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد وكان بينهما شهر وخمسة أيام اجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان، فلزم بيته وأقل الخروج ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به»<sup>(٢)</sup>.

### رثاء أمير المؤمنين أباه :

ولقد رثاه ابنه أمير المؤمنين وسيد الوصيين ﷺ بقوله المنسوب له:

أبا طالب عصمة المستجير      وغيث المحول ونور الظلم  
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ      فصلّى عليك وليّ النعم  
ولقائك ربك رضوانه      فقد كنت للطهر من خير عم<sup>(٣)</sup>

ونستفيد من هذا التأين عدّة صفات يتحلّى بها أبو طالب ﷺ:

١ - عصمة المستجير، والعصمة هي المنعة، فكّل من يستجير به يمنعه من أعدائه، فلا يستطيعون أن يصلوا إليه.

(١) الكامل في التاريخ: ٩١/٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٢١١/١.

(٣) ديوان أبي طالب: ١٥١.

وبإضافة عصمة إلى المستجير التي ذكرت مطلقة غير مقيدة بشيء نستفيد أنه يجير كل من يستجير به، من غير تقييد بقوم دون قوم، أو قبيلة دون قبيلة.

٢- غيث المحول، فإنَّ المحول هي الأرض التي انقطع عنها المطر فصارت يابسة مجدبة من الكلاء، والغيث هو المطر، وأبو طالب عليه السلام - كناية عن كرمه وجوده وكثرة عطائه - غيث المحول، فهو للمحتاجين كالغيث للأرض المجدبة المحول، فهو غيث وغيث للفقراء والمحتاجين والمعوزين.

٣- ونور الظلم، وهذه الصفة تكشف عن رأيه السديد، وإشارات الصائبة؛ فإنَّ الظلم بإطلاقها في مثل هذا المورد كناية عن الفتن المدهمة، أو الأفكار الضالة، أو الكوارث النازلة التي لا يعرف فيها وجه الحيلة، فليس للناس - حين تلبس الأمور عليهم - من مخرج إلا بالتوجه إلى النور الذي يكشف نقاب الظلمة عن الحقيقة فتبدو سافرة كالشمس الضاحية.

فأبو طالب عليه السلام ملجأ في الأمور المادية والمعنوية.

٤- (لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ)، وهذا الشطر يكشف عن عظيم منزلة أبي طالب عليه السلام في قومه وخاصته، فإنَّ فقدته قد هدَّ أهل الحفاظ، أولئك الذين لا تلين قناتهم عند كل عاصفة، ولا ينكسرون أمام كل نازلة؛ بل يقفون شامخين بكل صلابة وقوة، فهم يمثلون قمة الصبر، ولكنهم انهدوا عند فقد أبي طالب عليه السلام، فليس ذلك إلا لعظيم منزلته عندهم.

ويؤيد هذا ما رواه ثقة الإسلام الكلينيّ رحمته الله في الكافي الشريف في خبر معتبر: «علي، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن إبراهيم بن محمد الأشعريّ، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله عليه السلام فقال: يا محمد اخرج من مكّة، فليس لك فيها ناصر، وثار قريش بالنبيّ عليه السلام، فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه»<sup>(١)</sup>.

٥- (فصلّى عليك وليّ النعم)، (ولقائك ربك رضوانه)، وهذان الشطران يفيدان منزلة أبي طالب عليه السلام عند ربّه تعالى، فهو ليس -فقط- مؤمناً بالرسول عليه السلام، مسلماً برسالته؛ بل بلغ من المنزلة الإيمانيّة رتبة عالية جداً بحيث يصلي عليه وليّ النعم، ويلقيه رضوانه، ولا تقال مثل هذه الكلمات - وبضرس قاطع - لكلّ مسلم أظهر الإسلام؛ بل لا تقال إلا لمن كان له مقام عند ربّه وأيّ مقام.

٦- (فقد كنت للطهر من خير عم)، وهذا تعليل للصفتين المذكورتين في الشطرين السابقين: (فصلّى عليك وليّ النعم، ولقائك ربك رضوانه)؛ فسبب هذه المنزلة العظيمة أنّه كان المحامي عن الرسول عليه السلام، والواقف معه في أداء رسالة الله تعالى، أمام مرّة قريش وعتاة المشركين، وهي منقبة اختص بها في

بدء الدعوة.

ورثاه بقصيدة أخرى أيضاً كما في غير كتاب، ومنها ما في تاريخ دمشق

لابن عساكر:

أرقتُ لنوحٍ آخر الليل غرّدا	لشيخي ينعى والرئيس المسودا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى	وذا الحلم لا جلفاً ولم يكُ قعددا
أخا الهلك خلّي ثلمة سيسدّها	بنو هاشم أو تستباح وتضهدا <sup>(١)</sup>
فأمست قريش يفرحون لفقده	ولست أرى حياً لشيءٍ مخلّدا
أرادت أموراً زينتها حلومهم	ستوردهم يوماً من الغيِّ موردا
يرجّون تكذيب النبيّ وقتله	وأن يفترّوا بهتاً عليه ويجحدا
كذبتم - وبيت الله - حتى نذيقكم	صدور العوالي والصفيح المهندا
ويبدر منّا منظر ذو كريمة	إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
فإمّا تبيدوننا وإمّا نبيدكم	وإمّا تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإنّ الحيّ دون محمد	بنو هاشم خير البرية محتدا
فإنّ له منكم من الله ناصراً	ولست بلاقٍ صاحب الله أوحدا
نبيّ أتى من كلّ وحي بخطة	فسمّاه ربّي في الكتاب محمدا
أغرّ كضوء البدر صورة وجهه	جلا الغيم عنه ضؤوه فتعددا
أمين على ما استودع الله قلبه	وإن قال قولاً كان فيه مسددا <sup>(٢)</sup>

(١) ورد في الهامش: في الديوان: أخو الملك... فيهمدا.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣٤٤/٦٦.

وفي هذه الأبيات من معاني الإجلال والعظمة لأبي طالب ﷺ ما يفصح عن مقامه السامي، وخصوصاً - بعد ثبوت صدورها - أنها صادرة من ابنه اللصيق به من جهة، والمؤمن الذي لا يشك في إيمانه، والصادق الذي لا ينطق عن هوى، والعارف الذي يضع يده على حقائق الأشياء، والعالم الذي يخترق علمه الحجب، فالقصيدة ليست محض عاطفة، وإنها عاطفة وحقيقة، فمن أوصافها لأبي طالب ﷺ:

١- الرئيس المسود، فهو رئيس قريش؛ بل مكة والبطحاء، والمسود عليهم، مما ينبى بالإجماع منهم على سيادته عليهم.

٢- مأوى الصعاليك، فهو الكريم الذي يؤوي إليه المحتاجون، وقد ينبى هذا عن كونه ذا جاه عريض يتحمّل أن يأوي إليه كل هؤلاء.

٣- صاحب حلم، والحلم سيّد الأخلاق كما قيل.

٤- ليس بالجافّ في خلقه وأخلاقه.

٥- شجاع، ليس بقعدد؛ أي ليس بجبان لئيم قاعد عن الحرب.

٦- موته أحدث ثلثة في مكّة أو في قريش وفراغاً واسعاً، فإمّا أن تسدّها

بنو هاشم أو تستدلّ.

٧- موته أدخل السرور على قريش، وما ذلك إلاّ لأنّه وقف حاجزاً منيعاً

يصدّهم عن أذية النبيّ محمد ﷺ، ونفس ذلك دليل على أهميّة أبي

طالب ﷺ في حفظ الرسول ﷺ ودعم الدعوة الإسلامية في مهدها؛ فإنَّ العدو لا يفرح بموت عدوّه إلا إذا كان صغيراً أمامه، غير قادر على تجاوزه، وهكذا كانت قريش أمام بطل البطحاء وشيخ مكة.

ولكنَّ أمير المؤمنين ﷺ في الأبيات الأخيرة أرجع لهم بكاءهم، واستلَّ من أفواههم ضحكهم، ونزع من قلوبهم سرورهم، فلقد كسر كبرياءهم وأهانهم، فوقف مواقف أبيه، وردَّ قوله فقال:

كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم صدور العوالي والصفوح المهندا  
وقد رثاه مع السيدة خديجة في قصيدة واحدة كما في الديوان المنسوب

له ﷺ<sup>(١)</sup>:

أعينيَّ جودا بارك الله فيكما	على هالكين لا ترى لهما مثلاً
على سيّد البطحاء وابن رئيسها	وسيدة النسوان أوّل من صلّى
مهذبةٍ قد طيّب الله خيمها	مباركة والله ساق لها الفضلا
مصابهما أدجى إلى الجو والهواء	فبتّ أقاسي منها همّ والشكلا
لقد نصّرا في الله دين محمّد	على من بغى في الدين قد رعيا إلاّ

(١) ديوان الإمام علي ﷺ ١٤٠، بحار الأنوار: ١٤٣/٣٥.

## الباب الثاني

معارف أبي طالب وعقائده



## تمهيد

### ١ - كلمة في ديوانه :

لا مجازفة في القول: بأنَّ شعر أبي طالب عليه السلام هي الوثيقة الأولى التي أرخت حياة الرسول صلى الله عليه وآله من بدء نشأته، وسار معه في أدوار حياته، في حضره، وفي سفره إلى ما بعد البعثة، ثمَّ صار شعره عليه السلام بعد البعثة قناة إعلامية للدعوة الإسلامية، وقد أدَّى دوره البارز في مجاله، من دفاع عن النبيِّ ، ومن حثِّ له على القيام بمهمَّته الإلهية، وتبليغ رسالته الإسلامية، ودعوته المباركة.

وقد بلغ من الكثرة عدداً كبيراً، حتى قال فيه العلامة الجليل ابن شهر آشوب المازندراني، في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾<sup>(١)</sup>: «إنَّ أشعار أبي طالب الدالَّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت، يكشف فيها من يكشف النبيِّ صلى الله عليه وآله ويصحَّ نبوته، ثمَّ ذكر جملة

ضافية»<sup>(١)</sup>.

ومرادنا الأساس وإن كان التعرف على معارفه العليا التي تدلّ على عظيم منزلته، إلا أننا سنتعرّض لجانب التوثيق التاريخي لحركة الدعوة الشريفة أيضاً.

وسوف نقتصر لبيان لمحة عن شعره بكلمة العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمته الله؛ حيث قال:

«كان شعره في التصنيف العام للشعر العربيّ معدوداً في دائرة الشعر الجاهليّ الأصيل، في خصائصه وأساليبه، وصوره وتراكيبه، وفصاحة لفظه، وسلامة سبكه وحبكه، كما هو شأن شعر المشاهير من شعراء تلك الحقبة من الزمن.

ولكنّه امتاز عليهم جميعاً بما حمله شعره إلى جانب التمثيل الصادق لأدب ذلك العصر في هيكله الشامل وخطوطه العريضة، من ارتباط وثيق بالأحداث التي يُعنى بها المهتمّون بقضايا التاريخ عموماً، وبتفاصيل يوميات السيرة النبويّة الشريفة في مطلع البعثة على وجه الخصوص.

ولهذا كلّه كان ديوان شيخ الأباطح تحفة نفيسة من تحف التراث الخالد الوضاء، ومصدراً قيماً من مصادر مفردات اللغة واشتقاقاتها واستعمالاتها،

(١) عنه العلامة الأمينيّ في الغدير: ٣٤١/٧.

ومثلاً أميناً للشعر الذي أتيح له أن يواكب نهاية عصر وبداية عصر، فيعبّر في مجمل ملاحظه وأفكاره وتطلّعاته ومعطياته، عن ذيول فترة مظلمة دابرة، وإطلالة عهد مشرق جديد»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - بين شعر أبي طالب وشعر الجاهلية :

١ - قال ابن كثير معلّقاً على لامية أبي طالب عليه السلام:

«هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقوها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلّقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً»<sup>(٢)</sup>.

٢ - ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام<sup>(٣)</sup>:

«وقال علي بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالته العرب؟

فقالوا: قول أبي طالب في النبي صلى الله عليه وآله:

وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ

ومثله ما ذكره الطبرسي في إعلام الوري؛ حيث قال: «وروى الشيخ أبو

عبد الله الحافظ بإسناده، عن سفیان بن عيينة أنّه قال: أحسن بيت قالته

العرب قول أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله، ثمّ ساق البيت»<sup>(٤)</sup>.

(١) موسوعة العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين: ١١/١٢.

(٢) البداية والنهاية: ٣ / ٧٤، السيرة النبوية: ١ / ٤٩١، وفيه: (منها جميعها).

(٣) تاريخ الإسلام: ٣٢/١.

(٤) إعلام الوري بأعلام الهدى: ٥٠/١.

٣- ويقول السيد فخّار بن معد: «واعلم أنّك إذا اعتبرت جميع ما ورد عن أبي طالب عليه السلام من النظم والنثر والخطب والسجع رأيتَه مبايناً لما عليه الجاهليّة الذين لم يهتدوا إلى الإسلام، ولم يعرفوا الإيمان، وفي بعض ما أوردناه في كتابنا هذا كفاية لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النصّ، ومن خلال التتبّع في شعر أبي طالب عليه السلام نستطيع القول بأنّ أبا طالب عليه السلام هو رائد الأدب الإسلاميّ؛ فقد بنى شعره على العقيدة الصحيحة، ومدح الرسول صلى الله عليه وآله، والوقوف معه في دعوته، والدفاع عنه وعمّا جاء به من الهدى والرشاد، وإرشاد الضالّين لنوره المضيء، وحثّهم على التمسك به والأخذ بهداه، وكلّ ذلك من معالم صفة الأدب الإسلاميّ.

ومن جانب آخر نستطيع القول بأنّه عليه السلام الرائد الأوّل لشعر المدائح المحمديّة، أو المدائح النبويّة، الذي عرف متأخراً، فلقد أكثر من ذلك في ديوانه من قصائد ومقطوعات، ولكنّ مؤرّخي الأدب العربيّ نأوا بأنفسهم عن ذكر أبي طالب عليه السلام؛ لأسباب معروفة؛ بل حاول بعضهم تجاهله وإن ذكر غيره ممّن مات على الكفر؛ كالأعشى الذي مدح النبيّ صلى الله عليه وآله بقصيدة، ثمّ مات قبل أن يظهر إسلامه، ولكن..

وما ضرَّ مجدَّ أبي طالب      جهولٌ لغى أو بصيرٌ تعامى

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٩٦.

كما لا يضر إياة<sup>(١)</sup> الصباح من ظنّ ضوء النهار الظلاماً<sup>(٢)</sup>  
وقد كتبت في وقت سابق في كتابي: (أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفي  
المعاصر)<sup>(٣)</sup> ما يناسب المقام، فلا بأس بنقله: «وقد امتدّت مساحة شعرهم  
حتى أصبحت باباً واسعاً من أبواب الأدب، وغرضاً مشهوراً من أغراضه،  
فحقّ لزاماً أن يدرس دراسة مستقلة منفصلة، تستوعب ظواهره المتعدّدة  
الكثيرة.

وكان ممّن التفت إلى ذلك الدكتور (زكي مبارك) الأديب المصري  
المعروف، فقام بهذه المحاولة في كتابه (المدائح النبوية في الأدب العربي) إلا  
أنّه أدرجه في الشعر الصوفي، وذكر فيه بعض مدائح الرسول عليه السلام وأهل  
بيته عليهم السلام.

وقد جاء الكتاب في الأساس باباً من كتاب قدّمه إلى الجامعة المصرية عن  
(أثر التصوّف في الأدب والأخلاق)، ممّا يفسر إيجازه واختصاره.

وهو حين أرّخ فيه بدء ظهور هذا الفنّ على الساحة الأدبية، اعتبر أوّل  
من قال الشعر في الرسول عليه السلام الأعشى في قصيدته القائل في مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمداً      وعادك ما عاد السليم المسهداً

(١) إياة الصبح: ضوءه، وأصله في الشمس.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨٤/١٤.

(٣) طبع شتاء ٢٠٠٣ م.

وفيهما يقول لناقته:

فَأَلَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ      وَلَا مِنْ حَفَيِّ حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا  
 نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرُونَ وَذِكْرُهُ      أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجِدَا  
 لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تَغِبُّ وَنَائِلٌ      وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا  
 مَتَى مَا تُنَاحِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ      تُرَاجِي وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى  
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعتَبِرْ هَذَا الْمَدِيحَ مِنْ جَمَلَةِ الْفَنِّ الَّذِي دَرَسَهُ فِي كِتَابِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ  
 وَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ عليه السلام، وَإِنَّمَا كَانَتْ مَحَاوَلَةً أَرَادَ بِهَا التَّقَرُّبَ مِنْ  
 نَبِيِّ الْإِسْلَامِ، وَآيَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ انصَرَفَ حِينَ صَرَفْتَهُ قَرِيشَ، وَلَوْ كَانَ صَادِقًا مَا  
 تَحَوَّلَ<sup>(١)</sup>.

وذكرنا آنفاً إنه اعتبر هذه القصيدة هي الأولى لما صرح به لاحقاً بقوله:  
 «هذا وقد رأى القارئ أن أول قصيدة قيلت في مدح الرسول عليه السلام بدأت  
 بالنسيب...»<sup>(٢)</sup> وكان يشير إلى قصيدة الأعشى.

ولا ندرى كيف أغفل الدكتور مبارك ذكر المادح الحقيقي الأول لرسول  
 الله عليه السلام وهو عمّه أبو طالب عليه السلام بشعر صادق النية مشوب العاطفة،  
 والشواهد على ذلك كثيرة، فما على الباحث إلا أن يتصفح ديوان شيخ  
 البطحاء ليرى بأم عينيه أكثر من عشرين قصيدة ومقطوعة في مدحه عليه السلام

(١) المدائح النبوية: ١٩.

(٢) المدائح النبوية: ٥٩.

تعبيراً عن الوقوف إلى جانبه في دعوته المباركة، من بينها لاميته الكبيرة، وهي من غرر القصائد العربية وقد بلغ عدد أبياتها مائة وأحد عشر.

إلى: ولولا الخروج عن الخطّة التي رسمناها لدراستنا لسقنا درر شيخ البطحاء في ابن أخيه عليه السلام.

والعجب - وما عشت أراك الدهر عجباً - كيف أغفل الدكتور (مبارك) ذكر قصائده ومديحته؟! وكان ينبغي للمؤرّخ أن يهتم بالرائد الأوّل للمنحى الذي يؤرّخ له، ولا أظنّ شيخاً من شيوخ الأدب كالمبارك، لم يقرع سمعه هذا المديح، ولم تهزّ روحه تلك العاطفة الصادقة!

فأبو طالب عليه السلام هو أوّل من قال الشعر في مدح الرسول عليه السلام، ثمّ مشى على خطاه سائر الشعراء، فمدحه الأعمشى بعد أن أغار ذكره في البلاد وأنجد كما جاء في شعره<sup>(١)</sup>.

### ٣ - دلالة الشعر على العقيدة :

الأصل الأوّليّ في كلام العاقل الملتفت غير الغافل أن يحمل على ظاهره، ويكون دالّاً على ما في باطنه، وأنّه مراده الواقعيّ، فيحتجّ به له وعليه؛ فإنّ الدلالة الاستعماليّة كاشفة عن الإرادة الجديّة للمتكلّم، فإذا قال المتكلّم: ذهبت إلى البحر وشاهدت أمواجه المتلاطمة، وأسراب السفن الماخرة في

(١) أهل البيت في الشعر القطيفيّ المعاصر: ٦٢ - ٦٤.

عبابه، فهذه جملة خبرية صدرت منه في مقام استعمال الألفاظ، وبما أنّها صدرت من المتكلم العاقل الملتفت غير الغافل، فهي عند العقلاء تكشف عن أنّ مراده الواقعيّ هو الإخبار عن ذهابه إلى البحر بمعناه الحقيقيّ المعروف، والإخبار عن مشاهدته، وهذا ما يسمّى بـ(المراد الجدّي للمتكلم). ولا يصحّ أن يحمل المتكلم على إرادته معنى آخر غير هذا الإخبار، فلا يصحّ أن يقال: إنّه أراد ذهابه إلى العالم، فشبه العالم بالبحر؛ وذلك لأنّه لو أراد هذا المعنى المجازيّ لأضاف قرينة إلى كلامه تكشف عن مراده الجدّي فقال مثلاً: ذهبت إلى البحر وسألته عدّة أسئلة فأجابني عنها بكلّ عمق ووضوح، فما لم ينصب قرينة تصرف اللفظ عن معناه الحقيقيّ يحمل كلامه على المعنى الحقيقيّ.

وهذه قاعدة عامّة في عالم الألفاظ، يعمل بها العقلاء في جميع أمورهم وشؤونهم، من إخبارات وإنشاءات ومعاملات ووصايا وأقارير، ولا تستقيم حياتهم إلّا بالأخذ بظاهر كلام المتكلم، فيحكمون له بظاهر كلامه، ويحكمون عليه به أيضاً، ولو قال المتكلم: لم أرُ هذا المعنى - وهو لم ينصب قرينة على خلاف ظاهر كلامه - لم يقبل منه، ولم يعتدّ العقلاء بدعواه.

والشعر كالنثر في هذه الناحية، فإذا استعمل الشاعر لفظاً ولم ينصب قرينة -مقاليّة أو مقاميّة- على خلاف ظاهر كلامه حمل على معناه الحقيقيّ وأنّه هو

مراده؛ إذ لو أراد المعنى المجازي لآتى بما يدل عليه.

نعم؛ ربّما يكون استعمال المجاز في الشعر أكثر منه في النثر، ولكنّ هذا لا يجرم القاعدة المذكورة؛ لأنّه لا يكون إلّا مع القرينة الدالّة على مراده؛ فإنّ الشعراء لا يُرسلون الكلام على عواهنه، أرادوا المعنى الحقيقيّ أو المعنى المجازيّ، ولكلّ ميزان يوزن به اللفظ.

وبهذه القاعدة العقلائيّة نقول: إنّ الشعر كالنثر يدلّ على مكنون المتكلم، وما يسرّه في قلبه، أو يضمّره في وجدانه، وما اللفظ إلّا كاشف عن إرادته الواقعيّة المكنونة، فإذا تلفّظ بها يفيد الإيـان حكمنـا عليه بالإيـان، وإذا تلفّظ بها يفيد الكفر حكمنـا عليه بالكفر، بمقتضى ظاهر كلامه، ولو أراد خلاف ذلك لنصب قرينة تدلّ على مراده الواقعيّ.

وبناءً على هذه القاعدة العقلائيّة مشى غير واحد من علماء الجمهور في تراجم غير واحد ممّن ترجموا لهم أو تعرضوا لذكورهم، وإليك شواهد<sup>(١)</sup> على ذلك:

١- ليبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

(١) هذه الشواهد استفدناها من مقال لفضيلة الشيخ الجليل والشاعر الأديب الشيخ أحمد الدرّ العامليّ وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه؛ ولكنّي تأكّدت من المصادر؛ إنعاماً في التوثيق، وربّما أضفت على محلّ الشاهد كلاماً من نفس مصادر الشاهد لم يذكره.

قال ابن قتيبة: «قدم (ليبد) في وفد (بني كلاب) على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، وأسلموا، ورجعوا إلى بلادهم، ولم يقل بعد الإسلام شعراً...»<sup>(١)</sup>.

فهو وكذا غيره ينصّ على أنّه لم يقل شعراً في الإسلام؛ ولكنّ ابن عبد البرّ قال: «روى عبد الملك بن عمير، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: (ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل).

وهو شعر حسن، وفي هذه القصيدة ما يدلّ على أنّه قالها في الإسلام، والله أعلم، وذلك قوله:

وكّل امرئ يوماً سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المحاصلُ  
وقد قال أكثر أهل الأخبار: إنّ لبيداً لم يقل شعراً منذ أسلم»<sup>(٢)</sup>.

فمع أنّه ينقل عن أكثر أهل الأخبار أنّ لبيداً لم يقل شعراً منذ أسلم، إلّا أنّه استدلّ من بيتٍ في قصيدة على أنّه قالها بعد الإسلام، وما ذاك إلّا لما استفاده من معناه، وأنّه معنى إسلامي لا يصدر من جاهليّ.

٢- ضرار بن الخطّاب بن مرداس القرشيّ الفهريّ :

قال ابن الأثير في ترجمته من أسد الغابة: «...أمّا ابن منده فقال: ضرار ابن الخطّاب له ذكر، وليس له حديث...، قال أبو نعيم -وأعاد كلام ابن منده-

(١) المعارف: ٣٣٢.

(٢) الاستيعاب: ٣/ ١٣٣٥.

ذكره بعض المتأخرين، ولم يذكره أحد في الصحابة، ولا فيمن أسلم غيره... إلى أن قال: وشعره ونثره يدلّ على إسلامه»<sup>(١)</sup>.

فالرجل مختلف في إسلامه، هل أنّه أسلم يوم الفتح أو بقي على الشرك؟ ولكنّ ابن الأثير استدلّ على إسلامه من خلال شعره ونثره، ولعله يشير إلى مثل خطابه للنبيّ عليه السلام يوم الفتح يستعطفه<sup>(٢)</sup>:

يا نبيّ الهدى إليك لجا	حيّ قريشٍ وأنت خير لجا
حين ضاقت عليهم سعة	الأرض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقتا البطان على	القوم ونودوا بالصيلم الصلحاء
إنّ سعداً يريد قاصمة الـ	ظهر بأهل الحجون والبطحاء

٣- أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت :

قال الذهبيّ: «أبو الصلت الأندلسيّ الدانيّ، مصنّف كتاب الحديقة، كان عالماً بالفلسفة، ماهراً في الطب، إماماً فيه وفي علوم الأوائل... إلى أن قال:

ومن شعره، وأوصى أن يكتب على قبره، وهو يدلّ على أنّه مسلم الاعتقاد:

سكتك يا دار الفناء مصدقاً      بأنّي إلى دار البقاء أصيرُ

(١) أسد الغابة: ٤٠/٣.

(٢) أسد الغابة: ٤٠/٣.

وأعظم ما في الأمر أنني صائرٌ  
فإن أكره مجزياً بذنبي فإنني  
وإن يك عفواً منه عني ورحمةً  
إلى عادلٍ في الحكم ليس يجوزُ  
بشرِّ عقاب المذنبين جديراً  
فثمّ نعيمٌ دائمٌ وسرورُ

٤- ورقة بن نوفل :

قال ابن كثير: «وقد قدّمنا من شعره ما يدلّ على إضماره الإيمان وعقده عليه وتأكّده عنده؛ وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة، وكيف كانت الغمامة تظلّله في هجير القيظ، فقال ورقة في ذلك أشعاراً قدّمناها قبل هذا، منها قوله:

لججت وكنت في الذكرى لجوجا  
ووصف من خديجة بعد وصف  
ببطن المكتتين على رجائي  
بما خبرتنا من قول قسّ  
بأن محمداً سيسود قوماً  
ويظهر في البلاد ضياء نور  
وفيها:

شهدت وكنت أولهم ولوجا»  
فيا ليتي إذا ما كان ذاكم  
إلى آخر الأبيات التي ذكرها<sup>(١)</sup>.

(١) البداية والنهاية: ٣/١٥، السيرة النبوية: ١/٣٩٩.

والملاحظ أنَّ هؤلاء الأعلام قد استدلّوا على إيمان أو إسلام من نسبوا لهم ذلك استناداً إلى ظاهر كلامهم في شعرهم، وأنَّ شعرهم يدلُّ على معتقدتهم، وهذا ما عليه العقلاء في سيرتهم في الأخذ بظاهر كلام المتكلم؛ حيث هو الكاشف عن مكنون سرّه، وما انطوى عليه قلبه، ولكنّهم حين يصلون إلى شعر أبي طالب عليه السلام ونثره، والمؤيّدِينِ بفعله ومواقفه، تضعيع منهم هذه البوصلة العقلائيّة التي تشير إلى الجهات الصحيحة الواقعيّة في نظر العقلاء، وتنمحي صورتها من ذاكرتهم!!

بل نلاحظهم في تراجم كثير من الأشخاص يستدلّون على تشييع الراوي أو عدم تشييعه بمجرد روايات يرويها عن غيره، ففي ترجمة عبد الرزاق الصنعانيّ جاء في مقدمة تفسيره:

«أمّا ما قيل في تشييعه فهناك جانبان نحاول توضيحهما في هذا الشأن:

الأوّل: ما صدر عنه من أقوال بحقّ بعض الصحابة، ونقلت عنه ممّا فهم منه أنّه كان يتشييع للإمام عليّ عليه السلام.

الثاني: الأحاديث التي نقلها في فضائل آل البيت، والأحاديث التي رواها في مثالب خصوم عليّ عليه السلام، وعن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمّا الجانب الأوّل: وهو ما صدر عنه من أقوال تدلُّ على تشييعه فمن ذلك ما رواه ابن حجر في تهذيب التهذيب:

وقال جعفر الطيالسي: سمعت ابن معين، قال: سمعت من عبد الرزاق كلاماً استدلت به على ما ذكر عنه من المذهب، فقلت له: إن أستاذيك الذين أخذت عنهم ثقات، كلهم أصحاب سنة، معمر ومالك وابن جريج والثوري والأوزاعي، فعمّن أخذت هذا المذهب؟

قال: قدم علينا جعفر بن سليمان الضبعي، فرأيته فاضلاً حسن الهدي فأخذت هذا عنه<sup>(١)</sup>.

وفي تاريخ ابن معين: «قال العباس: وسمعت رجلاً سأل روح بن عبادة فقال: يا أبا محمد، عوف الأعرابي كان يتشيع؟ فسكت روح هنيهة ثم قال: والله لقد كان يذكر فضائل عثمان كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

فتراه يستدلّ على نفي تشيع روح بن عبادة بنفس ذكره فضائل عثمان كثيراً؛ وذلك لأنّ الشيعي لا يعتقد بفضائل عثمان حتى يذكرها.

#### ٤ - استنكار الرسول ﷺ شعر أبي طالب :

١- أخرج الطبراني في المعجم الكبير، وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني، وكلّ منهما بسنده عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله قال -واللفظ للأصفهاني-: «لما نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم مصرّعون، قال

(١) تفسير القرآن للصنعاني: ١٩/١.

(٢) تاريخ ابن معين: ١١٢/٢.

لأبي بكر: لو أنّ أبا طالب حيّ لعلم أنّ أسيافنا قد أخذت بالأماثل؛ يعني قول أبي طالب:

كذبتم وبيت الله إن جدّ ما أرى      لتلتبسن أسيافنا بالأماثل<sup>(١)</sup>  
وأضاف في المعجم:

«وينهض قوم في الدرّوع إليكم      نهوض الروايا في طريق حلالح  
قال ابن منذر وهما سواء يقولون حلالح وجلاجل<sup>(٢)</sup>».

٢- لما جاء الأعرابي واشتكى الجذب فاستسقى الرسول ﷺ فانصبّت السماء بالمطر، حينها قال الرسول ﷺ - كما في رواية غير واحد مع اختلاف يسير<sup>(٣)</sup> -: «لله درّ أبي طالب لو كان حيّاً (لو كان في الأحياء) لقرّت عيناه، من الذي ينشدنا شعره؟»

فقام علي بن أبي طالب ﷺ فقال: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمّال أيتامى عصمة للأرامل

### ٥- خطب أبي طالب ووصاياها :

لقد وصل لنا من خطب أبي طالب ﷺ خطبتان جليلتان، إحداهما كانت

(١) الأماثل: أفاضل القوم.

(٢) المعجم الكبير: ١٠/١٥٩، الأغاني: ١٨/٣٩٤.

(٣) الأحاديث الطوال: ٧٣، الأحكام السلطانية: ١٠٦، بدائع الصنائع ١/٢٨٣، الأمالي

للشيخ المفيد: ٣٠٤، وغيرهم.

بمناسبة زواجه، والأخرى بمناسبة زواج ابن أخيه النبي محمد عليه السلام، كما أنه وصى بوصايا لقريش عاقمة، ولرهبته الأقربين بني هاشم خاصة، وفي كل ذلك ما يفيد الدارس لتراثه، فقد امتلأت كلماته بالمعاني الجليلة، والمعارف العظيمة، وتدفتت الحكمة في كلماته، وانداح الرأي السديد في حروفه، ولقد عرفنا بقيمة أبي طالب عليه السلام الاجتماعية والمعرفية.

وبعد هذا التجوال آن الأوان إلى أن ندخل في صلب الموضوع، وسيقع البحث في جهات ثلاث:

الجهة الأولى: المعارف المستفادة من النثر المأثور عن أبي طالب عليه السلام، من خطب وغيرها.

الجهة الثانية: المعارف المستفادة من شعره عليه السلام.

وبما أن هاتين الجهتين تشتركان في موارد كثيرة فلهذا سنجمع بينهما تحت العناوين المناسبة من عناوين المعارف والعقائد.

الجهة الثالثة: الأمور العامة.

ويندرج تحت هذه الجهة كثير من العناوين - كما سيوضح - ولنذكر قبل ذلك تمهيداً ضرورياً.

## تمهيد : عقيدة المشركين في التوحيد والمعاد

لتتضح سطور كتاب أبي طالب الديني، وما تحويه أوراقه البيضاء، وليكون القارئ على بينة من أمره، ويعرف أين يضع رجله في نزوله من المنحدر، وأين يمسك بيده في حال صعوده إلى القمة؛ لكيلا يسقط في هاوية الفكر الضال، والإعلام المضلل، يلزمنا أن نذكر تحت هذا العنوان، -وقبل استعراض الشواهد على ما نريد- عدة نقاط مضيئة لدروب التاريخ المعتمة:

### النقطة الأولى : عقيدة قريش في الإله :

يستفاد من الكتاب العزيز أنّ التوحيد في الخالقية؛ أي الإيمان بأنّ الخالق للكون هو الله تعالى كان موضع وفاق عند الوثنيين، أو لا أقل عند مشركي مكة، قال سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما مسألة التوحيد في التدبير فذهب قسم من الوثنيين إلى أنّ مقام الخلق

غير التدبير، وأنّ الذي يرتبط بالله إنّما هو الخلق والإيجاد من العدم، وأمّا التدبير فيتعلّق بموجودات أُخرى غير الله، وهي الموجودات التي فوّض إليها تدبير عالم الطبيعة بنحو الاستقلال، وليس لله أيّة مشاركة في أمر تدبير الكون والتصرف فيه.

يقول الشيخ السبحاني دام ظلّه: «ولقد دخلت الوثنيّة إلى مكة ونواحيها أوّل ما دخلت في صورة الشرك في الربوبيّة، فقصة عمرو بن لحيّ دليل واضح على أنّ أهل الشام كانوا يعتبرون الأوثان والأصنام مدبّرة لجوانب من الكون.

قال ابن هشام في قصّته: أنّ عمرو بن لحيّ أوّل من أدخل الوثنيّة إلى مكة ونواحيها، فقد رأى في سفره إلى البلقاء من أراضي الشام أناساً يعبدون الأوثان، وعندما سألهم عمّا يفعلون قائلاً: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه.

وهكذا استحسن طريقتهم واستصحب معه إلى مكة صنماً كبيراً باسم (هبل)، ووضعه على سطح الكعبة المشرفة، ودعا الناس إلى عبادتها.

إذن فاستمطار المطر من هذه الأوثان والاستعانة بها يكشف عن أنّ بعض المشركين كانوا يعتقدون بأنّ لهذه الأوثان مشاركة في تدبير شؤون الكون

وحياة الإنسان»<sup>(١)</sup>.

ومن الوثنيين من يعتقد أن الأصنام شفعاء توجب عبادتها الزلفى عند الله، والقربى لديه، ويدلّ على هذا الأمر آيات إليك بعضها: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولكنهم - مع ذلك - يعتبرونها آلهة، فلها بحسب نظرهم جانب غيبيّ أوجب أن يكونوا في هذا الموضع، وإعطاءهم هذه الخصوصية، ولا أقل أن يكون لهم مقام الشفاعة المستقلة عن الله تعالى، والدليل على أنهم يرونهم آلهة قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ۗ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۗ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾<sup>(٤)</sup>.

### عقيدة قريش في المعاد :

إنّ الاستفادة من آيات القرآن الكريم أن إحدى ما يتبلى به الأنبياء مع

(١) مفاهيم القرآن: ٣٨٢ / ١.

(٢) سورة الزمر: ٣.

(٣) سورة يونس: ٣١.

(٤) سورة الزمر: ٤ - ٦.

أقوامهم المشركين مسألة المعاد الجسماني؛ لأنهم كانوا يتعجبون منه ويستبعدون تحققه، فيثرون حوله سؤالاً ينقدح في أذهانهم:

كيف يُبعث الإنسان من جديد بعد أن صار تراباً؟!

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ۗ هِيَ هَاتِ هَاتِ هَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ۗ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ۗ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد أجابهم القرآن الكريم بعبارات قصيرة قاطعة، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهُ الْمَثَلُ

(١) سورة الرعد: ٥.

(٢) سورة المؤمنون: ٣٥ - ٣٧.

(٣) سورة المؤمنون: ٨١ - ٨٢.

(٤) سورة الأعراف: ٢٩.

الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٠﴾.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾﴾.

ولم يكن مشركو قريش ببدع من المشركين، فهم كانوا يتعجبون من المعاد أيضاً، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

وورد في تفسير السمرقندي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ:

«وروي عن ابن عباس ؓ أنه قال لما ذكر رسول الله ﷺ القرون الماضية أنهم يُبعثون بعد الموت، وأنكم يا أهل مكة معهم، فأخذ أبي بن خلف الجمحي عظماً بالياً فجعل يفتّه بيده، ويدروه في الرياح، ويقول: عجبا يا أهل مكة إن محمداً يزعم أننا إذا متنا وكنا عظاماً بالية مثل هذا العظم، وكنا تراباً أننا نعاد خلقاً جديداً وفينا الروح، وذلك ما لا يكون أبداً، فنزل ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾؛ يعني أولم يعلم هذا الكافر أننا خلقناه أول مرة

(١) سورة الروم: ٢٩.

(٢) سورة يس: ٨١.

(٣) سورة يس: ٧٧ - ٧٩.

من نطفة»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الطوسي عليه السلام في تفسيره التبيان:

«ثُمَّ حَكَى تَعَالَى عَنِ بَعْضِ الْكُفَّارِ أَنَّهُ ﴿وَضَرَبَ لَنَا﴾؛ أَي ضَرَبَ لِلَّهِ ﴿مَثَلًا  
وَلَسَى خَلْقَهُ﴾ كَيْفَ كَانَ فِي الْإِبْتِدَاءِ فِ ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾...،  
وقال الحسن: جاء أُمِّيَّةٌ إِلَى النَّبِيِّ عليه السلام بِعِظْمٍ بَالٍ قَدْ بَلِيَ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَتَزْعَمُ  
أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَمَا بَلِيَ؟!

قال: نعم، فنزلت الآية.

والرميم هو البالي، فقال الله تعالى في الردّ عليه: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَذَا  
الْمَتَعَجَّبُ مِنَ الْإِعَادَةِ ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لِأَنَّ مِنْ قَدْرِ عَلَى  
الِإِخْتِرَاعِ لَمَّا يَبْقَى مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ عَنْ صِفَةِ الْقَادِرِ، فَهُوَ عَلَى إِعَادَتِهِ قَادِرٌ لَا  
مَحَالَةَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير السمرقندي: ٣ / ١٢٦.

(٢) تفسير التبيان: ٨ / ٤٧٨.

## الفصل الأول : العقيدة الدينية

### عقيدته في الإسلام :

يقول أبو طالب عليه السلام:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم      حتى أوسد في التراب دفينا  
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة      وابشر بذاك وقرّ منك عيونا  
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي      ولقد دعوت وكنت ثمّ أمينا  
ولقد علمت بأنّ دين محمدٍ      من خير أديان البريّة دينا  
ويُستفاد من هذه الأبيات عدّة أمور، بعضها يرتبط بهذا العنوان، وبعضها

سيأتي في عناوين أخرى لاحقة، منها:

١- إيمانه بالله تعالى، وهي المعرفة الأولى والتي يؤكّد عليها في كثير من شعره ونثره، ويستبين ذلك من قَسَمِهِ به تعالى بأن لا يصل المشركون للنبي عليه السلام ما دام موجوداً.

٢- معرفته بأنّ دين النبي عليه السلام - وهو دين الإسلام - من خير أديان البريّة ديناً، وأظنّ - وظنّ الأملعيّ عين اليقين - أنّه لولا ضرورة الوزن لقال:  
خير أديان البريّة ديناً.

وقوله هذا يكشف عن شيئين:

أ- معرفته بالأديان السماوية الإلهية؛ بحيث حكم عليها بأن ما جاء به ابن أخيه خيرها أو من خيرها، وهذا ما سنبحثه لاحقاً إن شاء الله تعالى، عند التعرض لقوله ﷺ:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطاً في أول الكتب  
ب- أنه كان يؤمن به؛ حيث قال قبل هذا البيت:

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد دعوت وكنت ثم أمينا  
فهو يرى أن تلك الدعوة من ابن أخيه نصيحة له، ويصفه بالأمانة، فهي نصيحة ناصح أمين، فهل يتخلى عنها العاقل الحكيم؟!  
قطعاً لا، ودلت أفعاله وبقية أقواله على اعتقاده، وأخذ هذه النصيحة.

### معارف أبي طالب الدينية في خطبته في زواجه :

خطب أبو طالب ﷺ في نكاح فاطمة بنت أسد ﷺ فقال:

«الحمد لله رب العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشرع والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسدنة وعرفاء خلصاء وحجة بهاليل، أطهاراً من الخنى والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر، نخب آل إبراهيم، وصفوته وزرع إسماعيل - في كلام له-.

ثم قال: وقد تزوّجت فاطمة بنت أسد، وسقت المهر ونقذت الأمر،

فاسألوه واشهدوا.

فقال أسد: زوّجناك ورضينا بك، ثمّ أطعم الناس...»<sup>(١)</sup>.

أقول مبتدئاً: إنّ هذه الخطبة خطبها أبو طالب عليه السلام وهو في حداثة السنّ؛ لأنّه خطبها في وقت اقترانه بفاطمة بنت أسد عليها السلام، أمّ أولاده الكرام، وقد أتى فيها من المعاني ما يذهل العقول، ومن الفصاحة والبلاغة ما يجمع فيها بين الفروع والأصول، تشرق ألفاظها في القلوب، وتنير الأبواب، كما سنرى.

ويكشف هذا الموقف في هذا السنّ مع وجود أبيه عبد المطلب عليه السلام، حسب ظاهر الحال في المناسبة الخاصّة، ووجود عليّة أشرف قريش ومكّة، حسبنا نستوحيه من أمثال هذه المناسبات، ومن لفظ الرواية: (ثمّ أطعم الناس)، عن رجل استثنائيّ في العلم والمعرفة والفصاحة والبلاغة والجرأة والشجاعة، وينبغي أن ندرج هذا المعنى في بعض العناوين المتقدّمة، ولكنّ أثرنا ذكره مع الخطبة تمهيداً لمعانيها.

كما يكشف فعله: (ثمّ أطعم الناس) أنّه في ذلك الوقت من عمره الشريف كان مستقلاًّ بأموره الماليّة، وكان من الأشراف الأجواد.

والآن نعود للخطبة الغراء، فنقول: لقد تناول أبو طالب عليه السلام في هذه الخطبة عدّة معاني ومعارف إلهيّة ودينيّة تدلّ على معرفته التامّة بالله تعالى خالق

(١) مناقب آل أبي طالب: ١٧١/٢.

السموات والأرضين، ومن الواضح أنها كانت قبل أن يولد النبي محمد عليه السلام، فمعرفة ذلك قبل الإسلام، وذلك يكشف عن إيمانه بالله تعالى من السابق، فلم يكن مشركاً ثم أسلم؛ بل كان على دين جدّه النبي إبراهيم عليه السلام كأبيه عبد المطلب عليه السلام، كما دلّت عليه بعض الآثار، والمعاني والمعارف المذكورة هي:

١ - قوله: الحمد لله ربّ العالمين.

وهي تتضمن الإيمان بالوحيّة الله تعالى، والإقرار بربوبيّته، وأنّه ربّ العالمين، فهو مالكهم والمدبّر لهم كلّهم؛ قال الطريحي رحمته الله في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>:

«المراد مالكهما ومدبّرهما، ويطلق الربّ على السيّد أيضاً، والمربّي والمتّم والمنعم والصاحب».

إلى أن قال:

«قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو توحيد له، وتحميد، وإقرار بأنّه المالك لا غير»<sup>(٢)</sup>.

وهي تحمل براعة استهلال، وتّحد مع افتتاحيّة (أمّ الكتاب).

فأبو طالب عليه السلام يقرّ بكلّ ذلك، ويؤمن به، ويعرف معناه؛ لكونه العربيّ

(١) سورة الرحمن: ١٧.

(٢) مجمع البحرين: ١٢٧/٢.

الفصيح، ويؤمن بأن الله تعالى هو المستحق للحمد؛ لكونه الإله والرب، فهو على خلاف ما عليه مشركو قريش تماماً، جملة وتفصيلاً، وموافق لما جاء به النبي الأعظم ﷺ.

٢- قوله: ربّ العرش العظيم.

مضافاً إلى تضمنه إيمانه بالربوبية التي أقرّ بها في العبارة السابقة، فهو يعرف العرش ويؤمن به، ويصفه بالعظمة، كما يصفه القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، وصدور إضافة كلمة الربّ إلى العرش من هذا العربيّ القحّ تكشف عن معرفته بأنّ الله ﷻ هو المدبّر والمتصرّف في هذا العرش العظيم، وهذه المعرفة في زمان الجاهلية إنّما ينالها من كان على اتصال بالمبدأ الأعلى؛ فإنّ هذا الاعتقاد لا يفترق عمّا جاء به الإسلام الذي بُعث به النبي ﷺ بعد سنين من هذه الخطبة.

٣- المقام الكريم.

قال الشيخ الطوسيّ رحمه الله في معنى الكريم من المقام الكريم: «والكريم هو الحقيق بإعطاء الخير الجزيل؛ لأنّه أهل للكرم، وهي صفة تعظيم في المدح»<sup>(٢)</sup>.

٤- المشعر والحطيم.

(١) سورة النمل: ٢٦.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢٥/٨.

وهما معروفان، وجهة استشهادنا بهما هو بيان معرفته بإضافتهما إلى الله تعالى؛ فإنّهما من أماكن القداسة والعبادة.

٥- الذي اصطفانا أعلاماً.

الاصطفاء الاختيار، افتعال من الصفوة، والصفو نقيض الكدر، وصفوة كلّ شيء خالصه وخيره، ومنه النبيّ المصطفى عليه السلام، وفي مجمع البيان: «الاصطفاء والاختيار والاجتباء نظائر، وهو افتعل من الصفوة.

وهذا من أحسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئيّ، وذلك أنّ الصافي هو النقيّ من شائب الكدر فيما يشاهد، فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شائب الأدناس»<sup>(١)</sup>.

فأبو طالب عليه السلام يؤمن بأنّه من القوم الذين اصطفاهم الله تعالى، فهم خاصته وخالصته، فلا كدورة في نفوسهم، ولا شوب في أرواحهم؛ بل كلّها نقاء وصفاء.

وجعلهم أعلاماً، ولا ريب أنّهم أعلام هداية على الطريق يستهدي بهم من أراد الهداية، فمعرفته بهذا وانتسابه إلى الله تعالى يكشف كشافاً تاماً عن إيمانه بخالقه، وأنّه مصدر الخير والهداية والرشاد.

واصطفاء الله تعالى لأحد من عباده - حسبما يظهر - إمّا على نحو أن يكون

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٧٧/٢.

نبياً أو وصياً، فاصطفاه الله تعالى لسلسلة آباء النبي عليه السلام أعلاماً لا يخلو من هذين، وهذا ما يؤكد على أن أبا طالب عليه السلام وصي من أوصياء النبي إبراهيم عليه السلام.

ويشهد لذلك ما ذكره المفسر الطبرسي رحمته الله في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>:  
«وفي قراءة أهل البيت وآل محمد عليهم السلام على العالمين.

وقالوا أيضاً: إن آل إبراهيم هم آل محمد عليهم السلام الذين هم أهله، ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين، منزّهين عن القبائح؛ لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك، ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة.

فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوماً من آل إبراهيم وآل عمران، سواء كان نبياً أو إماماً.

ويقال: الاصطفاء على وجهين أحدهما: إنه اصطفاه لنفسه أي: جعله خالصاً له، يختص به.

والثاني: إنه اصطفاه على غيره أي: اختصه بالتفضيل على غيره، وعلى هذا

الوجه معنى الآية<sup>(١)</sup>.

ثم إنه يحمده عليه السلام على ما أنعم عليه به فجعله من جملة المصطفين، ومثل هذه المعاني العالية؛ بل ما هو أقلّ منها لا يدركها كثير من المسلمين فضلاً عن عامة المشركين.

٦- سدنة.

جمع سادِن، وهو خادم الكعبة.

قال العلامة المجلسي عليه السلام بمناسبة ما، ويحسن نقله هنا:

«بيان: كما أنّ سدانة بيت المقدس والنار التي نزلت من السماء ومعابد بني إسرائيل كانت لأولاد هارون عليه السلام، فكذلك سدانة الكعبة وبيوت العلم والحكمة وأنوار العلم والمعرفة التي نزلت من السماء ولم يكن فيها دخان الشكّ والشبهة، ومثل الله بها في آية النور لأولاد أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو من النبي عليه السلام كهارون من موسى، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

٧- عرفاء.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٧٨/٢.

(٢) سورة غافر: ٨٥.

(٣) بحار الأنوار: ١٩٥/١٣.

جمع عريف، وهو القيمّ بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم، وبما أنّ اصطفاءهم عرفاء كان من الله تعالى فالمراد -حسب الظاهر- أنّهم عرفاء في يوم القيامة، وهو الذي يظهر من الروايات التي فسّرت قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ففي بصائر الدرجات بسنده «عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، ما يعني بقوله وعلى الأعراف رجال؟

قال: أستم تعرفون عليكم عريفاً على قبائلكم لتعرفوا من فيها من صالح أو طالح؟  
قلت: بلى.

قال: فنحن أولئك الرجال الذين يعرفون كلاً بسيماهم»<sup>(٢)</sup>.  
وفي الكافي الشريف بسنده «عن مقرن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>؟

(١) سورة الأعراف: ٤٦.

(٢) بصائر الدرجات: ٥١٥.

فقال: نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله ﷻ إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرفنا الله ﷻ يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه.

إنَّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعَرَّفَ العباد نفسه؛ ولكن جَعَلْنَا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه...»<sup>(١)</sup>.

وفي البصائر بسنده «عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن الأعراف ما هم؟

فقال: هم أكرم الخلق على الله تبارك وتعالى»<sup>(٢)</sup>.

وفي البصائر في رواية: «...وقد قيل للنبي ﷺ: من وليّ الله؟

فقال: وليكم في هذا الزمان عليّ ومن بعده وصيّيه، ولكلّ زمان عالم يحتاج الله به لئلا يكون كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياءهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنُخْزَى﴾<sup>(٣)</sup> بما كان من ضلالتهم وهي جهالتهم بالآيات، وهم الأوصياء...

(١) الكافي: ١/١٨٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٢٠.

(٣) سورة طه: ١٣٤.

إلى قوله عليه السلام:

فالأوصياء هم أصحاب الصراط، وقوفاً عليه، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، لأنهم عرفاء الله ﷻ، عرفهم عليهم عند أخذه المواثيق عليهم، ووصفهم في كتابه فقال ﷻ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، وهم الشهداء على أوليائهم...<sup>(١)</sup>.  
 فنحتمل من خلال ذلك - والله العالم - أن الذين على الأعراف هم عرفاء كل أمة، وهم الأوصياء الذين يعرفون كلاً بسيماهم، فالذين على الأعراف في هذه الأمة المرحومة هم أوصياء النبي محمد ﷺ، وفي الأمم السابقة هم أوصياء أنبيائهم، وهذا أيضاً ما يؤكد أن أبا طالب عليه السلام كان من جملة الأوصياء.

٨- خلصاء.

الخلص يكون مصدراً كالخلوص، للناجي، ويكون مصدراً للشيء الخالص، وتقول: وهو خالصتي وخلصاني، وهؤلاءخلصاني وخلصائي؛ أي أخلائي، وتقول: هذا الشيء خالصة لك؛ أي خالص لك خاصة، وفلان لي صافية وخالصة، والإخلص: التوحيد لله خالصاً؛ ولذلك قيل: سورة

الإخلاص لسورة التوحيد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْتَهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي جعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها، وهي ذكرى الدار.

وفي الرواية: «عن زين العابدين عليه السلام: إنَّ لله خالصاً من خلقه عبده بخالص من سرّه، وأوصلهم إلى سرّه، فهم الذين تمرّ صحفهم مع الملائكة فرغاً، فإذا وصلت إليه ملاًها من سرّ ما أسروا إليه، وقال لهم:

يا أوليائي، إن أتاكم عليل من ضعفة عبادي فداووه، أو ناسٍ نعمتي فاذكروه، أو راحل نحوي فجهّزوه، ومن بعد منكم منكرًا ففقهوه، ومن قرب منكم فواصلوه، لكم يا أوليائي خاطبت، ولكم عاتبت، والوفاء منكم طلبت، لا أحبّ استخدام الجبارين، ولا مصافاة المتلوّنين، من عاداتكم قصمته، ومن أبغضكم قليته»<sup>(٣)</sup>.

وبالنظر إلى هذه المعاني المذكورة يظهر لنا أنّ أبا طالب عليه السلام كان يرمي إلى معنى عميق، ويرمز إلى مثل بعيد، يتضح مراده بما في رواية الأمامي للشيخ الطوسي عليه السلام، من حديث دار بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ومن معه؛ وفيه:

(١) سورة التوحيد: ١.

(٢) سورة ص: ٤٦.

(٣) الدعوات: ٢١٢.

«...وأقول -معشر الخلائق- فاسمعوا، ولكم أفئدة وأسباع فعوا: إنا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام، واختارنا واصطفانا واجتباننا، فأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراً، والرجس هو الشك، فلا نشك في الله الحق ودينه أبداً، وطهرنا من كلّ أفن وغية، مخلصين إلى آدم، نعمة منه، لم يفترق الناس قطّ فرقتين إلّا جعلنا الله في خيرهما، فأدّت الأمور وأفضت الدهور إلى أن بعث الله محمداً ﷺ للنبوّة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه...»<sup>(١)</sup>.

فإذا وضعنا اليد على كلمة (مخلصين إلى آدم)، وقرأناها بفتح اللام كما هو الظاهر، ونظرنا معها إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، عرفنا أنّ أبا طالب ﷺ الذي هو جدّ الإمام الحسن ﷺ والواقع في السلسلة إلى آدم معصوم مطهر من كلّ أفن وغية، وهذه هي الصفة المنسجمة مع كونه أحد أوصياء إبراهيم ﷺ.

#### ٩- حجة بهاليل.

الحجبة جمع حاجب، والفرق بين الحاجب والسادن على ما قيل هو أنّ السادن يحجب وإذنه لنفسه، والحاجب يحجب وإذنه لغيره، ويحتمل في كلام

(١) الأُمالي: ٥٦٢.

(٢) سورة الحجر: ٣٩ - ٤٠.

أبي طالب ﷺ لما جمع لهم السدانة والحجابه، أنهم يحجبون وإذهم لأنفسهم من جهة، ولغيرهم - وهو الله تعالى - من جهة أخرى؛ حيث لا رئيس فوقهم.

وبهاليل، جمع بهلول، وهو هنا السيّد الجامع لكلّ خير.

١٠ - أطهاراً من الخنى والريب، والأذى والعيب

وهذه ألفاظ واضحة المباني ظاهرة المعاني، فالخنى من الكلام أفحشه، وهم مطهرون منها، ومن البقية المذكورة.

١١ - أقام لنا المشاعر، وفضلنا على العشائر.

والملاحظ هنا نسبه الإقامة والتفضيل إلى الله تعالى، فهو سبحانه فاعلها، (أقام، فضلنا)، ومن الواضح بمكان أنه حينما تكلم يتكلم عن علم ومعرفة؛ ولهذا تراه يأتي بأدق التفاصيل، ويصدر منه ذلك بكلّ ثقة أمام ملاء من الناس؛ فلا يخشى من التعبير بقوله: (لنا، وفضلنا) مع ما يحمله ضمير (لنا) من معنى ودلالة، فلا تراه يخشى من تكذيبهم له، أو اعتراضهم عليه.

ثم إن هنا نقطة يحسن الإلفات إليها وتبقى تحت دائرة الإمكان؛ فإنّ تعبيره ﷺ: (أقام لنا المشاعر) يستفاد منها أنهم المحور في هذه المشاعر، فلعله يرمي بطرف خفي إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا

وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١١﴾؛ فَإِنَّ الْآيَةَ قَالَتْ: ﴿يَأْتُوكَ﴾، ولم تقل يأتون، فكاننا الحج له، والناس تأتي للحج، والهدف الأسمى من ذلك أن يأتوا إليه بما أنه نبي أو رسول من الله تعالى أو ناطق عن الله تعالى؛ ليعلمهم ويزكيهم، فكذلك الحال بالنسبة إلى الأوصياء من ذريته.

١٢- نخب آل إبراهيم، وصفوته.

ونستفيد من هذه العبارة أنه يشير إلى أن هذه السلسلة من آل إبراهيم النبي ﷺ - وهي السلسلة التي انحدر منها النبي محمد ﷺ - هي السلسلة المتخبة المصطفاة والمفضلة على غيرها من بقية آل إبراهيم، مع أن في آل إبراهيم ﷺ الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأَيُّوبَ وَإِبْرَاهِيمَ إِنَّهُمْ عَلَّمْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

١٣- زرع إسماعيل.

ولعله يرمي بهذه العبارة إلى أنهم الأمة المصطفاة من ولد النبي إسماعيل

(١) سورة الحج: ٢٧.

(٢) سورة الأنعام: ٨٣ - ٨٦.

عليه السلام، التي بقيت في الحرم وقامت بشؤون البيت الحرام، وحفظت مقامه وحرمة، فلم تكفر بالله طرفة عين.

ففي الأماي للشيخ الطوسي رحمته الله بسنده «عن واثلة بن الأصقع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله اصطفى إسماعيل من ولد إبراهيم، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من بني كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من هاشم»<sup>(١)</sup>.

## الفصل الثاني: التوحيد والمعاد

### ١- التوحيد وصفات الله تعالى :

إنَّ كلَّ من آمن بالله ورسله وبيّناتهم لا يكاد ينفك عن إظهار ذلك بلسانه؛ بل كلَّ من أذعن بشيء واعتقد به، أو أحبه وتعلّق به، لا يكاد ينفك عن إظهاره؛ بل يظهر على لسانه ولو أراد إخفاءه؛ فإنَّ الطبيعة البشريّة جبلت على إظهار مضمّرات القلوب، من حيث تشعر أو لا تشعر، كما دلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أضمر أحدكم شيئاً إلا أظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه»<sup>(١)</sup>، وأبو طالب عليه السلام رجل الإيثار، وشيخ المؤمنين لم يخرج عن هذه القاعدة البشريّة؛ فلهذا ترى ذكر الله تعالى بارزاً في نثره وشعره، وتقدّم بعض ما في نثره، وأما شعره فمنه ما في حنايا قصيدته اللامية الطويلة، ففيها:

أعوذ برّبّ الناس من كلّ طاعن      علينا بسوء أو ملحٍ بباطلٍ  
ومن كاشح يسعى لنا بمغيبة      ومن مفترٍ في الدين ما لم نحاولِ

(١) شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام لابن ميثم البحراني: ٢١١.

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه  
وبالبيت ركن البيت من بطن مكة  
وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه  
وموطئ إبراهيم في الصخر وطأة  
إلى قوله:

فهل فوق هذا من معاذٍ لعائذٍ  
كذبتهم - وبيت الله - نترك مكة  
كذبتهم - وبيت الله - نبزى محمداً  
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً  
بميزان قسط لا يغيض شعيرة  
وقوله:

فأيده ربّ العباد بنصره  
وأظهر ديناً حقّه غير ناصلٍ  
وقوله:

فوالله لولا أن أجيء بسبّة  
تجرّ على أشياخنا في المحافلٍ  
وقوله:

ولا شكّ أنّ الله رافع أمره  
ومعليه في الدنيا ويوم التجادل<sup>(١)</sup>

فتراه في هذه القصيدة يتوسل بالله، ويقسم بالله، وبييت الله، ويسأل الله، ويثق بجزائه تعالى وينتظر تحقيقه، ويؤمن بميزانه الدقيق الذي لا يجيد قيد شعرة، فهل ترى ما يجري على لسان المسلمين غير ما تراه يجري على لسان أبي طالب ﷺ ؟

ولعلك إذا قرأت البيت الأخير:

ولا شكَّ أن الله رافع أمره ومعليه في الدنيا ويوم التجادلِ  
عرفت اليقين والثبات في الإيـان بالله تعالى، وبالنبِيِّ ﷺ وما جاء به،  
فالتصدير بقوله (لا شكَّ) ينفي كلَّ احتمال للخلاف، فهو يقول قوله بضرس قاطع، ويقين جازم، ومتعلّق الشكّ المنفي هو أنّ الله تعالى (رافع أمره ومعليه في الدنيا) وما جزم به أبو طالب ﷺ هو الذي حصل؛ فإنَّ اسم الرسول ﷺ يطبّق الدنيا على مدار ساعاتها، فلا تجد وقتاً من أوقات اليوم، ولا بقعة من بقاع الأرض إلّا ويعلو صوت المؤذن (أشهد أنّ محمداً رسول الله).

وسيعلي أمره يوم التجادل، يوم ظهور الحقائق وبروزها، وفي ذلك أيضاً جهر بالإيمان بيوم المعاد، يوم التناد وحشر العباد، فهو يمشي على طبق المنظور القرآنيّ، والمفهوم الإسلاميّ؛ بل تعبيره بيوم التجادل يتّضح فيه التلاحم بين ألفاظه وألفاظ القرآن الكريم، فينتقل ذهننا من هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَّجْدِلُ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا

يُظَلَمُونَ ﴿١١٠﴾، وعند قرائتك لهذه الآية تعرف لماذا اختار أبو طالب ﷺ هذه اللفظة دون غيرها.

ثمَّ إنَّه في الأبيات المتقدِّمة تظهر معرفته بعدل الله تعالى، وإيمانه به، وثقته بوقوعه؛ حيث قال: (جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً...، إلى:

بميزان قسط لا يغيض شعيرة      له شاهد من نفسه حق عادلٍ  
ومن أشعاره ﷺ قوله :

ملك الناس ليس له شريك      هو الوهاب والمبدي المعيدُ  
ومن فوق السماء له لحقٌّ      ومن تحت السماء له عبيدُ

ويستفاد من هذين البيتين عدَّة أمور تدلُّ على توحيده:

الأمر الأول: أن أبا طالب ﷺ كان يؤمن بالله تعالى، وبالوحدانيَّة المطلقة، فهو يؤمن بأنَّ الله تعالى واحد لا شريك له، لا في الخلق، ولا في العبادة، وأنَّه مالك الناس: (ملك ليس له شريك)، فهو ربِّهم المتصرِّف فيهم وحده وحده، فهو هنا ينفي الشريك في الربوبيَّة، وبهذا الشطر يتجلَّى الفرق بشكل واضح بين أبي طالب ﷺ المؤمن، وبين قريش الجاهليَّة المشركة، التي تقول:

﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿١١١﴾ وَأَنْتَ لَقَدْ كَلَّمْنَا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا  
عَلَىٰ الْهَتِكِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿١١٢﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأُمَّةِ الْأَخْرَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا

أَخْتَلَقُ ﴿١﴾.

وتكرّر وصفه لله تعالى بالمليك في غير هذا البيت فقال:

(نصرت الرسول رسول المليك)

وقوله:

منعنا الرسول رسول المليك      ببيض تلالا كلمع البروق

وقوله:

قد أتاكم من المليك رسول      فاقبلوه بصالح الأعمال

الأمر الثاني: معرفته وإيمانه بالمبدأ والمعاد، وأنه تعالى هو المبدئ، الذي خلق الخلق، وأنه هو سعيدهم في يوم المعاد: (المبدي المعيد)، وسيأتي الكلام حول المعاد إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث: يدلّ على معرفته وإيمانه بصفات الله تعالى، فيعرف أنه تعالى هو (الوهاب)، ويندرج تحت هذه الصفة عدّة معانٍ، فهو تعالى واهب الحياة، وواهب الرزق، وواهب الذريّة، وواهب العقل، وواهب الحكمة، وواهب البيان، و... إلخ، فهو يعرف ذلك كلّه ويؤمن به، فلهذا تراه ذكر هذه الصفة بصيغة المبالغة: (الوهاب).

الأمر الرابع: يعلم ويؤمن بأنّ جميع الخلق مربوبون له تعالى، من فوق

السماء، ومن تحتها، وأنهم عبيد له تعالى.

الأمر الخامس: يعرف العبادة، ويؤمن بها وأنها لله تعالى، لا لغيره.

الأمر السادس: يعلم بأن فوق السماء خلقاً مربوبين لله تعالى، وهذه الجهة

لا يعرفها من لم يطلع على المعارف الإلهية، فبنو قومه من المشركين لا يدركون من هذه المعاني شيئاً، ولا يعرفون أكثر مما يحسون به من المحسوسات.

وقال ﷺ:

فوالله لولا الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تملكون لنا سرباً

وهذا البيت يدلُّ بأجلى دلالة، وأوضح عبارة على أنه ﷺ يؤمن بالله تعالى،

فهو يقسم به تعالى بلفظ الجلالة، فيقول: (فوالله)، ثم يؤكد ذلك بقوله: (لولا

الله لا شيء غيره) بالإثبات له وبالنفى عن غيره، نظير كلمة التوحيد: لا إله

إلا الله.

ومن الملاحظ هنا: أن مشركي قريش عندما يحلفون كانوا يحلفون

بأصنامهم، فيحلفون باللات والعزى أو بغيرهما، بينما نرى أبا طالب ﷺ

يحلف بالله تعالى، في هذا المورد وفي غيره، ولم أره حلف باللات أو بالعزى مما

يحلف به غيره من مشركي الجاهلية، وهذا بحد ذاته - عند التأمل والتفكير -

يدلُّ على الفارق الكبير بين الخطئين والاتجاهيين والمذهبيين، وسيأتي استقصاء

الموارد إن شاء الله تعالى.

وقال:

أتعلمُ ملكَ الحُبشِ أنَّ محمّداً      نبِيَّ كموسى والمسيحِ ابنِ مريمِ  
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به      وكلّ بأمر الله يهدي ويعصم  
وإنكم تتلونهُ في كتابكم      بصدق حديث لا بصدق الترجم  
فلا تجعلوا لله ندّاً وأسلموا      وإنّ طريق الحقّ ليس بمظلم

وفي هذه الأبيات عدّة معانٍ سيأتي التعرض لها إن شاء الله تعالى، وما يخصّ العنوان البيت الأخير؛ فإنّه يدلّ على معرفته بالله تعالى، وأنّه واحد لا ندّ له، ومعرفته بما عليه النصارى في الواقع الخارجيّ؛ إذ جعلوا لله ندّاً من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فلهذا نهاهم عن جعل الندّ لله تعالى، ودعاهم إلى الإسلام فهو طريق الحقّ، وطريق الحقّ لا ظلّمة فيه، فهل يتعقل العاقل أن يدعو أبو طالب عليه السلام غيره لترك الأنداد ونبذها ثمّ هو يتخذ الأصنام أندادا؟! والحال أنّه يؤكّد نهيهم بأنّ طريق الحقّ ليس بمظلم، فهو واضح البرهان ساطع البيان.

وقال عليه السلام:

يقولون لي دع نصر من جاء بالهدى      وغالب لنا غلاب كلّ مغالبٍ  
وسلّم إلينا أحمداً واكفلنّ لنا      بنياً ولا تحفل بقول المعاتبِ  
فقلت لهم الله ربّي وناصري      على كلّ باغٍ من لوي بن غالبِ  
دعنا نتوقف قليلاً مع هذه الأبيات لنشاهد مقطعاً من مقاطع تاريخ

الإسلام في بداية نشأته، تدور أحداثه بين طرفين:

الطرف الأول: جماعة من الشخصيات الكبرى في قريش.

الطرف الثاني: أبو طالب ﷺ وحده، فنذكر به جدّه الخليل ﷺ؛ حيث قال

تعالى عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

دار في هذا المقطع الحوار التالي:

الطرف الأول يضع أطروحته بين يدي الطرف الثاني، وهي تشتمل على:

١- دع نصر من جاء بالهدى.

٢- غالب لنا غلاب كل مغالب.

٣- سلم إلينا أحمدًا.

فيجيبهم الطرف الثاني: الله ربّي وناصري...

نلاحظ أنّ أبا طالب ﷺ أغلق الباب في وجوههم؛ فإنّ أقصى ما يريدون

فعله - في حال عدم استجابته لهم - أن يبارزوه بالقتال، وكأني بأنفاسه

الطاهرة تقول: (حيّ هلا)؛ فإنّه يحمل قلباً لا يعرف الخوف، ومن ورائه قوّة

عظيمة لا تقهر: (الله ربّي وناصري).

فلا تحفى على المشاهد للحوار، والقارئ لما دار، أمور تشعّ كشمس

الصيف، يصرّح أبو طالب ﷺ بالاعتقاد بها، فهو يصرّح بعقيدته في الله تعالى:

(الله ربّي)، مقالة الأنبياء والمرسلين: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ ۝١١﴾  
 فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١١﴾، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ  
 آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾.

وفيها يظهر معرفته به تعالى بأنّه (غلاب كلّ مغالب)، فهي معرفة بقدره  
 الله وقوته المطلقتين.

وقوله: (فقلت لهم الله ربّي وناصري)، معرفة واضحة بمن يملك زمام  
 الأمور حقيقة، ومن ناصيته بيده، وهو الربّ المدبّر للأموال والمتصرّف فيها،  
 (الله ربّي)، وأنّه الناصر الذي يلجأ إليه من لا ملجأ له، ويكفي من استند في  
 أموره إليه ممّا يخاف ويحذر، وفي ذلك دلالة واضحة على التسليم المطلق بالله  
 تعالى، فيوكل أمره إليه، وهو الذي سينصره على كلّ باغٍ وطاغٍ.

ولا يخفى على القارئ اللبيب براعة الاستهلال، وجمال الابتداء، ولطف  
 الإشارة عندما صاغ طلبهم بقوله: (دع نصر من جاء بالهدى)، فهو من أوّل  
 الأمر، وقبل أن يذكر جوابه لهم يصف طلبهم بأنّه طلب ترك نصر من جاء  
 بالهدى! فهو يزيح الستار عن اعتقاده بأنّ النبيّ محمدًا ﷺ جاء بالهدى، ولا  
 يكون ذلك إلّا بمعرفة الهدى وأنّ مصدره هو الهادي، وفي المقابل يكون

(١) سورة الشورى: ١٠-١١.

(٢) سورة هود: ٥٦.

طلبهم ضلالاً جاء من أهل الضلال، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وهي  
المخاصمة الأزلية الأبدية بين أتباع الهدى، وأتباع الضلال.

ومن شعره عندما ردَّ قريشاً حينما أرادت أن تعطيه عمارة بن الوليد بن  
المغيرة يربيه ويعطيهم النبي محمداً ﷺ ليقتلوه:

وما ذاك إلا سؤدد خصصنا به      إله العباد وأصطفانا له الفخرُ  
فالسؤدد الذي ناله بنو هاشم ممّا خصّهم الله تعالى به، وبعنوان (إله  
العباد)، فلا ألوهية إلا له تعالى، ولا تدبير إلا منه تعالى.  
وقال فيها:

فوالله لا تنفك منا عداوةٌ      ولا منهم ما دام من نسلنا شفرُ  
فهو يحلف هنا بالله تعالى، وكما قلنا سابقاً ونكرر بأنّه ليس كغيره من  
جاهلية قريش الذين يحلفون باللات والعزى.

وفي البيت معنى آخر سنذكره في اطلاعه على الغيب.

وقال لرسول الله ﷺ لما أخافته قريش:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم      حتى أوسد في التراب دفيناً  
فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة      فكفى بنا دنياً لديك وديناً<sup>(٢)</sup>

(١) سورة النمل: ٤٥.

(٢) الديوان: ٨٧.

وقوله:

أفيقوا بني غالب وانتهوا      عن البغي في بعض ذا المنطق  
وإلا فيأتي -إذن- خائف      بوائق في داركم تلتقي  
تكون لغيركم عبرة      وربّ المغارب والمشرق<sup>(١)</sup>

فصريح كلامه وقسمه برّب المغارب والمشرق علامة إيمانه ومعرفته؛ أمّا الإيذان فواضح؛ حيث أقسم برّب الأرباب، وأمّا المعرفة فيدلّ عليها اختياره لرّب المغارب والمشرق في مقام الوعظ والإرشاد بأن لا تصيبهم بائقة جرّاء بغيهم؛ فإنّ الرّبّ بمعنى المالك المتصرّف، أو بمعنى المدبّر للأمر، فالباغون هم تحت قدرته وسلطنته، وهو لا يرضى بالبغي فاحذروه حتى لا يقلب الأمر عليكم وتصيبكم بائقة تنزل في داركم.

ومن جهة أخرى تكشف الآيات عن أنّ أبا طالب عليه السلام على علم بأنّ من آثار البغي نزول البائقة على الباغي، ولا سيّما ما يرتبط بأمر الأنبياء وشؤونهم مع أقوامهم؛ فإنّ الذي يظهر من الآيات أنّ السنّة الإلهية جرت على ابتلاء أقوام الأنبياء بأنواع البلايا بعد الإنكار والجحود، ولعلّه لتستيقظ عقولهم، وترعوي نفوسهم، وليكون ذلك عبرة لغيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ سُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ

فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿١٠١﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَّاءِ لَعَالَهُمْ يُصْرَعُونَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا  
وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٣﴾، وقال  
سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَالَهُمْ  
يَدْكُرُونَ ﴿١٠٤﴾، وقال ﷺ: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا  
عِهْدَ عِنْدَكَ لِئِن كَشَفْتَعْنَا عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾  
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٠٦﴾ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ  
فَأَعْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِعَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٠٧﴾.

فهذه السنة الإلهية حاضرة في قوله ﷺ:

وإلا فيائي - إذن - حائف      بوائق في داركم تلتقي

تكون لغيركم عبرة      وربّ المغارب والمشرق

ومن شعره ﷺ قوله:

وما ذنب من يدعو إلى الله وحده      ودينٍ قديمٍ أهله غير خيب<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الأعراف: ٩٠ - ٩١.

(٢) سورة الأعراف: ٩٤ - ٩٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٣٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٣٤ - ١٣٦.

(٥) الديوان: ٩٥.

فأبو طالب ﷺ هنا ينكر على المشركين في استفهامه الإنكاريّ عليهم، فما هو الذنب الذي ارتكبه من يدعو إلى الله وحده، ونبذ الأصنام، ويدعو إلى الدين القديم، أو القويم؟!!

فمعرفة وإيمانه بهذه الحقيقة المطلقة هي التي دعت أن يستنكر ما قام به المشركون.

وقد علّق محقق الديوان على قوله: (قديم) بقوله: «كذا في الأصل، وأراد بالقدم هنا أنه دين الله الذي أنزله على رسله كافة، وهو التوحيد، ولعلّه قويم»، وما أفاده حسن.

ثمّ أشار لما جرى في الصحيفة وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله؛ ولكن للمناسبة نذكر ما يرتبط بموضوع العنوان:

محا الله منها كفرهم وعقوقهم      وما نقموا من صادق القول منجِبِ  
وفيها يقول:

وينصّره الله الذي هو ربّه      بأهل العقير أو بسكّن يثربِ  
فلا والذي يحدي له كلّ مرتِمِ      طليح بجنبي نخلة فالمحصّبِ  
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن      لنحلف بطلاً بالعتيق المحجّبِ<sup>(١)</sup>

فأبو طالب ﷺ - هنا - وبكل وضوح، وبحسب ما أخبره ابن أخيه النبيّ

محمد ﷺ يؤمن بما جرى على الصحيفة وأن الله تعالى محا منها كل عقوق وكفر، فلا ينسب المحو إلا إليه تعالى (محا الله)، ثم يخبر عن إمداد النبي ﷺ بنصر الله بأهل العقير أو بسكان يثرب، وهذه نقطة مهمة سنشير إليها في الإنبياء الغيبية، ثم يقسم يميناً صادقاً غير كاذب، ولم تكن من عادته أن يحلف باطلاً، فتلاحظ أن قسمه بالله تعالى، والتجائه إليه تعالى، وثقته به تعالى، فذكر الله تعالى على لسانه وفي قلبه، فلو قرأ هذه المقطوعة أو القصيدة قارئ خالي الذهن عن معرفة شاعرهما، وسئل عن عقيدة قائلها، هل تراه يقول: رجل مشرك؟! أو شاعر غير مؤمن؟!

حاشا لله أن يقول ذلك عاقل، أو يتفوه به فاضل؛ بل ولا جاهل.

وهو عندما مدح قومه قال:

الحمد لله الذي قد شرفنا قومي وأعلاهم معاً وغطرفا

فتراه ينسب تشريف قومه وإعلائهم على غيرهم إلى الله تعالى، ويحمده

على ذلك، فهو الذي أعطاهم هذه المنزلة الرفيعة في نفوس الناس، فهم سلالة

إبراهيم الخليل ﷺ وأولاد إسماعيل الذبيح ﷺ.

## ٢- المعاد :

إنَّ الإيمان بالمعاد كما اتضح في التمهيد من العلامات الفارقة بين المسلم

والكافر، ويتميّز بها من آمن بالرسول ﷺ أو بإحدى الرسالات الإلهية عن

غيره من أهل الجاهلية والمشركين، الذين كانوا ينكرون المعاد، ويسخفون من يقول به، ويتعجبون من القول بإعادة الميت بعد أن صار رمّة وتراباً، ولا سيّما مشركي قريش؛ فإنّهم كانوا يعترضون على النبي ﷺ في القول بالمعاد، كما مرّت الآية وسبب نزولها، وقال تعالى أيضاً: ﴿لَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ﴿٢﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ﴿٣﴾.

ولكنّا إذا يممنا صوب أبي طالب ﷺ نراه يصرّح بأنّ الإله الذي لا شريك له هو المبدئ وهو المعيد، فهو يؤمن بهذين القطبين المتلازمين: المبدأ والمعاد، فهو في النقطة المقابلة لموقف مشركي قريش، وإنّه منهم لعلّ طرف النقيض. قال أبو طالب ﷺ:

ملك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدي المعيد  
وقال أيضاً للوفود التي عزّته بفقد أبيه عبد المطلب ﷺ، من وجوه قيس، وهذيل، وأسد ومن دانا هم من مضر:

«صدقت أقوالكم، وعدلت شهاداتكم، والرزية وإن جلت وعمت فإنّ  
إلى الله الرجعى، وهو الحيّ الذي لا يموت، وما سواه ميت.

طوبى لمن كان في الحياة حسن العمل، وفي دهره قصير الأمل، ويكون

بدله خير بدل»<sup>(١)</sup>.

ثم أنشأ يقول:

أتيتم فعزيتم على هُلك سيّد  
قضى نحبه والدائرات تدورُ

(١) الديوان: ١٤٨ - ١٤٩، تحقيق العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين، ولا بأس بذكر ما ذكره الوفود في المناسبة:

«... وسار وجوه قيس وهذيل وأسد ومن داناهم من مضر، حتى أتوا قبر عبد المطلب فأقاموا عليه أياماً، ونحروا مطاياهم، وحلفوا أن لا يدخلوا مكة إلا حفاة حسراً. وجاءوا أبا طالب يعزّونه، فتكلّم وافد هذيل فقال:

أبا طالب؛ هدمتنا مصيبتك، وهدّتنا رزيتك، خطب لعمرى عظيم، ومصابنا بأبيك جسيم، مات ربيع الناس، وعمود الباس، ذو الوجه الأغرّ، ملكَ فقدر، وولّدَ فأكثر، فأعظم الله أجرك، وجبر كسرك، فأنت خير خلف من أكرم سلف.

ثم تكلم وفد هوازن فقال: أبا طالب، موت أبي الحارث حمل ثقيل، وخطب جليل، كان شفيعاً لمن شفع، (أي: شفيعاً لمن طلب إليه الشفاعة)، وعزاً لمن شسع (أي: بعد عن قبيلته وموطن عزه)، لا تخمد ناره، ولا يخاف جاره، وأنت بعده تمنع فقده، وتثبت عقده. ثم تكلم من بعده وافد غطفان فقال: أبا طالب، وترنا الزمان، واجتاحنا الحدثان، في السيد الأبلج، والملك المتوجّج، علم الجود إذ ملك، وفقد المجد إذ هلك، ونعم الثمرة أنت من تلك الشجرة.

ثم تكلم وافد بني أسد فقال: أبا طالب، أعزز بفقد أبي الحارث علينا، ساقى الحجيج بالحرم، ومعدن الكرم، عاش محموداً، ومات مفقوداً، فمصيبته عظيمة، ورزيتة جسيمة، وأنت وارث الجود، ومحلّ الوفود، وإنما تلد الأسود الأسود.

ثم تكلم أبو عقيل (كذا والظاهر وافد عقيل) فقال: أبا طالب: أكبر المصائب مصيبتك، وأكبر الخلف أنت، فنسأل الله لك التصبر والنصرة، وأن يجبر بخلافتك الكسر، ويرفع بك للعرب الذكر، ثم أنشأ شعراً، ثم تكلم أبو طالب ﷺ بما نقلناه في المتن.

فبَلَّغْتُمْ ما تَأْمَلُونَ بِغِبْطَةٍ وَصَرْتُمْ إِلى رَبِّ إِليه نَصيرُ  
إلى آخر الأبيات....

وفي هذا النثر والشعر تصريح واضح بالمعاد والرجوع إلى ربّ العباد سبحانه وتعالى، وأنه تعالى الحيّ الذي لا يموت، وإنّه على ثقة تامّة، وإيمان راسخ بالمصير إليه تعالى، (فإنّ إلى الله الرجعى)، (فصرتم إلى ربّ إليه نصير). وقال أيضاً وهو يدعو ابن أخيه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لنصرة النبيّ ﷺ:

شرف القيامة والمعاد بنصره      وبعاجل الدنيا تحوز السؤددا  
أكرم بمن يفضي إليه بأمره      نفساً إذا عدّ النفوسُ ومحتدا  
وخلائقاً شرفت بمجد نصابه      يكفيك منه اليوم ما ترجو غدا

فها هو يصرح باسم القيامة، والمعاد، ويؤمن بأنّه يوم الحساب، ويوم الثواب؛ ولهذا اعتبر نصرته النبيّ ﷺ في هذا العالم شرفاً للناصر يوم القيامة، كما أنّ حظه من الدنيا السيادة والسؤدد.

ومن جملة ما يدلّ على إقراره بالمعاد ما قاله لقريش في مناسبة الصحيفة الآتي ذكرها:

ألم تعلموا أنّ القطيعة مائّم      وأمرٌ تلاقيتم به غيرُ حازم  
فإنّ سبيل الرشد يعرف في غدٍ      وإنّ نعيمَ اليوم ليس بدائم  
وفي ذلك يقول السيّد فخار رحمه الله: «فقوله: وإنّ سبيل الرشد يعرف في غد،

يريد يوم القيامة، وقوله: (وإنَّ نعيم اليوم ليس بدائم)، يريد نعيم الدنيا ليس بدائم، ونعيم الآخرة دائم.

وهذا إذا تأمله منصف رآه إقراراً صريحاً من أبي طالب ﷺ بجميع ما جاء به النبي ﷺ من القيامة، والبعث والنشور، والثواب، والعقاب، وغير ذلك من أمور الآخرة، ألا ترى إلى قوله: (إنَّ القطيعة مَأْتَم)، والإثم هو ما يجازى عليه في الآخرة.

وبعد أن ساق قصة أمية بن خلف الجمحيّ لما جاء إلى النبي ﷺ بعظم نخر فسحقه في وجهه، وقال: أنت تزعم يا محمد أنّ هذا العظم يعود حياً! تكذيباً لما جاء به الرسول ﷺ... إلخ.

قال: وأبو طالب ﷺ قد صرّح في هذه الأبيات وغيرها بالإقرار بالبعث بخلاف ما عند القوم<sup>(١)</sup>.

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ١٩٩.

## الفصل الثالث: النبي والنبوة

**معرفة أبي طالب بلزوم أن يكون للأنبياء دليل على نبوتهم :**

إنَّ أمر النبوة من الأمور الخطيرة المهمة، ولهذا تشرَّب إليها الأعناق ويدَّعيها الكثير، فلا بدَّ أن يكون النبي الحقيقي مؤيداً بأمر غيبي يعجز عنه سائر الناس، وهي المعجزة التي تجري على يديه، لكيلا تكون شرعة لكلِّ وارد، فيدَّعيها من هبَّ ودبَّ، فهذا لا يبعث نبي من الأنبياء إلا ويكون مؤيداً بمعجزة تدلُّ على نبوته.

ومن هنا نلاحظ أن أبا طالب عليه السلام سأل ابن أخيه النبي محمد عليه السلام عن المعجزة التي تؤيد دعواه بالنبوة، ونفس السؤال من أبي طالب عليه السلام يدلُّ على معرفته بما جرت عليه سنة الله مع الأنبياء والمرسلين في العهود السابقة، من التأييد بالمعجزة.

كما يدلُّ سؤاله أيضاً على أنه لا يعمل إلا على طبق الدليل والبرهان، فهو حينما يؤمن فإنه يؤمن عن دليل؛ ففي رواية الشيخ الصدوق في أماليه بسنده

عن عبد الله بن عباس، «عن أبيه قال: قال أبو طالب لرسول الله ﷺ: يا ابن أخ، الله أرسلك؟

قال: نعم.

قال: فأرني آية.

قال: ادع لي تلك الشجرة، فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم انصرفت.

فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق، يا علي صل جناح ابن عمك<sup>(١)</sup>.

والملاحظ:

أولاً: سؤاله: (الله أرسلك؟)؛ يدل على معرفته بأن النبوة لا تكون إلا من الله تعالى.

وثانياً: إن طلبه الآية التي تدل على نبوته من الله تعالى دليل على معرفته بأن لكل نبيّ دليلاً يدل على صدق دعواه.

وثالثاً: أنه ﷺ بمجرد أن سمع الدعوى، ورأى الآية آمن بالنبي ﷺ، وشهد له بالصدق، ولو كان مشركاً ولا يعرف ما جرت عليه الأمور لعاند وكايد، وحاجج ولا جج، كما فعل غيره من مشركي قريش.

رابعاً: إن قوله: (إنك لصادق) عقيب حصول الآية مباشرة دليل على أنه

كان يطلب الحقَّ للحقِّ، ويستفهم من أجل المعرفة، لا لأجل اللجاج.

خامساً: إنَّ أمره لابنه باتباع ابن عمِّه دليل آخر على الاقتناع التام بما جاء به ابن أخيه؛ إذ كيف يسلم فلذة كبده - وهو لا زال يافعاً - لمن لا يرى صدقه في دعوى خطيرة وكبيرة مثل دعوى النبوة.

بل ربّما يكون هذا السؤال من أبي طالب ﷺ كان لإقامة الحجّة على قريش بثبوت دعوى ابن أخيه ﷺ، نظير قول النبيّ إبراهيم ﷺ وفعله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْتَمِدُ الْإِنْسَانُ عَلَى آفَاتِهِ إِذَا ضَلَّ السَّبِيلَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

فإنَّ النبيّ إبراهيم ﷺ كان يعرف الله تعالى ربّه حقَّ المعرفة، ولم يكن جاهلاً بهذه الحقيقة في يوم من أيام عمره المبارك؛ ولكنه أراد أن يبيّن لمن يعبد الكواكب أنّها غير صالحة للعبادة، وغير قادرة على بقاء نفسها مستقرّة بوضع؛ بل هي متبدّلة من حال إلى حال، وأنَّ الربَّ الحقيقيّ هو القائم عليها والمدبّر لأمرها، والمغيّر لأحوالها.

وأبو طالب ﷺ يعرف صدق النبيّ ﷺ في دعواه من قبل بعثته؛ ولكنه

أراد من النبي ﷺ أن يقيم البرهان الحسي على دعواه ليراه المشركون، فعسى أن يشرق النور إلى قلوبهم، والهدى إلى عقولهم، فتدركهم الرحمة، ولكن فيهم من طبع على قلبه وسمعته وبصره.

### معرفة بمنزلة الرسول ﷺ :

ومن المناسب أن نفتح هذا العنوان بما رواه الشيخ الصدوق (رحمه الله) في كتابه كمال الدين تحت عنوان: (باب في خبر عبد المطلب وأبي طالب):  
 «وكان عبد المطلب وأبو طالب من أعراف العلماء وأعلمهم بشأن النبي ﷺ وكانا يكتهان ذلك عن الجهال وأهل الكفر والضلال.

عن ابن عباس قال: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، لا يجلس عليه أحد إلا هو؛ إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب، فكان رسول الله ﷺ يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش، فيعظم ذلك على أعمامه، ويأخذونه ليؤخروه، فيقول لهم عبد المطلب - إذا رأى ذلك منهم -:

دعوا ابني فوالله إن له لشأناً عظيماً، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيّدكم، إني أرى غرّة غرّة تسود الناس، ثمّ يحمله فيجلسه معه، ويمسح ظهره، ويقبله ويقول: ما رأيت قبلة أطيّب منه، ولا أظهر قطّ، ولا جسداً أليّن منه، ولا أطيّب منه.

ثم يلتفت إلى أبي طالب - وذلك أنَّ عبد الله وأبا طالب لأُمَّ واحدة -  
 فيقول: يا أبا طالب إنَّ لهذا الغلام لشأنًا عظيمًا فاحفظه، واستمسك به؛ فإنه  
 فرد وحيد، وكن له كالأمِّ، لا يصل إليه بشيء يكرهه.

ثمَّ يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً، فكان عبد المطلب قد علم أنه يكره  
 اللات والعزى، فلا يدخله عليهما.

فلما تمت له ست سنين ماتت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت  
 قدمت به على أخواله من بني عدي، فبقي رسول الله ﷺ يتيمًا لا أب له ولا  
 أم، فازداد عبد المطلب له رقة وحفظاً، وكانت هذه حاله حتى أدركت عبد  
 المطلب الوفاة، فبعث إلى أبي طالب ومحمد على صدره، وهو في غمرات  
 الموت، وهو يبكي ويلتفت إلى أبي طالب ويقول:

يا أبا طالب انظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه،  
 ولا ذاق شفقة أمه، انظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبذك؛ فإنني  
 قد تركت بني كلهم وأوصيتك به؛ لأنك من أم أبيه.

يا أبا طالب، إن أدركت أيامه فاعلم أنني كنت من أبصر الناس، وأعلم  
 الناس به؛ فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك؛ فإنه  
 والله سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي.

يا أبا طالب ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه، ولا أمه

على حال أمه، فاحفظه لوحده، هل قبلت وصيتي فيه؟

فقال: نعم، قد قبلت، والله عليّ بذلك شهيد.

فقال عبد المطلب: فمُدَّ يدك إليّ، فمدَّ يده إليه، فضرب يده على يده، ثمَّ قال عبد المطلب: الآن خفف عليّ الموت، ثمَّ لم يزل يقبله، ويقول: أشهد أنّي لم أقبل أحداً من ولدي أطيب ریحاً منك، ولا أحسن وجهاً منك، ويتمنى أن يكون قد بقي حتى يدرك زمانه، فمات عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، فضمّه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار، وكان ينام معه حتى لا يأتمن عليه أحداً<sup>(١)</sup>.

فالملاحظ هنا أن عبد المطلب بعد أن شرح أحوال النبي ﷺ وما سيؤول إليه أمره في المستقبل القريب طلب من أبي طالب ﷺ أن يتولّى حمايته وأن يحافظ عليه، ثمَّ سأله: هل تقبل وصيتي فيه؟ فقبلها منه بكلِّ رحابة صدر، واطمئنان بال، وأشهد الله على نفسه، ممّا يعني إيمانها بالله الواحد الأحد، ونعم الشاهد والشهيد، ثمَّ وفي بما تعهّد، فبذل غاية جهده في حمايته ونصرته، حتى كانت قريش كآفة عن إلحاق الضرر بالنبي ﷺ ما دام أبو طالب حياً.

وفي المناقب قال أبو طالب ﷺ:

لا توصني بلازم وواجبٍ  
إني سمعت أعجب العجائبِ

(١) كمال الدين: ١٧١.

من كلِّ حَبْرٍ عالمٍ وكاتبٍ      بَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلُ الرَّاهِبِ<sup>(١)</sup>  
 ومن شواهد معرفته بمقام النَّبِيِّ ﷺ عند الله تعالى أمور:

### الشاهد الأول: الرسول خير الورى :

قوله ﷺ:

إذا قيل من خير هذا الورى	قبيلاً وأكرمهم أسرة
أناف بعبد مناف أبٌ	وفضله هاشم الغرة
وحلّ من المجد في هاشم	مكان النعائم والنثرة
فخير بني هاشم أحمدٌ	رسول الإله على فترة

وما قاله أبو طالب عليه السلام وإن كان شعراً، إلا أنه يتضمن برهاناً، ونتيجته أن

خير الورى هو النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لأنَّه خير بني هاشم، وبنو هاشم هم خير بني عبد مناف، وعبد مناف هم خير الورى، وهو الرسول الذي جاء على فترة من الرسل.

وقد علّق السيد فخار رحمه الله على هذه الأبيات بقوله: «هذا القول منه ﷺ

مطابق لقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ

الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup> فإن لم يكن في قوله شهادة منه بالنبوة، فليس في ظاهر الآية شهادة،

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣٤/١.

(٢) سورة المائدة: ١٩.

وفي هذا لمن أعتقده غاية الضلال، وعظيم الوبال»<sup>(١)</sup>.

### الشاهد الثاني: محمد الموحى إليه :

قوله في رده على قريش، ويصف فيها النبي ﷺ ويبيّن منزلته ومكانته:

أخلمت بأننا مُسْلِمُونَ محمداً	ولما نقاذف دونه بالمراجم
أميناً حبيباً في البلاد مسوماً	بخاتم ربّ قاهرٍ للخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبه	وما جاهل في فضله مثل عالم
نبيّاً أتاه الوحي من عند ربّه	فمن قال لا يقرع بها سنّ نادم
تطيف به جرثومة هاشميّة	تذيب عنه كلّ باغ وظالم <sup>(٢)</sup>

ولنا في هذه الأبيات كلمة، فهي تكشف عن اعتقاد أبي طالب ﷺ في النبي

محمد ﷺ بعدة أمور:

١- محمد هو الأمين الحبيب في البلاد، ومن كلمة (في البلاد) نعرف أنّ

أمانته ﷺ أمر معروف في أوساطهم، ولا شك أنّ اتصافه بهذه الصفة أمر مشهور في التاريخ؛ ولكنّ الذي يضاف أمر محبوبيته ﷺ، فإنّ من الواضح من هذا التعبير أنّها لم تكن مقتصرة على أبي طالب، ولا على قريش خاصّة، بل عمّت البلاد، وهو أمر يوافق الفطرة السليمة؛ فإنّ من يرى الجمال والكمال يعشقهما، وقد تجسّدا في النبي محمد ﷺ من قبل بعثته، في منظره

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٨٣.

(٢) إيمان أبي طالب: ٣٢، والديوان: ٢٢٤.

ومخبره، وظاهره وباطنه، وفي حركاته وسكناته، وفي أفعاله وأقواله، وفي سمته ووقاره، في تجارته ومعاملاته.

والذي يستظهره ثاقب الفكر أن قريش إنما امتنعت من الإيمان به - وهو المحبوب عندهم؛ بناء على ما ذكرناه - إنما كان بسبب الطغمة المتجبرة المتحكّمة في البلاد والعباد، صاحبة القوّة والعتاد والمال والاقتصاد، ولا شك أن شيوخ القبيلة والإقطاعيين من الناس بيدهم بوصلة العامّة والفقراء عامّة، الواقعين تحت رحمتهم حتى ولو لم يكونوا على رأيهم، ولو قدر وترك هؤلاء الجبابرة الناس وشأنهم لآمن أكثر الناس في السنة الأولى من البعثة.

٢- أن النبي ﷺ مسومٌ بخاتم ربّ قاهرٍ للخواتم، فيظهر منه أنّه يعرف أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء.

٣- أن النبي ﷺ مثل ما يقال عن البديهيّات: (أنّ قياساتها معها)، لا يحتاج إلى إقامة الدليل فهو (يرى الناس برهاناً عليه وهيبةً)، فمتى ما رآه الرائي عرف أنّه نبيّ متّصل بالعالم العلويّ.

٤- تصريح واضح لا سترة فيه: (نبيّاً أتاه الوحي من عند ربّه).

### الشاهد الثالث: جاء بالحقّ الجليّ :

لقد كرّر أبو طالب ﷺ في شعره ما تمنّيه قريش لأنفسهم، من تخليّ أبي طالب عن الرسول ﷺ، وتسليمه لهم لقتله، وجابّة هذه الأمنيات الوهيّة

بالردّ الصارم الحاسم مع بيان منزلة الرسول ﷺ من الله تعالى، وبيان منزلته عند عشيرته وبني أبيه، فيقول في بعضها<sup>(١)</sup>:

يقولون: إنّنا سوف نُسلم أحمداً  
وقد جاء بالحقّ الجليّ وبيّنتُ  
رسائل من ذي قوّة يصطفي بها  
فإنّ تقبلوا ما جاء من عند ربّكم  
يكنّ ذلكم خيراً لكم من جزائنا  
وإلاّ فلسنا مُسلمين محمداً  
له رحم فينا يعزّ جوارها  
وجرثومة<sup>(٢)</sup> من هاشم عرفت لها

بقول سفيهٍ أو إشارة عاتبٍ  
رسائل صدق وحيها غير كاذبٍ  
عباداً ذوي حقّ على الله واجبٍ  
إليكم وقول المرسلين الأطائبِ  
وشرّ حلال الحرب شرّ الأقاربِ<sup>(٣)</sup>  
لكم ما غدتْ عيسٌ ذمّولٌ براكبِ<sup>(٤)</sup>  
ومن دونه ضرب الطلّي والحواجبِ  
كرامٍ مساعيها لويّ بن غالبِ

فليمعن الناظر في أوصاف الرسول ﷺ بهذه المعاني الجليلة:

١- جاء بالحقّ الجليّ.

٢- رسائله رسائله الصدق.

٣- رسائله وحي غير كاذب.

٤- رسائله من الله ذي القوّة المتين.

(١) الديوان: ٢٣١.

(٢) الحلال: المركب أو متاع الرجل.

(٣) الذمّول: الناقة التي تسير سيراً سريعاً ليناً.

(٤) الجرثومة: الأصل.

٥- إنَّ الله تعالى يصطفي لرسائله عبداً خاصين.

٦- وصفه لهؤلاء العباد بذوي حقّ على الله واجب.

وكلّ هذه المعاني لا يقول بها إلا من طاف في آفاق المعرفة فعرف الرسول والمرسل والرسالة معرفةً علياً.

### الشاهد الرابع: فداء أبي طالب للنبيّ :

يقول في قصيدة عصماء قرعت سمع قريش ولا زالت ترنّ في دهاليز التاريخ وفضائه<sup>(١)</sup>:

بقتل محمد والأمر زورُ	أيأمر جمعهم أفناءً فهري
وأطلقَ عقْلُ حربٍ لا تبورُ	ألا ضلّت حلومهم جميعاً
وما ذاكم رضئ لي أن تبوروا	أترضى منكم الحلماء هذا
وأبيض ماؤه غدقٌ كثيرُ	بنيّ أخي ونوط القلب مني
وأحمد قد تضمّنه القبورُ	وتشرب بعده الشبان رياً
وما منّا الضراعة والفتورُ	وكيف يكون ذاكم من قريشٍ
أبيّ أمركم عنه نفورُ	فإمّا تفعلوه فإنّ قلبي
لئن هدّرتَ لذلك الهدورُ	عليّ دماء بُذنٍ عاطلات <sup>(٢)</sup>

(١) الديوان: ٢٤٣ - ٣٤٤.

(٢) في هامش الديوان صفحة ٢٤٣: كذا في الأصل، ومثله في البحار، والوارد في المعجمات (العَطَلات): بمعنى الحسان أو الغزار جمع عَطَلَة، وربّما كان (عيطلات) إن صحّ هذا الجمع لـ (عَيْطَل): وهي الناقة الطويلة في حسن منظر وسمن.

وفيهما:

مجمعة الصفوف أسودُ فهِرٍ      وكان النقع فوقهم يشورُ  
 كأنَّ الأفق محفوف بنايرٍ      وحول النار آسأدُ تزيُرُ  
 بمعترك المنايا في مَكْرٍ      تخال دماءها قِدرًا تفورُ

إلى أن قال:

فلا تحفل لقليلهم فيني      وما حلت لكعبته النذورُ  
 وقِيّ دون نفسك إن أرادوا      بك الدهياء أو سالت بحورُ

والوقاء والفداء لا يكون إلا مع اعتقاد خاص بالمفدى، فكيف إذا كان  
 الفادي شيخاً جليلاً وزعيماً كبيراً وكان من حقّه أن يفديه الآخرون؟

### الشاهد الخامس: الاستشفاء بالنبيّ:

١- ما رواه الراوندي رحمه الله:

«أنَّ أبا طالب مرض، فدخل عليه رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخ، ادعُ  
 ربك الذي تعبدّه أن يعافيني.

فقال النبيّ ﷺ: اللهم اشفِ عمي.

فقام فكأنّها أنشط من عقال»<sup>(١)</sup>.

٢- ما رواه البلاذريّ في أنساب الأشراف:

(١) الخرائج والجرائح: ٤٩/١.

«عن الأعمش عن أبي صالح قال: لما مرض أبو طالب قيل له: لو أرسلت إلى ابن أخيك فأتاك بعنقود من جنته لعله يشفيك؟!»

فأتاه الرسول بذلك وأبو بكر عنده، فقال له أبو بكر: إن الله، حرّمها (كذا) على الكافرين.

قال: فأحسبه قال: ليس هذا جواب ابن أخي»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ المحمودي - محقق الكتاب - في الهامش ما لفظه:

«هذا الحديث أيضاً دالٌّ على إيمان أبي طالب ﷺ - مع ما في سنده من الضعف والانقطاع - سواء قلنا إن معنى قوله: (فأتاه الرسول بذلك)؛ أي أتى رسول الله ﷺ أبا طالب ﷺ بعنقود من جنته، أو إن معناه: أتى رسول أبي طالب ﷺ برسالته إلى نبي الله ﷺ في استدعائه عنقود الجنة منه ﷺ.

أمّا على الأوّل فواضح، وأمّا على المعنى الثاني؛ فلدلّالته على أنّه كان معتقداً بالجنة وأنّ الله جعل في عنقودها الشفاء، وأنّ ابن أخيه بما أنّه صادق فيما يدّعيه على الله من الرسالة، وتوحيد الله تعالى، وبما أنّه كريم ووجيه عند الله، يجيبه الله في مسألته عنقود الجنة لشفاء عمّه، وبما أنّ الرب واحد فلا مانع ولا رادّ لما يريدّه الله من إجابة رسوله.

وأمّا ما قاله بعض الحاضرين فعلى تقدير تجهيل الله ولسوله، وعلى تقدير

آخر تقدّم بين يدي الله ورسوله، وقد نهى الله عنه بقوله ﷺ: ﴿يَأْيَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقريب منه في الحديث: (٢٧٤) من باب فضائل عليّ ﷺ من كتاب الفضائل - لابن حنبل - قال بسنده: عن أنس قال:

لما مرض أبو طالب مرضه الذي مات فيه، أرسل إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ادع ربك ﷺ أن يشفيني؛ فإنّ ربك يطيعك، وابعث إليّ بقطاف من قطاف الجنة.

فأرسل إليه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «وأنت يا عمّ إن أطعت الله ﷻ أطاعك»، انتهى<sup>(٢)</sup>.

قال ابن البطريق رحمه الله: «وما ذكره ابن حنبل من كلام أبي طالب ورسالته إلى النبيّ ﷺ من قوله: (ادع ربك أن يشفيني فإنّ ربك يطيعك، وابعث إليّ بقطاف من قطاف الجنة، فأرسل إليه النبيّ ﷺ: إن أطعت الله ﷻ أطاعك) فهذه أيضاً من أدلّ دليل على إيمانه؛ لأنّه اعترف بأنّ النبيّ ﷺ له دعاء مقبول، وأنّ له ربّاً يقبل دعائه، واعترف بربه أيضاً، وأنّه يطيع نبيّه، وهذا تصديق أيضاً بما أخبر به النبيّ ﷺ أنّ الله تعالى يقبل دعائه، وتصديق بالجنة وما وعد

(١) سورة الحجرات: ١.

(٢) انتهى كلام محقق الكتاب.

فيها من النعيم من المأكل من حيث طلب قطافاً من قطاف الجنة، وأن الله تعالى هو الفاعل لذلك.

وقول النبي عليه السلام في جوابه: **إِنْ أَطَعْتَ اللَّهَ عَلَيْكَ أَطَاعَكَ**، ليس هو نهياً له عما هو عليه، ولا تركاً لإجابة دعائه؛ بل هو أمر له بطاعة الله تعالى، وإقرار له على ما هو عليه، يدلّ عليه قوله تعالى: **﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾**<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾**<sup>(٢)</sup>، وهذا خطاب من الله تعالى لكافة أهل الإسلام الذين هم على طاعة الله تعالى، وإنما خاطبهم بذلك تعالى لأن يزيدهم رغبة في طاعته، ويثبتهم على ما هم عليه من الطاعة، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب لم يكن متوجهاً إلا إلى من لم يطع الله تعالى.

وفيه أيضاً تعريض بأن النبي عليه السلام بطاعته لله تعالى أطاعه الله تعالى، وتنبية على الحث على طاعة الله بأوجز الكلام، وعلى استحقاق الجزاء عليها، ألا ترى إلى قولك لغيرك: **إِنْ تَقُمْ أَقْمِ، وَإِنْ تَطْعَنِي أَطْعَمْ، وَإِنْ تَعْصَنِي أَعْصِكْ**، لم يرد بذلك نفي الطاعة عن المقول له، وإنما أراد به ذكر استحقاق الجزاء على طاعته له وكذلك في المعصية لم يرد به إثبات المعصية من المقول له، وإنما أراد به ذكر استحقاق الجزاء على ذلك، فيكون ذلك القول ترغيباً في الطاعة

(١) سورة النور: ٥٤.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

لموضع استحقاق الجزاء عليها، وترهيباً لفعل المعصية لموضع النهي عن فعلها»<sup>(١)</sup>.

### الشاهد السادس: لا يدعو إلا إلى خير:

من جملة ما يبيّن معرفة أبي طالب ﷺ بمنزلة الرسول ﷺ ومقامه ما رواه الثعلبيّ في تفسيره من: «أنّ أبا طالب قال لعليّ: أي بني ما هذا الذي أنت عليه؟

قال: آمنت بالله ورسوله وصدّفته فيما جاء وصدّيت معه لله.

فقال له: أما أنّ محمداً لا يدعو إلا إلى خير فالزمه»<sup>(٢)</sup>.

فلاستثناء بعد النفي من أوضح دلالات الحصر، فيفيد اعتقاد أبي طالب ﷺ بانحصار دعوة النبيّ ﷺ في الخير، ولا يصدر منه ما يدعو إلى غيره؛ ولهذا أمر ابنه وفضلته كبده بأن يلزمه، وفي ذلك دلالات كثيرة، أكتفي بها ذكره ابن البطريق رحمته الله بقوله:

«ما ذكره الثعلبيّ فيدلّ أيضاً على أنّ إيمانه أجلى وأوضح من كلّ شيء، ألا ترى إلى قوله له في جواب قوله: يا أبة، آمنت بالله ورسوله وصدّفته فيما جاء به وصدّيت معه، فقال له في الجواب: أما إنّ محمداً لا يدعو إلا إلى خير

(١) العمدة لابن البطريق: ٤١٣.

(٢) تفسير الثعلبيّ: ٨٤/٥.

فألزمه، فإنّ إقراره بأنّ محمداً عليه السلام لا يدعو إلّا إلى خير مع شرح الدين الذي هو عليه، ثمّ قوله: فالزمه، من أدلّ دليل على الإقرار باتّباع الرسول؛ لأنّ الإنسان لا يختار لولده إلّا ما يرتضيه لنفسه، وربّما طلب لولده من الخير زيادة على ما يطلبه من الخير لنفسه، ولو علم أنّ النجاة في غير اتباع النبي عليه السلام، لحذّر ولده من اتّباعه، ونهاه عن ارتكاب ذلك الدين الذي ارتكبه»<sup>(١)</sup>.

### الشاهد السابع: بعض خواطره مع النبي عليه السلام :

١- في المناقب لابن شهر آشوب عن القاضي المعتمد في تفسيره: «قال أبو طالب: لقد كنت كثيراً ما أسمع منه إذا ذهب من الليل كلاماً يعجبني. وكنا لا نسمي على الطعام، ولا على الشراب حتى سمعته يقول: بسم الله الأحد، ثمّ يأكل.

فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله كثيراً، فتعجّبت منه.

وكنت ربّما أتيت غفلة فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السماء.

ثمّ لم أر منه كذبة قطّ، ولا جاهليّة قطّ، ولا رأيته يضحك في غير موضع الضحك، ولا مع الصبيان في لعب، ولا التفت إليهم، وكانت الوحدة أحبّ إليه والتواضع»<sup>(٢)</sup>.

(١) العمدة لابن البطريق: ٤١٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٥/١.

أقول: إنَّ كلَّ هذه الأمور التي ذكرها تكشف عن حصول معرفة خاصّة لأبي طالب ﷺ بالنبي ﷺ، وإعجاب بشخصيّته من لدن كان صغيراً، ومن قبل أن يبعث نبياً، فهل يعقل العاقل أن يُعرض أبو طالب ﷺ عنه ﷺ صفحاً عندما كبر وجاء بيّنات نبوّته، ومعاجز بعثته؟!

ليس على الحصيف إلّا ملاحظة حكايته التي تدلّ على التكرار والاستمرار: (وكنت ربّما أتيت غفلة فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السماء).

وكذا قوله: (ثمّ لم أر منه كذبة قطّ، ولا جاهليّة قطّ).

٢- قال السيوطيّ: «أخرج أبو نعيم من طريق ابن عون عن عمرو بن سعيد قال: جاء يهود إلى أبي طالب يشترّون منه متاعاً، فدخل عليهم النبي ﷺ وهو غلام، فلمّا بصروا به تركوا ما كانوا فيه وخرجوا هاربين!

فقال أبو طالب لرجل عنده: اذهب فعارضهم من موضع كذا وكذا، فإذا لقوك فاضرب بإحدى يديك على الأخرى، وقل: رأيت العجب كلّ العجب، وانظر ماذا يردّون عليك، فذهب ففعل.

فقال اليهود: وأيّ عجب رأيت؟ قد رأينا نحن أعجب ممّا رأيت!

قال: وأيّ شيء رأيتم؟

قالوا: رأينا الساعة محمداً يمشي على وجه الأرض»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الخبر أمور تؤخذ بعين الاعتبار:

أ- كيف عرف موضع الملاقاة وحدده له؟

ب- لماذا قال له أن يضرب إحدى يديه على الأخرى، ويخاطبهم بهذه

الكلمات؟

ج- لماذا فرّ اليهود لما رأوا النبيّ؟

د- هل رأوه يمشي على وجه الأرض، أو من فوق وجه الأرض ممّا

دعاهم أن يفروا؟

يظهر من الاستفهامين الأوّلين معرفة أبي طالب عليه السلام بأمر غيبية، وأسرار

غير ظاهرة، ويظهر من الاستفهامين الآخرين أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ظهر لهم بصورة

نورية أدخلت الرعب في قلوبهم، والفرع في نفوسهم؛ لأمر كان في نفسه صلى الله عليه وآله

أراد أن يوصله لهم.

٣- قال ابن سعد: «حدّثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، حدّثنا عبد الله بن

عوف، عن عمرو بن سعيد أنّ أبا طالب قال: كنت بذئ المجاز مع ابن أخي

-يعني النبيّ صلى الله عليه وآله- فأدركني العطش، فشكوت إليه، فقلت: يا ابن أخي، قد

عطشت، وما قلت له ذلك وأنا أرى أنّ عنده شيئاً إلّا الجزع، قال: فثنى

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٧.

وركه، ثم نزل، فقال: يا عم، أعطشت؟

قلت: نعم. فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عم.

قال: فشربت.

أخرجه ابن عساكر، وله طريق آخر أخرجه الخطيب وابن عساكر من طريق ابن جرير الطبري<sup>(١)</sup>.

٤- قال المقرئ: «وروي أن رسول الله ﷺ قال يوماً لعمه أبي طالب: إني أرى في المنام رجلاً يأتيني معه رجلان فيقولان: هو هو، وإذا بلغ فشأنك به، والرجل لا يتكلم».

فوصف أبو طالب مقالته هذه لبعض أهل العلم، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: هذه الروح الطيبة، هذا والله النبي المنتظر؟

فقال أبو طالب: فاكنتم على ابن أخي لا تغري به قومه، فوالله إن قلت ما قلت، لعلّي ما قلت، ولقد أنبأني عبد المطلب أنّه النبي المبعوث، وأمرني أن أستر ذلك؛ كيلا تغرى به الأعادي<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا التصريح من أبي طالب ﷺ، ونقله الخبر عن أبيه عبد المطلب ﷺ يعرف أن أبا طالب ﷺ كان ينتظر وقت البعثة، ويرتقب ساعة الإعلان، وإلا

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ١٢٤.

(٢) إمتاع الأسماع: ١٠١/٤.

فهو مؤمن بأن ابن أخيه هو النبي المنتظر، وآمن بنبوته قبل بعثته، وهذه المزية لم تكن لغيره.

**الشاهد الثامن: خطبة أبي طالب ﷺ في زواج النبي ﷺ:**

ومن ذلك ما في شرح نهج البلاغة:

«قالوا وخطبة النكاح مشهورة خطبها أبو طالب عند نكاح محمد ﷺ

خديجة، وهي قوله:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً - وروي محجوباً - وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه، براً وفضلاً وحزماً وعقلاً ورأياً ونبلاً، وإن كان في المال قلّ فإنما المال ظلّ زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتهم من الصداق فعليّ، وله والله بعد نبأ شائع وخطب جليل»<sup>(١)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، وعنه في البحار: ١٥٧/٣٥ - ١٥٨، ونقلها العلامة الأميني ﷺ عن مصادر كثيرة فقال: «راجع طبقات ابن سعد: ١١٣/١، تاريخ الطبري: ١٢٧/٢، أعلام الماوردي: ١١٤، الصفوة لابن الجوزي: ٢٥/١، الكامل لابن الأثير: ١٥/٢، تاريخ ابن كثير: ٢٩٤/٢، تاريخ الخميس: ٢٩٩/١، عيون الأثر: ٤٩/١، أسد الغلبة: ٤٣٥/٥، الروض الأنف: ١٢٢/١، تاريخ ابن خلدون: ١٧٢/٢، المواهب اللدنية: ٥٠/١، السيرة الحلبية: ١٤٩/١ - ١٥٠، شرح المواهب للزرقاني: ٢٠٠/١، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية: ١١٤/١».

وهذه الخطبة الجليلة - مضافاً إلى كشفها عن حقيقة الإيمان بالله الواحد الأحد، ومعرفته به وبما جاء به، مما يرتبط بالبيت الحرام بحسب ما يناسب المقام - تدلّ على عظيم معرفته بالنبيّ محمد ﷺ، فأشاد بفضلته ووصفه، وأنّه لا يوازن بفتى من قريش مهما علا شأنه إلاّ ورجح عليه في صفات الكمال: البرّ، والفضل، والحزم، والعقل، والرأي، والنبل، ثمّ أخبر بما سيؤول إليه أمره في المستقبل القريب حالفاً بالله تعالى، ممّا يدلّل على إيمانه العميق بالله، ويقينه بما سيخبر به، فقال: «وله - والله - بعدُ نبأ شائع وخطب جليل»، فكيف عرف ذلك؟ ومن الذي أخبره به - والنبيّ ﷺ لم يبعث بالنبوة بعدُ - لولا اتصاله بالغيب، وإيمانه بالخالق الواحد، ولولا أنّه من أصحاب المقامات الشاخحة في المعرفة، والقامات الباذخة في الأسرار الإلهية، والأنفس الطاهرة، والأرواح المطهرة؟!

وقد أخرجها ثقة الإسلام الكلينيّ رحمه الله في الكافي الشريف بصورة أوسع، وفيها التصريح - مع القسم الدالّ على ثبات الرأي والمعتقد والجزم بما سيحصل - بأنّ النبيّ ﷺ سيبعث بالدين، وسيشيع خبره على نحو اليقين.

«... عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله ﷺ قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش، حتى دخل على ورقة بن نوفل عمّ خديجة فابتدأ أبو طالب

بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي هذا - يعني رسول الله ﷺ - ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلداً في المال فإن المال رقد جار، وظل زائل، وله في خديجة رغبة، ولها فيه رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه، عاجله وآجله، وله وربّ هذا البيت حظّ عظيم، ودين شائع، ورأي كامل.

ثم سكت أبو طالب وتكلم عمّها وتلجلج وقصر عن جواب أبي طالب، وأدركه القطع والبُهر<sup>(١)</sup>، وكان رجلاً من القسيسين.

فقلت خديجة مبتدئة: يا عمّاه إنك وإن كنت أولى بنفسي منّي في الشهود، فلست أولى بي من نفسي، قد زوّجتك يا محمد نفسي، والمهر عليّ في مالي، فأمر عمك فلينحر ناقة، فليولم بها، وادخل على أهلك.

قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمّداً، وضمانها المهر في مالها.

فقال بعض قريش: يا عجبا! المهر على النساء للرجال!

فغضب أبو طالب غضباً شديداً، وقام على قدميه - وكان ممن يهابه

(١) البُهر بالضم: النَّفس من الإعياء.

الرجال، ويكره غضبه - فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طَلِبَتْ الرجال بأعلى الأثنان، وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يُزَوِّجوا إلا بالمهر الغالي، ونحر أبو طالب ناقة، ودخل رسول الله ﷺ بأهله...»<sup>(١)</sup>.

إنَّ في العبارات الأولى ما يدلُّ دلالة قطعِيَّة على عظمة النبي ﷺ في نفس أبي طالب ﷺ، ويكفي قوله: (ولا يُقاسُ به رَجُلٌ إِلَّا عَظْمَ عَنهُ، ولا عِدَلٌ لَهُ في الخُلُقِ)، وأبو طالب ﷺ العربيُّ الصميم يعي ما يقول عندما ترقى من قوله: (ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه) إلى قوله: (ولا عِدَلٌ لَهُ في الخُلُقِ)؛ فإنَّ هذه الجملة تدلُّ على أنَّ منزلة النبي ﷺ - وهو لم يبعث بعدُ بالنبوة - عند أبي طالب ﷺ لا تفوقها منزلة أحد من الخلق على الإطلاق، وكلمة (الخلق) مطلقة تشمل البشر والجن والملائكة، وكلَّ الخلق بجميع أصنافهم لا يدانون مرتبة النبي ﷺ ومنزلته ومكانته، وهذه هي عقيدة المسلمين صحيحي الاعتقاد في النبيِّ محمد ﷺ، فهو أفضل الخلق على الإطلاق، ولكن هل هناك من يعرفه بهذه المعرفة في تلك الأيام؟

بل نستطيع القول: إنَّ الصحابة الذين آمنوا بالنبيِّ ﷺ بعد بعثته، والذين أقروا بنبوته وبرسالته لم يكونوا يعرفون النبيِّ ﷺ بهذه المعرفة؛ بل تعاملوا معه معاملة بشر مثلهم، فيعترضون ويناقشون، ويتوقفون في أوامره، إلا

(١) الكافي - ط دار الحديث: - ٧٠٢ / ١٠.

القليل منهم، وتاريخ الدعوة الإسلامية مملوء بالشواهد على ما ذكرناه.  
ومن شواهد ذلك ما أخرجه البخاري: «عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة  
رضي الله عنه قال: خفت أزواد الناس وأملقوا، فأتوا النبي ﷺ في نحر  
إبلهم، فأذن لهم، فلقبهم عمر فأخبروه، فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم؟!  
فدخل عمر على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟  
قال رسول الله ﷺ: نادِ في الناس يأتون بفضل أزوادهم، فدعا وبرك  
عليه، ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتشى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول الله ﷺ:  
أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»<sup>(١)</sup>.

وما أخرجه مسلم في صحيحه: «عن أبي وائل قال: قام سهل بن حنيف  
يوم صفين فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم  
الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ  
وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول  
الله، ألسنا على حق، وهم على باطل؟  
قال: بلى.

قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار؟  
قال: بلى.

(١) صحيح البخاري: ١٤/٤.

قال: ففيم نعطي الدنيّة في ديننا، ونرجع ولّمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال: يا ابن الخطاب، إنّى رسول الله ولن يضيّعني الله أبداً.

قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيّظاً، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، ألسنا

على حقّ وهم على باطل؟

قال: بلى.

قال: أليس قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: فعلام نعطي الدنيّة في ديننا ونرجع ولّمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال: يا ابن الخطاب، إنّهُ رسول الله، ولن يضيّعه الله أبداً.

قال: فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إيّاه.

فقال: يا رسول الله أو فتح هو؟

قال: نعم، فطابت نفسه<sup>(١)</sup>.

وعيون الأثر لابن سيّد الناس: «وروى أنّ بعض من كان مع النبيّ ﷺ

قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله أنّك تدخل مكة آمناً؟

قال: بلى، أفقلت لكم من عامي هذا؟

(١) صحيح مسلم: ١٧٥/٥.

قالوا: لا.

قال: فهو كما قال جبريل عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً: «قال ابن عقبة: وأقبل رسول الله عليه السلام من الحديبية راجعاً، فقال رجل من أصحاب رسول الله عليه السلام: ما هذا بفتح، لقد صدّونا عن البيت وصدّ هدينا.

وردّ رسول الله عليه السلام رجلين من المسلمين كانا خرجا إليه، فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام قول أولئك، فقال: بئس الكلام؛ بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبون إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا، وأظفركم الله عليهم، وردّكم الله سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتوح...»<sup>(٢)</sup>.

ومثله في الكشاف<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا المقدار من الشواهد كفاية.

ثمّ لا يخفى لطف جواب أبي طالب عليه السلام على اعتراض بعض قريش؛ فإنّ قوله: (إِذَا كَانُوا مِثْلَ ابْنِ أَخِي هَذَا طَلِبَتِ الرَّجَالُ بِأَعْلَى الْأَثْمَانِ وَأَعْظَمِ الْمُهْرِ،

(١) عيون الأثر: ٢/ ١٢٣.

(٢) عيون الأثر: ٢/ ١٢٥.

(٣) تفسير الكشاف: ٣/ ٥٤١.

وإِذَا كَانُوا أَمْثَالِكُمْ لَمْ يُزَوَّجُوا إِلَّا بِالْمَهْرِ الْعَالِيِ)، يدلّ دلالة واضحة على معرفته بمنزلة النبي ﷺ وعلو مقامه، ويعرف ما يتحلّى به من جميل الخصال والصفات، وأنّه لا يقاس بأحد من قريش، ولا تصحّ المقارنة بينه وبين سائر الرجال، فكلُّ له حكمه الخاصّ به بما يحمل من مؤهلات.

**الشاهد التاسع: شعره وفعله مع قريش لما أفسدوا على النبيّ صلّاته :**

في البحار - بحذف السند -:

«وأخبرني عبد الحميد بن التقيّ رحمه الله بإسناده إلى الأصبع بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: مرّ رسول الله ﷺ بنفر من قريش - وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمّونها الفهيرة ويجعلونها على النصب - فلم يسلمّ عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمرّ بنا يتيماً أبي طالب ولم يسلمّ! فأيكّم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟

فقال عبد الله ابن الزبعرى السهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فأنتهى به إلى النبيّ ﷺ وهو ساجد فملاً به ثيابه، فانصرف النبيّ ﷺ حتى أتى عمّه أبا طالب، فقال: يا عمّ من أنا؟

فقال: ولمّ يا ابن أخ؟! فقصّ عليه القصة.

فقال: وأين تركتهم؟

فقال: بالأبطح.

فنادى في قومه: يا آل عبد المطلب، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف، فأقبلوا إليه من كل مكان مليّين، فقال: كم أنتم؟ فقالوا: نحن أربعون.

قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم، وانطلق بهم حتى انتهى إليهم، فلما رأت قريش أبا طالب أرادت أن تتفرق، فقال لهم: وربّ البنية لا يقوم منكم أحد إلا جلّلته بالسيف، ثمّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات فقطع منها ثلاثة أفهار<sup>(١)</sup>، ثمّ قال: يا محمد سألت: من أنت؟! ثم أنشأ يقول ويومئ بيده إلى النبيّ عليه السلام:

أنت النبيّ محمد	قرم أغرّ مسودّ
لمسودين أكارم	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها	عمرو الخضمّ الأوحد
هشم الربيقة في الجفا	ن وعيش مكّة أنكد
فجرت بذلك سنّة	فيها الخبيزة تسرد
ولنا السقاية للحجيج	بها يماث العنجد
والمأزمان وما حوت	عرفاتها والمسجد
أتى تضام ولم أمّت	وأنا الشجاع العريد

(١) الفهر: حجر رقيق.

وبطاح مَكَّة لا يُرى      فيها نجيع أسود  
وبنو أبيك كأثمهم      أسد العرين توقد  
ولقد عهدتك صادقاً      في القول لا تتزيد  
مازلت تنطق بالصواب      وأنت طفل أمرد

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟

فأشار النبي ﷺ إلى عبد الله بن الزبيري السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها، ثم أمر بالفرث والدم فأمر على رؤوس الملاء كلهم، ثم قال: يا ابن أخ أرضيت؟ ثم قال: سألت من أنت؟

أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدم ﷺ ثم قال: أنت والله أشرفهم حياً وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل، أنا الذي تعرفوني، فأنزل تعالى صدراً من سورة الأنعام: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

هنا نخشع ريشة الكاتب المبدع أمام عظمة أبي طالب ﷺ، وتنحني أقلام العالمين إجلالاً في محضر شيخ البطحاء، فأية هيبة كانت ترتدي رداًه حتى استكانت له كبرياء قريش، وجبن كبراًؤهم، فلم يهمسوا بحرف، فلا تكاد

(١) سورة الأنعام: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٧/٣٥.

تسمع لهم حسيساً إلا دقات قلوبهم المضطربة، فمرغ جباههم ولحاهم بالفرت والدم، وهم جالسون ساكتون خانعون قانعون بما يفعل بهم؛ لكي لا يأتيهم ما هو أدهى وأمرّ على قلوبهم ونفوسهم.

هنا النصر التامة، والإيمان الراسخ، والمعرفة الحقيقية بالنبي محمد ﷺ: (أنت النبي محمد، قرم) السيد العظيم، فأنت السيد على الإطلاق، وغيرك المسود لك مهما علا شأنه؛ فإنّ السيادة تحتاج إلى سيّد ومسود، وأنك من سلالة أسياد، أكارم، نجباء، طابوا في أنفسهم، وطابت ولادتهم، بعيدون عن الخنا، نسب ينتمي إلى هاشم المتوحد في سيادته، فنعم ذلك النسب، وحقّ لمن يفخر أن يفخر به، فهو الكريم في سنين العجاف، وحقّ لمن يفخر أن يفخر بمن لهم سقاية الحجيج، ولهم المأزمان، ويدهم عرفات والمسجد، ثمّ يختم خطابه بالشهادة الصادقة بصدقه في أدوار حياته، ونطقه بالصواب من أيام طفولته.

ثمّ يختم حديثه بالجواب على: (من أنا)؟ بقوله: (أنت والله أشرفهم حيّاً، وأرفعهم منصباً)، فهل بعد هذه المعرفة معرفة يستحقّ غيره أن يقاس به فيها؟!!

### الشاهد العاشر: شعره في الصحيفة :

ومن شعره الدالّ على معرفته العالية بالرسول ﷺ ومنزلته ما جاء في أمر

الصحيفة؛ فإنّ فيه:

ألا إنّ خير الناس نفساً ووالداً  
 نبّي الإله والكريم بأصله  
 جريء على جلى الخطوب كأنّه  
 من الأكرمين من لوي بن غالب  
 طويل النجاد خارج نصف ساقه  
 عظيم الرماد سيّد وابن سيّد  
 ويبنى لأبناء العشيرة صالحاً  
 ويبنى كثيراً حيث كان من العدا  
 هو القائد المهدى به كلُّ منسَـرٍ  
 إذا قال قولاً لا يعاد لقوله  
 بجيش له من هاشم يتبعونه  
 هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً  
 إذا عدّ سادات البريّة أحمد  
 وأخلاقه وهو الرشيد المؤيّد  
 شهاب بكفّي قابس يتوقّد  
 إذا سيم خسفاً وجهه يتربّد  
 على وجهه يسقى الغمام ويسعد  
 يحضّ على مقرى الضيوف ويحشدُ  
 إذا نحن طفنا في البلاد ويمهدُ  
 طلاعَ المدى لا غير ذلك يجهدُ  
 عظيم اللواء أمره الدهر يُحمّدُ  
 كوحى الكتاب في صفيح يخلد  
 يسدّدهم ربّ الورى ويؤيد  
 وسرّ إمام العالمين محمّد<sup>(١)</sup>

(١) ورد هذا الشطر في بعض مصادر العامة هكذا: (وسرّ أبو بكر بها ومحمد)، ولكن في الديوان كما ذكرناه في المتن: وسرّ إمام العالمين محمد، وهي الأوفق بالصواب؛ إذ لم يكن لأبي بكر في ذلك الوقت ما يوجب أن يذكره أبو طالب في مقام المدح؛ بل هو كسائر الناس ممّن أظهر الإسلام.

وسهل بن بيضاء قيل عنه: صحابي أسلم بمكة وأخفى إسلامه، وهو الذي مشى إلى النفر الذين قاموا في شأن الصحيفة، حتى اجتمع له منهم عدّة تبرؤوا منها وأنكروها.

تتابع فيها كل ليث كأنه إذا ما مشى في رفر الدرع أجرد  
 قضا ما قضا في ليلهم ثم أصبحوا على مهلٍ وسائر الناس رقد  
 ولا يحتاج القارئ لهذه القصيدة أن يتأمل كثيراً ليعرف اعتقاد أبي  
 طالب ﷺ في الرسول ﷺ وعلو منزلته عنده، ويظهر ذلك جلياً في جميع  
 القصيدة، ولنشر إلى ذلك في ضمن أمور:

١- يرى أبو طالب ﷺ أنه إذا قارنا النبي محمداً ﷺ بالطبقة العليا من  
 البشر -الذين عبر عنهم بسادات البرية- فهو خير منهم كلهم نفساً ووالداً.  
 ومن الواضح أن أبا طالب ﷺ يعني من لفظة (البرية) ما هي ظاهرة فيه؛  
 أي البرية على الإطلاق، بما فيهم الأنبياء والمرسلون.

٢- أنه نبي الإله، فهو يعتقد بنبوته بشكل صريح، كما صرح بذلك في  
 موارد كثيرة من شعره.

٣- الكريم بأصله، فهو من ذروة المجد من آل هاشم، معدن الكرم  
 وأصله، والكريم بأخلاقه؛ فإنه لعل خلق عظيم.

٤- الرشيد، بمعنى سليم، حكيم، صائب، فهو حكيم في قوله وفي فعله،  
 وسليم في اختياره، وصائب في تقديره، وهو المؤيد، ولا يعني بالتأييد إلا  
 التأييد من قبل الله تعالى.

٥- شجاع مقدام، لا تشبه الخطوب مع شدتها فهو جريء على جلي

الخطوب.

٦- كريم ابن الكرام، لا يتحمّل الذلّ، فيربد وجهه لو سيم خسفاً.

٧- يستسقى بوجهه الغمام، وهو معنى تكرر عند أبي طالب ﷺ في حقّ

النبيّ ﷺ، فربّما يشعر أو يستفاد تكرر حادثة الاستسقاء بوجهه الكريم ﷺ، ويؤيّد ذلك ما ذكره ابن حجر:

«قال السهيليّ: فإن قيل كيف قال أبو طالب يستسقى الغمام بوجهه ولم

يره قطّ استسقى، إنّما كان ذلك منه بعد الهجرة؟

وأجاب بما حاصله: أنّ أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب؛

حيث استسقى لقريش والنبيّ ﷺ معه غلام، انتهى.

ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك؛ لما رأى من مخايل ذلك فيه وإنّ

لم يشاهد وقوعه، وسيأتي في الكلام على حديث ابن مسعود ما يشعر بأنّ

سؤال أبي سفيان للنبيّ ﷺ في الاستسقاء وقع بمكة.

وذكر ابن التين: أنّ في شعر أبي طالب هذا دلالة على أنّه كان يعرف نبوّة

النبيّ ﷺ قبل أن يبعث؛ لما أخبره به بحيرة أو غيره من شأنه.

وفيه نظر؛ لما تقدم عن ابن إسحاق أنّ إنشاء أبي طالب لهذا الشعر كان

بعد المبعث، ومعرفة أبي طالب بنبوّة رسول الله ﷺ جاءت في كثير من

الأخبار، وتمسّك بها الشيعة في أنّه كان مسلماً.

ورأيت لعلي بن حمزة البصريّ جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب وزعم في أوّله أنّه كان مسلماً، وأنّه مات على الإسلام، وأنّ الحشويّة تزعم أنّه مات على الكفر وأنّهم لذلك يستجيزون لعنه...»<sup>(١)</sup>.

وقد نقل العينيّ ما ذكره ابن التين، ونقل ما قيل فيه من النظر ثمّ قال:

«قلت: في هذا النظرِ نظر؛ لأنّه لما علم أنّ نبيّ بأخبار بحيراء وغيره أنشد

هذا الشعر؛ بناء على ما علمه من ذلك قبل أن يبعث عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

٨- جواد بالغ الكرم؛ بحيث يحضُّ على مقررى الضيوف، ويدعو بشدّة

للحضور فيه، كما نستفيده من كلمة (ويحشد).

٩- مسعاه وعمله البناء الصالح لأبناء العشيرة، ويظهر أنّ هذا الأمر قد

انتشر في القبائل، وعرف في سائر الأماكن؛ بحيث يفخر كلّ قرشيّ بما

عندهم إذا طافوا في البلاد، (إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد).

١٠- أنّ الرسول عليه السلام كبير حتى في عيون أعدائه؛ فإنّه طلاع المدى؛ أي

ملء المدى، وهي كلمة تأخذ بخيالك إلى حيث يتّسع المدى، ولا أحد يشهد

له بغير ذلك.

١١- يرى بأنّ من صفات الرسول عليه السلام أنّه القائد الذي تهتدي به كلّ فرقة

(١) فتح الباري: ٤١٢/٢.

(٢) عمدة القاري: ٣٠ / ٧.

من الجيش، فهو الموجّه والمرشد والهادي لها، تستنير برأيه، وتهتدي بإرشاده، وتأتمر بأمره، عظيم اللواء، وهو محمود أبد الدهر:

هو القائد المَهْدَى به كُلُّ مَنْسَرٍ عظيم اللواء أمره الدهر يُحْمَدُ<sup>(١)</sup>

١٢- كلامه في قومه هو فصل الخطاب، ويتلقاه الجميع تلقي القبول بلا

تفكير، وينقش في قلوبهم وعقولهم نقش وحي الكتاب في الصفيح، فمعناه أنَّ له هيمنة على النفوس بحيث لا تنزل كلمته عندهم:

إذا قال قولاً لا يعاد لقوله كوحي الكتاب في صفيح يخلد

والتشبيه بوحي الكتاب فيه دلالة على أنَّ إيمانه بالكتاب وبما فيه مفروغ

عنه، وأنَّ ما فيه ثابت لا يتغيّر ولا يتبدّل.

١٣- أنَّه ﷺ وأتباعه من بني هاشم مسدّدون ومؤيّدون من ربّ الورى،

وهذا بدوره كاشف واضح عن إيمانه المسبق برّب الورى:

بجيش له من هاشم يتبعونه يسدّدهم ربّ الورى ويؤيد

وما ينبغي ملاحظته في هذا البيت وفي غيره أنَّ أبا طالب ﷺ دائماً ما يكرّر

(١) ورد في السيرة:

ألظُّ بهذا الصلح كل مبرأ عظيم اللواء أمره ثم يحمّد

والمنسّر: القطعة من الجيش، ولعلّها تطلق على مقدّمة الجيش؛ حيث يستظهر ذلك من كلمة

منسر، التي هي من الطيور الجارحة بمثابة المنقار من عامّة الطيور.

ألظُّ: ألحّ ولزم.

في شعره وفي نثره ألفاظ العبوديّة لله تعالى، والإقرار بالربوبية له، ممّا لا يدع للشاكّ في شكّه مجالاً أنّه يؤمن بالله الواحد الأحد، وهو الربّ المدبّر للكون، فالتسديد والتأييد لجيش النبيّ ﷺ هو من ربّ الورى.

١٤- ثمّ يصعد بمعرفته العالية ليقول:

(وسرّ إمام العالمين محمد)، فالعالمين صيغة جمع محلاة بالألف واللام، يندرج تحتها الإنس والجنّ والملائكة، ويندرج تحتها الأنبياء والمرسلون والشهداء والصدّيقون وأولو العزم من الرسل، وإمامهم كلّهم هو نبيّنا محمد ﷺ، فهذه هي المعرفة التي لم تخطر على خيال بشر ممّن عاصر الرسول ﷺ؛ بل حتى ممّن آمن به ﷺ من الصحابة في ذلك الوقت المبكّر من فجر الإسلام.

هذه هي المعرفة التي ملأت جوانح أبي طالب ﷺ، وهذا هو الاعتقاد الذي يكنّه سيد البطحاء ﷺ لابن أخيه النبيّ ﷺ، فهو يراه مجمعاً للكمالات وخصال الخير، وجامعاً لكلّ صفات النبل والكرم، وآته مرتبط بالله سبحانه، ومؤيّد من قبله تعالى.

وإذا لاحظنا أنّ القائل زعيم مكة، وسيّد قريش، ذو الشيبة البهيّة التي تجاوزت الثمانين عاماً، وأنّ المدوح - وهو النبيّ ﷺ - يصغره سنّاً، وأنّه ابن أخيه الذي تربّى في حجره صغيراً، وأحاطه كبيراً، نعرف أنّ هذا الاعتقاد

والاعتراف وإظهاره أمام الملأ ما كان ليحصل، ولا يصدر من زعيم أعظم قبيلة لولا اعتقاده في ابن أخيه بالارتباط الإلهي، والجانب الغيبي، الذي صرح به بقوله: (نبي الإله والكريم بأصله).

وليس لكونه ﷺ مجرد بشر من سائر الناس؛ ولكنه امتاز عنهم بمزايا خاصة؛ فإن ذلك لا يستدعي أن يصدر كل ذلك من زعيم بحجم أبي طالب ﷺ، وهو من هو في العلو والرفعة والجاه حسباً ونسباً وكماً، فالمنصف لعقله لا يختار إلا أنه ممن عرف النبي ﷺ حق معرفته، وآمن به وبرسالته.

#### الشاهد الحادي عشر: المصطفى من عبد مناف :

يقول السيد فخار بن معد: «وأخبرني شيخنا أبو عبد الله ﷺ بإسناده إلى أبي الفرج الأصفهاني يرفعه قال: لما رأى أبو طالب من قومه ما يسره من جلدتهم معه وحبهم عليه مدحهم وذكر قديمهم وذكر النبي ﷺ فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر	فبعد مناف سرها وصميمها
وإن حصّلت أشراف كل قبيلة	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً	هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنّا قديماً لا نقرّ ظلاماً	إذا ما ثنوا صعر الحدود نقيمها» <sup>(١)</sup>

في هذا التسلسل المنطقي يفصح أبو طالب ﷺ عن سر شرف قريش وبني

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٩٣، الديوان: ١١٣.

هاشم، ومرجعه الحقيقي إلى وجود الرسول عليه السلام فيها، فإذا اجتمعت قريش التي تفتخر على سائر قبائل العرب، ففرع عبد مناف هو سرّها وصميمها، وإذا حضرت أشراف عبد مناف، فأشرفها فرع هاشم، وما يرفع مقامهم ويعلي شأنهم أن فيهم نبيّ الله أعني محمداً، وهو المصطفى من بينهم، فيكون المصطفى من سائر الخلق، وهو كريمها لاجتماع المكارم في ذاته.

قال السهيليّ في الروض الأنف:

«إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرّها وصميمها

قوله: سرّها، أي: وسطها، وسرّ الوادي وسرّارته: وسطه، وقد تقدّم متى يكون الوسط مدحاً، وأنّ ذلك في موضعين: في وصف الشهود، وفي النسب، وبيننا السرّ في ذلك.

وقال في القصيدة: ونضرب عن أحجارها من يرومها.

أي: ندفع عن حصونها ومعقلها، وإن كانت الرواية: أبحارها بتقديم الجيم، فهو جمع جحر والجحر هنا مستعار، وإنّما يريد عن بيوتها ومساكنها<sup>(١)</sup>.

إشارة إلى البيت الوارد فيها:

ونحمي حماها كلّ يوم كريمة ونضرب عن أحجارها من يرومها

(١) الروض الأنف : ١١/٢.

## الشاهد الثاني عشر: أبو طالب يعبر عن النبي ﷺ بسيدي :

في قصة الإنذار يوم الدار ساحة كبيرة للكلام، ومساحة واسعة للبحث، وفيها مطالب لا تخفى على ذوي الأفهام، غير أن ما يخصنا في المقام كلام أبي طالب ﷺ حين ردّ على اعتراض أبي لهب على النبي ﷺ في اليوم الآخر:

«...قال: فأقبلوا إليه فلما أكلوا وشربوا قام رسول الله ﷺ ليتكلّم

فاعترضه أبو لهب لعنه الله، قال: فقال له أبو طالب ﷺ: اسكت يا أعور، ما أنت وهذا؟!!

قال: ثمّ قال أبو طالب ﷺ: لا يقومنّ أحد.

قال: فجلسوا، ثمّ قال للنبي ﷺ: قم يا سيدي فتكلّم بما تحبّ، وبلغ

رسالة ربك فإنك الصادق المصدّق»<sup>(١)</sup>.

في هذا الخبر:

أولاً: بيان السبب في عدم خروج بني عبد المطلب قبل أن يتكلّم النبي ﷺ.

(١) قال السيد ابن طاووس ﷺ: قال عبد المحمود: ولو لم يكن لأبي طلب ﷺ إلا هذا الحديث، وأنه سبب في تمكين النبي ﷺ من تأدية رسالته وتصريحه بقوله: (وبلّغ رسالة ربك فإنك الصادق المصدّق) لكفاه شاهداً بإيمانه وعظيم حقّه على أهل الإسلام، وجلالة أمره في الدنيا ودار المقام، وما كان لنا حاجة إلى إيراد حديث سواه، وإنما نورد الأحاديث استظهاراً في الحجّة لما ذكرناه.

في المرّة الأخيرة بخلاف المرّات السابقة؛ فإنّ السبب هو أمر أبي طالب ﷺ لهم بالجلوس، ولا بدّ من امتثال أمره؛ فهو السيّد المطاع فيهم، وقد أخفي هذا السبب في روايات العامّة؛ ولكن ذكر هذا الخطاب بهذه الكلمة غير واحد من أئمّة اللغة العربيّة ونسبوها إلى أبي طالب ﷺ كما سيأتي في الفصل الخاصّ بنقل استشهادهم بكلامه.

ثانياً: قول أبي طالب ﷺ للنبيّ ﷺ: (يا سيدي)؛ فإنّ هذا التعبير الصادر من الشيخ الطاعن في السنّ، وزعيم مكّة الكبير، وشيخ البطحاء المبجل لابن أخيه الشاب، الذي تربّى في أحضانه، ونشأ في كنفه، لا يكون صادراً عن محض محبة؛ بل لا يكون إلّا من أجل اعتقاد غيبيّ في هذا الشاب الكريم، ولهذا أردف كلامه بقوله: (وبلّغ رسالة ربّك...).

وثالثاً: قول أبي طالب ﷺ لابن أخيه: (وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق) قبل أن ينطق بها سيؤدّيه تحمل عدّة دلالات:

أ- أنّه مؤمن بالله تعالى ربّ محمّد قبل أن يقوم النبيّ ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين.

ب- إنّ أبا طالب ﷺ على علم تامّ برسالة النبيّ ﷺ ونبوّته، وأنّه مرسل من قبل الله تعالى قبل واقعة الإنذار، وحادثه يوم الدار.

ج- إنّ أبا طالب كان على علم بأنّ موعد البعثة وتبليغ الدعوة قد حان

وقته من قبل أن يبوح النبي ﷺ بدعوته لعشيرته الأقربين.

د- إنَّ أبا طالب يعرف النبي ﷺ بصدقه، وأنَّه الصادق، وهذا ما يعرفه الجميع؛ حيث عُرف النبي ﷺ بذلك في أوساط مكَّة من قبل البعثة؛ ولكنَّه يزيد على غيره بمعرفته أنَّه المصدِّق، سواء أكان من طرفه، أم من طرف الله تعالى؛ فلهذا تفاعل مع دعوته، وألقى إليه قياد نصرته، وآمن به سرّاً، وأمر أولاده بالإيمان به جهراً.

ورابعاً: إنَّ أبا طالب ﷺ قد تلقَّى نبأ وصاية ابنه وخلافته للنبي ﷺ بكلِّ أريحية وإيمان، فلم يبال بما قاله القوم بعد ذلك وهم يسخرون ويضحكون؛ فإنَّ في ذيل الحديث كما نقله الكثير، ومنهم الطبري في تاريخه:

«...وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأَيْكم يوازرنى على هذا الأمر

على أن يكون أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت - وإني لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم

عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحشمهم ساقاً-: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي، ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا

له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع

لابنك وتطيع»<sup>(١)</sup>.

وهذا هو الآخر الذي ينبئ عن اعتقاد أبي طالب عليه السلام بحركة الرسالة الإلهية، وأنها تسير في ضمن مخطط إلهي، يكون فيها لكل واحد دور يقوم به، ووظيفة يؤديها، وأن دور أبي طالب عليه السلام فيها هو دور الناصر والحامي والمدافع والحافظ لبذرتها؛ لكيلا تُؤاد الرسالة في مهدها، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي<sup>(٢)</sup>:

ولولا أبو طالب وابنه	لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى	وهذا بيثرب جسّ الحماما
تكفل عبد مناف بأمرٍ	وأودى فكان عليّ تماماً
فقل في ثبير مضى بعدما	قضى ما قضاه وأبقى شاما
فله ذا فاتحاً للهدى	ولله ذا للمعالي ختاماً
وما ضرَّ مجدَّ أبي طالب	جهولٌ لغاؤ أو بصير تعامى
كما لا يضـرّ إياة <sup>(٣)</sup> الصبا	ح من ظنّ ضوء النهار الظلاما

**الشاهد الثالث عشر: أبو طالب يصف النبي عليه السلام بأوصاف العظمة :**

«في البحار: ومن ذلك ما رواه بإسناده في كتاب اسمه (نهاية الطلب

(١) تاريخ الطبري: ٦٣ / ٢، الكامل في التاريخ: ٦٣ / ٢، وغيرهما.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨٤ / ١٤.

(٣) إياة الصباح: ضوءه، وأصله في الشمس.

وغاية السؤال في مناقب آل الرسول) رجل من علمائهم وفقهائهم حنبليّ المذهب اسمه: إبراهيم بن علي بن محمد الدينوريّ يرفعه إلى الحسن بن علي بن أبي عبد الله الأزديّ الفقيه، قال: -بعد حذف السند- عن طاوس، عن ابن عباس - والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة يقول فيه -: إنَّ النبيّ ﷺ قال للعبّاس: إنَّ الله قد أمرني بإظهار أمري وقد أنبأني فما عندك؟

فقال له العباس: يا ابن أخي تعلم أن قريشاً أشدَّ الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة، كانت الطامة الطمء والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس واحد، وانتسفونا نفساً صلتاً، ولكن قرّب إلى عمك أبي طالب؛ فإنّه كان أكبر أعمامك، إن لا ينصرک لا يخذلك ولا يسلمك.

فأتياه فلمّا رأهما أبو طالب قال: إنَّ لكما لظنة وخبراً، ما جاء بكما في هذا الوقت؟

فعرّفه العباس ما قال له النبيّ ﷺ وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب ﷺ وقال له: اخرج ابن أخي فإنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد، والله لتذلنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إنَّ من صلبني لنبياً لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فأمنت به، فمن

أدرکه من ولدي فليؤمن به»<sup>(١)</sup>.

في البدء يستوقف القارئ الفرق الكبير بين موقف العباس وموقف أبي طالب عليه السلام؛ فيظهر من الأوّل الخوف والهيبة من إبراز هذا الأمر، بعكس ما يظهر من الثاني، فلقد تلقى الخبر بكلّ فرح وسرور؛ بل كان ينتظره منذ زمن بعيد؛ حيث نقل ما قاله أبوه عبد المطلب عليه السلام، ولم يكن ينقل إلا عن الكتب السماويّة، فلقد كان يقرأها جميعاً (ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً)، وهو الذي بشر بالنبويّ من ولده: (إنّ من صلبني لنبياً لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فأمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به)، فهو يعلم أنّه لم يدرك زمانه وكان يتمنّاه، فيحثّ ولده للإيمان به، فأبو طالب عليه السلام كان ينتظر هذا الخبر السارّ، وهذه الساعة، ولهذا لم يتلكأ ولم يتردّد، ولم يستمهل النبيّ صلى الله عليه وآله للتفكير والتأمّل؛ بل مباشرة قال له: (اخرج ابن أخي)، ووصفه بصفات العظمة في نفسه وفي قومه: (فإنّك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً)، وأبدى استعداداه لنصرته بلسانه وبيده، وصدّر قوله بالقسم بالله تعالى الذي لا يقسم أبو طالب عليه السلام بغيره؛ لإيمانه به دون سواه: (والله لا يسلكك لسان إلاّ سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد)، ولقد وفي بما وعد وتعهّد.

ثمّ تراه يرمق المستقبل من وراء الغيب، ويقرأ ما ستؤول إليه الدعوة

(١) بحار الأنوار: ١٤٧/٣٥ - ١٤٨.

المباركة، مصدرراً كلامه بالقسم بالله تعالى أيضاً، دليلاً على يقينه بنبوته، وجزمه بقبول دعوته، وقطعه بانتشارها: (والله لتذلن لك العرب ذل البهم لحاضنها).

فهل يعرف أحد أحداً من الجاهلية يحمل هذه المعرفة التامة بالنبى ﷺ ونبوته، من قبل بيان دعوته؟!

ابحث فلن تجده في ذلك الوقت غير أبي طالب ﷺ.

### الشاهد الرابع عشر :

من جميل شعره الذي يوثق إيمانه بنبوة النبي ﷺ من جهة، وشدة مناصرته له الكاشفة عن معرفته التامة به من جهة أخرى:

يرجون منا خطة دون نيلها	ضراب وطعن بالوشيج المقوم
يرجون أن نسخي بقتل محمد	ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كذبتهم وبيت الله حتى تفلقوا	جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليلاً	حليلاً، ويغشى محرم بعد محرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم	وغشيانكم في أمركم كل مائم
وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى	وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبوننا مسلميه فمثله	إذا كان في قوم فليس بمسلم <sup>(١)</sup>

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٢.

ففي هذه الأبيات بيان واضح وصريح بأنَّ محمداً نبيّاً، وأنّه جاء يدعو إلى الهدى، فيتشغل من يدعوهم برسالته من الضلال إلى الهدى، ومن الظلام إلى النور، فيعرف أبو طالب ﷺ الضلال الذي يعيشه قومه، ويعرف الهدى الذي جاء به النبيّ ﷺ، وليس ذلك لأنّه بشر يفوق غيره في الذكاء والفكر وإن كان هو ﷺ كذلك؛ ولكنّ هذه الدعوة بأمر أتاه من ذي العرش، فمن يكون في قوم وهو يحمل هذا المشعل المضيء، من الطبيعيّ أن لا يسلمه قومه للعدو الغارق في الضلال والظلام ليقنته.

فبالإضافة - إلى معرفته بنبوّة النبيّ ﷺ، ودعوته إلى الهدى، وأنّه أتى بأمر من ذي العرش، ومعرفته بالعرش وربّ العرش ومقامه، وكلّ ذلك علائم الإيذان - معرفته بمنزلة النبيّ ﷺ في نفسها وعندهم، وعبر عن ذلك بتعبير كنائيّ بليغ: (ومثله، إذا كان في قوم فليس بمُسلّم)، فمن يحمل هذه الخصال الجميلة، وتلك الصفات الحميدة التي كانت متجسّدة في النبيّ محمد ﷺ لو كانت في أيّ رجل عند أيّ قوم لم يسلمه قومه إلى أحد ليؤذوه فضلاً عن أن يقتلوه؛ بل سيحامون عنه ويذودون عنه كلّ ظالم، وختم قوله بعبارة نختصرها بقولنا: لقد أعذر من أنذر:

فهذي معاذير مقدّمة لكم لئلا يكون الحرب قبل التقدّم

فقدّم معاذيره لهم لكي لا يتفاجئوا بإثارة الحرب لو ركبهم حماقة في حقّ

النبيّ محمد ﷺ، والعزم والإقدام على حرب شعواء مع بني قومه وأهل

جلدته في سبيل رجل واحد كاشفٌ عن معرفته بمقامه الشامخ الذي لا يوزن به أحد.

### الشاهد الخامس عشر :

أبو طالب يعق عن النبي ﷺ ويبين سبب تسميته بأحمد:

«عن أبي السائب، عن أبي عبد الله، عن أبيه ﷺ قال: عَقَّ أبو طالب عن

رسول الله ﷺ يوم السابع ودعا آل أبي طالب فقالوا: ما هذه؟

فقال: عقيقة أحمد.

قالوا: لأي شيء سمّيته أحمد؟

قال: سمّيته أحمد لمحمدة أهل السماء والأرض»<sup>(١)</sup>.

أقول: وهذه الرواية واضحة الدلالة على معرفة أبي طالب ﷺ بالنبي ﷺ.

من أول أمره معرفة عالية؛ فإنَّ تسمية أبي طالب ﷺ للنبي ﷺ بأحمد كانت

لمحمدة أهل السماء والأرض، فإذا هو يعرف بمحمدة أهل السماء للنبي ﷺ؛

أي بشنائهم عليه، وهو لا زال طفلاً صغيراً ذا أيام سبعة، فمن أين له خبر

السماء لو لم يكن على اتصال برّبها؟!

ليس ذلك من الإخبار بالمغيّبات، التي لا يناها إلا ذو حظّ عظيم؟

كما أنه يعرف بحقيقة هذا المولود المبارك وهو في مهده، وما له من منزلة

عند الله تعالى .

واللافت للأمر والانتباه اختياره للعقيقة في اليوم السابع الذي جرت على استحبابها شريعة الإسلام؛ فإنه يعني أن أبا طالب عليه السلام على دراية تامة بالعمل المستحب عند الله تعالى، وما يكون ذلك بحسب المتبادر إلا من أجل تعبده بشريعة جدّه النبي إبراهيم عليه السلام، أو لإلهام من قبل الله تعالى.

وهنا نقطة أخرى في الرواية تسترعي الانتباه، وهي أن العقيقة والتسمية كانت من أبي طالب عليه السلام مع وجود عبد المطلب عليه السلام شيخ قريش وسيدها، وهو جدّ النبي محمد عليه السلام، وهو في كنفه، فما هو السرّ في ذلك؟

لعلّ العقل يقف عن تفسير ذلك ما لم يطلع على رواية تدلّ عليه؛ ولكنه لا يقف في استفادة الشأن الكبير لأبي طالب عليه السلام في حياة أبيه عليه السلام، وجعل زمام الأمور أو بعضها بيده.

### الشاهد السادس عشر: وصف النبي عليه السلام في وصية أبي طالب عليه السلام :

قال أبو طالب عليه السلام في جملة ما قال في وصيته قبل موته التي رواها الفريقان: «وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: لما حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم، فقال: يا معشر قريش... إلى أن قال:

وإنّي أوصيكم بمحمّد خيراً؛ فإنه الأمير في قريش، والصدّيق في العرب، وهو جامع لهذه الخصال التي أوصيكم بها، وقد جاءكم بأمرٍ، قبله الجنان،

وأنكره اللسان؛ مخافة الشنآن.

وأيُّ الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل العزّ في الأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤوس قريش وصناديدها أذناً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم لديه، قد محضته العرب ودادها، وصفت له بلادها، وأعطته قيادها.

فدونكم يا معاشر قريش ابن أبيكم وأمكم، كونوا له ولاية، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلاّ رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلاّ سعد، ولو كان لنفسي مدّة، وفي أجلي تأخير لكفيته الكوافي، ولدفعت عنه الدواهي، غير أنّي أشهد شهادته وأعظم مقالته»<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب الروض الأنف: «وحكي عن هشام بن السائب أو ابنه أنّه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم، إلى أن قال: وإني أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنّه الأمين في قريش، والصدّيق في العرب.. إلخ»<sup>(٢)</sup>.

(١) روضة الواعظين: ١٣٩/١ - ١٤٠.

(٢) الروض الأنف: ١٧١/٢، سبل الهدى والرشاد: ٤٢٩/٢.

وقد امتلأت هذه الوصية بالمعارف العليا، والإيمان الصادق بالنبِيِّ محمد عليه السلام وما جاء به من عند ربِّه وبصفاته الكمالية، وأنَّ الرشد في اتِّباعه، والهلاك في مخالفته.

وفي السيرة الحلبية بعد أن ساق الوصية المذكورة قال في آخرها:

«وفي لفظ آخر أنه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ ابن سعد «عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري: ثم إنَّ أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال:

لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا»<sup>(٢)</sup>.

والذي يبدو أنَّها وصية أخرى؛ أي أنَّ الوصية الأولى لقريش عامَّة، والوصية الثانية لخصوص بني عبد المطلب؛ فإنَّ في هذه: (دعا بني عبد المطلب)، وفي تلك: (جمع وجوه قريش).

### الشاهد السابع عشر: الصادق الأمين :

إنَّ أبا طالب عليه السلام تکرَّر منه تصريحه بإيمانه بصدق النبيِّ عليه السلام، وإعلانه به

(١) السيرة الحلبية: ٢ / ٥٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ١ / ١٢٣.

أمام الملأ، وتصريجه بأنه عليه السلام لم يكذب قطّ، ولقد خاطب قريش في بعض شكواهم من الرسول عليه السلام: «والله ما كذّبنا ابن أخي قطّ فارجعوا»<sup>(١)</sup>.

وقال كما في مجمع الزوائد: «فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قطّ، ارجعوا راشدين.

رواه الطبراني في الأوسط والكبير إلى قوله: وأبو يعلى باختصار يسير من أوّله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح»<sup>(٢)</sup>.

فيصرّح بمعرفته بصدقه في طول حياته، ويقسم بالله تعالى لبيان عدم كذبه قطّ؛ تأكيداً منه على هذه الصفة، وتصريجه بذلك إيمان منه بصدقه أيضاً في دعوى النبوة، فيأمر قريش بالانصراف.

وقال في قضية الصحيفة مخاطباً إخوته: «لا والثواقب ما كذّبني»<sup>(٣)</sup>. وفي القضية نفسها قال: «إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذّبني - إن الله بريء من هذه الصحيفة»<sup>(٤)</sup>.

وفي البحار - بعد حذف السند-: «سمعت المهاجر مولى بني نوفل يقول:

(١) تاريخ الإسلام: ١٤٩/١، سيرة ابن إسحاق: ١٣٦/٢، البداية والنهاية: ١٠٦/٣.

(٢) مجمع الزوائد: ١٥/٦.

(٣) تاريخ الإسلام: ٢٢٢/١، البداية والنهاية: ١٠٦/٣.

(٤) تاريخ الإسلام: ٢٢٢/١، البداية والنهاية: ١٠٦/٣.

سمعت أبا طالب بن عبد المطلب يقول: حدّثني محمد عليه السلام أنّ ربّه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبد الله وحده، ولا يعبد معه غيره، ومحمّد عندي الصادق الأمين<sup>(١)</sup>.

ومن حسن البلاغة ذكر الدعوى ودليل التصديق، فهو يخبر بما جاء به النبي عليه السلام، ثمّ يقرّر بأنّ محمداً عندي الصادق الأمين، ولا يعني إلاّ أنّه مصدّق بما جاء به، ومؤمن بما ذكر.

وفي الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب عليه السلام بحذف السند: «قال السبيعيّ: لما فقدت قريش رسول الله عليه السلام في القبائل بالموسم وزعموا أنّه ساحر قال أبو طالب عليه السلام:

زعمت قريش أنّ أحمد ساحرٌ      كذبوا وربّ الراقصات إلى الحرم  
ما زلت أعرفه بصدق حديثه      وهو الأمين على الحرائب والحرم<sup>(٢)</sup>

وفي هذين البيتين ما يردّ به على مشركي قريش الذين اتّهموا الرسول عليه السلام بالسحر، حينما أعتيهم الحيلة ولم يتمكّنوا من إيقافه عن عمله، ولم يتمكّنوا من إيقاف من أسلم منهم عن إسلامه، فيأتيهم الردّ الصاعق من أبي طالب عليه السلام: (كذبوا وربّ الراقصات إلى الحرم).

(١) بحار الأنوار: ١٢٥/٣٥.

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٧٩، بحار الأنوار: ١٢٣/٣٥.

فإنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ تربَّى في أحضان أبي طالب ﷺ، وهو يعرفه من أوائل نشأته بصدق حديثه، وهو معروف بالأمانة في الأمور التي تنزلق فيها النفوس، فهو في غيرها من باب أولى.

وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب:

«عن أبي أيوب الأنصاري في قضية مع النبي ﷺ عندما وقف في سوق المجاز يدعو الناس إلى الله تعالى، إلى أن قال:

واستقبل النبيَّ أبو طالب فاكتنفه، وأقبل على أبي هب والعباس، فقال لهما: ما تريدان تربت أيديكما؟! والله إنَّه لصادق القيل، ثمَّ أنشأ أبو طالب:

أنت الأمين أمين الله لا كذبُ      والصادق القول لا هو ولا لعبُ  
أنت الرسول رسول الله نعلمه      عليك تنزل من ذي العزة الكتبُ»<sup>(١)</sup>

ففي هذين البيتين يقرّر بأنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ:

١- الأمين.

٢- أمين الله.

٣- الصادق.

٤- لا لعب في ساحته ولا هو.

٥- أنه رسول الله.

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥١.

٦- إنَّ كونه ﷺ رسول الله حاصل لأبي طالب عليه السلام عن علم ومعرفة.

٧- أنَّ الكتب تنزل إليه من الله تعالى.

٨- الإيذان بالله تعالى وأتته ذو العزة الذي أرسل النبي محمداً ﷺ، وأنزل عليه الكتب.

وقد ضمّنت السيّدة الزهراء عليها السلام الشطر الأخير في الأبيات التي أنشدتها في رثاء النبي ﷺ، فقالت:

وكنت بدرأ ونوراً يستضاء به      عليك تنزل من ذي العزة الكتب<sup>(١)</sup>  
وفي دلائل الإمامة:

قد كنت للخلق نوراً يستضاء به      عليك تنزل من ذي العزة الكتب<sup>(٢)</sup>

**ما كلفتهم شططاً :**

ومما يدخل في باب التصديق، أو يلحق به، ما علّق به أبو طالب عليه السلام على ما جرى بين أشياخ قريش والنبي ﷺ في آخر ساعات أبي طالب عليه السلام في هذه الحياة الدنيا، فقد روى ابن إسحاق - كما نقله غير واحد من المؤرخين عنه - بالسند عن ابن عباس، قال:

«مشوا إلى أبي طالب فكلموه، وهم أشرف قومه: عتبة بن ربيعة، وشيبة

(١) شرح الأخبار: ٤٠٣.

(٢) دلائل الإمامة: ١١٨.

بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرفهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه، فخذ له منا، وخذ لنا منه، ليكفّ عنا، ونكفّ عنه، وليدعنا وديننا، وندعه ودينه، فبعث إليه أبو طالب، فجاءه.

فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشرف قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم؛ كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم.

قال: فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات.

قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه.

قال: فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرك لعجب!

قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه.

قال: ثم تفرقوا. فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يا بن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً...<sup>(١)</sup>.

(١) البداية والنهاية: ١٥١/٣، السيرة النبوية: ٢٨٣/٢.

فما طلبه الرسول ﷺ من قريش أن يقولوا: لا إله إلا الله، وأن يخلعوا ما يعبدون من دونه، وعلّق عليه أبو طالب عليه السلام بأنّ ما طلبه الرسول ﷺ ليس شططاً، فلا صعوبة ولا جور فيه عليهم، وهذا تصديق واضح لقول النبي ﷺ.

ثمّ إنّّه في هذه الرواية اعتراف بصدور هذه الكلمة من أبي طالب عليه السلام، وقد ختم بها حياته المباركة؛ فإنّ ذيل الرواية:

«قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه، فجعل يقول له: أي عمّ، فأنت فقلها أستحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة.

قال: فلمّا رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السبّة عليك، وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنّ قريش أنّي قتلها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلاّ لأسرك بها.

قال: فلمّا تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرك شفّتيه، قال: فأصغى إليه بأذنه، قال: فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع».

قال نجم الدين العسكري رحمته الله نقلاً عن السيد ابن دحلان في (أسنى المطالب الصفحة ٢٩ طبع طهران) فقال ما هذا نصّ ألفاظه:

«قال: قد مرّ أنّه - أي أبو طالب - نطق بالوحدانيّة، وبحقيقة الرسالة،

وتصديق النبي ﷺ في أشعاره، وإنما طلب النبي ﷺ ذلك منه عند وفاته ليحوز الإيمان (عند) الوفاة أيضاً.

إلى أن قال: «وإنما امتنع أبو طالب ﷺ من النطق به -أي: بلفظ الشهادتين- خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت، والخوف من الموت عندهم عار -أي: عند العرب- وقد كانوا عريقين في السيادة والمفاخرة بحيث لا يرضون أن ينسب إليهم أقل قليل مما يخالفهما -عقول ذلك العصر- فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عظيماً، وذلك عذر، وهذا بحسب الظاهر للأمر، وأمّا في باطن الأمر، فالسبب الحقيقي في عدم نطقه ﷺ بحضور القوم المبالغة في المحافظة على حمايته النبي ﷺ ونصرته؛ لعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا أنه أتبع النبي ﷺ لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم؛ بل يخفرون ذمته، ويتتهكون حرمة، ويبالغون في إيذاء النبي ﷺ وقد كان أبو طالب حريصاً على أن يكون أمر النبي ﷺ في دعوته الخلق إلى الله تعالى باقياً بعد موته، فلذلك كان محافظاً على بقاء حرمة في قلوب قريش، فلو نطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه فإنه يفوت غرضه، من كمال النصر والحماية».

ثم قال العسكري رحمه الله: «قال المؤلف: ولأجل رعاية هذه النظرية لم ينطق بالشهادتين كما ذكرنا سابقاً في حضور المشركين، ولما ولّوا وبقي أبو طالب ﷺ وحده مع أخيه العباس وأولاده، والنبي ﷺ تكلم ﷺ ونطق بالشهادتين

حتى سمع ذلك منه أخوه العباس عليه السلام وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك، وقال العباس: والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقوها وهي الشهادتان<sup>(١)</sup>.

**الشاهد الثامن عشر: مواقف أبي طالب في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وبين صفاته :**  
وقد ملأ شعره الكثير من المواقف العظيمة، وبين الصفات الحميدة، والخصال الجميلة، مما يراها أبو طالب عليه السلام في النبي صلى الله عليه وآله، ويؤمن بوجودها فيه، وتحليها بها؛ بل تحليها به، فمن ذلك:

أ- ما قاله في قصيدته اللامية العصماء:

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً

ولما نطاعن دونه ونناصل<sup>(٢)</sup>

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد إليكم

نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل<sup>(٣)</sup>

(١) أبو طالب حامي الرسول صلى الله عليه وآله وناصره: ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) قال جامع الديوان: أنشد الرواة (نناضل) من النضال بالسهم والنبل، و(نناصل) أجود الروائتين؛ أي نقاتل بالمناصل وهي السيوف.

(٣) الصلصلة: بقية الماء، والروايا: التي تحملها، وذات الصلاصل هي المزايدة التي ينقل فيها الماء، فهو يريد أن الرجال مثقلون بالحديد كالجمال التي تحمل المياه مثقلة، فشبهه قعقة الحديد بصلصلة الماء في المزايدات.

وحتى يُرى ذو البغي يركب رده

من الضغن فعل الأنكب المتحامل<sup>(١)</sup>

وإنا لعمر الله إن جدّ قومنا

لتلتبسن أسيافنا بالأماثل<sup>(٢)</sup>

بكفّ فتى مثل الشهاب سميديع

أخي ثقة حامي الحقيقة باسل<sup>(٣)</sup>

فهو يقسم ببيت الله أن لا يتركوا محمداً ﷺ وأن لا يؤخذ منهم من دون أن يقاتلوا دونه، ولا يمكن تسليمه قبل أن يصرّعوا حوله، ويذهلوا عن أبنائهم وفلذات أكبادهم دونه، فهل رأيت زعيماً عظيماً يفدي ابن أخيه الأصغر منه سنّاً بنفسه وبأولاده لمجرد العاطفة أو لمجرد الرحم؟!

لم يعهد ذلك في بني البشر؛ بل الأمر عندهم بالعكس، فيفدي الصغير الكبير، ولا سيّما إذا كان الكبير شيخ العشيرة، وسيّد القوم.

ولكنّا وجدنا أبا طالب ﷺ شيخ الأبطح، وسيّد مكة، وزعيم قريش، ذا الشيبة البهيّة، الذي قارب الثمانين سنة أو جاوزها وهو يفدي ابن أخيه ذي الأربعين عاماً، وما ذاك إلاّ لسموّه عن العواطف، وعلوّ نفسه عن الأهواء،

(١) الردع: عظم العنق المتصل بالرأس، أنكب: يمشي في جانب.

(٢) الأماثل: أفاضل القوم.

(٣) السميديع: السيد الموطأ الأكناف، وباسل شجاع شديد.

فالموقف موقف فداء لرسول ربّ السماء، ونبيّ الإله الذي جاء بالرسالة العظمى، فمن هذا المنطلق وقف أبو طالب عليه السلام معلناً استعدادَه للجهاد، وللتضحية في سبيل ظهور الإسلام، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

ثمّ قال في وصف ابن أخيه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه  
يلوذ به الهلاك من آل هاشم  
إلى أن قال:

لعمري لقد كلّفت وهدأ بأحمد  
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها  
فمن مثله في الناس أو من مؤمّل  
حليم رشيد عادل غير طائش  
فأيده ربُّ العباد بنصره  
لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب  
فأصبح منا أحمد في أرومة  
كأنّي به فوق الجياد يقودها  
وجدت بنفسي دونه وحميته

ثمّال اليتامى عصمة للأرامل  
فهم عنده في عصمة وفواضل  
وأحبته حبّ الحبيب المواصل<sup>(١)</sup>  
وزيناً على رغم العدو المخابِل  
إذا قايس الحكّام أهل التفاضل  
يوالي إلهاً ليس عنه بذاهل  
وأظهر ديناً حقّه غير باطل  
لدينا، ولا يُعنى بقول الأباطل  
تقصّر منها سؤرّة المتطاوِل  
إلى معشر زاغوا إلى كلّ باطل  
ودافعت عنه بالطلّي والكلاكل

(١) في الديوان وفي غيره: (وإخوته دأب المحبّ المواصل)، والرسول عليه السلام لا إخوة له، فدفعاً للإيهام وضعنا رواية الشيخ المفيد رحمته الله وإن كان يمكن التأويل بأن المراد من آمن به من آل أبي طالب عليه السلام.

ولا شك أنّ الله رافع أمره ومُعلِّيه في الدنيا ويوم التجادلِ  
 كما قد أُرِي في اليوم والأمس جدّه ووالده رؤياهما غير آفلٍ<sup>(١)</sup>  
 قال جامع الديوان تعليقاً على هذا البيت: «ويروى أنّ عبد المطلب رأى  
 في منامه كأنّ قائلاً يقول له: أبشر يا شبيبة الحمد، بعظيم المجد، بأكرم ولد،  
 مفتاح الرشد، ليس للأرض منه من بُدّ.

ورؤي عبد الله أبو رسول الله ﷺ وهو في سفر مع أبيه، فعرضت له امرأة  
 من قريش تدعوه إلى نفسها - وكان جميلاً لباساً عطراً - فقال:

أما الحرام فالحمام دونه والحلّ لا حلّ فأستبينه  
 فكيف بالأمر الذي تبغينه والحزّ يحمي عرضه ودينه

ثمّ أغفى فهتف به هاتف: يا أبا محمّد، كُنيت وما لك من ولد، شريف  
 الدين والمحتدّ، جمع لكم حظي الشرف والسؤدد، فانتبه، فخبّر أباه، فأكدت  
 رؤياه رؤياه، فما أمسى حتى زوّجه من سيّدة قريش<sup>(٢)</sup>.

أقول: لو وقف المتأمل في هذه الأبيات وقفة تدبّر لانصبت عليه المعاني  
 الجليلة من علو، وأدرك شيئاً مما يكنّه صدر أبي طالب ﷺ من المعرفة الحقيقيّة  
 بالنبيّ ﷺ، والحبّ والإجلال والتعظيم والإكبار لمقام خاتم النبيّين ﷺ،  
 فمن المستحيل عند ذوي العقول أن يكون كلّ ذلك ناشئاً من محبة عمّ لابن

(١) الديوان: ٧٤ - ٨٥

(٢) الديوان: ٨٥ - ٨٦

أخيه، أو من زعيم لمن تربى في كنفه، فلنذكر فهرستاً لبعض ما في هذه الأبيات:

١- النبي ﷺ في اعتقاد أبي طالب ﷺ أبيض يستسقى بوجهه الغمام، فيمكن أن يريد بكلمة الأبيض كناية عن أن رؤية وجهه تبعث على السرور والبشر والارتياح، ويمكن أنه يعني بها النور الذي يشع من وجهه المبارك، وجملة (يستسقى الغمام بوجهه) صفة له، ولا يستسقى الغمام إلا بمن كانت عنده منزلة من الله تعالى خاصة، وهذا ما يعتقدُه أبو طالب ﷺ في ابن أخيه.

٢- ثمال اليتامى، والثمال هو الملجأ والغيث، فالنبي ﷺ ملجأ لليتامى، وفي بعض الروايات (ربيع اليتامى)، والمعنى فيه واضح؛ فإنَّ الربيع هو زمان الخصب والانتعاش، وكلُّ بحسبه؛ فـشهر رمضان ربيع القرآن، والقرآن ربيع القلوب، والنبي ﷺ ربيع اليتامى الذين أرهقهم الجذب، فيجدون عنده ما فاتهم من الخصب، فهم عنده في نعمة وفواضل.

٣- عصمة للأرامل، عصمه بمعنى حفظه ووقاه ومنعه.

وهاتان الصفتان لا تكونان إلا في كريم النفس، جواد الكف، عفيف الروح، طاهر الذيل، ذي طول؛ ليصدق عليه أنه ملجأ لليتامى، وعصمة للأرامل.

٤- وبهذا المعنى أو قريب منه بالنسبة إلى الهلاك من بني هاشم، والهلاك

جمع هالك، وهو الفقير الذي أهلكه الفقر؛ فكأنه يريد أن يقول: لا تصافه بهذه الصفات يأتي له الهلاك يلوذون به، يطلبون معروفه من سوء حالهم؛ لأنهم يرونه عصمة لهم، ولا يبذلون ماء وجههم لغير كريم.

٥- أبرز محبته للرسول ﷺ بقوله: (كلفت و جداً بأحمد) المفيدة للمبالغة في المحبة، ثم يردفها بقوله: (دأب المحب المواصل).

٦- النبي ﷺ جمال أهل الدنيا وزينها.

٧- ليس أحد من الناس مثل النبي ﷺ، كما يدل عليه الاستفهام الإنكاري: (فمن مثله في الناس)، ولا يؤمل أحد أن يكون أفضل منه عندما يتغالبون بالفضل.

٨- حليم رشيد عادل غير طائش، صفات كلها ذات معنى جميل عظيم؛ بل كل صفة منها تحمل دلالات عميقة الرؤى، بعيدة المغزى، فالحلم الحقيقي لا يتسم به إلا أكابر البشر، فيغضون عن إساءات المسيئين، وترفعون عن رد العادين، من غير ضعف ولا خور.

والرشيد في أمره هو السيد في أقواله وأفعاله، ويفصح رشده فيهما عن استقامة الرأي، وشموخ العقل.

عادل غير طائش، فيكون مستقيماً في جادة الحق، غير مجانب للصواب.

٩- النبي ﷺ مؤيد من قبل الله تعالى رب العباد، وهو في الضمن يحمل

إقراراً من أبي طالب ﷺ بنبوة النبي ﷺ، وأنها من قبل الله تعالى فهو إيمان بالله تعالى الذي أرسله وأيده بنصره.

١٠- إنَّ الدين الذي أتى به النبي ﷺ هو دين الحقّ.

١١- أنَّ أبا طالب مصدّق بما جاء به النبي ﷺ، وتعلم قريش في قرارة نفسها بذلك، ولعلّها لا تريد أن تبدي بمعرفتها لأبي طالب لكي يحافظوا على السلم الظاهريّ بينهم، أو ليقنعوا أنفسهم بأنَّ أبا طالب ليس مع ابن أخيه في دينه، وإن كان يحامي عنه: (لقد علموا أنَّ ابننا لا مكذب لدينا).

١٢- إنَّ النبي ﷺ في (أرومة) -أي: أصل- تقصر عنها منزلة المتناول بالفضل؛ أي يقصر عن منزلة أرومة أحمد منزلة كلّ ذي طول، فكّل من تناول بطوله فهو أقصر من منزلته.

هذا إذا قرئت (سورة) بضم السين؛ فإنّها حينئذٍ بمعنى المنزلة.

وأما إذا قرئت بالفتح فهي بمعنى السطوة والاعتداء، ويكون المعنى حينئذٍ إنَّ النبي ﷺ في أصل يقصر عنه سطوة من تناول عليه، فأصله يقهر كلّ من تناول.

١٣- أبو طالب ﷺ يتنبأ بمستقبل ما سيقوم به النبي ﷺ مع أعدائه، وأنّه سيقود الحروب ضدّ من زاغوا إلى كلّ باطل، وهو إمّا أن يتمنّى أن يكون معه ليجود بنفسه دونه، ويحميه بكلّ ما عنده، أو أنّه يتنبأ أيضاً بأنَّ ابنه -الذي هو

بمنزلة نفسه وقطعة منه - سوف يقوم مقامه، وقد حصل ذلك في بدر وغيرها فقد جاد أمير المؤمنين ﷺ بنفسه وحامى عنه، كما جاد جعفر بنفسه فاستشهد في مؤتة.

١٤- ثمَّ يتنبأ بضرر قاطع بأنَّ الله تعالى سيرفع أمره في الدنيا ويوم التجادل، وقد حصل ما تنبأ به ﷺ.

ب- وقال أبو طالب ﷺ :

فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة فكفى بنا دنياً لديك ودينا

ودعوتني وزعمت أنك ناصح فلقد صدقت وكنت قبل أميناً<sup>(١)</sup>

فالنبي ﷺ عند أبي طالب ﷺ هو:

١- النبي ﷺ هو الكفاية لهم في الدين والدنيا، فهو ﷺ الجامع لما يصلح

دينهم ودنياهم.

٢- النبي ﷺ هو الناصح، وليست كلمة (زعمت) هنا للتكذيب؛ لأنه

عقبها بقوله: (فلقد صدقت).

٣- النبي ﷺ هو الصادق.

٤- النبي ﷺ هو الأمين من قبل أن يعلن دعوته.

ج- وقال في قصيدة الصحيفة :

وما ذنب من يدعو إلى الله وحده  
وما ظلم من يدعو إلى البرّ والتقوى  
وفيها:

فأسمى ابن عبد الله فينا مصدقاً  
فلا تحسبونا خاذلين محمداً  
ستمعه منا يد هاشميةً  
فلا والذي يجدي له كلُّ مرتِمٍ  
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن  
نفارقه حتى نصرّع حوله  
فيا قومنا لا تظلمونا فإننا  
وكفّوا إليكم من فضول حلومكم  
ولا تبدأونا بالظلامه والأذى  
على ساخط من قومنا غير معتبٍ  
لدى غربة منا ولا متقرّبٍ  
مركبها في المجد خير مُركّبٍ  
طليح بجنبي نخلة فالمحصّبٍ  
لنحلف بطلاً بالعتيق المحجّبٍ  
وما بال تكذيب النبيّ المقرّبٍ  
متى ما نخف ظلم العشيرة نغضبٍ  
ولا تذهبوا من رأيكم كلَّ مذهبٍ  
فنجزيكم ضعفاً مع الأمّ والأب<sup>(١)</sup>

وصفات النبيّ ﷺ عند أبي طالب ﷺ في هذه الأبيات:

١- أنه ﷺ يدعو إلى الله وحده.

ومن لوازم هذا البيت الاعتقاد بما فيه؛ لأنَّ أبا طالب ﷺ في مقام المدح  
للنبيّ ﷺ، والإنكار على قريش، فيقول لهم: (وما ذنب من يدعو إلى الله  
وحده).

إذن هو يؤمن بالله وحده لا شريك له، ويؤمن بصدق من دعا إلى ذلك، وأن فعلكم -يا قريش- مع من دعا لله وحده فعل من اتهم بالذنب، وليس ما فعله ذنباً.

٢- أنه ﷺ يدعو إلى الدين القديم (القوم)، الذي لا يخيب أهله.

٣- أنه ﷺ يدعو إلى البر، ولازمه معرفة أبي طالب ﷺ بالبر وأنواعه، والتمييز بينه وبين نقيضه.

٤- إنه ﷺ يدعو إلى التقى، وفي ذلك دلالة على معرفة أبي طالب ﷺ للتقى وما يدعو له، ويعرف ما يقابلها من صفات.

وفيه دلالة أخرى على حبّ أبي طالب ﷺ لأفعال الخير؛ فلهذا تراه يمدح على فعل الخير ويمدح بفعله، والمدح به وعليه يكشف عن نفس طاهرة نقيّة تعيش على فطرتها السليمة، مصقولة بحبّ الخير.

٥- إنه ﷺ يدعو إلى إصلاح الفساد، (رأب الثأى)، وهي مهمة المرسلين، ووظيفة من وظائف النبيّين، فهم يدعون إلى إصلاح كلّ فاسد، ويقومون كلّ ما فسد، ومن هذا نعلم أنّ أبا طالب ﷺ كان يعرف الصلاح والفساد، ويميّز بينهما، ويعرف بأنّ ما أتى به النبيّ ﷺ إصلاح للفساد.

فلا يقاس بينه وبين من يرى عبادة الأصنام أمراً صالحاً، ولا بينه وبين من يئد بناته لأنّه يرى بقاء البنت عاراً، ولا بينه وبين من يشرب الخمر، ولهذا تراه

أنّه لم يعاقر الخمرة أبداً، وهكذا..

٦- أنه ﷺ الصادق، وأصبح بعد واقعة الصحيفة هو المصدّق على ساخط من قومنا غير معتب، وليس معناه أنّه لم يكن مصدّقاً عنده قبل ذلك؛ فإنّ أشعاره السابقة عليها تدلّ على خلاف ذلك.

بل نستفيد من ذلك أنه لما ظهر أمر الصحيفة لم يبقَ لقريش ماء في وجههم ليستطيعوا أن يعترضوا على الإعلان بتصديقه، فلهذا انشقت قريش على نفسها، فمنهم من صار في جانب أبي طالب ﷺ، ووقف منهم موقف الرافض لفعالهم، المعارض لعملهم.

٧- إن النبيّ محمداً ﷺ هو النبيّ المقرّب، فالاستفهام التوبيخيّ لقريش بقوله: (وما بال تكذيب النبيّ المقرّب)، يدلّ على اعتقاده بنبوته بأقوى دلالة، لا سيما وأنه احتفّ بما قبل وما بعد من الآيات الدالّة على النصر والحمية له حتى لو بلغ الأمر إلى أن يصرّعوا دونه، وهو غاية الفداء.

٨- قال السيّد فخّار بن معد في كتابه الحجّة بعد بيت فأمسى ابن عبد

الله...، ما لفظه:

«وهل يكون إقرار بالرسالة، أو إيمان بالنبوّة أبلغ من قوله المتقدّم:

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدّقاً... الخ؛ ولكنّ العناد يمنع من اتّباع الحقّ،

ويصدّ عن قول الصدق»<sup>(١)</sup>.

وعلق السيّد فخّار أيضاً على القصيدة بقوله: «فيا سبحان الله! من يكون بمنزلة أبي طالب ﷺ من البصيرة في الأمور، والعقل الغزير، ويعلم أنّ محمداً ﷺ نبيّ مقرب، ويقرّ له بذلك في شعره، كيف يتقدّر منه أن يكفر به، إنّ هذا هو العناد، العادل عن الرشاد، وشعر أبي طالب - حشره الله مع ذريته، وأسكنه بحبوحه جنّته - في أمر الصحيفة كثير لا يبلغ مداه، ولا يحصر منتهاه، وإنّما أثبتنا منه نبذة وجيزة، وأبياتاً قليلة كراهية الإطناب المعقّب للإسهاب»<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج:

«قلت: كان صديقنا علي بن يحيى البطريق ﷺ يقول: لولا خاصّة النبوة وسرّها لما كان مثل أبي طالب - وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها - يمدح ابن أخيه محمداً، وهو شاب قد رُبيّ في حجره، وهو يتيمه ومكفوله، وجارٍ مجرى أولاده بمثل قوله:

وتلقّوا ربيع الأبطحين محمداً      على ربوة في رأس عنقاء عيطلٍ  
وتأوي إليه هاشم، إنّ هاشماً      عرانيين كعب آخر بعد أوّل

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٠٤.

(٢) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٠٦.

ومثل قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمه للأراملِ  
يطيف به الهلاك من آل هاشمٍ      فهم عنده في نعمة وفواضلِ

فإنَّ هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابي من الناس، وإنَّما هو من مديح الملوك والعظماء، فإذا تصورت إنَّه شعر أبي طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم في محمد عليه السلام، وهو شابٌ مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد ربَّاه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً، يأكل من زاده، ويأوي إلى داره علمت موضع خاصية النبوة وسرها، وإنَّ أمره كان عظيماً، وإن الله تعالى أوقع في القلوب والأنفس له منزلة رفيعة ومكاناً جليلاً<sup>(١)</sup>.

د- ذكر السيّد فخّار بسنده إلى أن قال: «قال أنشدني أبو عبد الله بن منعية<sup>(٢)</sup>

الهاشميِّ معلّمِي عليه السلام بالبصرة لأبي طالب عليه السلام:

لقد أكرم الله النبيَّ محمداً      فأكرم خلق الله في الناس أحمدُ

(١) شرح نهج البلاغة: ٦٣/١٤.

(٢) قال محقق الكتاب السيد محمد بحر العلوم عليه السلام «في (ص): (صفية)، الظاهر أن (ابن منعية أو صفية) ورد غلطاً، والصواب (ابن معية)، وهو تاج الدين، أبو عبد الله، جعفر بن محمد بن معية الحسيني، عالم جليل، وشاعر فصيح، لسان بني حسن بالعراق، وكانت له وظائف على ديوان بغداد، كما صرح به النسابة ابن عنبه وقد روى عنه جمع غفير.

راجع: عمدة الطالب: ١٦٥، وأمل الأمل: ٣٧، وروضات الجنّات: ٦١٤.

وشقَّ له من اسمه ليجلِّه فذو العرش محمود وهذا محمد<sup>(١)</sup>  
 فأية معرفة بالرسول ﷺ تضاهي هذه المعرفة؟!!

أ- معرفته بأنَّ الرسول ﷺ هو أكرم خلق الله، والخلق عنوان شامل للملائكة والإنس والجنّ فضلاً عن غيرهم، من الأولين والآخرين، كانوا من عمّامة الناس أو من الأنبياء والمرسلين، فكلّهم يأتون في رتبة متأخرة عن رتبة الكمال المحمديّ.

ب- معرفته باشتقاق اسمه الشريف، ولماذا سمّي النبيّ بأحمد؛ فإنّه اشتقَّ من اسم الله المبارك (المحمود)، وأنَّ فاعل الاشتقاق هو الله تعالى ليجلِّ أمر نبيه ﷺ، فيكون في مرتبة أكرم الخلق التي لا تدانيها مرتبة.

وقد ورد في أمالي الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه رحمته الله، قال: «سئل النبيّ ﷺ أين كنت وآدم في الجنة؟

قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان على سفاح قطّ، ولم يزل الله ﷻ ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٨٤، الديوان: ٣٣٢. ونسب البيت الثاني في بعض الكتب إلى حسّان، وقيل إنّ حسّان ضمّنه شعره، والثاني غير بعيد؛ فإنَّ حسّاناً لا يصل في المعارف العالية إلى ما كان عند أبي طالب ﷺ من عمق المعرفة.

هادياً مهدياً حتى أخذ الله بالنبوة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبين كل شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكرى، ورقى بي إلى سمائه، وشق لي اسماً من أسماه الحسنى، أمّتي الحمادون، فذو العرش محمود وأنا محمد<sup>(١)</sup>.

وفي علل الشرائع قريب منه بسنده «عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول:

خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد، نسبَّح الله يمّنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد همَّ بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح في السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله تعالى من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة، حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب، فقسّمتنا بنصفين فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً في صلب أبي طالب، وجعل في النبوة والبركة، وجعل في عليّ الفصاحة والفروسيّة، وشقّ لنا اسمين من أسماه، فذو العرش محمود وأنا محمد، والله الأعلى وهذا عليّ<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر في فتح الباري: «..وأما أحمد فمن باب التفضيل، وقيل:

(١) الأُمالي: ٧٢٣.

(٢) علل الشرائع: ١٣٥/١.

سمي أحمد لأنه علم منقول من صفة، وهي أفعل التفضيل، ومعناه أحمد الحمادين، وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله.

وقيل: الأنبياء حمّادون وهو أحدهم؛ أي أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد.

وأما محمّد فهو منقول من صفة الحمد أيضاً، وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالغة.

وقد أخرج المصنف في التاريخ الصغير من طريق علي بن زيد قال: كان أبو طالب يقول:

وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد  
والمحمّد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدّح قال الأعشى:

إليك أبيت اللعن كان وجيفها إلى الماجد القرم الجواد المحمّد  
أي: الذي حمد مرة بعد مرة، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة.

قال عياض كان رسول الله ﷺ أحمد قبل أن يكون محمّداً، كما وقع في الوجود؛ لأنّ تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمّداً وقعت في القرآن العظيم؛ وذلك أنّه حمد ربّه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربّه فيشفعه فيحمده الناس، وقد خصّ بسورة الحمد، وبلواء الحمد،

وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل، وبعد الشرب، وبعد الدعاء، وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحمّادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه..»<sup>(١)</sup>.

هـ - في مناقب آل أبي طالب: «لما رأت قريش يعلو أمره قالوا: لا نرى محمداً يزداد إلاّ كبراً وتكبراً، وإن هو إلاّ ساحر أو مجنون، وتوعدوه وتعاقدوا لئن مات أبو طالب ليجمعنّ قبائل قريش كلّها على قتله، وبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصّاهم برسول الله عليه السلام، وقال: إنّ ابن أخي كما يقول، أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا إنّ محمداً نبيّ صادق، وأمّين ناطق، وإنّ شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربّه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوه من وراء حوزته، فإنّه الشرف الباقي لكم الدهر، وأنشأ يقول:

أوصي بنصر النبيّ الخير مشهده	عليّاً ابني وعمّ الخير عباسا
وحمة الأسد المخشبيّ صولته	وجعفرأ أن تذودوا دونه الناسا
وهاشماً كلّها أوصي بنصرته	أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فدى لكم نفسي وما ولدت	من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكلّ أبيض مصقول عوارضه	تخاله في سواد الليل مقباسا» <sup>(٢)</sup>

(١) فتح الباري: ٤٠٣/٦ - ٤٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٥٥/١.

فإنَّ هذه الوصية حفلت بمعاني جليلة، ومعارف عظيمة، لا يعرفها إلا من اتَّصل بالوحي، وكان على اطلاع بما في الكتب السماوية، وما جاء به النبيون، كما أشار إلى ذلك بقوله: (أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا).

١- إنَّ محمدًا نبيّ صادق.

٢- وأمير ناطق.

٣- وإنَّ شأنه أعظم شأن.

٤- ومكانه من ربِّه أعلى مكان.

فمن غيره من الصحابة يدرك هذين المعنيين الأخيرين في بدء الدعوة؟  
فمن يعرف منهم أنَّ شأن النبي ﷺ أعظم شأن، وأنَّه أقرب الناس لله ﷻ،  
وأنَّ مكانه أعلى مكان؟

٥- إنَّ اعتبار نصرته والذود عنه شرف يبقى أبد الدهر دليل على معرفته  
بأنَّ ما أتى به ابن أخيه هو دين إلهي خالد، ودليل على وعيه الديني  
والاجتماعي، وهذا هو الذي نشاهده الآن؛ فإنَّ الصحابة المخلصين الذين  
جاهدوا في الله والله لا يزال ذكرهم بكلِّ احترام، ولا تزال أسماؤهم تزيّن  
صفحات التاريخ.

و- ومن شعره:

وقول لأحمد: أنت امرؤٌ خلوف الحديث ضعيف السبب

وإن كان أحمد قد جاءهم بحق ولم يأتهم بالكذب إلى قوله:

بأمر مزاح وحلم عزب	إلامَ إلامَ تلافيتم
وأنكم إخوة في النسب	زعمتم بأنكم جيرة
وأهل الديانة بيت الحسب	فكيف تعادون أبناءه
وكعبة مكة ذات الحجب	فأتى ومن حج من راكب
ظباة الرماح وحدّ القضب	تنالون من أحمد أو تصطلوا
صدور العوالي وخيلاً عصب	وتغترفوا بين أبياتكم
بسير العنيق وحثّ الخبب <sup>(١)</sup>	إذ الخيل تمرغ في جريها
قصير الحزام طويل اللب <sup>(٢)</sup>	تراهن ما بين ضافي السبب
طواها النقائق بعد الحلب <sup>(٣)</sup>	وجرداء كالظبي سمحوجة
هم الأنجبون مع المنتجب <sup>(٤)</sup>	عليها رجال بني هاشم

إلامَ .. إلامَ، استفهام استنكاري جاء مكرراً، ليلفت نظر السامع إلى ما

(١) العنيق: أشد السير، والخبب دونه.

(٢) قصير الحزام: أي ليس بمنتفخ الجوف، وطويل اللب: واسع الصدر.

(٣) سمحج وسمحوجة طويلة، والنقعة ما ينقع لها من شعير وقيل من نقاع الماء والحليب واللبن.

(٤) سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي): ١٤٤، الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي

بعده:

١- العتاب على قريش التي تزعم أنها جيرة لهم وقريبة في النسب منهم،

فكيف تعادي أبناءه وأهل الديانة وبيت الحسب؟!

٢- التحدي الصارخ لقريش في دعواهم أنهم سينالون من النبي محمد ﷺ

نيلاً يسيئه، فأنى يكون ذلك ولم (تصطلوا ظباة الرماح وحدّ القضب)؟!

وهذه هي القضية التي يثيرها أبو طالب ﷺ بين الحين والحين؛ لتعرف

قريش أن نيلهم الثريا في السماء أقرب لهم من نيل ذلك.

ثم إن البيت الثاني واضح الدلالة في إيمانه بالنبي ﷺ وتصريح صريح به،

ولهذا قال السيد فخار بن معد رحمه الله تعليقا على هذا البيت:

«فكيف يكون الإسلام؟! وبماذا يعرف الإيثار؟! وهل بين قوله هذا وبين

قول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله فرق عند ذي اللب

الذي ينهى النفس عن الهوى، ويتنكب سبل الردى؟».

ز- قال السيد فخار بن معد رحمه الله: «ولما اشتد أذى أبي جهل بن هشام

للنبي ﷺ وعناده له، قال أبو طالب له: متهدداً، وبالخرب متوعداً، ولرسول

الله ﷺ، ولدينه محققاً معتقداً:

صدق ابن آمنة النبي محمد

فتميزوا غيظاً به وتقطعوا

إن ابن آمنة النبي محمداً

سيقوم بالحقّ الجلي ويصدع

فأربع أبا جهلٍ على ظلع فما زالت جدودك تستخفّ وتظلع<sup>(١)</sup>  
 سترى بعينك أن رأيت قتاله وعناده من أمره ما تسمع<sup>(٢)</sup>  
 ثمَّ عقب ﷺ بقوله:

«لله درّ أبي طالب كأنه أوحى إليه ما يكون من أمر عدو الله أبي جهل؛ إذ جدّ في عناد النبي ﷺ وقاتله، حتى أراه الله بعينه يوم بدر، وما وعده أبو طالب من تعفير خده، واتعاس جدّه ﴿وَلَعَدَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>».

يشير إلى ما لاقاه عدو الله في يوم بدر، فقد رأى أبو جهل مصرعه بعينه حينما اجتمع رأيه على قتال رسول الله ﷺ.

ح- إنَّ الصدق والأمانة اللتين هما من صفات الأنبياء قد عرف بها النبي محمد ﷺ من قبل أن يقوم بالدعوة، وقد عرفه أبو طالب ﷺ بها منذ صغره، ولا شكَّ أنَّ اطلاعاً على هذه الصفات فيه ﷺ أقوى من اطلاع غيره عليها؛ لأنّه ربيبه فيعرف باطنه كظاهرة؛ إذ مهما أخفى الإنسان نقيض صفتي الصدق والأمانة، بحيث كان يتظاهر بالصدق وهو غير صادق، أو بالأمانة

(١) أربع: بكسر الهمزة، وسكون الراء المهملة وفتح الباء المعجمة وظلع: بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام. يقال: أربع على ظلعك أي: إنك ضعيف فانتبه عما لا تطيقه.

(٢) سورة فصلت: ١٦.

(٣) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٩٢.

وهو غير أمين (وإن خالها تخفى على الناس تُعلم)، فما بالك إذا كان يعيش مع إنسان منذ نعومة أظفاره لا بدّ وأن يعلم بتلك الخليقة المخفية من أيامه الأولى، ولكنّ أبا طالب ﷺ وهو السيد الرشيد يثبت للنبيّ ﷺ صفتي الصدق والأمانة منذ الصغر ولا زال، فما يقوله للناس مقالة صادق أمين غير متهم، ولهذا قال في نفيه للسحر عنه ﷺ الذي زعمته قريش:

زعمت قريش أنّ أحمد ساحر      كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم  
ما زلت أعرفه بصدق حديثه      وهو الأمين على الحرائر والحرم  
بهتوه لا سعدوا بقطر بعدها      ومضت مقاتلهم تسير إلى الأمم

وعلق السيّد فخار رحمه الله على هذه الأبيات بقوله: «ليت شعري إذا كان ما زال يعرفه بصدق الحديث ما الذي يدعوه إلى تكذيبه، أخذ الله له بحقه من الذين يفترون، وينسبون إليه ما ليس يكون»<sup>(١)</sup>.

ط- وقال مخاطباً لملك الحبشة<sup>(٢)</sup>:

أتعلمُ ملكَ الحبشِ أنّ محمداً      نبيّ كموسى والمسيح ابن مريم  
أتى بهدى مثل الذي أتيا به      وكلُّ بأمر الله يهدي ويعصم

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٧٩.

(٢) رواها غير واحد مع اختلاف يسير، ومنهم: إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: ٣٨، سيرة ابن إسحاق: ٢٠٤/٤، إعلام الوري بأعلام الهدى: ١/١١٨، الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٤١، وغيرهم.

وَأَنْتُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ      بَصْدُقُ حَدِيثٍ لَا بَصْدُقَ التَّرْجَمِ  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدَاءً وَأَسْلَمُوا      وَإِنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلَمٍ  
وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عِدَّةٌ مَعَانٍ:

١- إيمانه بنبوّة النبي محمد ﷺ، وهو واضح في قوله وصريح.

٢- إنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ قد أتى بالهدى كاهدى الذي أتى به موسى الكليم وعيسى المسيح ﷺ، وهذا يدلُّ على معرفته بالهدى والضلال، وأنَّ ما أتى به النبيُّ ﷺ هو الهدى، وأنَّ ما أتى به موسى الكليم وعيسى المسيح ﷺ هو الهدى أيضاً، وأنَّ ما أتى به النبيُّ محمد ﷺ هو عين الهدى الذي أتيا به ﷺ؛ فإنَّهم يعرفون من عين واحدة، ويقتبسون من مشكاة واحدة، وهذه معرفة لا يعرفها كلُّ أحد في ذلك الوقت.

٣- بشارة الأنبياء بالنبيِّ محمد ﷺ، وهذا يعني اطلاعه التام على ما في التوراة والإنجيل، (وَأَنْتُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ بَصْدُقُ حَدِيثٍ لَا بَصْدُقَ التَّرْجَمِ)، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾<sup>(١)</sup>، والذي يظهر أنَّ هذه الآية نزلت في المدينة؛ لمناسبتها مع تواجد اليهود فيها ومجيء النصارى لها، وأبو طالب ﷺ قال شعره في أوَّل البعثة في مكّة، ممَّا يعني اطلاعه على ما في الكتب السماويّة

من غير جهة القرآن.

ولو كان اطلّاعه من جهة القرآن لكان دالاً على إيمانه التام بالقرآن؛ حيث نقل الحكاية عنه للنجاشي بنحو الجزم واليقين، فلم يكن إذن متردداً في صحّة ما في القرآن الكريم، وما جاء به النبيّ الأمين.

٤- إنَّ أبا طالب ﷺ يعلم بأنَّ ما عليه النصرارى هو جعل النّدّ لله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذا خاطب ملك الحبشة بقوله: (فلا تجعلوا لله ندّاً وأسلموا)، فنهاه عن اتخاذ النّد والشريك لله، ودعاه إلى الإسلام الذي يدعو للتوحيد ونبذ الأنداد.

٥- إنَّ الإسلام هو طريق الحقّ: (وأسلموا.. وإنَّ طريق الحقّ ليس بمظلم).

٦- إنَّ ناصر الإسلام الأوّل، وشاعره الأمثل من الدعاة المخلصين لدين الله تعالى على نطاق أوسع، وعلى مستوى الملوك.

ي- وقال مخاطباً لقريش:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطّ في أوّل الكتبِ

وأنَّ الذي نَمَّقتم في كتابكم لكم كائن نحساً كراغية السغبِ  
 في البيت الأول معنى لا يعرفه إلا من اختصه الله بالعلم؛ حيث يقول:  
 (إنَّا وجدنا محمداً نبياً.. خطَّ في أوّل الكتب)، فمن له في زمن الجاهليّة - ولا  
 سيّما في بلد المشركين، مكّة المكرمة - هذا الاطلاع على كتب الأنبياء السابقين؛  
 بحيث يعرف ما فيها، وأنَّ من جملة ما فيها أنَّ محمداً مكتوب في أوّل الكتب،  
 وأنّه نبي كموسى بن عمران ﷺ.

ففي هذا البيت عدّة دلالات معرفيّة:

الأولى: أنّه يدلّ على معرفة أبي طالب ﷺ بالنبوّة والأنبياء ومعناها  
 ووظيفتها وخصائصها.

الثانية: إنّ الأنبياء مبعوثون من قِبَل الله تعالى.

الثالثة: معرفته ﷺ بالكتب السماويّة، وبما ذكر فيها.

الرابعة: أنّ محمداً مكتوب في أوّل الكتب، ولا ينفي أنّه مكتوب في غيره،  
 ولكن لبيان أنّه مكتوب من أوّل الأمر، فكأنَّ أهميّة مقامه ﷺ استدعت أن  
 يذكر في جميعها ابتداء من أوّلها.

والمراد من أوّل الكتب: يحتمل أن يكون أوّل الكتب المنزلة من الله تعالى  
 على رسله وأنبيائه، ويحتمل أن يكون المقصود كلّ الكتب المنزلة لا خصوص  
 أوّل كتاب أنزل، وهذا استعمال متعارف، ويحتمل - كما قال المحدث

الكاشاني رحمته الله:- «خطّ في أوّل الكتب: أي هذا الحكم مثبت في الكتاب الأوّل؛ أي اللوح المحفوظ»<sup>(١)</sup>، وأياً كان من المعاني فهو دال على معرفة عالية لأبي طالب عليه السلام.

الخامسة: إنّ المكتوب في أوّل الكتب هو محمّد هذا؛ أي ابن عبد الله بن عبد المطلب، لا غيره؛ يعني يعرف الصفات المذكورة في أوّل الكتب، وأتمّها تنطبق بحذافيرها على ابن أخيه.

وبالتعبير المنطقيّ أنّه يعرف الكبرى والصغرى، وجهة انطباق الكبرى على الصغرى.

وهذا يدلّ على إحاطته بما في الكتب، وسعة اطلاعه عليها مع إدراك ما فيها.

السادسة: أنّه ربّما يستفاد من البيت أنّ قريشاً كانت تعرف بأنّ أبا طالب عليه السلام يعرف ما في الكتب، وأنّه وجد فيها محمّداً نبياً، فهي تعرف بمقام أبي طالب المعرفي، ويستفاد ذلك من قوله: (ألم تعلموا أنّا..).

السابعة: أنّ ما ذكره أبو طالب عليه السلام موافق لما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

## التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿١﴾.

وأما البيت الثاني فيستفاد منه معرفته بما جرى على أقوام الأنبياء السابقين، ومعرفته بالتلازم بين العناد وجحود ما جاء به الأنبياء ﷺ، وبين نزول العذاب، فهو يقارن بين عقوق قريش وظلمهم للنبي ﷺ، وبين قوم النبي صالح ﷺ الذين عقروا الناقة، فصبَّ الله عليهم غضبه فاجتثهم من على وجه الأرض، وخطاب أبي طالب ﷺ لهم تنبيه منه إليهم، وإيقاظ لهم من نومهم، أو وعظ وإرشاد؛ لكيلا يقعوا فريسة الغضب الإلهي.

ك- قال السيّد فخّار بن معد ﷺ: «وأخبرني عبد الحميد بإسناده إلى الشريف الموضح يرفعه قال: كان أبو طالب يحث ابنه علياً ويحضه على نصر النبي ﷺ، وقال علي ﷺ: قال لي: يا بني الزم ابن عمك فإنك تسلم به من كلِّ بأس عاجل وأجل.

ثمَّ قال لي:

إنَّ الوثيقة في لزوم محمّد فاشدد بصحبته عليّ يديكا»<sup>(١)</sup>

ل- وقال أيضاً:

ما أن جنينا من قريش عظيمة سوى أن منعنا خير من وطيء التريا

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٤٣، وعنه في بحار الأنوار: ١٢٠/٣٥.

أخا ثقة للنائب مرزءاً كريماً نشاه لا لثيماً ولا ذرباً<sup>(١)</sup>  
 ولا زال يصف أبو طالب عليه السلام ابن أخيه عليه السلام بصفات المدح اللاتقة  
 بكماله عليه السلام، فهو يصفه هنا بأنه (خير من وطىء الثرى)، ومن وطىء الثرى  
 آدم ومن دونه، وهو عليه السلام خيرهم كلهم، فمن ذلك تعرف عمق المعرفة  
 بنبيه عليه السلام.

(أخا ثقة)؛ أي شجاع واثق بشجاعته.

(مرزءاً)، بمعنى عظيم رماد النار، فيكون كناية عن بالغ الكرم والجود.  
 ويقال: المرزأ هو الكريم الذي يرزؤه القاصدون والأضياف؛ أي

(١) الديوان: ١٨٣، وأنساب الأشراف: ٣٤/٢، وسيرة ابن إسحاق: ١٣١/٢، وقد نسبها ابن  
 كثير في البداية والنهاية: ٤١٠/٣ إلى طلب بن أبي طلب، وأضاف عليها أبياتاً أخرى،  
 وقال: إنها في رثاء أصحاب القليب من قريش، وهو بعيد عن الصواب؛ فإن الأبيات التي  
 نسبها غير واحد -ممن هم أقدم من ابن كثير- إلى أبي طالب عليه السلام ستة فقط، وليس فيها إلّا  
 النصيحة بترك الحرب، وليس فيها ذكر لأصحاب القليب، فقد قال فيها:

ما أن جنينا من قريش عظيمة سوى أن منعنا خير من وطىء التربا  
 أخا ثقة للنائب مرزا كريماً منسأه لا لثيماً ولا ذربا  
 فيال خوينا عبد شمس ونوفلاً فيا لكما أن تسعرا بيننا حربا  
 وأن تصبحوا من بعد ودٌ وألفة أحابيش فيها كلكم يشتكي النكبا  
 ألم تعلموا ما كان في حرب داحس ورهط أبي يكسوم إذ ملثوا الشعبا  
 فوالله لولا الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تملكون لنا سربا

ينقصون من ماله، فيرجع لنفس المعنى السابق؛ لأنَّ (ينقصون من ماله) عبارة عن كثرة عددهم وتواترهم فيوجب ذلك النقص في المال، وليس ضيفه واحداً أو اثنين أو في أزمنة متباعدة بحيث لا يؤثر في المال شيئاً، فهذا أيضاً كناية عن بالغ الكرم والجود.

والثنا: ما يقال عن الرجل، فقد يقال فيه كلام حسن، وقد يقال فيه كلام قبيح، وبالنسبة للنبي ﷺ يثبت أبو طالب ﷺ أن ما يقال في حقه هو الكلام الحسن، فيذكره الناس بالصفات الحسنة الكريمة (كريباً نثاه).

والدَّرب: الحادِّ السليط، والنبِّي ﷺ لا لؤم فيه، ولا سلاطة في لسانه، يقول تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(١)</sup>.

### الشاهد التاسع عشر: المبارك :

البركة في المال أو في العمر أو في النفس أو في الولد أو في الأهل أو في الآثار أمر غيبي؛ أي يرتبط بالغيب، ويحتاج أن يكون له مدد من الله تعالى، وليست أمراً مادياً محسوساً، أو يمكن أن يوصل إليه عن طريق المادة، كأن يفعل فعلاً مادياً فيحصل به على البركة، من قبيل أن يضع الماء على النار فيحصل على ماء حار.

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

وإنما هي أمر غيبي وآثارها تكون ماديّة، فتلاحظها الأعين، أو تحسّ بها الأنفس، فالمبارك في ماله يرى الرزق داراً عليه من دون أن يسعى السعي الحثيث لجمعه وتكثيره، بينما تجد من لا بركة له في ماله يجهد نفسه فلا يحصل إلا على أقلّ القليل، ولو قدر له وحصل على الكثير فلربّما ذهب من بين يديه وطار كالدخان فيما لا نفع فيه، كأن ينفقه في علاج أو يقترضه من لا يفي له به، أو في أي شيء لا فائدة فيه.

والمبارك مصطلح جاء في القرآن الكريم مقترناً بموارد خاصّة في مقام المدح، قال تعالى:

١- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- وقال على لسان النبي عيسى ﷺ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- وقال للنبي نوح ﷺ بعد الطوفان: ﴿وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ

(١) سورة آل عمران: ٩٦.

(٢) سورة مريم: ٣١.

(٣) سورة المؤمنون: ٢٩.

## وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾.

٥- وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾<sup>(١)</sup>.

والنبي محمد عليه السلام في رؤية أبي طالب عليه السلام واعتقاده أنه مبارك، وقد أحس ببركته من خلال آثارها التي ظهرت عليه، واستفاد منها أبو طالب عليه السلام لنفسه ولعياله.

وهذه النظرة، أو هذه المعرفة كان على علم بها من حين كان النبي عليه السلام يافعاً يعيش في كنفه، وهذه إحدى الدلائل التي تقود أبا طالب عليه السلام للإيمان بالنبي محمد عليه السلام، والتعلق به؛ بحيث يفديه بنفسه وأولاده، فلا ينبغي أن يخاطر على بال بشر أن أبا طالب عليه السلام لا يؤمن بنبوّة ابن أخيه.

قال السيوطي في (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب):

«وأخرج ابن سعد، وأبو نعيم، وابن عساکر، من طريق عطاء، عن ابن عباس، ومن طريق مجاهد وغيره، قالوا: كان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله عليه السلام شبعوا، فكان إذا أراد أن يغدّهم أو يعشيهم قال: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله عليه السلام، فيأكل معهم، فيفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، وإن كان لبناً

(١) سورة ق: ٩.

(٢) سورة الأنعام: ٩٢.

شرب أولهم، ثم يتناول القعب العيال، فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده، فيقول: إنك لمبارك..»<sup>(١)</sup>.

ونقله غيره أيضاً، كابن سيّد الناس في سيرته (عيون الأثر)، وأوله: «وذكر الواقدي أنّ أبا طالب كان مقلّاً من المال، وكانت له قطعة من الإبل تكون بعرنه، فيبدو إليها، فيكون فيها، ويؤتى بلبنها إذا كان حاضراً بمكّة.

فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً وفرادى لم يشبعوا..»<sup>(٢)</sup>. فأبو طالب ﷺ يعرف بركة الرسول ﷺ عليهم منذ كونه طفلاً صغيراً، فيقدّمه على أولاده؛ لمعرفته به، ولبركته عليهم.

وأخرج ابن سعد عن ابن القبطيّة قال: «كان أبو طالب توضع له وسادة بالبطحاء مثنيّة يتكئ عليها فجاء النبيّ ﷺ فبسطها ثمّ استلقى عليها، فجاء أبو طالب فأخبر، فقال: وحل البطحاء أنّ ابن أخي هذا ليحسّ بنعيم»<sup>(٣)</sup>. وأخرج مثله عن عمرو بن سعيد.

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٣.

(٢) السيرة النبويّة (عيون الأثر): ٥٩/١.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٢٠/١.

وأخرج الطبراني عن عمار قال: «كان أبو طالب يصنع الطعام لأهل مكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل لم يجلس حتى يأخذ شيئاً فيضعه تحته، فقال أبو طالب: إنَّ ابن أخِي ليحسَّ بكرامة»<sup>(١)</sup>.

### الشاهد العشرون: التيمُّن بمشهد النبيّ:

ما نقله الصالحيّ الشاميّ في كتابه (سبل الهدى والرشاد)؛ حيث قال:  
 «وذكر أبو هاشم محمد بن زعفران في (خير البشر بخير البشر): حجَّ أكرم بن صيفيَّ حكيم العرب، والنبيّ صلى الله عليه وآله في سنِّ الحلم، فرآه أكرم فقال لأبي طالب: ما أسرع ما شبَّ أخوك.

فقال: ليس بأخي ولكنه ابن أخي عبد الله.

فقال أكرم: أهو ابن الذبيحين؟

قال: نعم.

فجعل يتوسّمه، ثمَّ قال لأبي طالب: ما تظنون به؟

قال: نحسن به الظنَّ، وإنَّه لوفي سخيّ.

قال: هل غير هذا؟

قال: نعم؛ إنَّه لذوا شدة ولين، ومجلس ركين، وفضل متين.

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٣.

قال: فهل غير هذا؟

قال: إننا لتتيمّن بمشهدته، ونتعرّف البركة فيما لمسه يده.

فقال أكثم: أقول غير هذا، إنّه ليضرب العرب قامطة -يعني جامعة- بيد حائطة، ورجل لائطة، ثمّ ينق بهم إلى مرتع مريع، وورد سريع، فمن اخرورط إليه هداه، ومن اخرورف عنه أرداه»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحوار ما يدلّ على معرفة أبي طالب عليه السلام بصفات النبيّ عليه السلام، ويمن حضوره، وبركة ما لمسته يده، ولقد أراد ابن صيفيّ أن يصرّح أبو طالب عليه السلام بما هو أبعد معنى من ذلك؛ ولكنّ الذي يبدو أنّ أبا طالب عليه السلام كان يحبّ أن يحفظ ابن أخيه بالستر عليه في ذلك الوقت؛ لما عرفه من محاولات لاغتياله وقتله من قبل أعدائه الذين يخافون على وجودهم وكيانهم منه، وقد صرّح أبو طالب عليه السلام بذلك في بعض المقامات.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ١٤٧/٢. لمحمد بن يوسف الصالحيّ الشاميّ (ت ٩٤٢ هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، طبعة: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة أولى (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م)، وعرف في المقدمة بـ (وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الصالحيّ الشاميّ).

قال الشعرانيّ في ذيل طبقاته: كان عالماً صالحاً مفتناً في العلوم، وألف السيرة النبويّة التي جمعها من ألف كتاب، وأقبل الناس على كتابتها، ومشى فيها على أنموذج لم يسبقه إليه أحد).

### الشاهد الحادي والعشرون: الله اختاره ويمنعه :

قوله عليه السلام في قصة اللقاء مع بحيرا وما جرى بينه وبين من جاؤا لقتل

النبي عليه السلام:

أتبعون قتلاً للنبي محمد

أخصصتم على شؤم بطول أثم

وإن الذي يختاره منه مانع

سيكفيه منكم كيد كل طعام

فذلك من أعلامه وبيانه

وليس نهاراً واضح كظلام

هاهنا تتجلى المعرفة بكل صورها، معرفة بأن ابن أخيه نبي من الله تعالى،

وأنه المختار من عنده جلّ جلاله، وهو الذي يمنع كل يد تريد أن تصل إليه

بأذى، وهو الكافي له من كيد كل طعام، وأن أعلامه في ذلك ظاهرة واضحة

وضوح النهار.



## الفصل الرابع : المعارف الدينية العامة

**أولاً : معرفته بما في الكتب السماوية القديمة :**

تقدّمت شواهد تدلّ على هذا العنوان في محاني ما تقدّم من الاستشهاد بشعره، والآن أيضاً نتعرّض له بصورة مستقلة مع بيان الشواهد مجمعة، فنقول:

**شاهد ١ :**

ورد في الكافي الشريف بسنده: «حدّثني درست بن أبي منصور أنّه سأل أبا الحسن الأول عليه السلام: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: لا، ولكنّه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه صلى الله عليه وآله. قال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنّه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصية. قال: فقلت: فما كان حال أبي طالب؟

قال: أقرّ بالنبيّ وبما جاء به، ودفع إليه الوصايا ومات من يومه»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة المجلسي رحمته الله: «بيان: أي هل كان أبو طالب حجّة على رسول الله إماماً له؟ فأجاب عليه السلام بنفي ذلك معللاً لأنّه كان مستودعاً للوصايا، دفعها إليه لا على أنّه أوصى إليه وجعله خليفة له ليكون حجّة عليه؛ بل كما يوصل المستودع الوديعة إلى صاحبها، فلم يفهم السائل ذلك وأعاد السؤال، وقال: دفع الوصايا مستلزم لكونه حجّة عليه؟

فأجاب عليه السلام بأنّه دفع إليه الوصايا على الوجه المذكور، وهذا لا يستلزم كونه حجّة؛ بل ينافيه.

وقوله عليه السلام: (مات من يومه)؛ أي يوم الدفع لا يوم الإقرار، ويحتمل تعلّقه بهما ويكون المراد الإقرار الظاهر الذي اطلع عليه غيره عليه السلام. هذا أظهر الوجوه عندي في حلّ الخبر»<sup>(٢)</sup>.

#### ملاحظة :

قال محقق كتاب الكافي في الهامش تعليقاً على لفظ أبي طالب ما لفظه:

«الظاهر أنّ (أبي طالب) مصحّف (آبي بالط)، وآبي بإمالة الياء من ألقاب علماء النصاري، وبالط اسم ذلك الرجل، كما هو كذلك في نسخ كمال الدين

(١) الكافي (ط الإسلامية): ٤٤٥/١.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤/٣٥.

للشيخ الصدوق (عليه السلام).

أقول: الموجود في كتاب كمال الدين ما يلي:

«... حدثني درست بن أبي منصور الواسطيّ أنّه سأل أبا الحسن الأوّل -

يعني موسى بن جعفر (عليه السلام) - : أكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) محجوجاً بآبي؟

قال : لا، ولكنّه كان مستودعاً لوصاياهم فسلمها إليه (عليه السلام).

قال: قلت: فدفعها إليه على أنّه كان محجوجاً به؟

فقال: لو كان محجوجاً به لما دفع إليه الوصايا.

قلت: فما كان حال آبي؟

قال: أقرّ بالنبويّ (صلى الله عليه وآله) وبما جاء به، ودفع إليه الوصايا، ومات آبي من

يومه»<sup>(١)</sup>.

والذي يجول في خاطر عدم سلامة ما ذهب إليه المعلق على الكافي؛

وذلك لأمر:

أولاً: أنّ الراوي واحد، والمروي عنه واحد، ممّا يعني أنّها رواية واحدة،

فإذا احتتمل التصحيف فالاحتمال وارد في كلّ منهما، فلماذا خصّصت رواية

الكلينيّ بالتصحيف؟!

ثانياً: إنّ رواية الصدوق (عليه السلام) ليس فيها إلّا (آبي)، وليس فيها (بالط)،

كيفية صارت طالب في الكافي مصحفة لبالط غير الموجودة عند الصدوق أيضاً؟!

ثالثاً: إنَّ الذي يُرَجَّح لفظ الكافي أنَّ أبا طالب ﷺ يعيش في مكة؛ أي البيئة التي يعيش فيها الرسول ﷺ، فكونه مستودع وصايا آبائه وأجداده التي يفترض أن تصل إلى الرسول ﷺ أمر قريب جداً، وأمَّا (آبي) -على فرض وجوده- فهو من بيئة أخرى كما سنبينه فيما بعد، فمجيئ مثله إلى مكة -لوجاء لها-، وتسليمه الوصايا للرسول ﷺ، وموته بعد ذلك وهو شخصية كبيرة - حسب الفرض بحيث توهم الراوي أن يكون الرسول ﷺ محجوجاً به فسأل عن ذلك- يقتضي أن يكون حدثاً كبيراً مهماً في تأريخ الدعوة الإسلامية، فكيف يمرّ عليه مؤرخو الدعوة مرور الكرام، ولا يكاد أن يتعرّض له كاتب منهم أو باحث فيهم؟!

رابعاً: إنَّ (آبي) وإن ذكر في بعض الروايات -كما سيأتي- إلاَّ أنه ذكر على أنه آخر أوصياء النبي عيسى ﷺ، ولم يذكر ارتباطه بالنبي ﷺ، ولا اتصاله به، وهذا مما يبعد أن يكون هو مستودع الوصايا التي تسلّم للنبي ﷺ.

خامساً: لم ينقل التأريخ، ولم تذكر الروايات التقاء النبي ﷺ بشخص اسمه (آبي)، لا في سفر ولا في حضر.

سادساً: إنَّ هذه الرواية تنصّ على أنَّ مستودع الوصايا قام بتسليمها إلى

النبي ﷺ مباشرة، ومات من يومه، بينما رواية كمال الدين في بيان قصة إسلام سلمان المحمدي ﷺ تنص على موت آخر الأوصياء الذين التقى بهم سلمان ﷺ، وهو الذي نصت الرواية الآتية على أن اسمه (آبي)؛ فإنَّ فيها:

«.. فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِي: إِنِّي مَيِّتٌ، فَقُلْتُ: عَلَى مَنْ تُخْلِفُنِي؟ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَقُولُ بِمَقَالَتِي هَذِهِ إِلَّا رَاهِبًا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فَإِذَا أَتَيْتَهُ فَأَقْرَبْتُهُ مِنِّي السَّلَامَ وَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا اللَّوْحَ، فَلَمَّا تَوَفَّيَ غَسَلْتُهُ وَكَفَّيْتُهُ وَدَفَنْتُهُ وَأَخَذْتُ اللَّوْحَ وَأَتَيْتُ الصَّوْمَعَةَ وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ عَيْسَى رُوحُ اللَّهِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا حَبِيبُ اللَّهِ فَأَشْرَفَ عَلَيَّ الدَّيْرَانِيُّ فَقَالَ: أَنْتَ رُوزِبَةُ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: اصْعِدْ فَصَعِدْتُ إِلَيْهِ وَخَدَمْتُهُ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِي: إِنِّي مَيِّتٌ، فَقُلْتُ: عَلَى مَنْ تُخْلِفُنِي؟ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَقُولُ بِمَقَالَتِي هَذِهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ حَانَتْ وِلَادَتُهُ فَإِذَا أَتَيْتَهُ فَأَقْرَبْتُهُ مِنِّي السَّلَامَ وَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا اللَّوْحَ.

قَالَ: فَلَمَّا تَوَفَّيَ غَسَلْتُهُ وَكَفَّيْتُهُ وَدَفَنْتُهُ وَأَخَذْتُ اللَّوْحَ وَخَرَجْتُ...»<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال الصدوق رحمه الله في ذيل هذه الرواية:

«وكان سلمان وصي وصي عيسى ﷺ في أداء ما حمل إلى من انتهت إليه

الوصية من المعصومين، وهو (آبي) ﷺ، وقد ذكر قوم أن (آبي) هو أبو طالب وإنما اشتبه الأمر به لأنَّ أمير المؤمنين ﷺ سئلَ عَنْ آخِرِ أَوْصِيَاءِ عِيسَى ﷺ؟ فَقَالَ: أَبِي فَصَحَّفَهُ النَّاسُ وَقَالُوا أَبِي.

ويقال له بردة أيضاً<sup>(١)</sup>.

فآخِرُ أَوْصِيَاءِ عِيسَى ﷺ اسْمُهُ (آبِي) حَسَبِ النَّصِّ الْآتِي، وَقَد مَاتَ قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَسَبِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ فَلَمْ يَسَلِّمْ الْوَصَايَا بِنَفْسِهِ، أَوْ مَاتَ بَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِزَمَانٍ قَلِيلٍ كَمَا رَبَّمَا يَظْهَرُ مِنْ إِحْدَى الرَّوَايَاتِ الْآتِيَةِ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أُعْطِيَ سَلْمَانَ الْوَصَايَا، وَلَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ جَاءَ إِلَى مَكَّةَ وَسَلِّمَهَا بِنَفْسِهِ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ سَلْمَانَ لَمْ يَلْتَقِ بِالرَّسُولِ ﷺ إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ مَاتَ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ بِسِنِينَ طَوِيلَةٍ، فَلَا تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الرَّوَايَةُ السَّابِقَةُ، مِنْ أَنَّهُ دَفَعَ الْوَصَايَا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ، فَيَتَرَجَّحُ أَنْ تَكُونَ رَوَايَةُ كِمَالِ الدِّينِ هِيَ الْمَصْحُفَةُ وَرَوَايَةُ الْكَافِي سَالِمَةٌ مِنَ التَّصْحِيفِ.

والروايات التي ذكرت (آبي) أو (بالط) هي:

- ١- الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الَّذِي تَنَاهَتْ إِلَيْهِ وَصِيَّةُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ آبِي».
- ٢- «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: كَانَ آخِرَ أَوْصِيَاءِ عَيْسَى عليه السلام رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ بِالطَّ.

٣- «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ دُرُسْتِ بْنِ أَبِي مَنْصُورِ الْوَاسِطِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ عليه السلام قَدْ أَتَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَكَانَ آخِرُ مَنْ أَتَى أَبِي فَمَكَثَ عِنْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ فَلَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ عليه السلام قَالَ أَبِي: يَا سَلْمَانُ إِنَّ صَاحِبَكَ الَّذِي تَطْلُبُهُ بِمَكَّةَ قَدْ ظَهَرَ فَتَوَجَّهْ إِلَيْهِ سَلْمَانُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

فالملاحظ أن هذه الروايات تثبت وجود هذا الشخص، من دون التعرّض لالتقائه بالنبي عليه السلام، فضلاً عن تسليمه الوصايا له، ولو كان مستودعاً للوصايا لبيّنته هذه الروايات التي ذكرته.

والنتيجة: أن الذي يظهر من الروايات أن هناك رجلاً اسمه (آبي)، وربّما يسمى (بالط)، وقد ذكر أنه آخر أوصياء النبي عيسى عليه السلام، ولا يوجد أي دليل يدل على ارتباطه بالرسول عليه السلام أو التقائه به، ما عدا هذه الرواية بنسخة كتاب كمال الدين، فمن المستبعد جداً أن يكون التصحيف في رواية الكافي.

ثم إن العلامة المجلسي عليه السلام قال في موضع آخر:

«بيان: يحتمل أن يكون (بالط) و (آبي) واحداً ويحتمل تعدّدهما ويكون الوصايا من عيسى عليه السلام انتهى إليه عليه السلام من جهتين؛ بل من جهات، لما سيأتي أنه

انتهى إليه من جهة بردة أيضاً، وأمّا أبو طالب فإنه كان من أوصياء إبراهيم وإسماعيل عليه، وكان حافظاً لكتبهم ووصاياهم من تلك الجهة، لا من جهة بني إسرائيل، وموسى وعيسى عليه لم يكونا مبعوثين إليهم؛ بل كانوا على ملّة إبراهيم عليه كما مرّت الإشارة إليه في كتاب النبوة<sup>(١)</sup>.

وفي اعتقادات الصدوق عليه، باب الاعتقاد في آباء النبي عليه: «وروي أنّ عبدَ المطلب كان حُجَّةً وأبا طالب كان وصية<sup>(٢)</sup>».

والمستفاد من ذلك كلّه أنّ أبا طالب عليه كان مستودعاً للوصايا التي يوصلها للنبي عليه، ولا شك أنّ تلك الوصايا ليست إلّا أموراً دينية إلهية، جاءت عن طريق آباءه وأجداده الأصفياء المصطفين، وفي هذه الرواية ما يشعر بأنه وصي من الأوصياء؛ إذ من يحمل الوصايا الإلهية التي يوصلها إلى نبي من الأنبياء، إمّا أن يكون نبياً أو وصياً، ولما لم تثبت نبوة أبي طالب عليه فتثبت وصيته، ويؤيد هذا رواية الصدوق عليه المتقدمة في كتاب الاعتقادات، من أنّ عبد المطلب حجّة، فلا أقلّ أنّه وصي من الأوصياء، وأنّ أبا طالب وصيه، ويبعد أن يكون المراد وصيه في أمره الدنيوية كسائر الناس الذين

(١) بحار الأنوار: ١٧/١٤٢.

(٢) اعتقادات الإمامية: ١١٠، ونقلها الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي المتوفى سنة ٦٦٤ هـ في كتابه الدرّ النظيم: ٤٠ رواية عن الإمام الصادق عليه عن كتاب مدينة العلم.

يجعلون لهم وصياً لتنفيذ وصاياهم والقيام بأمرهم وشؤونهم؛ وذلك لأنَّ هذا التعبير جاء بعد قوله: (أَنَّ عبد المطلب كان حجة)، وهذه جملة تمهيدية لبيان أَنَّ أبا طالب ﷺ كان وصيه بما هو حجة، لا بما هو من سائر الناس.

وفي ذلك دلالة واضحة على مقام أبي طالب الشامخ، ونفس هذا المقام يدلُّ على معرفته بما في الكتب السماوية السابقة، وبما يرتبط بالوحي الإلهي، وهي معرفة تدرج تحتها جميع المعارف العليا.

### شاهد ٢ :

قال في قصيدة له:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً      نبياً كموسى خطَّ في أوّل الكتبِ  
وأنّ الذي نمّقتم في كتابكم      لكم كائن نحساً كراغية السغبِ

فهو ﷺ يصرح بأنّه وجد البشارة بنبوة النبي ﷺ في (أوّل الكتب)، وقد تقدّم شرح ذلك.

وأما البيت الثاني فهو يشير فيه إلى قضية ناقة النبيّ صالح ﷺ، وأنّ عنت قريش وجورهم وتعاهدهم في الصحيفة ضدّ النبيّ ﷺ سيعود عليهم بالوبال، كما عاد عنت قوم صالح عليهم بالوبال، فانتقم الله تعالى منهم شرّ انتقام.

قال المولى المازندراني رحمه في شرحه:

«قوله: (ألم تعلموا أننا) الخطاب للمنكرين والمقرّين جميعاً للدعوة والتثبيت، أو للمنكرين فقط، والاستفهام على حقيقته، أو للتقرير والتوبيخ، والتشبيه بموسى في أصل النبوة والعزم، وكونه صاحب شريعة وشوكة، ولا ينافي ذلك فضله عليه، والمراد بكونه مخطوطاً في أوّل الكتب كون اسمه ونعته المذكوراً في الكتب المتقدمة، وفيه دلالة على أن كلّ من أنكره أنكره حسداً وعناداً، كما يشعر به قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وفي البحار: «فأقرّ بنبوته وأكد ذلك بأنّ شبهه بموسى عليه السلام، وزاد في التأكيد بقوله: (خطّ في أوّل الكتب)، فاعترف بأنّه قد بشرّ بنبوته كلّ نبيّ له كتاب، وهذا أمر لا يعترف به إلا من قد سبق له قدم في الإسلام، ثمّ وكّد اعترافه أيضاً بقوله:

وإنّ عليه في العباد محبةً ولا خير ممّن خصّه الله بالحبّ

فاعترف بمحبة الخلق له وبمحبة الله له، وجعله خير الخلق بقوله: (ولا خير) إلى آخره، يعني لا يكون أحد خيراً ممّن خصّه الله بحبه؛ بل هو خير من

(١) سورة البقرة: ١٤٦.

(٢) شرح الكافي: ١٨٢/٧.

كُلُّ أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

فقوله: (ولا خير) يعني ولا أخير.

**شاهد ٣ :**

ما تقدّم من أبيات في قصيدته التي أرسلها إلى النجاشيّ يدعوهُ إلى الإسلام؛ فإنَّ خطابه له خطاب من يعرف بأنَّ الكتب السماويّة تحمل في طياتها البشارة بالنبّي الخاتم عليه السلام، وتحمل أوصافه، وأنَّ المبشّر به هو النبيّ محمد عليه السلام وهو الذي تتلونه في كتابكم.

**شاهد ٤ :**

قوله من قصيدة تحدّث فيها عن لقاء الراهب بحيرى:

فإنّي أخاف الحاسدين وإنّه      لفي الكتب مكتوب بكل مدادٍ

**ثانياً: إيمانه بالغيب :**

يقول :

وبالغيب آمناً وقد كان قومنا      يصلّون للأوثان قبل محمّدٍ

وفي هذا البيت عدّة دلالات:

الأولى: إيمانه بالغيب، وهي من صفات المتّقين؛ حسبما جاء في القرآن

(١) بحار الأنوار: ١٤١/٣٥.

الكريم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿٢﴾﴾<sup>(١)</sup>.

والإيمان بالغيب مرتبة عالية من المعرفة؛ لأنَّ الإنسان العادي مأنوس بالأمور المحسوسة، فيؤمن بها لمشاهدته إياها، أو إحساسه بها بأحد الحواس، وأمَّا الأمور الغائبة عن الحسّ - ولا سيَّما البعيدة والغريبة - فلا يؤمن بها إلا من استطاع أن يتجرّد عن محيطه الحسيّ.

الثانية: من خلال المقارنة بينه ومن معه، وبين قومه نعرف أنَّ مراده من الغيب هو الله تعالى وما أنزله على عباده، كما يظهر من المقابلة بأنَّ قومهم كانوا يصلّون للأوثان قبل محمّد؛ يعني أنّا كنّا نؤمن بالله ونصليّ إليه في الوقت الذي كان قومنا يصلون للأوثان ويعبدونها، فهو يؤمن بالله تعالى على أنه ليس من المحسوسات التي تحسّ بالحواسّ الخمس كما يؤمن المشركون بألهتهم؛ بل يؤمن به على أنه من الغيب الغائب عن الحواسّ، فيدركه المؤمن من خلال العقل.

وإذا جعلنا (قبل محمّد) متعلقاً بـ(آمنا) فهو يصرّح بأنَّ إيماننا بالله تعالى، وبالغيب من أوّل أمرنا؛ أي من قبل أن يبعث النبيّ محمد ﷺ، وهذا ما نؤمن به، من كونه على ملّة إبراهيم الخليل ﷺ، فلم يكن مشركاً ثمّ أسلم، في الوقت الذي تصلي فيه قريش والجاهليّة إلى الأوثان.

الثالثة: التوافق مع القرآن الكريم؛ حيث قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ التي جعلت صفة للمتقين في الآية الكريمة كما ذكرنا.

الرابعة: يشعر تعريضه بقومه الذين يصلّون للأوثان أنه كان يصليّ لله تعالى الذين آمن به.

### ثالثاً: علمه بالغيب :

من الواضح أنّ العلم بالغيب بنحو الاستقلال وبالذات لا يكون إلا إلى الله ﷻ، ولا يشاركه فيه أحد من خلقه، لا نبيّ مرسل، ولا ملك مقرب، ولا ينسب أحد من المسلمين هذا العلم لأحد من البشر؛ ولكنه ﷻ أطلع خاصّة خلقه على علوم غيبية، ولعل سعة ذلك وضيقه يدور مدار قرب العبد منه تعالى وبُعدّه عنه، فكلّما كان أقرب كانت دائرة علمه بالمغيبات أوسع، وتفصيل ذلك في محله، ولكن ما أردنا بيانه أن أبا طالب عليه السلام قد أنبأ بإنبياءات غيبية تدلّ على قربّه من الله تعالى، وعلى معرفة من ذي علم، فإمّا أنّها وصلت إليه عن طريق الإلهام والشوارق الإلهية، أو وصلته من الطرق الأخرى المتصلة بالوحي وعالم الغيب؛ كالكتب السماوية القديمة، أو النقل عن الأوصياء السابقين، وكلّ ذلك يكشف عن علو مرتبته، وشامخ معرفته، وشواهد ذلك:

## شاهد ١: معرفته بولادة ابنه عليّ أمير المؤمنين ﷺ قبل ولادته بثلاثين سنة :

١- ما رواه الكلينيّ في الكافي بسنده، وغيره في غيره:

«عن محمّد بن عبد الله بن مسكان، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله ﷺ: إنّ

فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشّره بمولد النبيّ ﷺ، فقال أبو

طالب: اصبري سبتاً أبشرك بمثله إلا النبوة.

وقال: السبت ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ

ثلاثون سنة»<sup>(١)</sup>.

فالملاحظ من خلال هذه الرواية أنّ أبا طالب ﷺ كان على معرفة تامّة

بعده أمور قبل وقوعها بمدّة طويلة:

١- أنّ هذا المولود المبارك الذي بشّر أبو طالب ﷺ بمولده له شأن

خاصّ؛ بل هو نبيّ من قبّل الله تعالى، كما يكشف عن ذلك استثناءه النبوة

عن الوليد القادم بعد سبت.

٢- أنّه وفاطمة بنت أسد ﷺ سيعيشان إلى ثلاثين سنة قادمة، وهذا أمر

لا يمكن تكهّنه، فضلاً عن الجزم به.

٣- أنّها ﷺ ستلد بعد ثلاثين سنة ولداً ذكراً، فقد أخبر عن الولادة

والمولود وعن صفته ونوعه، ولا يعلم في ذلك الوقت تشخيص ما تحمله

(١) الكافي: ٤٥٢/١.

أرحام النساء من ذكر أو أنثى.

٤- أن الولد الذي ستلده فاطمة بنت أسد ﷺ مماثل لهذا الولد المبارك.

٥- أنه يختلف عنه في النبوة، فهذا الولد المبارك نبي، وذلك الذي ستلدينه ليس بنبي.

٦- أن الذي ستلدينه وصي ووزير لهذا النبي؛ كما يكشف عن ذلك رواية أخرى، وهي ما:

«عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: لما ولد رسول الله ﷺ فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ﷺ إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا؟ إنك تحلين وتلدين بوصيه ووزيره»<sup>(١)</sup>.

وفي الخرائج: «روي عن فاطمة بنت أسد أنه لما ظهرت أمانة وفاة عبد المطلب قال لأولاده من يكفل محمداً؟

قالوا هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه، فقال عبد المطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم ثم زحف إلى عند أبي طالب.

فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب إنني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له

كما كنت له.

قالت: فلما توفي أخذته أبو طالب، وكنت أخدمه وكان يدعوني الأم، وقالت: وكان في بستان دارنا نخلات وكان أول إدراك الرطب وكان أربعون صبياً من أتراب محمد عليه السلام يدخلون علينا كل يوم في البستان ويلتقطون ما يسقط، فما رأيت قطّ محمداً يأخذ رطبة من يد صبي سبق إليها، والآخرين يجلس بعضهم من بعض، وكنت كل يوم ألتقط لمحمد عليه السلام حفنة فما فوقه، وكذلك جاريتي فاتفق يوماً أن نسيت أن ألتقط له شيئاً، ونسيت جاريتي، وكان محمد نائماً، ودخل الصبيان وأخذوا كل ما سقط من الرطب وانصرفوا، فنمت فوضعت الكم على وجهي حياء من محمد إذا انتبه.

قالت: فانتبه محمد ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض، فانصرف فقالت له الجارية: إننا نسينا أن نلتقط شيئاً والصبيان دخلوا وأكلوا جميع ما كان قد سقط، قالت: فانصرف محمد إلى البستان وأشار إلى نخلة وقال: آيتها الشجرة أنا جائع.

قالت: فرأيت الشجرة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها محمد ما أراد، ثم ارتفعت إلى موضعها.

قالت فاطمة: فتعجبت، وكان أبو طالب قد خرج من الدار، وكل يوم إذا رجع وقرع الباب كنت أقول للجارية حتى تفتح الباب، فقرع أبو طالب

فعدوت حافية إليه، وفتحت الباب، وحكيت له ما رأيت.

فقال: هو إنما يكون نبياً، وأنت تلدين له وزيراً بعد ياس، فولدت علياً عليه السلام

كما قال<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الرواية ما يدل على معرفته بنبوة النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته، وبمعرفة

وزيره قبل مولده.

فهذه المغيبات لا يعرفها إلا من أُطلع على الغيب فاطَّلَع عليه، ولا ينال

هذه المعرفة إلا ذو حظٍّ عظيم، ولا يتوهم من استقام عقله أن يؤتاها من لا

حظٌّ له في القرب المعنوي من الله تعالى، فضلاً عن أن يعلم بذلك من كان

مشركاً.

ويؤكد ما تقدّم ما نقله العلامة المجلسي رحمته الله في البحار عن كتاب مولد أمير

المؤمنين عليه السلام: «عن ابن بابويه أنّه رقد أبو طالب في الحجر، فرأى في منامه كأنَّ

باباً انفتح عليه من السماء، فنزل منه نور فشمّله، فانتبه لذلك، وأتى راهب

الجحفة فقصّ عليه، فأنشأ الراهب يقول:

أبشر أبا طالب عن قليلٍ      بالولد الحلالِ النبيلِ

يال قريش فاسمعوا تأويلي      هذان نوران على سبيلِ

كمثل موسى وأخيه السؤلِ

فرجع أبو طالب إلى الكعبة وطاف حولها وأنشد:

أطوف لئلا حول البيتِ      أدعوك بالرغبة محيي الميثِ  
بأن تريني السبط قبل الموتِ      أغرّ نوراً يا عظيم الصوتِ  
منصلاً يقتل أهل الجبِ      وكلّ من دان بيوم السبتِ

أقول: فهو بهذه الأبيات ينيك عن معرفته بالنبي ﷺ وما سيلاقه من أهل زمانه عبدة الأصنام، وغيرهم؛ فإن أهل الجب هم عبدة الأصنام، ومن دان بيوم السبت هم اليهود، فأبو طالب ﷺ يقرأ الغيب، ويعرف ما سيفعله أصحاب السبت، كما يعرفهم بصفتهم التي أزاح القرآن الستار عنها، وقد حدث ما تنبأ به، وذكره في شعره قبل وقوعه بزمان طويل.

ونعود للرواية:

«ثم عاد إلى الحجر فرقد فيه فرأى في منامه كأنه ألبس إكليلاً من ياقوت، وسربالاً من عبقرى، وكان قائلاً يقول: أبا طالبٍ قرّت عيناك، وظفرت يداك، وحسنت رؤياك، فأتي لك بالولد، ومالك البلد، وعظيم التلد، على رغم الحسد، فانتبه فرحاً، فطاف حول الكعبة قائلاً:

أدعوك ربّ البيتِ والطوافِ      والولد المحبّ بالعفافِ  
تعيّنني بالمنن اللطافِ      دعاء عبد بالذنوب وافي  
يا سيّد السادات والأشرافِ

ثم عاد إلى الحجر فرقد، فرأى في منامه عبد مناف يقول: ما يثنيك عن ابنة

أسد؟ - في كلام له - فلما انتبه تزوج بها وطاف بالكعبة قائلاً:

قد صدقت رؤياك بالتعبير	ولست بالمرتاب في الأمور
أدعوك ربّ البيت والنذور	دعاء عبد مخلص فقير
فأعطني يا خالق السرور	بالولد الحلال المذكور
يكون للمبعوث كالوزير	يا لهما يا لهما من نور
قد طلعا من هاشم البدور	في فلك عالٍ على البحور
فيطحن الأرض على الكرور	طحن الرحي للحب بالتدوير
إن قريشاً بات بالتكبير	منهوكة بالغي والثبور
ومالها من مؤئل مجير	من سيفه المنتقم المبير
وصفوة الناموس في السفير	حسامه الخاطف للكفور <sup>(١)</sup>

**شاهد ٢: معرفته بنبوّة النبي ﷺ قبل بعثته :**

تقدّم هذا المعنى في بعض النصوص المتقدّمة، فنشير إلى ذلك نحو إشارة مع بيان دخولها تحت هذا العنوان، فمن ذلك ما ورد في خطبته في زواج النبي ﷺ، فمنها:

(وله والله بعدُ نبأ شائع وخطب جليل)<sup>(٢)</sup>.

فهو يعرفه أنّه النبي ﷺ المرسل في آخر الزمان قبل يوم بعثته، ولم يشأ التصريح؛ بل اكتفى بالإشارة والتلويح، ولكنّه يذكر ذلك عن جزم ويقين،

(١) بحار الأنوار: ٤٧/٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٧٠/١٤، وعنه في البحار: ١٥٧/٣٥ - ١٥٨.

لا عن ظنّ أو احتمال؛ حيث تراه صدرّ قوله بالقسم بالله تعالى، ولا يصدر إلا في حالة اليقين والجزم.

**شاهد ٣: إخباره عن مال العرب مع النبي ﷺ:**

في البحار في رواية طويلة نقتطع منها محلّ الشاهد حينما خاطب أبو طالب ﷺ النبيّ محمداً ﷺ بقوله:

«والله لتذلنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إن من صليبي لنبياً لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فأمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤم من به»<sup>(١)</sup>.

فلقد قرأ في هذا النصّ المختصر المستقبل، وأنبأ عن ما سيؤول إليه أمر النبيّ ومصير الدعوة الإسلامية، وما سيؤول إليه حال العرب معه، ولقد أخبر عن مصدر معرفته وهو عبد المطلب ﷺ، وأنه كان يقرأ الكتاب جميعاً، فمعرفته من ذي علم يتصل بالوحي الإلهيّ.

**شاهد ٤: تنبؤه بمستقبل النبيّ ﷺ ودعوته وأمر أنصاره:**

وقال في وصيّته الأخيرة قبل موته من جملة ما قال، وقد تقدّم ذكرها ومصادرها:

«وأيمُ الله لكأنّي أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل العزّ في الأطراف،

(١) بحار الأنوار: ١٤٧/٣٥ - ١٤٨.

والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤوس قريش وصناديدها أذناً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم لديه، قد محضته العرب ودادها، وصفت له بلادها وأعطته قيادها»<sup>(١)</sup>.

لقد قرأ مستقبل الدعوة الإسلاميّة، ومستقبل المشركين، وماذا سيجري للنبيّ ﷺ وللمسلمين، ومن سيؤمن ومن لن يوفق للإيمان، وما الذي سيحصل بينهما، وما سيؤول إليه أمرهما، من رفعة أو ضعة، قراءة تفصيليّة تامّة بعبارات جزلة موجزة وديباجة موقنة تنمّ عن قدرة بلاغيّة فائقة، وفصاحة محلّقة مشرقة.

ومّا يصب في هذا المعنى ما ذكره في شعره أيضاً:

كأنّي به فوق الجياد يقودها      إلى معشر زاغوا إلى كلّ باطلٍ  
فهو هنا يقرأ مستقبل النبيّ ﷺ وما جرى له مع من زاغوا إلى كلّ باطلٍ،  
ويقرأ ما سيحدث بعد هذه الدعوة المباركة، فيعرف أنّ القوم غير تاركيه،  
وهو غير تاركهم أيضاً، ويعرف من هذا البيت أنّه يعلم بمهاجرته من مكّة،  
ولكنّه سيعود لهم بجيش فوق الجياد يقوده.

(١) روضة الواعظين: ١٤٠/١.

ثمَّ يَستَرسِلُ في قولِه:

وجدت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالطلّي والكلاكلِ  
فهو إذا حصل ما تنبأ به فسوف يجود بنفسه، ويدافع عنه بالأعناق  
والصدور، وقد حصل ذلك في من هم محلّ نفسه، فقد حصل وجاد ابنه أمير  
المؤمنين ﷺ بنفسه ودافع عن النبي ﷺ بما يملك، واستشهد ابنه جعفر في  
سبيل دعوته ﷺ.

وفيها:

ولا شكَّ أنَّ الله رافع أمره ومُعلِّيه في الدنيا ويوم التَّجادلِ  
وهذا الذي تنبأ به أبو طالب ﷺ هو الذي حصل، وقد قاله عن جزم  
ويقين؛ حيث صدرَّ كلامه بقوله: (ولا شكَّ).

وقال أيضاً في قصيدة أخرى:

وينصره الله الذي هو ربّه بأهل العقير أو بسكان يثرب<sup>(١)</sup>  
ويدلّ هذا البيت على اطلاع أبي طالب ﷺ على الغيب؛ بحيث يعرف أنّ  
قريشاً لم تنصره في مهمّته الكبرى، ولكن سوف ينصره الله تعالى بأهل العقير،  
أو بسكان يثرب، وقد صدقت نبوءته، وتحقق ما قال؛ حيث هاجر النبي ﷺ  
إلى يثرب، ونصره سكانها فسمّوا بالأنصار.

والعقير مدينة في الخطّ المشتملة على البحرين والقطيف وهجر، قال الحمويّ في معجم البلدان: «الخطّ: بفتح أوّله، وتشديد الطاء.

في كتاب العين: الخطّ أرض تنسب إليها الرماح الخطيّة، فإذا جعلت النسبة اسماً لازماً قلت خطيّة ولم تذكر الرماح، وهو خطّ عمان. وقال أبو منصور: وذلك السيف كلّه يسمى الخطّ.

ومن قرى الخطّ القطيف والعقير وقطر.

قلت أنا: وجميع هذا في سيف البحرين وعمان، وهي مواضع كانت تجلب إليها الرماح القنا من الهند فتقوم فيه وتباع على العرب»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «العقير: تصغير العقير، وقد مرّ تفسيره: قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر»<sup>(٢)</sup>.

فلعلّ المقصود من (أهل العقير) سكان منطقة الخطّ التي منها العقير؛ فإنّ فيها بني عبد القيس الذين أسلموا في ما بعد طائعين غير مكرهين، فقد شابهوا أهل يثرب كما نطقت به الرواية المرويّة عن أبي خيرة الصباحيّ قال: «كنت في الوفد الذي أتى رسول الله عليه السلام من عبد القيس فزودنا الأراك نستاك به فقلنا: يا رسول الله عندنا الجريد ولكنّا نقبل كرامتك وعطيتك، فقال

(١) معجم البلدان: ٣٧٨/٢.

(٢) معجم البلدان: ١٣٨/٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير مكرهين إذ بعض قوم لم يسلموا إلا خزايا موتورين»<sup>(١)</sup>.

وذكر أهل العقير بإزاء أهل يثرب فيه إشارة إلى كون هذه المنطقة كانت إحدى الخيارات لمهجر الرسول صلى الله عليه وآله، ويوحى ذلك إلى منزلتها، وبعد أن كتبت هذا الكلام صار لقاء مع العلامة الشيخ محسن المعلم حفظه الله تعالى فأثرت السؤال حول سبب اختصاص أهل العقير بالذكر في بيت أبي طالب عليه؟

فقال: توجد رواية ترتبط بمهجر الرسول صلى الله عليه وآله ذكرها في أنوار البدرين، فراجعت أنوار البدرين، فوجدت فيه:

«وأما فضلها على كثير من غيرها، فقد حدثني أقدم مشائخي العلامة الثقة الثبت الحفظة، الوالد الروحاني، التقي الصالح الشيخ أحمد بن الشيخ صالح البحراني قدس الله نفسه، ونور رسمه، وأسنده: أنه لما أمر الله رسوله محمداً المصطفى صلى الله عليه وآله بالهجرة من مكة بعد موت عمّه وكافله سيّد البطحاء، بيضة البلد أبي طالب عليه، وتظاهر المشركين عليه نزل عليه الأمين جبرئيل عليه من الربّ الجليل، وخيّره في الهجرة إلى البحرين أو فلسطين أو المدينة، فترك صلى الله عليه وآله البحرين من أجل البحر، وترك فلسطين لبعدها، واختار المدينة

لقربها من مكة. انتهى كلامه علا في الفردوس مقامه.

قلت: ثم بعد مدة مديدة وقفت على خبر رواه العلامة الثاني الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني، في المجلد الثاني من كتابه أزهار الرياض، والظاهر أنه عن الإمام الصادق بالحق والناطق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالتفصيل الذي ذكره تذ، إلا أنني لم أكن بصدد هذه الكتابة حتى أنقله بلفظه، وهذه فضيلة عظيمة، تدل على شرف الأرض، وقبول أهلها للأطاف؛ بحيث تكون مثوى لسيد المرسلين، ومهاجرة لخاتم النبيين، واستراحته إليها عن أذيات المشركين.

ومنها: أنها أسلمت للنبي عليه السلام طوعاً بالمكاتبة، كما ذكره جملة من أهل التواريخ والسير، من الخاصة والعامة - كما سيأتي - حتى إن الفقهاء صرحوا في كتبهم الفقهية في أحكام الموات بأن البحرين حكمها حكم المدينة؛ لأنها أسلمها طوعاً لا عنوة...»<sup>(١)</sup>.

أقول: أخرج الترمذي في سننه:

«عن جرير بن عبد الله، عن النبي عليه السلام قال: إن الله أوحى إليّ، أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك المدينة، أو البحرين، أو قنسرين»<sup>(٢)</sup>، وأخرجه

(١) أنوار البدرين: ٩٣/١.

(٢) سنن الترمذي: ٣٧٩/٥.

الحاكم النيسابوري في مستدركه وصححه، غير أن فيه: «...هؤلاء البلاد الثلاث نزلت...»<sup>(١)</sup>.

وفي البخاري: «عن أبي موسى أراه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهي إلى أئمة اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب...»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر في الفتح: «وقوله: أو هجر بفتح الهاء والجيم، بلد معروف من البحرين، وهي من مساكن عبد القيس، وقد سبقوا غيرهم من القرى إلى الإسلام، كما سبق بيانه في كتاب الإيمان.

ووقع في بعض نسخ أبي ذر: (أو الهجر) بزيادة ألف ولام، والأول أشهر، وزعم بعض الشراح أن المراد بهجر هنا قرية قريبه من المدينة، وهو خطأ؛ فإن الذي يناسب أن يهاجر إليه لا بد وأن يكون بلداً كبيراً كثير الأهل، وهذه القرية التي قيل إنَّها كانت قرب المدينة يقال لها هجر لا يعرفها أحد، وإنَّها زعم ذلك بعض الناس في قوله: (قلال هجر) أن المراد بها قرية كانت قرب المدينة كان يصنع بها القلال.

وزعم آخرون بأن المراد بها هجر التي بالبحرين، كأن القلال كانت تعمل

(١) المستدرک: ٢/٣.

(٢) صحيح البخاري: ١٨٣/٤.

بها وتجلب إلى المدينة، وعملت بالمدينة على مثالها...

ووقع عند البيهقي من حديث صهيب رفعه: أريت دار هجرتكم، سبخة بين ظهراني حرّتين، فإمّا أن تكون هجر، أو يثرب، ولم يذكر اليّامة<sup>(١)</sup>.

**شاهد ٥: إخباره عن بقاء العداوة بين بني هاشم وبني عبد شمس :**

قال عليه السلام في ضمن قصيدة يردّ فيها على قريش، ويخصّ بالتعريض بني نوفل وبني عبد شمس:

فوالله لا تنفك منّا عداوةٌ ولا منهم ما دام من نسلنا شفرٌ  
فهو في هذا البيت يرمق المستقبل، ويراه بعيني بصير بالأمر رأي العين،  
ويقولها سافرة هادرة: إنّ العداوة بين بني هاشم وبين بني عبد شمس ستسمرّ  
ما بقي من الفريقين أحد، وما تنبأ به أبو طالب عليه السلام هو الذي حصل، فأبو  
سفيان عادى النبيّ صلى الله عليه وآله وحاربه وألب القبائل عليه، ومعاوية عادى أمير  
المؤمنين علياً عليه السلام وحاربه، ثمّ عادى ابنه الحسن المجتبي عليه السلام ودسّ إليه السم،  
ويزيد قتل سيد الشهداء عليه السلام، وبنو مروان قتلوا أولاده الطاهرين، والسفيانيّ  
سيعادي الإمام المنتظر عليه السلام.

**رابعاً: معارف وإرشادات متفرقة في وصيته لقريش :**

في روضة الواعظين: «قال أبو عبد الله عليه السلام: لما حضر أبا طالب الوفاة جمع

(١) فتح الباري: ١٧٨٧.

وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل حرمه، فيكم السيّد المطاع، الطويل الذراع، وفيكم المقدّم الشجاع، الواسع الباع، اعلموا أنّكم لم تتركوا للعرب في المفاخر نصيباً إلاّ حزتموه، ولا شرفاً إلاّ أدركتموه، فلکم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب...»<sup>(١)</sup>.

في هذه الوصية المباركة الآتية معاني جليّة، ومضامين عالية، إسلاميّة وإنسانيّة، وأخلاقيّة، تنمّ عن نفس مصقولة بحبّ الله وحبّ الإنسان، ذات أخلاق زاكية، وتجربة راقية، وإنّك حين تقرؤها وتقرأ علل الوصايا تقرّ المثل الإنسانيّة العليا، ففي البدء يبدأ بالوصية بالكعبة الشريفة ويعلّل ذلك، وسنضعها بلون غامق، والتعليق منّا باللون العادي، قال:

وإنّي موصيكم بوصية فاحفظوها:

١- أوصيكم بتعظيم هذه البنية؛ أي الكعبة المشرفة.

أ- فإنّ فيها مرضاة الرّب. وذلك لمعرفة أنّها بيت الله تعالى فهي مرتبطة به جلّ وعلا، فتعظيمها تعظيم لشعائر الله.

ب- وقواماً للمعاش، ويحتمل فيه احتمالان:

(١) روضة الواعظين: ١٤٠.

أولهما: أن تعظيم هذه البنية مدعاة لاستمرار مجيء الحجاج لمكة المكرمة، ومجيئهم سينعش الحال الاقتصادية فيها، شأنها شأن أي بلد سياحي بأي نوع من أنواع السياحة، الدينية أو غيرها.

وثانيهما: أن نفس تعظيم الكعبة مما يدرّ المعاش وينعشه بلطف من الله تعالى وكرمه وإمداده الغيبي، كأن تكثر ماشيتهم بكثرة ولاداتها، وعدم مرضها ولا موتها، أو إقبال الناس على الشراء منهم فيتضاعف ربحهم وهكذا..، شأن ذلك شأن الأمور الغيبية الأخرى، كما هو الحال في الصدقة؛ فإنها مع كونها إنفاقاً إلا أنّها تجلب البركة لصاحبها، وتدفع عنه البلاء ببركتها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٧٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ ﴿٧٨﴾﴾.

وورد في الكافي الشريف بسنده عن سلمة بن محرز قال: «كنت عند أبي عبد الله ﷺ إذ جاءه رجل يقال له: أبو الورد فقال لأبي عبد الله ﷺ: رحمك الله إنك لو كنت أرحت بدنك من المحمل، فقال أبو عبد الله ﷺ: يا أبا الورد، إني

أحب أن أشهد المنافع التي قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ﴾، إنه لا يشهدا أحد إلا نفعه الله، أما أنتم فترجعون مغفوراً لكم، وأما غيركم فيحفظون في أهاليهم وأموالهم»<sup>(١)</sup>.

ج- وثبوتاً للوطأة، ولعلّ المراد أنّ تعظيمها يوجب ثبات أقدامهم في جوارها ما داموا معظّمين لها، من قبيل ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>، فقد قيل في أحد تفاسيرها: «وطء الأرض وضع القدم عليها، وكونها أشد وطأً كناية عن كونها أثبت قدماً لصفاء النفس وعدم تكدرها بالشواغل النهارية»<sup>(٣)</sup>.

٢- وصلوا أرحامكم:

أ- ففي صلتها منسأة في الأجل.

ب- وزيادة في العدد.

أكد الإسلام على صلة الرحم، كما سنذكر بعض الروايات التي تفيد ذلك، ولقد بين أبو طالب عليه هذه الجهة في خطابه إلى قريش الأمة الكافرة، فأنت ترى وصيته بصلة الرحم، وتعليه لذلك مطابقاً لما جاء به الإسلام

(١) الكافي: ٢٦٤/٤.

(٢) سورة المزمل: ٦.

(٣) الميزان: ٦٤/٢٠.

وذكر في الروايات.

ولا يخفى أن نفس صلة الأرحام مطلب عقلائيّ؛ بل أمر فطريّ؛ فإنّ الإنسان السوي يأتي به بحسب طبيعته الإنسانيّة، فربّما يقال: بأنّ ما أتى به أبو طالب ﷺ لا يختلف فيه عن غيره، ولا يميّزه على سائر بني جنسه.

فنقول: إنّ هذا المقدار صحيح؛ ولكن ماذا تقولون عن التعليل، وبيان علّة هذا التشريع، أو بيان الحكمة منه؟ هل يدركه العقلاء بفطرتهم؟!  
الجواب بالنفي بالطبع.

فإذن تعليله بأنّ صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العمر، لم يصدر منه إلا عن معرفة واطلاع بعلم الأحكام، وهذه خصوصيّة لا يعرفها إلا من أتصل بذلك السراج الوهاج، وأنست نفسه بنور الأنوار، فأشرقت عليها شوارق الإلهام من لدن خير عليم.

روى القطب الراونديّ في لبّ الباب: «عن النبيّ ﷺ قال: صلوا أرحامكم، فإنّ صلة الرحم تزيد في العمر، وتقي مية السوء»<sup>(١)</sup>.

وفي الوافي: «عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>؟

(١) مستدرک الوسائل: ٢٥٠/١٥.

(٢) سورة النساء: ٣.

قال: فقال: هي أرحام الناس إنَّ الله تعالى أمر بصلتها وعظّمها، ألا ترى أنّه جعلها منه.

بيان: (تَسْأَلُونَ بِهِ) قد مضى تفسيرها في بيان الآيات، جعلها منه؛ أي قرنها باسمه في الأمر بالتقوى، قال ابن الأثير في نهايته: قد تكرر في الحديث ذكر صلة الرحم وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا وأساؤا، وقطع الرحم ضدُّ ذلك يقال: وصل رحمه يصلها وصلًا وصلة، والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة، فكأنَّه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر<sup>(١)</sup>.

٣- وتركوا العقوق والبغي؛ ففيهما هلكت القرون قبلكم.

نلاحظ في هذه العبارة القصيرة موعظة أخلاقية اجتماعية كبيرة، وهذا النحو من الإرشاد لا يصدر إلا من من كمل عقله، وعرف زمانه وما قبله، فاطلع على تجارب الأمم الماضين وعرف سرَّ هلاكهم؛ فإنَّ نفس الأمر بترك العقوق والبغي في متناول عامة العقلاء؛ ولكنَّ التعليل بهلاك القرون بسببها يحتاج إلى دراية تامّة، وخبرة واسعة، وذكاء يلتقط الصور البعيدة، وإذا أردنا أن نعرف علاقة التعليل بالمعلّل فلننمِّ صوب أبواب العلم، ومصايح

(١) الوافي: ٥٠٣/٥.

الفهم، ولتتابع روايات أهل البيت عليهم السلام لنجد ما يصلح أن يكون بياناً لهذا الارتباط، بين العقوق والبغي وبين هلاك الأمم، ففي الرواية:

«وكتب علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسأله: حرّم الله قتل النفس لعلّة فساد الخلق في تحليله لو أحلّ، وفنائهم وفساد التدبير.

وحرّم الله تبارك وتعالى عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوقير لله عز وجل، والتوقير للوالدين، وكفران النعمة، وإبطال الشكر، وما يدعو من ذلك إلى قلة النسل وانقطاعه؛ لما في العقوق من قلة توقير الوالدين والعرفان بحقّهما، وقطع الأرحام والزهد من الوالدين في الولد، وترك التربية لعلّة ترك الولد برّهما»<sup>(١)</sup>.

قال المجلسيّ الأوّل رحمته الله في الروضة: «فإنّه تعالى أمر بإطاعتها في جميع الأديان مع أنّ العقل يحكم أيضاً، فتعظيمها تعظيم لله تعالى، وكذا صلة الرحم، وهو أفضل أفرادها مع أنّه مع العقوق يترك الوالدان تربيتها ويخلّ ذلك بنظام العالم»<sup>(٢)</sup>.

٤ - أجيئوا الداعي.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٥٦٥.

(٢) روضة المتقين: ٢٧١/٩.

٥- وأعطوا السائل؛ فإنَّ فيها شرفاً للحياة والمات.

٦- عليكم بصدق الحديث.

٧- وأداء الأمانة؛ فإنَّ فيهما:

أ- نفياً للتهمة.

ب- وجلالة في الأعين.

٨- واجتنبوا الخلاف على الناس.

٩- وتفضلوا عليهم؛ فإنَّ فيهما:

أ- محبةً للخاصة.

ب- ومكرمة للعامة.

ج- وقوة لأهل البيت.

فهذه كلها دعوة لمكارم الأخلاق، والمثل العليا الراقية، التي تنم عن نفس لم تعرف إلا خصال الكمال، وجلائل الأعمال، وتتبع عن روح شفافة كالضوء، تخترق الظلام، فتضيء العتمة، فمن الواضح جداً أنها صدرت عن رجل ملك عقله كل حواسه، فدخلت تحت سلطانه، فلا يتحرك إلا بعقله، فتراه في جلال العمر، ومنتهى مسيرة حياته وهو يلقي بمواعظه ونصائحه لوجوه قريش، وفيهم من ناوؤه وعادوه وآذوه، ولكنه لم يحمل لهم إلا الخير والعطف والرأفة، ولم يحمل لهم ضعناً، ولا حقداً، ولا كراهية، فهو -كغيره

من هداة الأنام - مشعل هداية، وسراج ظلمة.

ثم بعد أن ينتهي من نصحهم بالنصيحة التي ترقى بأنفسهم وأرواحهم إلى معالي الأمور ليزدانوا بها في عالم الدنيا، يتوجه لهم بالنصيحة التي تنفعهم في الدارين، دار الفناء، ودار الخلود والبقاء، ويوصيهم بشخصية المجتمع المكّي الأولى؛ بل سيّد ولد آدم، فيقول:

١٠ - وإني أوصيكم بمحمّد خيراً:

أ- فإنه الأمين في قريش.

ب- والصدّيق في العرب.

ج- وهو جامع لهذه الخصال التي أوصيكم بها.

هذه عقيدته في النبيّ ﷺ من حيث الصفات الشريفة، والخصال المنيفة، والكلمات المعنوية، فهو جامع لكلّ ما أوصاهم به، فلا يحتاج إلى توصية، وإنّما يحتاج إلى من يتابعه عليها، ويقتدي به فيها، ثمّ أعلن عن عقيدته فيه من حيث الرسالة والنبوة فقال:

قد جاءكم بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان؛ مخافة الشنآن.

فهو يؤمن بما جاء به النبيّ ﷺ بقلبه، ولنقف عند (مخافة الشنآن)، فالشنآن بفتح النون وسكونها: البغضاء؛ أي لم أظهره باللسان مخافة عداوة القوم، فما لم يظهر أنّه مؤمن بالنبيّ ﷺ، وأنّه على دينه لم يعادوه من هذه الجهة، فيتستى

له حفظه، والدفاع عنه بما قام به.

ثم يرمق المستقبل من خلال ستر رقيق فيقول لهم:

وأيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل العزّ في الأطراف، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أخطأهم لديه، قد محضته العرب ودادها، وصفت له بلادها، وأعطته قيادها.

فتراه في هذه الجُمْل يرمق المستقبل من خلال ستر رقيق، فيكشف عنه، وينبّه عليه، ويحذّر منه، ويدعوهم للاستفادة من حاضرهم لمستقبلهم؛ ولكنهم لا يعقلون، فمن أخذ بوصيته وتمسك بحبل نبيّه فقد فاز، وصار رأساً، ومن لم يستمع لقوله صار ذنباً، أو طليقاً، أو ذهب هالكاً، وهل رأيت في المسيرة الإسلاميّة غير ما قاله أبو طالب ﷺ؟!!

وقد بذل أبو طالب ﷺ جهده للاستماع لقوله، وحثّ قومه على الإيمان بالنبيّ محمد ﷺ، والأخذ بما جاء به، وأنّه ليعلم أنّ عائد ذلك لهم، ويصبّ في مصلحتهم، فقال:

فدونكم - يا معشر قريش - ابن أبيكم وأمّكم، كونوا له ولاة، ولحربه

حماة، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلاّ رشد، ولا يأخذ أحد بهداه إلاّ سعد.  
ليقف المتفكر متفكراً، والمتأمل متأملاً في هذه الجملة التي ابتدأها بالقسم،  
وحلف فيها بلفظ الجلالة على نحو الجزم واليقين؛ ليقرّر أمرين:

١- رشد من يسلك سبيل النبي عليه السلام.

٢- وسعادة من يأخذ بهداه.

فأبو طالب عليه السلام يعرف الرشاد، وأنه موجود في سبيل ابن أخيه عليه السلام، فلا  
يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يتخلّى عن معرفته، وأن يترك طريق سعاداته،  
فلا يقرأ هذه الجملة قارئ ثمّ يكون في شكّ من إيمانه عليه السلام.

ثمّ يؤكّد على موقفه وعقيدته في النبي عليه السلام، فيقول:

ولو كان لنفسي مدّة، وفي أجلي تأخير، لكفيتها الكوافي، ولدافعت عنه  
الدواهي، غير أنّي أشهد بشهادته، وأعظم مقالته<sup>(١)</sup>.

قال العلامة الأميني رحمته الله:

«في هذه الوصيّة الطافحة بالإيمان والرشاد دلالة واضحة على أنّه عليه السلام إنّما  
أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنان  
قومه المستتبع لانثياهم عنه، المؤدّي إلى ضعف المنّة وتفكّك القوى، فلا  
يتسنى له حينئذ الذبّ عن رسول الله عليه السلام وإن كان الإيمان به مستقرّاً في الجنان

من أوّل يومه؛ لكنّه لما شعر بأزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجتته أضالعه فأوصى بالنبي ﷺ بوصيته الخالدة<sup>(١)</sup>.

### خامساً: معرفته بقصص الأمم السابقة :

يقول في ضمن قصيدة يحذّر فيها قريشاً لئلا يصيبهم مثل ما أصاب قوم عاد وثمود حينما كذبوا رسل الله إليهم، ولم يؤمنوا بهم:

تكون لغيركمُ عبرة	وربّ المغارب والمشرق
كما نال من كان من قبلكم	ثمود وعاد فمن ذا بقي؟
غداة أتاهم بها صرصرٌ	وناقة ذي العرش إذ تستقي
فحلّ عليهم بها سخطة	من الله في ضربة الدوسق
غداة يعضّ بعرقوبها	حسام من الهند ذو رونق <sup>(٢)</sup>

وفي هذه الأبيات وأمثالها دلالات واضحة على إيمانه بالأنبياء والرسل السابقين، ومعرفته بقصصهم مع قومهم، وقصص قومهم معهم، وبما حلّ على قومهم من عذاب الله تعالى بعد عنادهم وسيء أعمالهم، وهذا بنفسه دليل واضح على إيمانه بالله تعالى وبقدرته وعظمته، وإلا فكيف يجعل ذلك عبرة

(١) الغدير: ٣٦٧/٧، ونقلها عن: الروض الأنف: ٢٥٩/١، المواهب: ٧٢/١، تاريخ الخميس: ٣٣٩/١، ثمرات الأوراق هامش المستطرف: ٩/٢، بلوغ الإرب: ٣٢٧/١، السيرة الحليّة: ٣٧٥/١، السيرة لزيني ذحلان هامش الحليّة: ٩٣/١، أسنى المطالب: ٥.

لمن اعتبر، وهو لا يعتبر، وهو سيّد العقلاء؟!!

ويدلّ على ذلك أيضاً حلفه برّب المغارب والمشرق؟! وإيمانه بأنّ الناقة جاءت من ذي العرش وهو الله تعالى، فهو يعرف ويقرّ بأنّ الناقة معجزة لنبيّ الله من الله تعالى، وتصريحه بأنّ السخطة التي حلّت على ثمود كانت من عند الله تعالى، فكلُّ ذلك دلائل وشواهد، يشدّ بعضها بعضاً، ويتبع بعضها بعضاً، على عميق إيمانه، وطيب روحه وجنانه، كما تدلّ على رأفته بقومه، وخوفه عليهم من عذاب الدنيا قبل الآخرة.

ثمّ إنّ مصدر معرفته بذلك أحد أمور:

١- ما عنده من خزائن العلم، وشوارق الإلهام؛ لكونه وصياً من الأوصياء كما تقدّم النقل عن العلامة المجلسي رحمته الله، من كونه من أوصياء إبراهيم عليه السلام.

٢- أخذ ذلك من الكتب الإلهية السابقة.

٣- أخذ معرفة ذلك من النبيّ صلى الله عليه وآله وما جاء في القرآن الكريم.

وأياً اخترت من هذه الثلاثة فهو مدح له، وبيان لفضله؛ أمّا الأول فواضح؛ فإنّ وصيّ إبراهيم عليه السلام ينبغي أن يكون خازناً لعلوم النبيين.

وأما الثاني فهو يدلّ على اطلاعه على الكتب الإلهية غير المحرّفة؛ بل كما أنزلت، وإيمانه بها وبما فيها؛ حيث يحكي القصة حكاية مؤمن بها، ومعتبر بها

فيها، ولهذا حذّر قومه من مخالفتهم لرسول الله ﷺ وعنادهم له.

وأما الثالث فهو يدلّ على إيمانه بالقرآن، وبمن أنزله، وبمن أنزل عليه.

ثمّ إنّ هذه الآيات تحكي قصة ثمود، قوم النبيّ صالح ﷺ، حينما عقروا الناقة، فصبّ الله عليهم جام غضبه، فأفناهم عن آخرهم، وهي من العبر العظيمة التي تعرّض لها القرآن الكريم في غير موضع، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۖ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۖ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۗ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۗ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أشار إلى هذه القصة في موضع آخر يخاطب فيه قريشاً حينما علّقوا

الصحيفة المشؤومة:

وإنّ الذي علّقتم من كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقب

**سادساً: معرفته بالأدعية النافعة المؤثرة:**

قال الشعيريّ في جامع الأخبار، الفصل السادس في فضائل أصلاب

وأرحام النبيّ ﷺ وعليّ ﷺ:

«رُويَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ بَابُوَيْهِ الْقُمِّيِّ،

وساق السند إلى قوله: قَالَ: حَدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ عَنْ مِيلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَقَالَ ﷺ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ خَيْرِ مَوْلُودٍ وُلِدَ

بَعْدِي عَلَى سُنَّةِ الْمَسِيحِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَعَلِيًّا مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ، كُنْتُ فِي جَنْبِ  
 آدَمَ الْأَيْمَنِ، وَعَلِيٌّ فِي جَنْبِهِ الْأَيْسَرِ نُسِّحَ اللَّهُ وَنُقِدَّسَهُ، إِلَى أَنْ نَقُلْنَا مِنْ صُلْبِهِ  
 إِلَى الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ، وَالْأَرْحَامِ الطَّيِّبَةِ، إِلَى أَنْ أُوْدَعَنِي فِي صُلْبِ عَبْدِ اللَّهِ  
 بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَخَيْرِ رَحِمٍ، وَهِيَ أَمْنَةٌ بِنْتُ وَهْبٍ، وَأُوْدَعَ عَلِيًّا فِي صُلْبِ  
 أَبِي طَالِبٍ، وَرَحِمِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ.

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: لَمَّا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ الثُّلُثُ أَخَذَ فَاطِمَةَ مَا يَأْخُذُ مِنَ النِّسَاءِ  
 عِنْدَ الْوِلَادَةِ، فَقُلْتُ لَهَا: مَا بِأَلِكِ يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ؟

قَالَتْ: إِنِّي أَجِدُ وَهَجًا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهَا الَّذِي فِيهِ النَّجَاةُ فَسَكَتَتْ»<sup>(١)</sup>.

فمن العبارة الأخيرة نستفيد أنه كان عنده ﷺ مجموعة أدعية، وقد اختار  
 أن يقرأ عليها في هذه الحالة الدعاء الذي فيه النجاة، وفي ذلك من الدلالات  
 الواضحات ما يدل على عمق معرفته بالجانب الغيبي.

### سابعاً: روايات أبي طالب عن النبي :

١- قال السيد ﷺ: ومن ذلك ما رواه الحنبلِيّ صاحب كتاب نهاية الطلب  
 وغاية السؤال بإسناده عن أمير المؤمنين علي ﷺ قال: «سمعت أبا طالب ﷺ  
 يقول: حدّثني محمّد ابن أخي - وكان والله صدوقاً- قال: قلت له: بم بعثت  
 يا محمّد؟

(١) جامع الأخبار (للشعيرى): ١٥ - ١٦.

قال: بصلة الأرحام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»<sup>(١)</sup>.

٢- وفي تاريخ دمشق بإسناده عن عليّ قال: «سمعت أبا طالب يقول: حدّثني محمد ابن أخي - وكان والله صدوقاً- قال: قلت له: بما بعثت يا محمّد؟ قال: بصلة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة»<sup>(٢)</sup>.

٣- وبإسناده إلى مهاجر مولى بني نوفل قال: «سمعت أبا رافع سمع أبا طالب يقول: حدّثني محمّد أنّ الله أمره بصلة الأرحام، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه أحداً، ومحمّد عندي الصدوق الأمين»<sup>(٣)</sup>.

٤- ما رواه صاحب كتاب نهاية الطلب وغاية السؤل بإسناده إلى عروة بن عمر الثقفيّ قال: «سمعت أبا طالب عليه السلام قال: سمعت ابن أخي الأمين يقول: اشكر ترزق، ولا تكفر فتعذب»<sup>(٤)</sup>.

قال الزركشيّ في البحر المحيط في أصول الفقه: «وروى الإمام أحمد في المسند من جهة محمّد بن الحنفية، عن عروة بن عمرو الثقفيّ، سمعت أبا طالب قال: سمعت ابن أخي الأمين يقول: اشكر ترزق، ولا تكفر فتعذب. ورواه الحافظ الصريفيّ، وقال غريب عجيب رواية أبي طالب عن

(١) بحار الأنوار: ١٥١/٣٥، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٣٠٨/٦٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣٠٨/٦٦.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٣٠٨/٦٦.

(٤) بحار الأنوار: ١٥١/٣٥.

النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

ووجه الغرابة عنده أنه مات كافراً حسب رأيهم.

ووجه الغرابة أنهم لا يرون إيمانه فيتعجبون من روايته عن النبي ﷺ، ولو أنهم أنصفوا أنفسهم وأنصفوه لرأوه بغير العين التي أعمشها الإعلام الأموي والعباسي.

ونقله السيوطي في كتابه المحاضرات والمحاورات عن ابن الجوزي في كتابه جامع المسانيد<sup>(٢)</sup>.

وفي السيرة الحلبية: «وروى أبو طالب عن النبي ﷺ قال: حدثني محمد أن الله أمره بصلة الأرحام، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره، وقال: سمعت ابن أخي الأمين يقول: اشكر ترزق ولا تكفر تعذب»<sup>(٣)</sup>.

## ثامناً: معرفته بالأحكام الإلهية:

شاهد ١:

إن معرفة أبي طالب ﷺ بالأحكام الإسلامية غير عجيب - وإن كان هو الأمر العجيب -، بعد اتصاله بالرسول ﷺ من أول الدعوة؛ ولكن الذي

(١) البحر المحيط في أصول الفقه: ٣٢٩/٣.

(٢) المحاضرات والمحاورات: ٣٦٠.

(٣) السيرة الحلبية: ٤٩/٢.

يثير الانتباه معرفته ببعضها في بدء الدعوة؛ بل يمكن أن يستشف معرفته بها من قبل أن يبلغها الرسول عليه السلام!

فهذه الرواية الآتية تدلّ على معرفته ببعض أحكام صلاة الجماعة، مع أنه تشريع جديد جاء به الرسول عليه السلام في بدء الدعوة، ويظهر من الرواية أن أبا طالب عليه السلام لم ير صلاة الجماعة في حياته قطّ، وكانت هذه هي المرّة الأولى؛ بل صريح الرواية الثانية الآتية أنّها أوّل صلاة جماعة في الإسلام ومع ذلك ذكر الحكم:

ففي تفسير علي بن إبراهيم: «نزلت النبوة على رسول الله عليه السلام يوم الاثنين، وأسلم علي عليه السلام يوم الثلاثاء، ثمّ أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبي عليه السلام، ثمّ دخل أبو طالب إلى النبي عليه السلام وهو يصليّ وعليّ بجنبه، وكان مع أبي طالب جعفر، فقال له أبو طالب: صلّ جناح ابن عمّك، فوقف جعفر على يسار رسول الله عليه السلام، فبدر رسول الله عليه السلام من بينهما فكان يصليّ رسول الله عليه السلام وعليّ وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة، إلى أن أنزل الله عليه ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

فالملاحظ أنّ أبا طالب عليه السلام أمر ابنه جعفر أنّ يقف في الجانب الثاني

(١) سورة الحجر: ٩٤.

(٢) بحار الأنوار: ٨٠/٣٥.

للرسول عليه السلام، ولم ينتظر فراغ الرسول عليه السلام من صلاته ليسأله ماذا تصنع؟ وكيف تتم الصلاة جماعة؟ وكيف يلتحق المتأخر بالصلاة؟ أو هل له الالتحاق أو لا؟ بل قال لابنه: صل جناح ابن عمك، فأمره بالالتحاق بالجماعة، وهذا لا يصدر إلا من عارف بالموضوع وبالمحمول؛ أي عارف بأن هذه صلاة جماعة، وأن الحكم فيها أن يلتحق المتأخر بالجماعة ويقف في الجانب الثاني، أو لا يقف خلف المأموم، وهذا لا يكون إلا من تعلم من ذي علم.

ومما يدل على أن هذه هي الجماعة الأولى في الإسلام، ما تقدم من رواية الشيخ الصدوق رحمته الله في الأمالي، وفيها: «قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أول جماعة كانت، إن رسول الله عليه السلام كان يصلي وأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه، إذ مر أبو طالب به وجعفر معه، فقال: يا بني صل جناح ابن عمك... قال: فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم»<sup>(١)</sup>.

فيستفاد منها أن أبا طالب عليه السلام لم يكن رأى صلاة الجماعة قبل ذلك، ومع ذلك طبق حكم الالتحاق بها؛ حيث أمر ابنه جعفر أن يصلي مع الرسول عليه السلام بقوله: (صل جناح...).

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٠٨، المجلس السادس والسبعون.

## شاهد ٢ :

قال أبو طالب ﷺ :

يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن لنحلف بطلاً بالعتيق المحجب  
إنّ هذا البيت يدلّ بوضوح على معرفته ﷺ باليمين الصادقة، واليمين  
الباطلة الكاذبة، وإنّه عندما يحلف فهو يحلف صادقاً، وليس من شأنه ولا  
ديدنه أن يحلف باطلاً.

ويدلّ من جهة أخرى على معرفته بحرمة الكعبة المشرفة؛ بحيث لا يحلف  
باطلاً (بالعتيق المحجب).

وفي هذا البيت يظهر اختلاف اتجاهه مع اتجاه قريش المشركين الذين لا  
يحلّفون إلاّ باللات والعزى، وهذا الاتجاه ممّا يفرقه عنهم؛ فإنّ المشركين لا  
تراهم إلاّ حالفين باللات والعزى، في الصغيرة والكبيرة، ولكنّ أبا طالب ﷺ  
لا تراه إلاّ حالفاً بالله تعالى، أو بما يعود إليه تعالى.

وقد تكرر منه الحلف بما يتّصل بالله تعالى، فقال في قصيدة أخرى:

فإني ومن حجّ من راكبٍ      وكعبة مكة ذات الحجب  
تناولون أحمد أو تصطلوا      ظباة الرماح وحدّ القضب

### تاسعاً: تكرر صدور الحلف بالله تعالى من أبي طالب :

مما يلفت نظر القارئ في شعر أبي طالب ﷺ ونثره تكرر صدور الحلف  
منه بالله تعالى بلفظ الجلالة، وهو من المؤشّرات المهمة على كونه مؤمناً بالله

تعالى، لا بغيره؛ فَإِنَّ المشركين يملفون عادة باللات والعزى في شؤونهم وأقوالهم كما ذكرنا ذلك سابقاً، وهو لم يفعل ذلك في مهامه، وإليك سرد لذلك:

١- والله لا أخذل النبيّ...

٢- فوالله لولا الله لا شيء غيره.

٣- والله لن يصلوا إليك بجمعهم.

٤- فوالله لولا أن أجيء بسبّة.

٥- فوالله لا تنفك منّا عداوةً.

٦- وله والله بعد نبأ شائع وخطب جليل.

٧- ثمّ قال: أنت والله أشرفهم حيّاً وأرفعهم منصباً.

٨- والله لا يسلكك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد.

٩- والله لتذلنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها.

١٠- والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشّد.

١١- والله ما كذبنا ابن أخي قطّ فارجعوا.

١٢- والله إنه لصادق القيل.

١٣- فقلت: والله لا يفارقني حيثما توجهت أبداً.

١٤- فكان والله البعير الذي عليه محمدٌ أممي لا يفارقني.

١٥- فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا مِائَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا.

١٦- فَلَمَّا قَرَّبْنَا مِنَ الشَّامِ رَأَيْتُ وَاللَّهِ قُصُورَ الشَّامِ كُلَّهَا قَدْ اهْتَزَّتْ.

١٧- وَاللَّهِ قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ الَّذِي وَصَفَهُ بِحِيرَى وَأَكْثَرَ.

١٨- فقال: والله ما أنصفتُموني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وتأخذون

ابني تقتلونهم؟! هذا والله ما لا يكون أبداً.

١٩- وإنما أنا أحدهم، غير أنني والله أسرهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت

به، فوالله، لا أزال أحوطك وأمنعك.

٢٠- فقال أبو طالب: والله، لنمنعه ما بقينا.

٢١- قال: والله ما جئت لهذا ولكن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - أن

الله قد أخبره بحال صحيفتكم.

٢٢- فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا.

٢٣- قال: سمعت أبا طالب ﷺ يقول: حدّثني محمد ابن أخي - وكان

والله صدوقاً -.

٢٤- وإني لكم والله لا تقتلونهم.

ومن هذا القبيل حلفه بالبيت الشريف المضاف لله تعالى، مثل:

١- كذبتم - وبيت الله - يثلم ركنه.

٢- كذبتم - وبيت الله - حتى نذيقكم.

٣- كذبتهم - وبيت الله - نترك مكة.

٤- كذبتهم - وبيت الله - نزي محمدًا.

٥- فلسنا - وبيت الله - نسلم أحمدًا.

### حلف المشركين بالهتهم :

وفي مقابل ذلك نلاحظ أقسام وحلف عتاة قريش ومردتها ومن تبعهم؛

فإنهم كانوا يخلفون باللالات والعزى، ولنقتصر على بعض النماذج:

١- في مسند أحمد عن أبي هريرة قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد

وجبه بين أظهركم؟

قال: فقيل: نعم، فقال: واللالات والعزى يميناً يخلف بها لئن رأيتَه يفعل

ذلك لأطأَنَّ على رقبتَه، أو لأعفرنَّ وجهه في التراب.

قال: فأتى رسول الله ﷺ زعم ليطأ على رقبتَه، قال: فما فجأهم منه إلا

وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه.

قال: قالوا له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه لخذقاً من نار..»<sup>(١)</sup>.

٢- في مجمع الزوائد: «وعن أبي هريرة قال لما كان يوم الفتح بعث رسول

الله ﷺ إلى أمّ عثمان بن طلحة أن ابعتي إليّ بمفتاح الكعبة.

فقال: لا واللات والعزى لا أبعث به إليك..»<sup>(١)</sup>.

٣- في الأحاد والمثاني: «... حدّثني محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث، عن أبيه أنهم وجدوا كتاباً في أسفل المقام، فدعت قريش رجلاً من حمير فقرأه لهم: أنا ربّ مكة الحرام...، ثمّ قال: يا معشر قريش إنّ فيه حرفاً لو حدّثكموه لقتلتموني!

قالوا: واللات والعزى إنّك لآمن.

قال: إذا لا يمنعي منكم أحد، فظننا فيه ذكر محمد ﷺ فكتمنا»<sup>(٢)</sup>.

٤- شرح نهج البلاغة في قصّة غزوة بدر: «وقام زمعة بن الأسود، فقال: إنّهُ واللات والعزى ما نزل بكم أمر أعظم من أن طمع محمّد وأهل يثرب أن يعرضوا لغيركم فيها خزائنكم، فأوعبوا ولا يتخلف منكم أحد»<sup>(٣)</sup>.

٥- شرح النهج في قصّة طعنة النبي ﷺ أبي بن خلف: «... ثمّ طعنه بالحربة في عنقه وهو على فرسه لم يسقط، إلّا أنّه خار كما يخور الثور، فقال له أصحابه: أبا عامر، والله ما بك بأس، ولو كان هذا الذي بك بعين أحد ما ضرّه.

(١) مجمع الزوائد: ٢٩٤/٣.

(٢) الأحاد والمثاني: ١٤٧/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٩٥/١٤.

قال: واللات والعزى، لو كان الذي بي بأهل المجاز لماتوا كلهم أجمعون،  
أليس قال: لأقتلنه! فاحتملوه...»<sup>(١)</sup>.

٦- في تفسير مقاتل بن سليمان: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿أَبُو سَفْيَانَ لَكُفَّارُ  
مَكَّةَ: وَاللَّاتُ وَالْعُزَّى ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ أَبَدًا، فَلَمَّا حَلَفَ أَبُو سَفْيَانَ بِالْأَصْنَامِ  
حَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ بِاللَّهِ ﷻ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَ كُفْرًا  
السَّاعَةَ﴾»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا القبيل قول أبي سفيان في أعقاب غزوة أحد، كما في البخاري في  
حديث: «... ثم أخذ يرتجز أعل هبل، أعل هبل، قال النبي ﷺ: ألا تحببوا له؟  
قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل.  
قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم.

فقال النبي ﷺ: ألا تحببوا له؟ قال: قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال:  
قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»<sup>(٣)</sup>.

هذا غيض من فيض من حلفهم وعباراتهم، فليمعن المنصف في منهج  
هذا المقال، وما يكشفه عن أحوال الرجال، وشتان بين الحاليين.

(١) شرح نهج البلاغة: ٨/١٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨/٣.

(٣) صحيح البخاري: ٢٧/٤.

## عاشراً: معرفته بالتقية :

التقية في الاعتقاد تعني إخفاء الإيمان وإظهار ما يخالفه، أو إخفاء العقيدة الصحيحة التي يدين بها الشخص، ويكون ذلك عادة عند غلبة العدو وتعتته وعناده؛ بحيث لا يريد العقيدة التي يدين بها عدوه، ولا إظهارها في أي حال من الأحوال، فيضطر المؤمن أن يخفيها إما خوفاً على نفسه، أو على من يهّمه أمره، أو لمصلحة عليا ملزمة.

وقد دلّ عليها العقل والنقل، كما هو مسطور في محله.

فأبو طالب ﷺ كان مؤمناً بما جاء به ابن أخيه ﷺ، كما يشهد له شعره وخطبه ووصاياه وأدلة أخرى تقدّم الحديث عنها في التمهيد وأثناء البحوث، ولكنه كان يعمل بالتقية مع قريش، ليس خوفاً منهم؛ لأنّه الشجاع المغوار كما دلّت عليه مواقفه معهم، فضلاً عن غيرهم، ولكنه أخفى إيمانه لمصلحة عليا للمسلمين، وللدعوة المحمدية؛ فإنّه استطاع بهذا الإخفاء الدفاع عن ابن أخيه، وعن من آمن به من الضعفاء، وأما لو أعلن إيمانه به، ونشر ذلك على الملأ، لاعتبرته قريش واحداً من سائر من أسلم بدعوة النبي محمد ﷺ، وعاملوه معاملة العدو، وحاربوه كما حاربوا الدعوة.

ومن الجميل أن نقول: إنّ أبا طالب ﷺ استطاع من خلال مواقفه وأقواله -نثراً وشعراً- أن يوفّق بين أمرين متضادين، استطاع أن يبيّن عقيدته في

النبي ﷺ بكلِّ صفاء، وأن لا يعتبره المشركون أنه أحد من آمن بالرسالة الإسلامية وتبع النبي ﷺ في ذلك، وبتعبيرهم أحد الصباة، وهذا التوفيق بين هذين الأمرين، واستمراره لمدة طويلة يدلّ على عقل راجح، وحكمة بالغة، وحكمة عالية، لا تكون إلا في أمثال الرجال.

وإلى هذا المعنى يشير الشيخ المفيد رحمه الله بقوله في جواب على إشكال:

«إنّ أبا طالب رحمه الله لم يمتنع من الإيذان برسول الله ﷺ في الباطن والاقرار بحقه من طريق الديانة، وإنّما امتنع من إظهار ذلك لئلا تسفه قريش، وتذهب رئاسته، ويخرج منها من كان متّبعاً له عن طاعته وتنخرق هيئته عندهم، فلا يسمع له قول، ولا يمثّل له أمر، فيحول ذلك بينه وبين مراده من نصرة رسول الله ﷺ، ولا يتمكّن من غرضه في الذبّ عنه، فاستتر الإيذان، وأظهر منه ما كان يمكنه إظهاره على وجه الاستصلاح؛ ليصل بذلك إلى بناء الإسلام وقوام الدعوة واستقامة أمر رسول الله ﷺ، وكان في ذلك كمؤمني أهل الكهف الذين أبطنوا الإيمان وأظهروا ضده؛ للتقيّة والاستصلاح، فأثامهم الله أجرهم مرّتين، والدليل على ما ذكرناه في أمر أبي طالب رحمه الله قوله في هذا الشعر بعينه:

ودعوتني وزعمت أنّك ناصح      ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

فشهد بصدقه، واعترف بنبوته، وأقرّ بنصحه، وهذا محض الإيذان على ما

قدمناه»<sup>(١)</sup>.

وعمله بالتقية في مبدأ الدعوة - بما يمليه عليه دينه ومقامه - يدل على المعرفة التي نسوق الشواهد الكثيرة لإثباتها، وقد دلّت الأخبار الكثيرة على أن أبا طالب عليه السلام كان يعمل بالتقية، ومنها:

ما أخرجه الصدوق رحمته الله في أماليه بسنده «عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: إنَّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فاتاهم الله أجرهم مرتين»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هذا المعنى ما رواه في إكمال الدين بسنده «عن الأصبع بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدِّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ.

قيل: فما كانوا يعبدون؟

قال: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به»<sup>(٣)</sup>.

وما ورد في كتاب السيّد فخار بن معد الموسوي رحمته الله بسنده إلى الشعبي يرفعه «عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : كان والله أبو طالب عبد مناف بن

(١) الفصول المختارة: ٢٨٥.

(٢) الأمالي: ٧١٢، وعنه بحار الأنوار: ٧٢/٣٥.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ١٧٣ - ١٧٤.

عبدالمطلب مؤمناً مسلماً يكتُم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش»<sup>(١)</sup>.  
 ومَّا يدل على ذلك التعبير بأنَّه على دين عبد المطلب؛ فإنَّ دينه الحنيفية  
 السمحاء، وهو على دين النبي إبراهيم ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ  
 يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي شرح نهج البلاغة ورد هذا التعبير في ضمن رواية:

«وروي أنَّه - أي أبا طالب ﷺ - قال: أنا على دين الأشياخ.

وقيل: إنَّه قال: أنا على دين عبد المطلب...»<sup>(٣)</sup>.

فمن الواضح جداً - على فرض صحّة الرواية - أنَّه أراد أنَّه على دين  
 الإسلام الذي يلتقي فيه دين النبي إبراهيم ﷺ ودين النبي محمد ﷺ، وهذه  
 من محاسن التورية والتقية.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد في الكافي الشريف: «عن عمر بن حنظلة قال:  
 قال لي أبو عبد الله ﷺ: يا أبا الصخر، إنَّ الله يعطي الدنيا من يحبِّ ويبغض،  
 ولا يعطي هذا الأمر إلاَّ صفوته من خلقه، أنتم والله على ديني ودين آبائي  
 إبراهيم وإسماعيل، لا أعني علي بن الحسين، ولا محمد بن علي، وإن كان

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ١٢١.

(٢) سورة آل عمران: ٦٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٦.

هؤلاء على دين هؤلاء».

قال العلامة الطباطبائي رحمته الله في تعليقه على هذه الرواية: «قوله: (لا أعني عليّ بن الحسين) إلى آخره؛ أي أنّ المراد بآبائي آبائي الأقربون والأبعدون جميعاً، لا خصوص آبائي الأذنين، وهو كناية عن أنّ الدين الحقّ واحد، ودين إبراهيم ومذهب أهل البيت دين واحد، لا أنّ هذا المذهب شعبة من شعب دين الحقّ»<sup>(١)</sup>.

#### الحادي عشر: معرفته باللفات :

في مناقب ابن شهر آشوب: «تفسير الوكيعة: بسنده عن أبي ذرّ الغفاريّ قال: والله الذي لا إله إلاّ هو ما مات أبو طالب حتى أسلم بلسان الحبشة، وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: أتفقه الحبشة؟ قال: يا عمّ إنّ الله علّمني جميع الكلام. قال: (يا محمد اسدن لمصافا قاطالها) يعني أشهد مخلصاً: لا إله إلاّ الله، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنّ الله أقر عيني بأبي طالب.

قال العلامة المجلسي: «بيان: هذا الخبر يدلّ على أنّ قوله عليه السلام في الخبر السابق: (بكلّ لسان) ردّ لما يتوهم من ظاهر هذا الخبر أنّه إنّما أسلم بلسان الحبشة فقط، ونفى ذلك فقال: بل أسلم بكلّ لسان، ويمكن حمل هذا الخبر على أنّه أظهر إسلامه في بعض المواطن لبعض المصالح بتلك اللغة، فلا ينافي

كونه أظهر الإسلام بلغة أخرى أيضاً في مواطنٍ أخرى»<sup>(١)</sup>.

يشير بالخبر السابق إلى ما أورده عن الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ أبا طالب أسلم بحساب الجمل، قال: بكلِّ لسان.

ويمكن أن يستتج معرفته باللغات من معرفته بما في الكتب الأولى، كما ذكرناه سابقاً؛ حيث لم تكن التوراة والإنجيل -فضلاً عن غيرهما- مترجمة في ذلك الزمان.

فيظهر من قوله: (خطَّ في أوَّلِ الكتبِ) أنَّه على اطلاع بالكتب السماويَّة القديمة، ومن الواضح أنَّها لم تكن مترجمة إلى اللغة العربيَّة في ذلك الوقت، فيعرف من ذلك أنَّه كان عارفاً بلغاتها، وهذا لا يكون في ذلك الزمان إلاَّ لمن كان مرتبطاً بالغيب، ولا سيَّما من كان في مكَّة كما هو واضح، وهذا هو المناسب لكونه وصياً من الأوصياء؛ بل ربَّما يكون هو المتعيَّن.

وربَّما يستشعر ذلك بهذه الرواية:

«والله لتذلنَّ لك العرب ذلَّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إنَّ من صلبي لنبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فأمنت به..».

فلقد كان عبد المطلب عليه السلام يقرأ الكتاب جميعاً، وأبو طالب وصيِّه

وخليفته، فيظهر من ذلك أنه على حال أبيه عليه السلام.

### الثاني عشر: معرفته بحساب الجمل :

روى الصدوق رحمته الله في إكمال الدين، ومعاني الأخبار «عن أبي الفرج، محمد بن المظفر بن نفيس المصري، عن محمد بن أحمد الداودي، عن أبيه قال: كنت عند أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه، فسأله رجل: ما معنى قول العباس للنبي عليه السلام: إِنَّ عَمَّكَ أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثة وستين؟

فقال: عنى بذلك: إله أحد جواد، وتفسير ذلك أن الألف واحد، واللام ثلاثون، والهاء خمسة، والألف واحد، والحاء ثمانية، والذال أربعة، والجيم ثلاثة، والواو ستة، والألف واحد، والذال أربعة، فذلك ثلاثة وستون»<sup>(١)</sup>.

وعلق المجلسي الأول رحمته الله عليه بقوله: «وفسر بعضهم بأنه وضع إبهامه على عقد السبابة، مشيراً بها بقوله لا إله إلا الله، كما هو المتعارف، وفي بعض حساب العقود كذلك، والذي رأيت من حساب العقود فهو كثير، يمكن أن يكون بعضها كذلك؛ لكنه خلاف المتعارف، ويمكن إرادة الجميع، وإن كان بعيداً، والذي ذكره الحسين فالظاهر أنه من الحجّة عليه السلام؛ لأنه كثيراً ما يقول:

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٩، معاني الأخبار: ٢٨٦.

إِنِّي لَا أَتَكَلَّمُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي، فَعَلِيَ هَذَا لَيْسَ إِلَّا»<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة المجلسي في البحار:

«بيان: لعلّ المعنى أن أبا طالب أظهر إسلامه للنبي عليه السلام أو لغيره بحساب العقود، بأن أظهر الألف أولاً بما يدلّ على الواحد، ثمّ اللام بما يدلّ على الثلاثين وهكذا..؛ وذلك لأنّه كان يتّقي من قريش كما عرفت.

وقيل: يحتمل أن يكون العاقد هو العباس حين أخبر النبي عليه السلام بذلك.

فظهر على التقديرين أن إظهار إسلامه كان بحساب الجمل؛ إذ بيان ذلك بالعقود لا يتمّ إلاّ بكون كلّ عدد ممّا يدلّ عليه العقود دالّاً على حرف من الحروف بذلك الحساب.

وقد قيل في حلّ أصل الخبر وجوه آخر:

منها: أنّه أشار بإصبعه المسبحة: (لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله) فإنّ عقد الخنصر والبنصر وعقد الإبهام على الوسطى يدلّ على الثلاث والستين على اصطلاح أهل العقود، وكأنّ المراد بحساب الجمل هذا، والدليل على ما ذكرته ما ورد في رواية شعبة، عن قتادة، عن الحسن في خبر طويل نقل منه موضع الحاجة، وهو أنّه لما حضرت أبا طالب الوفاة دعا رسول الله عليه السلام

(١) روضة المتقين: ٢٢٠/١٢، كذا في المصدر، ولعلّ في العبارة نقصاً كلمة (منه)، مثلاً،

وبكى وقال:

يا محمد، إني أخرج من الدنيا ومالي غمّ إلا غمّك ..

إلى أن قال عليه: يا عمّ إنك تخاف عليّ أذى أعادي ولا تخاف على نفسك

عذاب ربّي؟!!

فضحك أبو طالب وقال: يا محمد دعوتني وكنت قدماً أميناً، وعقد بيده

على ثلاث وستين: عقد الخنصر والبنصر وعقد الإبهام على إصبعه الوسطى،

وأشار بإصبعه المسبحة، يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فقام عليّ عليه

وقال: الله أكبر، والذي بعثك بالحقّ نبياً لقد شفّعتك في عمّك وهداه بك.

فقام جعفر وقال: لقد سدّتنا في الجنة يا شيخي كما سدّتنا في الدنيا، فلمّا

مات أبو طالب أنزل الله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي

فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

رواه ابن شهر آشوب في المناقب.

وهذا حلّ متين لكنّه لم يعهد إطلاق الجمل على حساب العقود<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة العنكبوت: ٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧٩/٣٥.

## الباب الثالث

### مؤرخ الإسلام الأوّل



## مؤرخ الإسلام الأوّل

يمكننا أن نعتبر أبا طالب عليه السلام المؤرّخ الأوّل لحوادث البعثة النبويّة؛ بل حياة النبيّ عليه السلام الأولى من قبل البعثة، وقد حفظ الكثير بشعره ممّا حصل للنبيّ عليه السلام أو دار بينه وبين الكفار، وتبرز أهمّيّته على غيره - مضافاً إلى معرفته ووثاقته - كونه معاصراً للحدث وقريباً من صاحب الحدث، فهو إذاً نقل إنّما ينقل عن حسّ مباشر، فلا يقع في وهم المؤرّخين، ولا في القراءة الخاطئة للحدث، كما لا يقع في شبك الاختلاف الواقع بين الرواة أو في الروايات، فلنمشٍ معه لنرى جميعاً المشاهد والشواهد.

وبما أنّ وفاة والد النبيّ عليه السلام من جملة الحوادث التي ترتبط بحياة النبيّ عليه السلام فلنبداً بشعر أبي طالب عليه السلام في رثاء أخيه وعضيده كمقدمة وتمهيد:

### رثاء والد النبيّ :

قال أبو طالب عليه السلام يرثي أخاه عبد الله عليه السلام <sup>(١)</sup>:

عينيّ ائذني ببكاء آخر الأبدِ      ولا تمليّ على قَرْمٍ لنا سندي  
أشكو الذي بي من الوجد الشديد له      وما بقلبي من الآلام والكمدي  
أضحى أبوه له يبكي وإخوته      بكلّ دمع على الخدين مطّرد  
لو عاش كان لفهّر كلّها علماً      إذ كان منها مكان الروح في الجسد  
خطاب منه لعينيه بأن تذرّف الدموع إلى آخر الأبد، فلقد مات السند  
ووهن العضد، ودموع عينيه رسول من الداخل بيثّ الحزن الشديد والوجد  
المبرّح والآلام والكمد.

ولما انتهى عن بيان عواطفه وما ألمّ به، وقف مؤرخاً لما حصل بسبب هذا  
الحادث المؤلم؛ فلقد بكاه أبوه شيبة الحمد وسيّد الوادي المقدّس، وبكاه  
إخوته بكلّ دمع على الخدين مطّرد.

والسبب في ذلك أنّ الذي فقدوه مكان الروح من الجسد، ولا يبقى  
الجسد بلا روح، ولو قدر له البقاء لكان سيّد فخر كلّها.

### المشهد الأوّل: اللقاء مع بحيرا<sup>(١)</sup>؛

ونبدأ بذكر هذه الرواية المطوّلة التي رواها الشيخ الصدوق عليه السلام، ورواها

(١) بحيرى بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة، وسكون المثناة التحتيّة، آخره راء مقصوراً، وقيل ممدوداً؛ هو جرجيس (بكسر الجيمين).

ويقال: سرجس، كما يقال جرجس. وكان حبرا من أحبار يهود تيماء، كما قيل إنّه كان نصرانياً من عبد القيس، وهو ما ذهب إليه ابن إسحاق هنا. وكان إليه علم النصرانية.

انظر: سيرة ابن هشام: ١/ ١٨٠-١٨١، وهامش: ٢ / ١٨٠.

غيره من مؤرّخي المخالفين، وفيها تفصيل لما جرى مع النبي عليه السلام في سفره إلى الشام، من معاجز وكرامات، ولقاء بحيرا الراهب بهم، وغير ذلك.

وهي في الوقت التي تؤرّخ لتلك الحوادث المهمة تدلنا عن مدى معرفة أبي طالب عليه السلام بالنبي عليه السلام، وإيمانه بابن أخيه من قبل بعثته عليه السلام، فهو ينقل تلك الحوادث والقضايا عن إيمان بها واعتقاد كما هو ظاهر الكلام.

روى الشيخ الصدوق عليه السلام بسنده «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا سَنَةَ ثَمَانٍ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ عليه السلام وَكَانَ فِي أَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَجْمَعْتُ عَلَى السَّيْرِ قَالَ لِي رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي: مَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ بِمُحَمَّدٍ؟ وَعَلَى مَنْ تُخَلِّفُهُ؟

فَقُلْتُ: لَا أُرِيدُ أَنْ أُخَلِّفَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَعِي.

فَقِيلَ: غُلَامٌ صَغِيرٌ فِي حَرٍّ مِثْلِ هَذَا تُخْرِجُهُ مَعَكَ؟

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا يُفَارِقُنِي حَيْثُمَا تَوَجَّهْتُ أَبَدًا؛ فَإِنِّي لَأُوطِئُ لَهُ الرَّحْلَ، فَدَهَبْتُ فَحَشَوْتُ لَهُ حَشِيَّةَ كِسَاءٍ وَكَتَانًا وَكُنَّا رُكْبَانًا كَثِيرًا، فَكَانَ وَاللَّهِ الْبَعِيرُ الَّذِي عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ أَمَامِي لَا يُفَارِقُنِي، وَكَانَ يَسْبِقُ الرَّكْبَ كُلَّهُمْ، فَكَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ جَاءَتْ سَحَابَةٌ بِيضَاءٍ مِثْلَ قِطْعَةٍ تُلَجُّ فَتَسْلَمُ عَلَيْهِ، فَتَقِفُ عَلَى رَأْسِهِ لَا تُفَارِقُهُ، وَكَانَتْ رُبَّمَا أَمْطَرَتْ عَلَيْنَا السَّحَابَةُ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ مَعَنَا، وَضَاقَ الْمَاءُ بِنَا فِي طَرِيقِنَا حَتَّى كُنَّا لَا نُصِيبُ قُرْبَةً إِلَّا بِدِينَارَيْنِ، وَكُنَّا حَيْثُ مَا

نَزَلْنَا تَمْتَلِيُ الْحِيَاضِ، وَيَكْثُرُ الْمَاءُ، وَتَحْضُرُ الْأَرْضُ، فَكُنَّا فِي كُلِّ حِصْبٍ وَطِيبٍ  
مِنَ الْخَيْرِ، وَكَانَ مَعَنَا قَوْمٌ قَدْ وَقَفَتْ جِهَاهُمْ، فَمَشَى إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
وَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَارَتْ.

فَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْ بُصْرَى الشَّامِ إِذَا نَحْنُ بِصَوْمَعَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ تَمْشِي كَمَا تَمْشِي  
الدَّابَّةُ السَّرِيعَةُ حَتَّى إِذَا قَرَبْتَ مِنَّا وَقَفَتْ<sup>(١)</sup>، وَإِذَا فِيهَا رَاهِبٌ، وَكَانَتِ السَّحَابَةُ  
لَا تُفَارِقُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَكَانَ الرَّاهِبُ لَا يُكَلِّمُ النَّاسَ، وَلَا  
يَذِرِي مَا الرِّكْبُ، وَلَا مَا فِيهِ مِنَ التَّجَارَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَرَفَهُ، فَسَمِعَتْهُ  
يَقُولُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ فَأَنْتَ أَنْتَ.

قَالَ: فَتَزَلْنَا تَحْتَ شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الرَّاهِبِ، قَلِيلَةَ الْأَغْصَانِ لَيْسَ  
لَهَا حَمْلٌ، وَكَانَتِ الرُّكْبَانُ تَنْزُلُ تَحْتَهَا، فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اهْتَزَّتِ الشَّجَرَةُ  
وَأَلْقَتْ أَغْصَانَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَمَلَتْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ،  
فَاكِهَتَانِ لِلصَّيْفِ، وَفَاكِهَةٌ لِلشَّتَاءِ، فَتَعَجَّبَ جَمِيعٌ مِنْ مَعَنَا مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَى  
بَحِيرَى الرَّاهِبِ ذَلِكَ ذَهَبَ فَاتَّخَذَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا بِقَدْرِ مَا يَكْفِيهِ، ثُمَّ  
جَاءَ وَقَالَ: مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ هَذَا الْغُلَامِ؟

(١) يحتمل - إن لم تحمل على الأمر الإعجازي ليرى القوم شأن النبي ﷺ منذ صغره؛  
ليؤمنوا به عند كبره - أن يكون المراد أن الراكب إذا كان مسرعاً يرى أن الثابت يقبل إليه  
بمثل سرعته.

فَقُلْتُ: أَنَا.

فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ تَكُونُ مِنْهُ؟

فَقُلْتُ: أَنَا عَمُّهُ.

فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّ لَهُ أَعْمَامًا، فَأَيُّ الْأَعْمَامِ أَنْتَ؟

فَقُلْتُ: أَنَا أَخُو أَبِيهِ مِنْ أُمِّ وَاحِدَةٍ.

فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ هُوَ، وَإِلَّا فَلَسْتُ بِحَيْرِي، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا هَذَا تَأْذَنُ لِي أَنْ

أُقْرِبَ هَذَا الطَّعَامَ مِنْهُ لِيَأْكُلَهُ؟

فَقُلْتُ لَهُ: قَرَبُهُ إِلَيْهِ، وَرَأَيْتُهُ كَارِهًا لِذَلِكَ، وَالتَفْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا

بُنَيَّ رَجُلٌ أَحَبَّ أَنْ يُكْرِمَكَ فَكُلْ.

فَقَالَ: هُوَ لِي دُونَ أَصْحَابِي؟

فَقَالَ بِحَيْرِي: نَعَمْ، هُوَ لَكَ خَاصَّةً.

فَقَالَ النَّبِيُّ: فَإِنِّي لَا أَكُلُ دُونَ هَؤُلَاءِ.

فَقَالَ بِحَيْرِي: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

فَقَالَ: أَفْتَأْذَنُ يَا بِحَيْرِي إِلَى أَنْ يَأْكُلُوا مَعِي؟

فَقَالَ: بَلَى.

فَقَالَ: كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ، فَأَكَلَ وَأَكَلْنَا مَعَهُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا مِائَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا،

وَأَكَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا حَتَّى شَبَعٍ وَتَجَشَّأَ، وَبِحَيْرِي قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

يَذُبُّ عَنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ كَثْرَةِ الرِّجَالِ، وَقَلَّةِ الطَّعَامِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ يُقْبَلُ رَأْسُهُ وَيَأْفُوخُهُ وَيَقُولُ: هُوَ هُوَ وَرَبِّ الْمَسِيحِ، وَالنَّاسِ لَا يَفْقَهُونَ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الرِّكْبِ: إِنَّ لَكَ لَشَأْنَا، قَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ فَلَا تَفْعَلْ بِنَا هَذَا الْبِرَّ!

فَقَالَ بَحِيرَى: وَاللَّهِ إِنَّ لِي لَشَأْنَا وَشَأْنَا، وَإِنِّي لَأَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَإِنَّ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لَعُلَامًا لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ مَا أَعْلَمُ لِحَمَلْتُمُوهُ عَلَى أَعْنَاقِكُمْ حَتَّى تَرُدُّوهُ إِلَى وَطَنِهِ، وَاللَّهِ مَا أَكْرَمْتُمْ إِلَّا لَهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ - وَقَدْ أَقْبَلَ - نُورًا أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا فِي أَيْدِيهِمْ مَرَاوِحُ الْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ يَرُوحُونَ، وَآخَرِينَ يَنْشُرُونَ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ، ثُمَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَا تُفَارِقُهُ، ثُمَّ صَوَمَعَتِي مَشَتْ إِلَيْهِ كَمَا تَمْشِي الدَّابَّةُ عَلَى رِجْلِهَا، ثُمَّ هَذِهِ الشَّجَرَةُ لَمْ تَزَلْ يَابِسَةً قَلِيلَةَ الْأَغْصَانِ، وَلَقَدْ كَثُرَتْ أَغْصَانُهَا، وَاهْتَزَّتْ وَحَمَلَتْ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْفَوَاكِهِ، فَأَكِهَتَانِ لِلصَّيْفِ، وَفَاكِهَةٌ لِلشَّتَاءِ، ثُمَّ هَذِهِ الْحِيَاضُ الَّتِي غَارَتْ وَذَهَبَ مَاؤُهَا أَيَّامَ تَمْرُجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ الْحَوَارِيِّينَ حِينَ وَرَدُوا عَلَيْهِمْ، فَوَجَدْنَا فِي كِتَابِ شَمْعُونَ الصَّفَا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِمْ فَغَارَتْ وَذَهَبَ مَاؤُهَا، ثُمَّ قَالَ مَتَّى مَا رَأَيْتُمْ قَدْ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْحِيَاضِ الْمَاءُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لِأَجْلِ نَبِيِّ يُخْرُجُ فِي أَرْضِ تِهَامَةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ الْأَمِينُ، وَفِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ، وَهُوَ مِنْ عِتْرَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

لِصُلْبِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ.

ثُمَّ قَالَ بَحِيرَى: يَا غُلَامُ، أَسَأَلُكَ عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى  
إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَقَالَ: لَا  
تَسْأَلْنِي بِهِمَا فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا كَبُغْضِهِمَا، وَإِنَّمَا هُمَا صَتَمَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ  
لِقَوْمِي.

فَقَالَ بَحِيرَى: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ قَالَ: فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي.

فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ؛ فَإِنَّكَ قَدْ سَأَلْتَنِي بِإِلَهِي وَإِلَهِكَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
شَيْءٌ.

فَقَالَ: أَسَأَلُكَ عَنْ نَوْمِكَ وَيَقْظَتِكَ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ نَوْمِهِ، وَيَقْظَتِهِ، وَأُمُورِهِ،  
وَجَمِيعِ شَأْنِهِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ، فَانْكَبَّ عَلَيْهِ  
بَحِيرَى فَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ وَقَالَ:

يَا بَنِيَّ مَا أَطْيَبَكَ وَأَطْيَبَ رِيحَكَ، يَا أَكْثَرَ النَّبِيِّينَ أَتْبَاعًا، يَا مَنْ بِهِ نُورُ الدُّنْيَا  
مِنْ نُورِهِ، يَا مَنْ بَدَّكَهُ تُعْمَرُ الْمَسَاجِدُ، كَأَنِّي بِكَ قَدْ قُدَّتِ الْأَجْنَادُ وَالْحَيْلُ وَقَدْ  
تَبِعَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَكَأَنِّي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَقَدْ كَسَرْتَهُمَا،  
وَقَدْ صَارَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لَا يَمْلِكُهُ غَيْرُكَ، تَضَعُ مَفَاتِيحَهُ حَيْثُ تُرِيدُ، كَمْ مِنْ  
بَطَلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ تَصْرَعُهُ، مَعَكَ مَفَاتِيحُ الْجَنَانِ وَالنَّيْرَانِ، مَعَكَ الذَّبْحُ  
الْأَكْبَرُ، وَهَلَاكُ الْأَصْنَامِ، أَنْتَ الَّذِي لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَدْخُلَ الْمُلُوكُ كُلُّهَا

فِي دِينِكَ صَاغِرَةً قَمِيئَةً، فَلَمْ يَزَلْ يُقَبَّلُ يَدَيْهِ مَرَّةً، وَرِجْلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: لَيْسَ  
أَدْرَكْتُ زَمَانَكَ لِأَضْرِبَنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالسَّيْفِ ضَرْبَ الزَّنْدِ بِالزَّنْدِ، أَنْتَ سَيِّدُ  
وُلْدِ آدَمَ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَاللَّهُ لَقَدْ ضَحَكَتِ  
الْأَرْضُ يَوْمَ وُلِدْتَ، فَهِيَ ضَاحِكَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَرَحًا بِكَ، وَاللَّهُ لَقَدْ بَكَتِ  
الْبَيْعُ وَالْأَصْنَامُ وَالشَّيَاطِينُ، فَهِيَ بَاكِئَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَنْتَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ،  
وَبُشْرَى عِيسَى، أَنْتَ الْمُقَدَّسُ الْمُطَهَّرُ مِنْ أَنْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ.

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ: مَا يَكُونُ هَذَا الْغُلَامُ مِنْكَ؛ فَإِنِّي أَرَاكَ لَا  
تُفَارِقُهُ؟

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: هُوَ ابْنِي<sup>(١)</sup>.

فَقَالَ: مَا هُوَ بَابِنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَكُونَ وَالِدُهُ الَّذِي وَلَدَهُ  
حَيًّا، وَلَا أُمَّهُ.

فَقَالَ: إِنَّهُ ابْنُ أَخِي، وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ حَامِلَةٌ بِهِ، وَمَاتَتْ أُمَّهُ وَهُوَ ابْنُ  
سِتِّ سِنِينَ.

فَقَالَ: صَدَقْتَ هَكَذَا هُوَ، وَلَكِنْ أَرَى لَكَ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ عَنِ هَذَا الْوَجْهِ؛  
فَإِنَّهُ مَا بَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَهُودِيًّا، وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا صَاحِبُ كِتَابٍ، إِلَّا  
وَقَدْ عَلِمَ بُولَادَةَ هَذَا الْغُلَامِ، وَلَيْسَ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَا مِنْهُ

(١) تقدم السؤال وقال: إنه عمه!

لِيَبْعِيَنَّهُ شَرًّا، وَأَكْثَرَ ذَلِكَ هُوَ لِأَيِّ الْيَهُودِ.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَلِمَ ذَلِكَ؟

قَالَ: لِأَنَّهُ كَاتِنٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذِهِ النُّبُوَّةُ وَالرَّسَالَةُ، وَيَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ  
الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى وَعِيسَى.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: كَلَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُضَيِّعَهُ.

ثُمَّ خَرَجْنَا بِهِ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا قَرَبْنَا مِنَ الشَّامِ رَأَيْتُ وَاللَّهِ قُصُورَ الشَّامَاتِ  
كُلَّهَا قَدْ اهْتَزَّتْ، وَعَلَا مِنْهَا نُورٌ أَعْظَمُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا الشَّامَ  
مَا قَدَرْنَا أَنْ نَجُوزَ سُوقَ الشَّامِ مِنْ كَثْرَةِ مَا أزدَحَمُوا النَّاسُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ  
رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام، وَذَهَبَ الْخَبْرُ فِي جَمِيعِ الشَّامَاتِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِيهَا حِجْرٌ، وَلَا  
رَاهِبٌ إِلَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ، فَجَاءَ حِجْرٌ عَظِيمٌ، كَانَ اسْمُهُ نَسْطُورًا، فَجَلَسَ حِذَاهُ  
يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يُكَلِّمُهُ بَشِيءٍ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةً، فَلَمَّا كَانَتْ  
اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةَ لَمْ يَصْبِرْ حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ فَدَارَ خَلْفَهُ كَأَنَّهُ يَلْتَمِسُ مِنْهُ شَيْئًا.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَاهِبُ كَأَنَّكَ تُرِيدُ مِنْهُ شَيْئًا؟!

فَقَالَ: أَجَلْ إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُ شَيْئًا، مَا اسْمُهُ؟

قُلْتُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَتَغَيَّرَ وَاللَّهِ لَوْنُهُ، ثُمَّ قَالَ:

فَتَرَى أَنْ تَأْمُرَهُ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ ظَهْرِهِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَكَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ،  
فَلَمَّا رَأَى الْخَاتَمَ انْكَبَّ عَلَيْهِ يُقْبَلُهُ وَيَبْكِي، ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا أَسْرِعْ بَرْدَ هَذَا الْغُلَامِ

إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ؛ فَإِنَّكَ لَوْ تَدْرِي كَمْ عَدُو لَهُ فِي أَرْضِنَا لَمْ تَكُنْ بِالَّذِي تَقَدَّمَهُ مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَاهَدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ الطَّعَامَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْهَا أَتَاهُ بِقَمِيصٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ لِي: أَتَرَى أَنْ يَلْبَسَ هَذَا الْقَمِيصَ لِيَذْكُرَنِي بِهِ فَلَمْ يَقْبَلْهُ، وَرَأَيْتُهُ كَارِهًا لِذَلِكَ فَأَخَذْتُ أَنَا الْقَمِيصَ خَافَةً أَنْ يَغْتَمَّ، وَقُلْتُ أَنَا أَلْبَسُهُ، وَعَجَلْتُ بِهِ حَتَّى رَدَدْتُهُ إِلَى مَكَّةَ، فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ امْرَأَةٌ، وَلَا كَهْلٌ، وَلَا شَابٌّ، وَلَا صَغِيرٌ، وَلَا كَبِيرٌ، إِلَّا اسْتَقْبَلُوهُ شَوْقًا إِلَيْهِ، مَا خَلَا أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فَاتِكًا مَا جِئْنَا قَدْ نُحْمِلُ مِنَ الشُّكْرِ»<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا الْإِسْنَادُ - ثُمَّ سَاقَ الْإِسْنَادَ إِلَى - مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ:  
لَمَّا فَارَقَهُ بِحَيْرَى بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، وَأَخَذَ يَقُولُ: يَا ابْنَ أَمَنَةَ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ رَمَتِكَ الْعَرَبُ بِوَتْرِهَا، وَقَدْ قَطَعَكَ الْأَقَارِبُ وَلَوْ عَلِمُوا لَكُنْتَ هُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَوْلَادِ، ثُمَّ التَفَّتَ إِلَيَّ وَقَالَ:

أَمَا أَنْتَ يَا عَمَّ فَارَعَ فِيهِ قَرَابَتِكَ الْمُوصُولَةَ، وَاحْتَفِظْ فِيهِ وَصِيَّةَ أَبِيكَ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا سَتَهْجُرُكَ فِيهِ، فَلَا تُبَالِ، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُؤْمِنُ بِهِ ظَاهِرًا، وَلَكِنْ سَتُؤْمِنُ بِهِ بَاطِنًا، وَلَكِنْ سَيُؤْمِنُ بِهِ وَكَدَّ تَلْدُهُ، وَسَيَنْصُرُهُ نَصْرًا عَزِيزًا، اسْمُهُ فِي السَّمَاوَاتِ الْبَطْلُ الْهَاصِرُ، وَفِي الْأَرْضِ الشُّجَاعُ الْأَنْزَعُ، مِنْهُ الْفَرَّخَانُ

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ١٨٢/١ وما بعدها.

المُسْتَشْهَدَانِ وَهُوَ سَيِّدُ الْعَرَبِ وَرَئِيسُهَا وَذُو قَرْبِئِهَا، وَهُوَ فِي الْكُتُبِ أَعْرَفُ  
مِنْ أَصْحَابِ عِيسَى عليه السلام.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ الَّذِي وَصَفَهُ بِحَيْرَى وَأَكْثَرَ<sup>(١)</sup>.

فهذه الرواية المطوّلة - مع أنّها تتحدّث عن مسيرة النبي عليه السلام إلى الشام أيام  
صباه - إلا أنّها تدلّ دلالة واضحة على معرفة أبي طالب عليه السلام بشخص النبي  
محمد عليه السلام، ونبوّته، ومآل أمره، فهو على يقين جازم بأنّ ابن أخيه هو النبي  
الذي بشرت به الأنبياء السابقون، وأكّد ذلك رهبان النصارى واليهود،  
وأثمّ لم يأتوا له ويستعلموا حاله إلا لأنّهم رأوا العلامة الموجودة في كتبهم  
منطبقة عليه، فعرف أبو طالب عليه السلام كلّ ذلك رأي العين، وبإقرار أهل الكتب  
أنفسهم، كما أنّه رأى الكرامات المتكاثرة التي حصلت له ولهم في الطريق.

ولا نريد أن نتحدّث عن إسلامه وإيمانه بها؛ لأنّ ذلك أمر مفروغ منه ممّن  
هو أقلّ من أبي طالب عليه السلام عندما يشاهد ما رآه، إلاّ الجاحدين الحمقى، وأبو  
طالب عليه السلام ليس منهم؛ بل هو ربّ العقل والحجى، بل أريد أن أقول: بأنّ أبا  
طالب عليه السلام على دراية تامّة بشأن النبي محمد عليه السلام، ومعرفة عالية بخصائصه،  
لا يعرفها أحد من أهل زمانه.

ثمّ إنّ الغرض في هذا العنوان بيان توثيق أبي طالب عليه السلام لحياة الرسول عليه السلام،

والرواية دالة على ذلك.

ومن المحتمل أن الرواية الأولى المطولة تشتمل على روايتين أو أكثر؛ لما فيها من الاختلاف؛ ففي القسم الأول منها لما سأل أبا طالب ﷺ عن ما يكون منه؟ قال: عمه، وفي قسم ثانٍ أعاد السؤال، فأجابه بأنه أبوه، ثم بين القصد وأنه عمه، فتعدّد السؤال والاختلاف في الجواب يحصل في روايتين، ويبعد حصوله في رواية واحدة.

وفي كمال الدين أيضاً: «حَدَّثَنَا أَبِي ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ يَرْفَعُهُ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ أَبُو طَالِبٍ أَنْ يُخْرِجَ إِلَى الشَّامِ فِي عِيرِ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَشَبَّثَ بِالزَّمَامِ وَقَالَ: يَا عَمَّ عَلَى مَنْ مُخَلَّفُنِي؟! لَا عَلَى أُمَّ وَلَا عَلَى أَبِي.

وَقَدْ كَانَتْ أُمُّهُ تُؤَفِّيتُ، فَرَقَّ لَهُ أَبُو طَالِبٍ وَرَحِمَهُ وَأَخْرَجَهُ مَعَهُ، وَكَانُوا إِذَا سَارُوا تَسِيرُ إِلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِمَامَةً تُظِلُّهُ مِنَ الشَّمْسِ، فَمَرُّوا فِي طَرِيقِهِمْ بِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ بِحَيْرَى، فَلَمَّا رَأَى الْعِمَامَةَ تَسِيرُ مَعَهُمْ نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَاتَّخَذَ لِقُرَيْشٍ طَعَامًا، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ أَنْ يَأْتُوهُ، وَقَدْ كَانُوا نَزَلُوا تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَعَامِهِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا بِحَيْرَى، وَاللَّهِ مَا كُنَّا نَعْهَدُ هَذَا مِنْكَ!

قَالَ: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَأْتُونِي فَأَتُوهُ، وَخَلَّفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّحْلِ، فَنَظَرَ

بِحِيرَى إِلَى الْعِمَامَةِ قَائِمَةً، فَقَالَ هُمْ: هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَمْ يَأْتِنِي؟

فَقَالُوا: مَا بَقِيَ مِنَّا إِلَّا غُلَامٌ حَدَثٌ، خَلَفْنَاهُ فِي الرَّحْلِ.

فَقَالَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ طَعَامِي أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَقْبَلَ أَقْبَلَتِ الْعِمَامَةُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ بِحِيرَى قَالَ: مَنْ هَذَا الْغُلَامُ؟

قَالُوا: ابْنُ هَذَا، وَأَشَارُوا إِلَى أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ لَهُ بِحِيرَى: هَذَا ابْنُكَ؟

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: هَذَا ابْنُ أَحِي.

قَالَ مَا فَعَلَ أَبُوهُ؟

قَالَ: تُوْفِّي وَهُوَ حَمَلٌ.

فَقَالَ بِحِيرَى لِأَبِي طَالِبٍ: رُدَّ هَذَا الْغُلَامَ إِلَى بِلَادِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ عَلِمَتْ بِهِ

الْيَهُودُ مَا أَعْلَمُ مِنْهُ قَتَلُوهُ؛ فَإِنَّ هَذَا شَأْنًا مِنَ الشَّأْنِ، هَذَا نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ هَذَا

نَبِيُّ السَّيْفِ»<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب الحجّة على الذاهب إلى كفر أبي طالب للسيد فخار رحمته الله:

«وأخبرني المشيخة - رضوان الله عليهم - أبو عبد الله محمد بن إدريس،

وأبو الفضل شاذان بن جبرئيل، وأبو العزّ محمد بن علي الفويقي، بأسانيدهم

إلى الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان رحمته الله يرفعه: أن أبا طالب عليه السلام

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ١٨٧/١.

لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى بَصْرَى الشَّامِ تَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام إِشْفَاقًا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ عَلَى اسْتِصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَكِبَ تَعَلَّقَ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام بِزِمَامِ نَاقَتِهِ وَبَكَى، وَنَاشَدَهُ فِي إِخْرَاجِهِ مَعَهُ، فَفَرَّقَ أَبُو طَالِبٍ، وَأَجَابَهُ إِلَى اسْتِصْحَابِهِ.

فَلَمَّا خَرَجَ مَعَهُ عليه السلام ظَلَّلَتْهُ الْغَمَامَةُ، وَلَقِيَهُ بِحَيْرَا الرَّاهِبِ فَأَخْبَرَهُ بِنَبْوَتِهِ، وَذَكَرَ لَهُ الْبَشَارَةَ فِي الْكُتُبِ الْأُولَى بِهِ، وَحَمَلَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ الطَّعَامَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَحَثَّ أَبَا طَالِبٍ عَلَى الرَّجُوعِ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ.

وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ، وَقِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ وَفِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ مَسْطُورَةٌ.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ عليه السلام فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

إِنَّ ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا      عِنْدِي بِمَنْزِلَةٍ مِنَ الْأَوْلَادِ<sup>(١)</sup>  
لَمَّا تَعَلَّقَ بِالزِمَامِ رَحْمَتَهُ      وَالْعَيْسُ قَدْ قَلَّصَنَ بِالْأَزْوَادِ<sup>(٢)</sup>

(١) هذه القصيدة أنهيت في الديوان: ص ١٣٠ إلى اثني عشر- بيتاً باختلاف يسير في بعض الأبيات، وأنهاها ابن عساكر الشافعيّ في تاريخه الكبير: ١/ ٢٧١ طبع الشام سنة ١٣٢٩ إلى اثني عشر بيتاً أيضاً بعد أن ذكر قصة بحيرا الراهب.

ورد البيت في الديوان: ٣٣ كما يلي:

إِنَّ الْأَمِينَ مُحَمَّدًا فِي قَوْمِهِ      عِنْدِي فَيُفَوِّقُ مَنَازِلَ الْأَوْلَادِ

(٢) قَلَّصَنَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ أَسْرَعَنَ فِي مَشْيِهِنَّ. وَالْأَزْوَادُ: هُوَ مَا يَتَّخِذُ مِنَ الطَّعَامِ لِلسَّفَرِ (م.ص).

فأرفض من عيني دمعٌ ذارفٌ      مثل الجمان مبدد الإفرادِ  
 راعيت منه قرابة موصولة      وحفظت فيه وصية الأجدادِ  
 وأمرته بالسير بين عمومة      بيض الوجوه مصالت أنجادِ  
 حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا      لاقوا على شرف من المرصادِ  
 حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً      عنه وردّ معاشر الحسادِ<sup>(١)</sup>

فأمّا قوله: (وحفظت فيه وصية الأجداد) فإنّ أبي معد بن فخار بن أحمد

العلويّ الموسويّ قال: أخبرني النقيب محمد بن علي بن حمزة العلويّ<sup>(٢)</sup> بإسناد

في الديوان: ٣٣ (ضممته) بدل (رحمته).

(١) الحبر: بفتح الحاء المهملة وكسرهما، وإسكان الباء، العالم الصالح ورئيس من رؤساء الدين.

(٢) محمد بن عليّ بن حمزة بن محمد بن علي الزاهد ابن محمد الأصغر الأقساسيّ ابن يحيى بن الحسين ذي العبرة بن زيد الشهيد ابن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام من الشعراء المعروفين، ومن أسرة عريقة نقيب العلويين بالكوفة.

وقال ابن الأثير في الكامل: ١٤٧ / ١١ في حوادث عام ٥٧٥ هـ: توفي في هذا العام -محمد ابن عليّ بن حمزة الأقساسيّ نقيب العلويين بالكوفة.

وعده شيخنا الأمينيّ في الغدير: ٣ / ٥ من شعراء الغدير في القرن السادس، وذكر له الأبيات التالية:

وحقّ عليّ خير من وطأ الثرى      وأفخر من بعد النبيّ قد افتخر  
 خليفته حقاً ووارث علمه      به شرفت عدنانا وافتخرت مضر  
 ومن قام في يوم (الغدير) بعضده      نبيّ الهدى حقاً فسائل به عمر

له إلى الواقدي قال:

لما توفي عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي عليه السلام وهو طفل يرضع - وروي أن عبد الله توفي والنبي عليه السلام حمل - وهذه الرواية أثبت، فلما وضعت أمه كفله جدّه عبد المطلب ثماني سنين، ثم احتضر للموت فدعا ابنه أبا طالب فقال له: يا بني تكفل ابن أخيك مني فأنت شيخ قومك وعاقلمهم، ومن أجد فيه الحجى دونهم، وهذا الغلام ما تحدّثت به الكهان، وقد روينا في الأخبار أنه سيظهر من تهامة نبيّ كريم، وروي فيه علامات قد وجدت فيها، فأكرم مثواه واحفظه من اليهود فإنهم أعداؤه، فلم يزل أبو طالب لقول عبد المطلب حافظاً ولو صيَّته راعياً<sup>(١)</sup>.

وفي الديوان: «قال عبد المطلب عليه السلام لما حضرته الوفاة في جملة ما أوصى به: ... وخصت عبد مناف ما جعله إليّ الأخبار، وتأدّت به الأخبار؛ من حفظ محمد عليه السلام؛ فإنّ له شأنًا عظيمًا، فانصره ووازره حتى تبلغ ما تؤمل فيه»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام أيضاً من قصيدة:

ألم ترني من بعد همّ هممته      بفرقة خير الوالدين كرام  
بأحمد لما أن شددت مطيتي      برحل وقد ودعته بسلام

(١) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٨٩.

(٢) الديوان: ١٥٢.

بكى حَزناً والعيس قد قلصت بنا  
وناوش بالكفّين فضل زمام  
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة  
تفيض على الخدين ذات سجام  
وقلت له رح راشداً في عمومة  
مواسين في البأساء غير لئام  
فلما هبطنا أرض بصرى تشرّفوا  
لنا فوق دور ينظرون جسام  
وجاء بحيرا عند ذلك حاسراً  
لنا بشراب طيب وطعام  
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا  
كثير عليه اليوم غير حرام

وفي الديوان رواية هذا البيت بغير هذا الوجه فقد ورد فيه ما هذا نصّه:

فقال اجمعوا أصحابكم عندما رأى  
فقلنا: جمعنا القوم غير غلام  
ثم أردفه بيتين بعدهما، وهما:

يتيم فقال: ادعوه إنَّ طعامنا  
له دونكم من سوقة وإمام  
فلما رآه مقبلاً نحو داره  
يوقيه حرّ الشمس ظلُّ غمام  
حنا رأسه شبه السجود وضمه  
إلى نحره والصدر أيّ ضمّام  
وأقبل رهط يطلبون الذي رأى  
بحيرا من الأعلام وسط خيام  
فذلك من إعلامه وبيانه  
وليس نهار واضح كظلام

وفيها:

وأقبل ركب يطلبون الذي رأى  
بحيرا من الأعلام وسط خيام  
فشار إليهم خشية لعرامهم  
وكانوا ذوي دهي معاً وغرام  
دريساً وتماماً وقد كان فيهم  
زبير وكلّ القوم غير نيام

فجاؤوا وقد همّوا بقتل محمدٍ      فردّهم عنه بحسن خصامٍ  
بتأويله التوراة حتى تفرّقوا      وقال لهم ما أنتم بطغامٍ  
فذلك من أعلامه وبيانه      وليس نهار واضح كظلامٍ<sup>(١)</sup>

أقول: إنّ في هذه الحكاية والأبيات التي سيقت تدلّ على أنّ أبا طالب ﷺ كان يعرف النبيّ محمداً ﷺ بالنبوة قبل بعثته، وأخذ ذلك عن أبيه الذي بين أنّه ﷺ صاحب العلامة التي بشر بها وبه الأنبياء السابقون، ثم أكد هذا المعنى الراهب بحيرا وهو به عليم، ووصّاه أن يحميه من أعدائه اليهود. ولعمري أنّ ذلك كلّه كان يعرفه أبو طالب ﷺ قبل إخبار بحيري، فهو وصيّة الأجداد كما قال، والذي يظهر أنّ مراده لا يقتصر على وصيّة عبد المطلب خاصّة؛ بل الوصيّة به متعاقبة في سلفهم الطاهر، وآخرهم عبد المطلب ﷺ الذي خصّ أبا طالب ﷺ بالوصيّة به؛ لكونه العاقل فيهم، ومن يجد فيه الحجى دونهم، فأبو طالب ﷺ هو الذي يمشي على ضوء عقله، وخطأ هديه، فلا يميل مع العواطف، ولا يسير في ركب الهوى.

ولعلّ التعليل المذكور ظاهريّ، وأمّا في الباطن وواقع الأمر فلعله يشير إلى أنّه الوصيّ من دونهم، كما يستفاد من بعض الروايات المتقدّمة، فتلطف عبد المطلب ﷺ بالتعليل الظاهريّ - وهو حقّ أيضاً-؛ حفظاً لمصلحة يراها.

(١) بحار الأنوار: ١٢٨/٣٥، الديوان: ١٦٦.

ومن شعره قوله في رجوعه من عند بحيرا وذكر اليهود:

بكى طرباً لما رأنا محمداً	كأن لا يراني راجعاً لمعادٍ
فبتّ يجافيني تهلل دمعته	وقربته من مضجعي ووسادي
فقلت له قرب قعودك وارتحل	ولا تخش منّي جفوة ببلادي
وخلّ زمام العيس وارتحلن بنا	على عزمة من أمرنا ورشادٍ
ورح رائحاً في الرائحين مشيعاً	لذي رحم في القوم غير معادي
فرحنا مع العيس التي راح ركبتها	يؤمنون من غورين أرض إياي
فما رجعوا حتى رأوا من محمداً	أحاديث تجلو غمّ كلّ فؤادٍ
وحتى رأوا أحبار كلّ مدينة	سجوداً له من عصبه وفراي
زبيراً وتتماماً وقد كان شاهداً	دريساً وهمّوا كلّهم بفساد
فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا	له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرهط الذي تهودوا	وجاهدتهم في الله كلّ جهادٍ
فقال ولم يملك له النصح ردّه	فإنّ له أرصاد كلّ مضادٍ
فإنّي أخاف الحاسدين وإنّه	أخو الكتب مكتوب بكلّ مدادٍ <sup>(١)</sup>

قال السيوطي:

«أخرج ابن أبي شيبة، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبو نعيم، والخرائطي في الهواتف، عن أبي موسى الأشعريّ قال: خرج أبو

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣١٠/٦٦، السير والمغازي لابن إسحاق: ٥٧، وغيرهما.

طالب إلى الشام فخرج معه رسول الله ﷺ في أشياخ قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرّون به، فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت لهم، فجعل يتخلّلهم، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، وقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، هذا بيعته الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ قريش: ما علمك؟

فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يمرّ بشجرة ولا حجر إلّا خرّ ساجداً، ولا يسجدان إلّا لنبيّ، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثمّ رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به - وكان هو في رعيّة الإبل - قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فقال: انظروا إليه، عليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

فبينما هو قائم عليهم - وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم؛ فإنّ الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه - فالتفت فإذا هو بتسعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟

قالوا: جئنا إلى هذا النبيّ الذي هو خارج في هذا الشهر، فلم يبقَ طريق إلّا بعث إليه ناس، وإنّا أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا.

قال: أفأريتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردّه؟

قالوا: لا.

قال: فبايعوه، وأقاموا معه، فأتاهم فقال: أيكم وليّ؟

قالوا: أبو طالب.

فلم يزل يناشده حتى ردّه، وبعث معه أبو بكر بلالاً، وزوّده الراهب من

الكَعك والزيت.

قال البيهقي: هذه القصة مشهور عند أهل المغازي<sup>(١)</sup>.

أقول: إنّ السيوطي أو من نقل عنه لم ينقل أبيات أبي طالب عليه السلام، ولعلّه

لحاجة في نفس الراوي!

ولكن يستفاد من هذه الرواية أنّ أبا طالب عليه السلام -مضافاً إلى علمه المسبق-

قد علم بنبوّة ابن أخيه عليه السلام، وهو لا يحتاج إلى إخبار الراهب؛ لأنّ الأدلّة

والشواهد الكثيرة تدلّه على ذلك منذ نعومة أظفار النبيّ عليه السلام، وليست

الشواهد التي استدلّ بها الراهب غائبة عن شيخ البطحاء فألفت نظرهم

إليها، كما أنّ الدلائل التي كانت مع النبيّ عليه السلام كانت من السابق، وليست

حادثة في طريقهم للراهب أو عندما اقتربوا من مكانه.

ولكنّ العجيب في الرواية أنّ الراوي دسّ ذكر أبي بكر في الرواية، فقال:

(وبعث معه أبو بكر بلالاً)!

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٣.

وكانما يريد أن يجعل لأبي بكر بصمة واضحة في الحياة الأولى للرسول ﷺ ، وجميلاً عليه منذ صغره، مع أن أبا بكر في ذلك الوقت كان صغير السن؛ فإنه أصغر سنّاً من النبي ﷺ، وقد قيل إنَّ عمر النبي ﷺ آنذاك تسع سنين، وقيل اثنتي عشرة سنة، وأبو بكر أصغر من النبي ﷺ بستين كما قيل.

ثم إنَّ أبا بكر لم يكن تاجراً من تجار قريش الذاهبين للشام، ولم يكن يملك بلائاً آنذاك، كما أن الروايات الأخرى لم تُشر إلى أن أبا طالب ﷺ ردَّ النبي ﷺ من سفره؛ بل أخذه معه إلى الشام، وكان يحوطه بنفسه، ويرعاه بعينه حتى رده سالماً إلى مكة المكرمة.

ثم إنَّه لو أرجعه خائفاً عليه من الأعداء مع كثرتهم فهل يسلمه بيد رجل واحد يقطع معه هذه المسافات الطويلة من بصرى إلى المدينة؟!

ما هذا الفعل بفعل عاقل؛ لأنَّه لا يؤدي إلا إلى عكس المطلوب، فإنَّ الخوف عليه يقتضي أن يحوطه بالعدد الكبير، والشجعان الأشاوس.

فكلُّ ذلك مؤشّرات واضحة تشير إلى وضع هذه الجملة ودسّها بلا التفات، وقد قيل قديماً: (حبل الكذب قصير)، فحقت كلام الراوي أو الناسخ قرائن تكذيبه، ولهذا علّق السيوطي على الرواية بقوله:

«قلت: ولها شواهد عدّة سأوردها، تقضي بصحّتها، إلا أنَّ الذهبي

ضعف الحديث؛ لقوله في آخره وبعث معه أبو بكر بلالاً؛ فإنَّ أبا بكر لم يكن إذ ذاك متأهلاً، ولا اشترى بلالاً.

وقد قال ابن حجر في الإصابة: الحديث رجاله ثقات، وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة، فتحمل على أنَّها مدرجة فيه، مقتطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته<sup>(١)</sup>.

ثمَّ إنَّ الغريب من الذهبيِّ، كيف ضعف الحديث لأجل هذه الجملة، ولم يقل بأنَّ هذه لوحدها موضوعة، ولم يلتفت للوجه الذي نبه عليه ابن حجر، مع أنَّه واضح وضوح الشمس، والقصة مشهورة، ولها شواهد؟! وفي رواية أخرى ذكرها السيوطي أيضاً:

«... قال فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به.

قال: صدقت، إرجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً؛ فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام...».

إلى قوله:

«وأخرج أبو نعيم عن الواقديِّ، عن شيوخه مثله، وفيه: وجعل ينظر إلى

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٤.

الحمرة في عينيه، ثم قال لقومه: أخبروني عن هذه الحمرة تأتي وتذهب أو لا تفارقه؟

قالوا: ما رأيناها فارقت قط، وسأله عن نومه؟

فقال: تنام عيناى ولا ينام قلبي.

وفيه بعد قوله: كائن لابن أخيك هذا شأن: نجده في كتبنا، وما ورثنا من

آبائنا، وقد أخذ علينا موثيق.

قال أبو طالب: من أخذ عليكم الموثيق؟

قال: الله أخذ علينا نزل به عيسى ابن مريم<sup>(١)</sup>.

فمثل هذه الروايات المشهورة في كتب القوم كلّها تدلّ على كامل معرفة

أبي طالب ﷺ بمقام ابن أخيه، وعلوّ كعبه، ورفعة شأنه، وأنه نبيّ من الله

تعالى، وهي دالة أيضاً على معرفة أبي طالب ﷺ بالله تعالى، ولم يكن من

الجاهلين المشركين.

ويؤيد ذلك ما نقله السيوطي نفسه:

«وأخرج أبو نعيم عن علي قال: خرج أبو طالب في تجارة إلى الشام في نفر

من قريش، وأخذ معه النبيّ ﷺ، فلما أشرفوا على بحيرا الراهب في وقت قيظ

وحرّ رفع الراهب بصره فإذا غمامة تظّل النبيّ ﷺ من بين من معه من

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٥.

الشمس، فصنع بحيرا طعاماً، ودعاهم إلى صومعته، فلما دخل النبي ﷺ الصومعة أشرفت الصومعة نوراً، فقال بحيرا: هذا نبي الله الذي يرسله من العرب إلى الناس كافة<sup>(١)</sup>.

فهذا التصريح من بحيرا لم يكن يخفى على أبي طالب ﷺ، ولم يكن ناكراً له؛ بل أخذه مسلماً، وحافظ على الرسول، ولم تكن عند أبي طالب من موجبات العناد ما يمنعه من الإقرار للرسول ﷺ بالرسالة؛ بل كان ينتظر الإعلان.

بل إن ما رآه بحيرا من نور النبي ﷺ يوم دخل الصومعة، فجعله يدلي بهذا التصريح كان يراه أبو طالب في كل يوم من أيام عمر النبي ﷺ، أفترى بحيرا أعرف من أبي طالب ﷺ بذلك؟!

أو ترى أن أبا طالب كان معانداً وهو الذي تولّى حماية الرسول ﷺ ضد اليهود قبل البعثة، وضد جحاحة قريش وعفرانيتها بعدها؟!

حاشاه من كل ذرة عناد.

ويؤيد ذلك أيضاً:

«وأخرج ابن سعد، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قال: قال الراهب لأبي طالب: لا تخرجن بابن أخيك إلى ما هنا؛ فإن يهود أهل عداوة وهذا

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٥.

نبيّ هذه الأمّة، وهو من العرب، ويهود تحسده تريد أن يكون من بني إسرائيل، فاحذر على ابن أخيك»<sup>(١)</sup>.

### المشهد الثاني: محاولة اليهود اغتيال النبيّ:

من الأمور التي حصلت للنبيّ عليه السلام في سفره إلى الشام مع أبي طالب عليه السلام ما أشار إليه أبو طالب عليه السلام في شعره تلويحاً تارة، وتصريحاً أخرى، وقد أغفل المؤرّخون تناول هذه الحادثة، أو مرّوا عليها مروراً سريعاً، ألا وهي محاولة اغتيال اليهود للنبيّ عليه السلام، الأمر الذي حدّر منه الراهب بحيرى، ونبه عليه.

أما التلويح فيظهر من الأبيات المتقدّمة التي منها:

فما رجعوا حتّى رأوا من محمّدٍ	أحاديث تجلو غمّ كلّ فؤادٍ
وحتى رأوا أحبار كلّ مدينةٍ	سجوداً له من عصبه وفراذٍ
زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً	دريساً وهمّوا كلّهم بفسادٍ
فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا	له بعد تكذيب وطول بعادٍ
كما قال للرهط الذين تهودوا	وجاهدتهم في الله كلّ جهادٍ
فقال ولم يملك له النصح ردّه	فإنّ له أرساد كلّ مضادٍ
فإنّي أخشى الحاسدين وإنّه	أخو الكتب مكتوب بكلّ مدادٍ

فأبو طالب عليه السلام في هذه الأبيات يحكي ما وقع بلسان فصيح، وعقلية خبير، مراقب للأحداث، ملتفتاً لكلّ ما يجري من حوله، غير غافل عن كلّ

(١) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ٨٦.

ما يرتبط بابن أخيه؛ حفظاً للأمانة، وصوناً لها، فسجّل للأجيال ما شاهده بأَمِّ عينيه من إذعان علماء اليهود والنصارى لابن أخيه النبي محمد ﷺ، فرآهم: (سجوداً له من عصبه وفراد).

وسجّل أسماء أعيانهم (زيراً، وتماًماً، ودريساً)، وهؤلاء اجتمعوا على أمرٍ خطير: (وهموا كلهم بفساد)، والمراد بالفساد هنا القتل كما صرح به في قصيدة أخرى.

وأشار إلى وقوع مناظرة بين بحيرا وبين هؤلاء الذين هموا بقتله ﷺ حتى صرفهم الله تعالى عنه، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما تصريحه بمحاولة الاغتيال فقد جاء في قصيدته الأخرى المتقدمة، والتي منها:

فجاؤوا وقد همّوا بقتل محمدٍ      فردّهم عنه بحسن خصامٍ  
فإذن قد همّ اليهود بقتل النبي محمد ﷺ؛ لأنهم علموا أنه النبي المبعوث  
في آخر الزمان، وأنه من العرب وليس من اليهود كما كانوا يأملون أو يظنون؛  
ولكنّ الراهب بحيرا دخل معهم في مناظرة حتى ردّهم عنه: (فردّهم عنه  
بحسن خصام).

بتأويله التوراة حتى تفرّقوا      وقال لهم ما أنتم بطغامٍ

(١) سورة يوسف: ٢١.

وكقوله في أبيات أخرى كما في الديوان<sup>(١)</sup>:

ظل الغمامة ناغري الأكباد	قوم يهود قد رأوا ما قد رأوا
عنه وجاهد أحسن التجهاد	ثاروا لقتل محمدٍ فنهاهم
في القوم بعد تجاوز وتعاد	وثنى بحيراء زبيراً فانثنى

### المشهد الثالث: في إسلام حمزة :

من يقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية، وبداية البعثة النبوية يعرف أهمية إعلان سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام لإيمانه؛ لما عرف من شجاعته وبأسه وبسالته ومقامه في قومه، لا سيّما وأن إعلانه كان أمام الملأ من قريش؛ يعني كان في مقام التحدي، ولم ينسب منهم أحد بشفة مما يدل على هيئته في النفوس.

ويؤكد أهميته ما روي عن أبي طالب عليه السلام؛ حيث قالوا:

وسرّ أبو طالب بإسلامه وأنشأ يقول:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمدٍ	وكن مظهرًا للدين وفقت صابرا
وحطّ من أتى بالدين من عند ربّه	بصدقٍ وحقّ لا تكن حمز كافرا
فقد سرّني إذ قلت: إنك مؤمن	فكن لرسول الله في الله ناصرا
فنادٍ قريشاً بالذي قد أتيته	جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحرا

وفي هذه الأبيات عدّة وقفات تدلّ على نفسيّة أبي طالب المؤمنة:

١- الحثّ على الصبر على الدين، ممّا يكشف عن معرفته بأنّ تركيز الدين وبقائه وانتشاره تعترضه عقبات كثيرة، ومن بينها طغيان قريش وكبرياؤهم؛ فإنّهم لم يسكتوا ولن يسكتوا عن باطلهم، فيحتاج من المؤمن الصبر على البلاء، وعلى ما يصيبه من أذى.

٢- الحثّ على إظهار الدين والإعلان به، فالإعلان به يقوّي شكيمة المؤمنين المستضعفين، ويضعّف من عزيمة الكافرين المتكبرّين؛ لأنّهم حينما يرون ويسمعون عن تزايد عدد مَنْ آمن - وبالخصوص من أمثال الحمزة ﷺ- يدخل الوهن في صقّهم، ويحدّ من غطرستهم.

٣- حثّه على أن يحيط بالنبيّ محمد ﷺ، ولم يذكره باسمه، ولا بابن أخيه، ليتوهّم أنّ السبب في طلب الإحاطة والحياطة هو كونه ابن أخيه؛ بل ذكره بلقب (من أتى بالدين من عند ربّه .. بصدقٍ وحقّ)، فالسبب هو كونه نبياً مرسلًا من عند ربّه بصدق، ويؤكّد ذلك بقوله أيضاً: (لا تكن حمز كافراً).

٤- تأكيد أبي طالب ﷺ على ما يكرره كثيراً؛ أي تأكيده على صدق النبيّ ﷺ في دعواه النبوة وأنّ ما أتى به حقّ من عند ربّه.

٥- سرور أبي طالب ﷺ بتصريح الحمزة بأنّه مؤمن، ولا يخفى أنّ سرور الإنسان باتّصاف أحد بصفة لا يكون إلّا إذا كان هو محبّاً لتلك الصفة، فمن

غير المعقول أن يُسَرَّ أبو طالب بقول الحمزة أنه مؤمن ولا يكون هو محباً للإيمان، فهو لم يُسَرَّ إلا لكونه متخلّقاً بهذا الخلق العظيم ومتّصفاً به، ويريد لغيره أن يكونوا كذلك.

٦- الحثّ على أن تكون نصرته للرسول ﷺ نابعة عن كونها لله تعالى، لا لشيء آخر، فهو طلب للخلوّص في النية: (فكن لرسول الله في الله ناصراً)، وهذا المعنى يكشف عن ارتقاء روح أبي طالب ﷺ إلى عوالم المحبّة الحقيقيّة لله تعالى، فتكون أعماله خالصة لوجهه الكريم.

٧- التأكيد على الإجهار بإيمانه ليعلم الجميع بذلك، (فناد قريشاً بالذي قد أتيت.. جهاراً)، فالمناداة معناها بصوت مرتفع يسمعه الجميع، وليكن ذلك جهاراً، وهو يدلّ أيضاً على منتهى الجرأة والشجاعة في الأمر والمأمور. ٨- حثّه على ردّ دعوى المبطلين الذين قالوا بأنّ محمداً ﷺ ساحر، (وقل: ما كان أحمد ساحراً).

### المشهد الرابع: قصة لصوق الحجر بيد أبي جهل :

قال السيد فخّار رحمه الله: «وأخبرني الشيخ الفقيه شاذان بإسناده إلى الكراجكي يرفعه: أن أبا جهل بن هشام جاء إلى النبي ﷺ ومعه حجر، يريد أن يرميه به إذا سجد رسول الله ﷺ، فرفع أبو جهل يده فبيست على الحجر، فرجع وقد التصق الحجر بيده، فقال له أشياعه من المشركين: أخشيت؟

قال: لا ولكنني رأيت بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه، فقال في ذلك أبو طالب رضي الله عنه وأرضاه هذه الآيات:

أفيقوا بني عمنا وانتهوا      عن الغي في بعض ذا المنطقِ  
وإلا فلإني إذا خائف      بوائق في داركم تلتقي  
إلى أن قال - بعد أن تعرّض لقوم النبيّ صالح عليه السلام وقد تقدّمت -:

وأعجب من ذاك في أمركم      عجائب في الحجر الملتصقِ  
بكفّ الذي قام من حينه      إلى الصابر الصادق المتّقي  
فأثبتته الله في كفّه      على رغم ذا الخائن الأحمق<sup>(١)</sup>

فهو هنا يؤرّخ لما حدث مع أبي جهل الخائن الأحمق، ويبيّن أنّ ذلك من فعل الله تعالى؛ لأنّه يريد الإساءة للصابر الصادق المتّقي؛ أي الرسول عليه السلام، ومع ذلك يستغلّ الفرصة لدعوة قريش للإفاقة ممّا هم فيه، وأنّه يخاف عليهم من البائقة مثل الذي حصلت لقوم ثمود بعد تكذيبهم لنبيّهم وقتل الناقة.

### المشهد الخامس: موقف النجاشي من المسلمين المهاجرين :

في البحار: «وروى الواقدي بإسناد له أن رسول الله عليه السلام لما كثر أصحابه، فظهر أمره، اشتدّ ذلك على قريش وأنكر بعضهم على بعض، وقالوا: قد أفسد محمّد بسحره سفلتنا وأخرجهم عن ديننا، فلتأخذ كلّ قبيلة من فيها من المسلمين، فيأخذ الأخ أخاه، وابن العمّ ابن عمّه، فيشده ويوثقه كتافاً،

(١) الحجّة إلى الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٢٢٤.

ويضربه ويخوفه، وهم لا يرجعون، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾<sup>(١)</sup>، فخرج جماعة من المسلمين إلى الحبشة يقدمهم جعفر بن أبي طالب ﷺ فنزلوا على النجاشي ملك الحبشة، فأقاموا عنده في كرامة، ورفع منزلة، وحسن جوار، وعرفت قريش ذلك، فأرسلوا إلى النجاشي عمرو بن العاص، وعمار بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فخرج، فلما قدم عمرو بن العاص، وعمار بن الوليد في رهط من أصحابها على النجاشي، تقدم عمرو بن العاص فقال: أيها الملك إن هؤلاء قوم من سفهائنا صباة، قد سحرهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فادفعهم عنك؛ فإن أصحابهم يزعم أنه نبي، قد جاء بنسخ دينك، ومحو ما أنت عليه، فلم يلتفت النجاشي إلى قوله، ولم يحفل بما أرسلت به قريش، وجرى على إكرام جعفر وأصحابه، وزاد في الإحسان إليهم، وبلغ أبا طالب ذلك فقال يمدح النجاشي:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر	وعمره وأعداء النبي الأقارب
وهل نال أفعال النجاشي جعفرأ	وأصحابه أم عاق ذلك شاغب
تعلم خيار الناس إنك ماجد	كريم فلا يشقى لديك المجانب
وتعلم بأن الله زادك بسطة	وأسباب خير كلها لك لازب

فلما بلغت الأبيات النجاشي سرَّ بها سروراً عظيماً، ولم يكن يطمع أن يمدحه أبو طالب بشعر، فزاد في إكرامهم وأكثر من إعظامهم، فلما علم أبو

طالب سرور النجاشي قال يدعو إلى الإسلام، ويحثه على اتباع النبي عليه أفضل الصلاة والسلام:

تعلم خيار الناس أن محمداً وزير لموسى والمسيح بن مريم<sup>(١)</sup> إلى آخر الأبيات، وفيها (نبي كموسى..)، أو وزير لموسى على اختلاف الروايات، وقد تقدّم الكلام فيها.

### المشهد السادس: جواب على رسالة أحد المهاجرين إلى الحبشة :

كتب عبد الله بن الحارث بن قيس أحد المهاجرين إلى الحبشة حين أمنوا فيها، وحمدوا جوار النجاشي أبياتاً وأرسلها إلى أهل مكة ويخصّ أبا طالب، منها:

أبلغ أبا طالب عنّي مغلغلة  
كلّ امرئ من عباد الله مضطهد  
إنّا وجدنا بلاد الله واسعة  
فأجابه أبو طالب عليه السلام:

أبيتُ بحمد الله ترك محمد  
وقال لي الأعداء: قاتل عصابةً  
أبت كبدي لا أكذبك قتاهم  
وكيف قتالي معشرأ يآدبونكم

من كان يرجو ثواب الله والدين  
ببطن مكة مقهورٍ ومفتونٍ  
تنجي من الذلّ والمخزاة والهونِ  
بمكة أسلمه لشرّ القبائلِ  
أطاعوا وأبغيمهم جميع الغوائلِ  
عليّ وتأباه عليّ أناملي  
على الحقّ ألاّ يآشبهوه بباطل

نفيتم عباد الله عن حرّ أرضهم  
فأضحوا على أمر كثير البلابل  
إلى أن قال:

فبدّ لهم ربّ العباد بدارهم  
جوار كريم سيّد ذي فواضل  
جوار النجاشيّ الذي ليس مثله  
ملك مجير للضعاف الأرامل  
أقيم على نصر النبيّ محمّد  
أقاتل عنه بالقنا والقنابل  
أحظّ بحمد الله ممّا عرضته  
عليّ فلا تنكر مقالة قائل<sup>(١)</sup>

وفي هذه الأبيات تأكيد على مواقفه النبيلة مع الدعوة الإسلاميّة ونصرة صاحبها ﷺ والدفاع عنه، وبيان مظلوميّة المهاجرين وظلم أهل مكّة لهم، ومدح للنجاشيّ وإطراء على حسن جواره.

### المشهد السابع: توثيق ما جرى بين عمرو وعمارة:

لقد أرسلت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بن المغيرة إلى النجاشيّ ليطلبوا منه إرجاع المسلمين الذين هاجروا إليه، ولقد باءت محاولة قريش بالفشل الذريع بفضل جعفر بن أبي طالب ﷺ، وقوّة برهانه وحسن بيانه في الحوار، ولباقة في الحديث في محضر النجاشيّ.

وأما عمرو بن العاص وصاحبه فقد جرت بينهم أمور في البحر حين مسيرهم إلى النجاشيّ، فطلب عمارة من زوجة عمرو أن تقبله، وأمرها زوجها أن تفعل، ثمّ راودها عن نفسها، ثمّ ألقى عمرواً في البحر ليغرقه، إلّا

أنّه كان يحسن السباحة فنجا، وصرّح له عمارة بما أراد، فأضمرها عمرو في نفسه.

ولما أخبر عمارة عمرواً بما جرى بينه وبين زوجة النجاشيّ حانت الفرصة لعمرو؛ لينتقم من صاحبه، فخدعه وجرّه لمكيدة أودت به، وقد انتشر خبرهما وسمع بقصتهما أبو طالب عليه السلام فقصّها شعراً ليبقى عارها تأريخاً يقرأه الأجيال<sup>(١)</sup>، فقال:

(١) ذكر القصة جامع الديوان بسنده: ٢٤٩ - ٢٥٠، وذكرها ابن إسحاق في السير والمغازي: ١٤٩/٢، وابن أبي الحديد في شرح النهج: ٣٠٤/٦ وفيها:  
«...وكان عمارة رجلاً جميلاً وسيماً يفتن النساء، صاحب محادثة، فركبا البحر، ومع عمرو ابن العاصي امرأته، حتى إذا سارا في البحر ليالي أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عمارة بن الوليد قال لامرأة عمرو: قبّلي، فقال عمرو: قبّلي ابن عمك فقبلته، فهوها عمارة بن الوليد فجعل يراودها عن نفسها، فامتنعت منه.  
ثم إنَّ عمرواً قعد على منجاف السفينة يبول فدفعه عمارة في البحر، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة، فقال له عمارة: أما والله لو عرفت يا عمرو أنّك تسبح ما طرحتك؛ ولكن كنت أظنك لا تحسن السباحة.  
فلما قال ذلك عمارة لعمرو ضغن عليه عمرو في نفسه، وعرف أنّه قد أراد قتله، ومضيا في وجههما، حتى قدما أرض الحبشة...

فلما اطمأنّا لم يلبث عمارة أن دبّ لامرأة النجاشي، وكان رجلاً جميلاً وسيماً فأدخلته فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يحدث عمراً بما كان من أمره، فجعل عمرو يقول: ما أصدقك إنك قدرت على هذا، شأن المرأة أرفع من هذا، فلما أكثر عليه

أتاني حديث عن عمارة مخزّي  
تصاحبتهما - لا بارك الله فيكما -  
سقيت الفتى خمراً فأفسدت عقله  
وفعلك يا عمرو الضلالة أقبح  
على فجرة تنثي عليكم وتفصح  
وزوجتك الحسنى إليه تلوح

عمارة، وكان عمرو قد صدّقه وعرف أنه قد دخل عليها، ورأى من هيئته وما تصنع المرأة به إذا كان معها، وبيتوته عندها، حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك، وكلنا في منزل واحد، ولكنّه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشي.

فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها: إن كنت صادقاً أنك بلغت منها ما تقول فقل لها أن تدهنك من دهن النجاشي، الذي لا يدهن به غيره؛ فإنّي أعرفه وأتني بشيء منه حتى أصدّقك بما تقول.

قال: أفعل، قال فجاءها في بعض ما يدخل عليها فدهنته وأعطته منه شيئاً في قارورة، فلما شمّه عمرو عرفه، وقال له: عند ذلك أشهد أنك قد صدقت، ولقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله، ونلت من امرأة الملك، ما سمعنا مثل هذا، وكانوا أهل جاهليّة، وكان ذلك في أنفسهم فضلاً لمن أصابه وقدر عليه، ثمّ إنّ سكّته عنه حتى إذا اطّمان دخل عمرو على النجاشي فقال:

أيها الملك معي سفيه من سفهاء قريش وقد خشيت أن يعرّني عندك أمره، وقد أردت أن أرفع إليك شأنه، ولم أعلمك ذلك حتى استثبت أنّه قد دخل على بعض نسائك فأكثر، وهذا دهنك قد أعطته وأدهن به.

فلما شمّ النجاشي الدهن قال: صدقت هذا دهني الذي لا يكون إلّا عند نسائي، ثمّ دعا بعمارة بن الوليد ودعا بالسواحر فجردّ له من ثيابه، ثمّ أمرهن فنفخن في إحليله ثمّ خلّى سبيله فخرج هارباً في الوحش...».

رأت رجلاً من أجمل الناس منتشٍ  
أذنت لها في قبلة من جبينها  
فلو كنت يا ابن العاص حراً قتلته  
وكان الفتى طباً بما كان منهم  
وقال اعتذاراً: ما أردت سلامة  
فداهنته فعل الذليل مهانة  
فدبّ إلى عرس النجاشي بجهده  
وخبرك المشؤوم ما كان منها  
على عارضيه حين يدخل بيتها  
فأورطته عند النجاشي ساعياً  
فصيّرهُ بين الوحوش بسحره

وأنت عياء أصفر اللون أفلح<sup>(١)</sup>  
فطالبا جهرأ بما ليس يصلح  
ولكن تداعاك الرجال وأقبح  
فألقاك في التيار واليمّ يطفح  
وما كنتُ ذا علمٍ بأنك تسبح  
وما زال للنكراء صدرك أفلح<sup>(٢)</sup>  
فصادفها بالبضع للجهل تسمع  
وجاءك بالذهن الذي كان يمسح  
مساءً وتحبوه به حين يُصبح  
إليه به وأنت في ذاك مفلح  
يُقطّع أجواز الفلاة ويكدح<sup>(٣)</sup>

وأبو طالب عليه السلام في هذا الشعر وإن كان يسرد قصة ما جرى بين  
الصاحبين، إلا أنه يطفح بالمثل الأخلاقية العالية، فتراه ينتقدهما نقداً لاذعاً  
في فعلهما: (تصاحبتهما ... على فجرة تنثي عليكم وتفصح)، تنثي بمعنى تشيع.

وقوله: (سقيت الفتى خمرأ فأفسدت عقله).

(١) الأفلح: المشقوق الشفة، وإن كان الأفلح فهو الذي تكثر الصفرة على أسنانه وتغلظ ثم  
تسود وتخضر.

(٢) في الهامش: هكذا وردت القافية في الأصل، وهي محرّفة، وصوابها أن تكون (يجنح)  
مثلاً أو ما يشبهه مما يلتئم مع السياق.

(٣) الديوان: ٢٥٧ - ٢٥١.

وقوله:

أذنت لها في قبلة من جبينها      فطالبها جهراً بما ليس يصلح  
فلو كنت يا ابن العاص حراً قتلتها      ولكن تدعائك الرجال وأقبح  
وقوله: (فداهنته فعل الذليل مهانة)

### المشهد الثامن: موقفه في الدفاع عن عثمان بن مظعون:

ومن ذلك قوله - وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي، حين عذّبت

قريش ونالت منه-:

أصّبت مكتئباً تبكي كمحزونٍ      أمّن تذكر دهر غير مأمونٍ  
يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين      أمّن تذكر أقوام ذوي سفه  
أنا غضبنا لعثمان بن مظعونٍ      ألا يرون أذلّ الله جمعهم  
بكلّ مطّرد في الكفّ مسنونٍ      ونمنع الضيم من يبغي مضميتنا  
يشفى بها الداء من هام المجانين      ومرهفات كأنّ الملح خالطها  
بعد الصعوبة بالأسماح واللين      حتى تقرّ رجال لا حلوم لها  
على نبيّ كموسى أو كذي النونٍ      أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب  
كما تبين في آيات ياسين<sup>(١)</sup>      يأتي بأمرٍ جليّ غير ذي عوج

ويحقّ للقلم أن يقف في هذه الأبيات وقفة غير قصيرة؛ لما تحمله من معاني

مثاليّة عالية:

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٣/١٤، والبيت الأخير ذكر في الهامش عن الديوان.

١- إنه يكتتب لما يرى من ظلم ذوي السفاهة لمن يدعو إلى الدين! فسبب الكآبة الظلم من جهة؛ فإنه قبيح عقلاً وعقلاء، ووقوعه من ذوي السفاهة على من يدعو إلى الدين من جهة أخرى، وهذا بطبيعته يؤكد الكآبة؛ إذ ما يدعو إلى العدل والإنصاف صار سبباً عندهم لفعل الظلم! ومنشأ ذلك السفاهة التي غلبت حلوم القوم.

٢- إباؤه للضيم ومنعه ممن يريد ضيمه.

٣- إنه يعتبر عثمان بن مظعون واحداً منهم؛ لأنه آمن بالنبي عليه السلام، فالضيم عليه ضيم على أبي طالب عليه السلام: (أنا غضبنا لعثمان بن مظعون. ونمنع الضيم من يبغي مضيمتنا).

٤- لا يمتنع من إشعال فتيل الحرب في سبيل حمايته لمن آمن بابن أخيه عليه السلام، فإنه ربّ الشجاعة، والسيوف التي يلمع بريقها محمولة في الأكف، وفيها دواء لداء هام المجانين الذين يتصرّفون تصرفات حمقى ضدّهم.

٥- معرفته بالقرآن حيث يقرّ بنزوله من الله تعالى، ويصفه بالعجب؛ أي إنه كتاب يثير إعجاب تاليه وسامعيه، لما يحمل من بلاغة وفصاحة ومعاني جميلة جليّة.

وفي قوله: (أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب)، فيه تضمين أو إشارة إلى قوله

تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾<sup>(١)</sup>.

- ٦- إقراره بنبوّة النبي محمد ﷺ، وأنه كالنبي موسى، وكذي النون، فيستفاد أيضاً اطلاعاً على أحوال الأنبياء السابقين ﷺ.
- ٧- معرفته بقصّة النبي يونس ﷺ، صاحب الحوت.

### المشهد التاسع: مع قريش :

قال ابن أبي الحديد: «قالوا: وقد اشتهر عن عبد الله المأمون إنه كان يقول: أسلم أبو طالب - والله - بقوله:

نصرتُ الرسولَ رسولَ المليكِ	ببيض تلاً لأكلم البروقِ
أذبُّ وأحمي رسولَ الإلهِ	حمية حامٍ عليه شفيقُ
وما إن أدبَ لأعدائه	ديب البكار حذارِ الفنيقِ <sup>(٢)</sup>
ولكن أذير لهم سامياً	كما زار ليث بغيل مضيقِ <sup>(٣)</sup>

وذكر في المناقب لابن شهر آشوب مقدمة لهذه الأبيات، وهي:

«الطبري والبلاذري والضحاك قال: لما رأت قريش حمية قومه، وذبت عمّه أبو طالب عنه جاؤوا إليه وقالوا: جنناك بفتى قريش جمالاً وجوداً

(١) سورة الجن: ١.

(٢) الفنيق: الفحل المكرّم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٧٤/١٤.

وشهامة عمارة بن الوليد، ندفعه إليك يكون نصره وميراثه لك، ومع ذلك من عندنا مال، وتدفع إلينا ابن أخيك الذي فرّق جماعتنا، وسفّه أحلامنا فنقتله.

فقال: والله ما أنصفتُموني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وتأخذون ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبداً، أتعلمون أن الناقة إذا فقدت ولدها لا تحنّ إلى غيره؟

ثمّ نهرهم فهمّوا باغتياله، فمنعهم أبو طالب من ذلك وقال فيه، ثمّ ساق البيتين الأولين مع اختلاف يسير<sup>(١)</sup>.

ثمّ قال: «وأنشد أيضاً:

يقولون لي دَعْ نصرَ مَنْ جاء بالهدى	وغالبٌ لنا غلابٌ كلّ مُغالبٍ
وَسَلِّمْ إلينا أحمداً واكْفَلَنْ لنا	بُنِيّاً ولا تحفل بِقَولِ المعاتبِ
فقلتُ لهم اللهُ رَبِّي وناصري	على كُـلِّ باغٍ مِنْ لؤيِّ بنِ غالبِ
أُجْزركم ابني وأخفر ذمتي	وأكفلُ إبناً لابنِ عمِّي وصاحبي
أضعتُ إذن جهداً وصيّةً والدي	بِإِثمِّ مُحْزِيٍّ فعَلَّ خائبٍ <sup>(٢)</sup>

ورواها الشيخ المفيد رحمته في كتابه إيمان أبي طالب<sup>(٣)</sup>.

(١) مناقب آل أبي طالب: ٥٥/١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٥٥/١، والديوان: ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) إيمان أبي طالب: ٤٨.

وقضية مجيء قريش إلى أبي طالب عليه السلام، وطلبهم منه تسليم ابن أخيه عليه السلام إليهم ليقتلوه ذكرها جمع كثير من علماء أهل السنة، وعلماء الإمامية عليهم الرحمة.

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره تمة للحديث السابق، وهي:

«فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: لقد أنصفك قومك يا أبا طالب، وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهم.

فقال أبو طالب للمطعم بن عدي: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال أبو طالب.

فحقب الأمر عند ذلك، وجمعت للحرب، وتنادى القوم، ونادى بعضهم بعضاً، فقال أبو طالب عند ذلك، وأنه يعرض بالمطعم، ويعمّ من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سأله فيما طلبوا منه، وما تباعد من أمرهم:

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم

ألا ليت حظي من حياطتكم بكرٌ<sup>(١)</sup>

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: ١٠/٢: «ألا ليت حظي من حياطتكم بكر؛ أي: إن بكرأ من الإبل أنفع لي منكم، فليت لي بدلاً من حياطتكم، كما قال طرفة في عمرو بن

من الخور حباب كثير رغاؤه  
 يرش على الساقين من بوله قطر<sup>(١)</sup>  
 تخلف خلف الورد ليس بلاحق  
 إذا ما على الفيفاء تحسبه وبر<sup>(٢)</sup>  
 أرى أخويننا من أبينا وأمننا  
 إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر  
 بلى لهما أمر ولكن تجرهما  
 كما جرمت من رأس ذي العلق الصخر  
 هما أغمزا للقوم في أخويهما  
 وقد أصبحا منهم أكفهما صفراً  
 أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً  
 هما نبدانا مثل ما نبد الجمر  
 فأقسمت لا ينفك منهم مجاور  
 يجاورنا ما دام من نسلنا شفر

هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا نخور»

(١) الخور: الضعاف، والحباب بالحاء: الصغير. وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: جباب بالميم، وفسره فقال: هو الكثير الهدر.

(٢) وفي الشعر: (إذا ما علا الفيفاء قيل له: وبر)؛ أي يشبه بالوبر لصغره، ويحتمل أن يكون أراد: يصغر في العين لعلو المكان وبعده.

هما أشركا في المجد من لا أخأله  
 من الناس إلا أن يرس له ذكر  
 وليداً أبوه كان عبداً لجدنا  
 إلى علجة زرقاء جاش بها البحر  
 وتيم ومخزوم وزهرة منهم  
 وكانوا لنا مولى إذا ابتغي النصر  
 فقد سفهت أحلامهم وعقولهم  
 وكانوا كجفر شرها جهلت جفر<sup>(١)</sup>

قال الشيخ الأميني رحمته الله: «حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات، لا تخفى على أي أحد غايته الوحيدة فيه، وإن ﴿الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾<sup>(٢)</sup> ألا وهي:

وما ذاك إلا سوّد خصنا به      إله العباد واصطفانا له الفخر  
 رجال تمالوا حاسدين وبغضة      لأهل العلى فيبينهم أبداً وتر  
 وليد أبوه كان عبداً لجدنا      إلى علجة زرقاء جال بها السحر

يريد به الوليد بن المغيرة، وكان من المستهزئين بالنبي الأعظم ﷺ، ومن الذين مشوا إلى أبي طالب ﷺ في أمر النبي ﷺ، وقد نزل فيه قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي

(١) سيرة ابن إسحاق (السيرة والمغازي): ١٣٥، ونقلها ابن هشام في السيرة ١/١٧٣، وحذف منها بيتين، وعلل ذلك لأنه أقدع فيهما.

(٢) سورة القيامة: ١٤-١٥.

وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١﴾ وكان يسمّى: الوحيد في قومه» (١).

قال ابن إسحاق في السيرة (٢):

«ولما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ،

واجتمعت قريش على عداوته وخلافه قال أبو طالب في ذلك:

ما أن جنينا من قريش عظيمة	سوى أن منعنا خير من وطئ التريا
أخا ثقة للنائبات مرزا	كريباً منسّاه لا لئيماً ولا ذربا
فيال خويننا عبد شمس ونوفلاً	فيا لكما أن تسعرا بيننا حربا
وأن تصبحوا من بعد ودّ وألفة	أحايش فيها كلّكم يشتكى النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس	ورھط أبي يكسوم إذ ملثوا الشعبا
فوالله لولا الله لا شيء غيره	لأصبحتم لا تملكون لنا سربا»

قال السيد ابن طاووس في كتابه الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف:

«ومن ذلك ما ذكره الحنبليّ صاحب الكتاب المذكور - أي الفقيه الحنبليّ

إبراهيم بن علي بن محمد الدينوريّ في كتابه نهاية الطلب - بإسناده إلى محمّد

بن إسحاق، عن عبد الله بن مغيرة بن معقب قال: فقد أبو طالب ﷺ رسول

الله ﷺ فظنّ أنّ بعض قريش اغتاله فقتله، فبعث إلى بني هاشم فقال: يا بني

(١) سورة المدثر: ١١.

(٢) الغدير: ٣٦١/٧.

(٣) السير والمغازي: ١٣١/٢.

هاشم أظنّ بعض قريش اغتال محمّداً فقتله، فليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة، وليجلس إلى جنب عظيم من عطاء قريش، فإذا قلت: أبغي محمّداً فليقتل كلّ واحد منكم الرجل الذي إلى جانبه.

وبلغ رسول الله ﷺ جمع أبي طالب - وهو في بيت عند الصفا - فأتى أبا طالب وهو في المسجد، فلما رآه أبو طالب أخذ بيده، ثمّ قال:

يا معشر قريش، فقدت محمّداً فظننت أنّ بعضكم اغتاله، فأمرت كلّ فتى من بني هاشم أن يأخذ حديدة، ويجلس كلّ واحد منهم إلى عظيم منكم، فإذا قلت: أبغي محمّداً قتل كلّ واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه، فاكشفوا لي عمّا في أيديكم يا بني هاشم، فكشف بنو هاشم عما في أيديهم، فنظرت قريش إلى ذلك، فعندها هابت قريش رسول الله ﷺ، ثمّ أنشأ أبو طالب يقول:

ألا أبلغ قريشاً حيث حلّت	وكلّ سرائر منها غرورٌ
فإني والضوايح غاديات	وما تتلو السفافرة الشهورٌ
لآل محمّد راع حفيظ	وودّ الصدر منّي والضميرُ
فلست بقاطع رحمي وولدي	ولو جرّت مظالمها الجزورُ
أيأمر جمعهم أبناء فهر	بقتل محمّد والأمر زورُ
فلا وأبيك لا ظفرت قريش	ولا لقيت رشاداً إذ تشيرُ
بنيّ أخي ونوط القلب منّي	وأبيض ماؤه غدق كثيرُ
ويشرب بعده الولدان رياً	وأحمد قد تضمّنه القبورُ

أيا ابن الأنف أنف بني قصي كأن جبينك القمر المنير<sup>(١)</sup>

وفي هذا الموقف، وفي هذه الأبيات ما يدلّ على المحبة التامة، الناشئة من المعرفة العميقة، وسيأتي تعليق السيد فخار رحمته الله؛ ولكن لتتوقف قليلاً عند هذا البيت الذي خاطب فيه قريشاً حيث حلّت، متحدّياً كبرياءها وخيلائها:

لآلٍ محمّد راع حفيظ وودّ الصدر منّي والضمير

فالمدار الذي تدور عليه مواقفه الصعبة، وحماسته الهادرة هو (النبيّ محمّد عليه السلام)، فلهذا اختار كلمة (آل محمّد) مع أنّها لم تكن معهودة في ذلك الزمان حسبما يظهر، وبحسب المصطلحات الحديثة نقول: إنّ النبيّ محمداً عليه السلام عند أبي طالب عليه السلام خطّ أحمر، فلا يرضى بأية إساءة تصل إليه، من أيّ أحد، كائناً من كان، فأبو طالب الزعيم راعيه وحافظه، (وورد الصدر مني والضمير)، والنبيّ محمّد عليه السلام نوط القلب منه، فلا ترشد قريش بالإشارة لقتله.

وقد نقل السيّد فخار رحمته الله هذه الحادثة ونقل فيها أبياتاً أخرى غير التي ذكرناها، وفي ذيلها: «... فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟»

فقال: إي وربّ هذه، وأوماً إلى الكعبة.

فقال له المطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف - وكان من أحلافه-:

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٣٠٣ - ٣٠٤.

لقد كدت تأتي على قومك.

قال: هو ذاك، ومضى به، وهو يقول:

إذهب بُنيَّ فما عليك غضاضة      إذهب وقرَّ بذاك منك عيونا  
والله لن يصلوا إليك بجمعهم      حتى أوسد في التراب دفينا  
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي      ولقد صدقت وكنت قبل أمينا  
وذكرت ديناً لا محالة أنه      من خير أديان البرية دينا

قال: فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والاستعطاف، وهو لا يحفل

بهم، ولا يلتفت إليهم».

ثم علق السيد فخار (رحمه الله) :

«فانظر بعين الإنصاف، وارفض التعصّب لأهل الخلاف، وتأمل صنيع  
أبي طالب ما أعظمه، وفعله ما أحزمه، فإنه حسم عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) بما أوعز إلى  
العبيد شغب كلّ كافر مرید فتركها لم تزل خائفة من بأس أبي طالب (صلى الله عليه وآله)،  
شفقة على أنفسها من أذى يلحق النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فيؤاخذهم به أبو طالب أشدّ  
مؤاخذة، وينابذهم أعظم منابذة، وهذا النصر الصادر عن صدق الإيمان  
والولاية، وبه تثبيت النبوة، وتمكّن النبيّ (صلى الله عليه وآله) من أداء الرسالة، وإذاعة الدعوة  
وإقامة الشريعة، ولولاه ما انتظم أمر الإسلام، ولا قويت شوكة الإيمان،  
ومن لم يعرف باعتبار أبي طالب هذا وأمثاله صحّة إيمانه، وعظيم عنايته في

الدين خرج عن حدِّ المكلفين».

وفي رواية الديوان: «وعاتبته قريش وقالوا: يا أبا طالب، لقد أتيت عظيماً، وجنيت أنت وبنو أبيك أما رأيت لهذا البيت حرمة حتى تشهر عدّة السلاح! فقال أبو طالب:

لقد كان مني ما رأيتم وإنني لأعظم حقّ البيت والركن والحجر  
وليس اختراط السيف يا قوم بأعظم عند الله جرماً من الغدر»<sup>(١)</sup>  
ومع أنّ هذه الأبيات تؤرّخ حادثة جرت بينه وبين قريش، إلا أنّها تدلّ  
أيضاً على معرفة خاصّة؛ حيث إنّه في الوقت الذي يعظم البيت والركن  
والحجر، إلاّ أنّه يعرف بأنّ ما يأتي به كان لأجل الحفاظ على روح سيّد الخلق،  
وهو أعظم حرمة عند الله تعالى من الكعبة المعظمة، وأنّ الجرم الذي تريد  
قريش ارتكابه أعظم من اختراط السيف.

وفي تاريخ يعقوبي: «وفي الليلة التي أسري به افتقده أبو طالب فخاف  
أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلتها، فجمع سبعين رجلاً من بني عبد المطلب  
معهم الشفار، وأمرهم أن يجلس كلّ رجل منهم إلى جانب رجل من قريش،  
وقال لهم: إن رأيتموني ومحمّداً معي فأمسكوا حتى آتيكم، وإلاّ فليقتل كلّ  
رجل منكم جلسه، ولا تنتظروني، فوجدوه على باب أم هانئ، فأتى به بين

بيديه حتى وقف على قريش فعرفهم ما كان منه، فأعظموا ذلك وجلّ في صدورهم، وعاهدوه وعاقدوه أنّهم لا يؤذون رسول الله، ولا يكون منهم إليه شيء يكرهه أبداً<sup>(١)</sup>.

وكلمة أخيرة: وظني وظنّ الألمي عين اليقين: أنّ هذا الموقف من أبي طالب ﷺ زلزل كيان قريش، وألقى الرعب في نفوسهم، والخوف في قلوبهم، وكأني بهم وقد خافوا من ذكر النبي ﷺ على أطراف ألسنتهم بخير أو بسوء ولو في ما بينهم وبين أنفسهم؛ لأنّ الموقف ماثل أمامهم، وكفاه فخراً أن حفظ نبيّ الإسلام، وبيضة المسلمين، في عقر دار الشرك والمشركين.

مضافاً إلى ما أنشأه من الشعر في المناسبة، وقد مدح بها النبي ﷺ، ويين مكانته في قريش، وفي بني هاشم، فهو ابن الأنف، أنف قصي، فمحلّه - حسب الكناية المتعارفة- هو المحلّ الأعلى في قومه وعشيرته مع علوّ وشموخ، فيذكرنا بقول الشاعر:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم

### المشهد العاشر: قرار قريش قتل الرسول :

تتسابق الأحداث، ويعرض الحسد والحقد على فؤاد قريش، فيغلي غليان الرجل ويفور بشره ليطنى على السطح فصعدت من أمنياتها فقرر قتل

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢٧/٢.

النبي ﷺ، ولكنَّ أبا طالب ﷺ لهم بالمرصاد وهو الخبير نافذ البصيرة فيقف  
دونهم مانعاً ولسطوتهم حاجباً فيقول:

ألا أبلغا عنِّي لؤيًّا رسالة	بحقِّ وما تغني رسالة مرسلِ
بني عمِّنا الأدين تيمًّا نخصهم	وإخوننا من عبد شمس ونوفلِ
أظاهرتهم قوماً علينا أظنَّة	وأمرأ غويًّا من غواة وجهلِ
يقولون إنَّا إن قتلنا محمّداً	أقرت نواصي هاشم بالتذللِ
كذبتم وربِّ الهدى تدمي نحورها	بمكّة والركن العتيق المقبلِ
تنالونه أو تصطلون لقتله	صوارم تفري كلَّ عظم ومفصلِ <sup>(١)</sup>

إلى آخر الأبيات التي زجرت أذان قريش.

ولكن يبقى القلق في نفس أبي طالب ﷺ تجاه ابن أخيه، وما تحيكه قريش  
ضده، فأخذ هذا الهاجس مساحة من شعره، ولا زال يكرّر عليهم بأنا هنا،  
ولسنا ساكتين ولا ساكنين ولا غافلين، وأوضح لهم بكلّ شجاعة وبسالة ما  
سيظهره لهم لو وقع منهم ما يكرهه، ففي قصيدة أخرى يقول:

ألا من لهم آخر الليل معتم	عراني وأخرى النجم لم يتقحّم
عراني وقد نامت عيون كثيرة	وسائرُ أخرى ساهرٌ لم ينوم
لأحلام أقوام أرادوا محمّداً	بسوء ومن لا يتّقي الظلم يظلم
سعوا سفهاً واقتادهم سوء رأيهم	على قائل من رأيهم غير محكم
رجاء أمورٍ لم ينالوا بظلمها	وإن حشدوا في كلِّ بدو وموسم

يرجون أن نسخى بقتل محمدٍ  
يرجون منا خطةً دون نيلها  
كذبتهم -وبيت الله- حتى تعرّفوا  
وتقطع أرحام وتنسى حليلة  
وينهض قوم في الدروع إليكم  
إلى آخر القصيدة<sup>(١)</sup>.

يقول ابن شهر آشوب رحمه الله في المناقب: «رأت قريش أنه عليه السلام يفسو أمره في القبائل، وأن حمزة أسلم، وأن عمرو بن العاص ردّ في حاجته عند النجاشي، فأجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله علانية، فلما رأى ذلك أبو طالب جمع بني عبد المطلب، فأجمع لهم أمرهم على أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وآله شعبهم، فاجتمع قريش في دار الندوة، وكتبوا صحيفة على بني هاشم: أن لا يكلموهم ولا يزوّجوهم، ولا يتزوّجوا إليهم، ولا يبايعوهم، أو يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وختم عليها أربعون خاتماً، وعلّقوها في جوف الكعبة، وفي رواية: عند زمعة بن الأسود.

فجمع أبو طالب بني هاشم، وبني عبد المطلب في شعبه، وكانوا أربعين رجلاً، مؤمنهم وكافرهم، ما خلا أبا هب، وأبا سفيان -والمقصود به ابن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم، ثم أسلم عام الفتح وحسن إسلامه-

فظاهرهم عليه، فحلف أبو طالب لئن شاكت محمداً شوكة لآتين عليكم يا بني هاشم، وحصن الشعب، وكان يجرسه بالليل والنهار، وفي ذلك يقول:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً      نبياً كموسى خطّ في أول الكتب  
وقد تقدّمت بعض أبياتها، وفيها:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره      وأنّ الذي علّقتم من كتابكم  
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى  
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب  
يكون لكم يوماً كراعية السقب  
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب  
وله:

وقالوا خطّة جوراً وحمقاً      وبعض القول أبلج مستقيم  
لتخرج هاشم فيصير منها      بلاقع بطن مكّة والحطيم  
فمهلاً قومنا لا تركبونا      بمظلمة لها أمر وخيم  
فيندم بعضكم ويذلّ بعض      وليس بمفلح أبداً ظلوم  
فلا والراقصات بكلّ خرق      إلى معمور مكّة لا يريم  
طوال الدهر حتى تقتلونا      ونقتلكم وتلتقي الخصوم  
ويعلم معشر - قطعوا وعقوا      بأنهم هم الجلد الظليم  
أرادوا قتل أحمد - ظالميه -      وليس لقتله فيهم زعيم  
ودون محمّد فتیان قوم      هم العرنين والعضو الصميم

وكان أبو جهل، والعاص بن وائل، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة

ابن أبي معيط، يخرجون إلى الطرقات، فمن رأوه معه ميرة نهوه أن يبيع من

بني هاشم شيئاً، ويحذرونه من النهب، فأنفقت خديجة على النبي ﷺ فيه مالاً كثيراً.

ومن قصيدة لأبي طالب:

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً	على ساخطٍ من قومنا غير معتبٍ
فلا تحسبونا خاذلين محمداً	لدى غربة منا ولا متقربٍ
ستمعه منا يد هاشمية	ومركبها في الناس أحسن مركبٍ
فلا والذي تحذى له كل نضوة	طليح بجني نخلة فالمحصبٍ
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن	لنحلف بطلاً بالعتيق المحجبٍ
نفارقه حتى نصرع حوله	وما بال تكذيب النبي المقرب <sup>(١)</sup>

### المشهد الحادي عشر: أبو طالب ناصر النبي :

لا يشك أحد ممن قرأ تاريخ الدعوة الإسلامية في نصره أبي طالب ﷺ للنبي ﷺ؛ إذ منذ اليوم الأول للدعوة وقف أبو طالب ﷺ شامخاً معلناً استعدادَه للنصرة، ففي أنساب الأشراف:

«... فجمعهم رسول الله ﷺ ثانية، فقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه

وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ثم قال: إنَّ الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً، ما

كذبتكم، ولو غررت الناس، ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو، إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة.

والله، لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، ولتجزونّ بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإتّها للجنة أبداً، والنار أبداً، وأنتم لأوّل من أنذر.

فقال أبو طالب: ما أحبّ إلينا معاونتك ومرافدتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشدّ تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنّما أنا أحدهم، غير أنّي والله أسرعهم إلى ما تحبّ، فامضِ لما أمرت به، فوالله، لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنّي لا أجد نفسي تطوّع لي فراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه.

وتكلّم القوم كلاماً لئناً، غير أبي لهب فإنه قال: يا بني عبد المطلب، هذه والله السوءة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإن أسلمتموه حينئذٍ، ذللتهم، وإن منعتموه قتلتم.

فقال أبو طالب: والله، لنمنعه ما بقينا<sup>(١)</sup>.

فمن هذا النصّ نستفيد عدّة أمور:

١- أنّ معونتهم للرسول ﷺ أمر محبوب لدى أبي طالب ﷺ.

(١) أنساب الأشراف: ١١٩/١.

٢- أن نصح الرسول عليه السلام مقبول لأبي طالب عليه السلام؛ بل هو متمسك به

بشدة.

٣- أنه عليه السلام يصدق بحديث الرسول عليه السلام تصديقاً أكيداً، ولازم هذا

التصديق أنه يعتبر النبي عليه السلام صادقاً في دعواه.

٤- أنه عليه السلام أسرع قومه إلى ما يحبه الرسول عليه السلام.

٥- حثه للرسول عليه السلام أن يمضي لما أمر به.

٦- أنه عليه السلام على استعداد تام لحفظه وحمايته، وأن يمنع عنه كل من يعترض

طريقه، وقد أكد هذا المعنى في رده على أبي لهب: (والله، لنمنعه ما بقينا)، فهو

يستعدّ ويحلف على ذلك وقد صدق في تعهده.

وأما قوله: (غير أنني لا أجد نفسي تطوع لي فراق دين عبد المطلب حتى

أموت على ما مات عليه)، فهو من حسن البيان وبديع الكلام ولطف

التورية؛ إذ بعد أن أظهر تصديقه لحديث الرسول عليه السلام وطلب منه المضي في

تبليغه، قال هذه الكلمة، وما دين عبد المطلب إلا دين إبراهيم الذي كان

حنيفاً مسلماً، والرسول عليه السلام جاء بالحنيفية الإسلامية، فهو لا يختلف عن دين

إبراهيم من هذه الجهة، فهو مؤمن بما جاء به النبي عليه السلام، وإنما لم يقل إنني مؤمن

بما جئت به بصريح العبارة؛ فلما تكرر منّا مراراً، من أن حفظ النبي عليه السلام من

قريش يتوقف على أن لا يظهر الإيثار بما جاء به ابن أخيه، وإلا ستّخذنه

قريش عدوّاً مقابلاً لها.

واستمرت نصرته للنبي ﷺ في طول أيام الدعوة المباركة في مكة المكرمة، كما هو واضح لكل من قرأ التأريخ، ولقد جاهر في شعره بهذه النصره، وقد تقدّم قسم منها، ومنها هذه الأبيات:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسّد في التراب دفيناً  
بل تراه يهزأ بقريش حين هدّدوا بقتل النبي ﷺ، ويسخر منهم سخريه  
لاذعة فيقول لهم:

فإن كنتم ترجون قتل محمدٍ فروموا بما جمعتم نقل يذبل<sup>(١)</sup>  
فنقل جبل من مكانه أهون عليكم من قتل النبي ﷺ، فاطلبوا بما جمعتم  
نقل جبل يذبل، فهذا من التعليق على المحال، ولا يخفى لطفه.

وقد قال ذلك في قصيدة جامعة يبيدي فيها نصرته بكلّ ما يملك ويطيع؛  
بل فيها من التحديّ الشيء الكثير:

ألا أبلغا عني لويّاً رسالة بحقّ وما تغني رسالة مرسل  
بني عمّنا الأذنين تيمّاً نخصّهم وإخواننا من عبد شمس ونوفل  
أظاهرتُم قوماً علينا أظنّة وأمر غويّ من غواة وجهل

يقولون لو أننا قتلنا محمداً  
كذبتم وبيت الله يثلم ركنه  
وبالحج أو بالنيب تدمى نحوره  
تنالونه أو تعطفوا دون قتله  
وتدعوا بأرحام وأنتم ظلمتم  
فمهلاً ولما تنتج الحرب بكرها  
فإننا متى ما نمرها بسيوفنا  
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً  
وتأوي إليه هاشم إن هاشماً  
فإن كنتم ترجون قتل محمد

أقرت نواصي هاشم بالتذلل<sup>(١)</sup>  
ومكة والإشعار في كل مُعَمَلٍ<sup>(٢)</sup>  
بمدماه والركن العتيق المقبل  
صوارم تفري كل عظم ومفصل  
مصاليت في يومٍ أغرَّ محجّلٍ<sup>(٣)</sup>  
بيتين تمام أو بأخر معجلٍ<sup>(٤)</sup>  
نجالح فنَعْرَكُ من نشاء بكلِّ كلٍ<sup>(٥)</sup>  
على ربوة من رأس عيطاء عيطل<sup>(٦)</sup>  
عرانين كعب آخراً بعد أول  
فروموا بما جمعتم نقل يذبل

(١) في الديوان: يقولون إننا قد قتلنا محمداً...، ونقلناها من كتاب الحجّة على اللذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢١٩.

(٢) المعمل: الطريق للحب المسلوك، ويريد بذلك الطريق التي يسلكها الحجاج المشعرون لهديهم، وربّما كان الصواب: (يَعْمَلِ)، والعملة من الإبل: النجبية السريعة المطبوعة على العمل، كذا في هامش الديوان.

(٣) أي: تدعوا بأرحام أنتم قطعتموها، والمصاليت الأشداء الماضون، والمحجّل: المشهور.

(٤) اليتين: الولاد المنكوس تخرج رجلا المولود قبل رأسه ويديه.

(٥) نجالح: أي نكاشف، ويقال نصبر على حالين، والمجلاح من النوق: التي تصبر على الحرّ والبرد، كما عن جامع الديوان.

(٦) أصل العيظ: طول العنق ثم استعير، وعيطل: طويلة تامّة.

فإننا سنحمله بكلِّ طمرّة<sup>(١)</sup> وكلِّ ردينيّ ظمء كعوبه  
 وكلِّ جرور الذّيل زعفٍ مفاضةٍ وكلِّ جريانٍ شمٍّ من ذوائب هاشمٍ  
 وهم سادة السادات في كلِّ موطنٍ وخيرة ربّ الناس في كلِّ معضِلٍ  
 وغرضنا الأساس من هذا العنوان أن نذكر الرواية التي تشير لاتصافه  
 بوصف الناصر وأتسامه بهذا العنوان من ذي الجلال والإكرام، ف«عن عبيد  
 بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول  
 الله ﷺ فقال: يا محمد اخرج من مكّة، فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش  
 بالنبيّ ﷺ، فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكّة يقال له الحجون فصار

(١) الطمرّة: أنثى الطمر وهو الفرس الجواد، والميعة: أوّل الحُضْر وأنشطه، والمراكل:

حيث يركل الفارس برجله، ونهدها مشرفها، وهيكل مرتفع.

(٢) الردينيّ: الرمح، وظمء كعوبه: أي صلاب لا رهل فيها، وإيماض الغمامة: لمع برقها،  
 ومقصل: قاطع. هامش الديوان.

(٣) الزّعف: الدرع الواسعة الطويلة المحكمة، المفاضة: الواسعة التي تنصب على لابسها  
 كإنباب الماء الفائض، ودلاص: ملساء براقّة، والهزهاز كثير الاهتزاز.

(٤) في هامش للديوان: لعلّ (مغاويل) مشتقّة من الغَوْل والاعتغال وهو الأخذ والإهلاك  
 من حيث لم يُدر، ثمّ استعملت فيما ذكره الشارح؛ أي قول الشارح: مغاويل: ينقصون كلَّ  
 عزٍّ بعزّهم.

إليه<sup>(١)</sup>.

إذن أبو طالب عليه السلام هو المِجَنّ الذي صدّ عن النبي عليه السلام عتاة قريش ونبأهم القوليّة والفعليّة، وهو الحصن الذي يلجأ إليه الرسول عليه السلام من مردتهم، فلا ينكفئ عنهم حتى يطأ صماخهم بأخصه، وهذه الرواية قد حصرت نصرة الرسول عليه السلام فيه: (أخرج من مكّة، فليس لك فيها ناصر)، فبطل الدعوة الإسلاميّة في مرحلة مكّة المكرمة - ما عدا النبي عليه السلام - هو أبو طالب عليه السلام، فلمّا مات عليه السلام لم يكن للرسول عليه السلام ناصر في مكّة يستطيع أن يدفع عنه كبرياء قريش وعنادهم، ويكفي أبا طالب عليه السلام هذا الوسام العظيم من الربّ العظيم.

ويؤيّد هذا ما رواه الهيثميّ في مجمع الزوائد: «وعن عائشة قالت: قال رسول الله عليه السلام: ما زالت قريش كافّة عنيّ حتى مات أبو طالب»<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً: «وعن أبي هريرة قال: لما مات أبو طالب تحيّنوا النبيّ عليه السلام فقال: ما أسرع ما وجدت فقدك يا عمّ»<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً في تاريخ الطبريّ وغيره، وأخرجه ابن عساكر بسنده «عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن جعفر قال: لما مات أبو طالب عرض لرسول

(١) الكافي: ٤٤٩/١.

(٢) مجمع الزوائد: ١٥/٦.

(٣) مجمع الزوائد: ١٥/٦.

الله عليه السلام سفیه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته فأتته امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي.

قال: فجعل يقول: أي بنية لا تبكين؛ فإن الله مانع أباك، ويقول - ما بين ذلك - : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب<sup>(١)</sup>.

وتشعر في هذه الروايات آهات الرسول عليه السلام الكامنة في صدره والتي يجرها على فقد عمّه أبي طالب عليه السلام، فلاحظ: (ما أسرع ما وجدت فقدك يا عمّ).

و: (يقول - ما بين ذلك - : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب)، فهذه الآهات والزفرات تدلّ على عمق العلاقة، وشدة الفقد، والإحساس بالغربة في دار ولادته ومحلّ سكناه عليه السلام.

وتدلّ من جهة أخرى على مكانة أبي طالب عليه السلام في نفس الرسول عليه السلام، ومقدار ما قام به في بدء الدعوة.

ونختم هذا العنوان بهذه الرواية التي جعلته أفضل ناصر من شيعة السرّ: يقول السيّد فخار بن معد عن شيخه الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل عليه السلام يرفعه إلى الشيخ الصدوق عليه السلام بسنده «عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام - في حديث طويل - يذكر فيه إن الله تبارك وتعالى

(١) تاريخ الطبري: ٨٠/٢، تاريخ مدينة دمشق: ٣٣٨/٦٦.

أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله: إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرّاً، وشيعة تنصرك علانية، فأما التي تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

### المشهد الثاني عشر: أبو طالب داعية لنصرة النبيّ:

الشاهد الأول: قال يخاطب أخاه أبا لهب وبني هاشم جميعاً:

قل لعبد العزّي أخي وشقيقي	وبني هاشم جميعاً عزينا <sup>(٢)</sup>
وصديقي أبي عمارة والإخ	— وان طراً وأسرتي أجمعينا <sup>(٣)</sup>
إن يكن ما أتى به أحمد اليو	م سناء وكان في الحشر— دينا
فاعلموا أنّي له ناصر دهم	— ري ومجر <sup>(٤)</sup> بقولتي <sup>(٥)</sup> الخاذلينا
فانصروه للرحم والنسب الأد	نى وكونوا له يداً مصلتين <sup>(٦)</sup>

الشاهد الثاني: ما ورد في الكافي الشريف بسند معتبر «عن أبي عبد الله عليه السلام

قال: لما أرادت قريش قتل النبيّ صلى الله عليه وآله قالت: كيف لنا بأبي لهب؟

(١) الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ٣٦٢.

(٢) عزينا: متفرقين.

(٣) أبو عمارة: الفاكه بن المغيرة حسبما ذكره جامع الديوان.

(٤) في هامش الديوان قال: كذا في الأصل، وفي (ت) و (س): ومجز.

(٥) في هامش الديوان: القاف غير منقوطة في الأصل، وربما قرأ: بصولتي، وما أثبتناه من

(ت) و (س).

(٦) الديوان: ١٠٠.

فقال أم جميل: أنا أكفيكموه، أنا أقول له: إني أحبُّ أن تقعد اليوم في البيت نصطبح<sup>(١)</sup>.

فلما أن كان من الغد وتميماً المشركون للنبي عليه السلام قعد أبو لهب وامرأته يشربان، فدعا أبو طالب علياً عليه السلام فقال له: يا بني اذهب إلى عمك أبي لهب فاستفتح عليه، فإن فتح لك فادخل، وإن لم يفتح لك فتحامل على الباب واكسره وادخل عليه، فإذا دخلت عليه فقل له: يقول لك أبي: إن امرأ أعمه عينه في القوم فليس بذليل.

قال: فذهب أمير المؤمنين عليه السلام فوجد الباب مغلقاً، فاستفتح فلم يفتح له، فتحامل على الباب وكسره ودخل، فلما رآه أبو لهب قال له:

ما لك يا ابن أخي؟

فقال له: إنَّ أبي يقول لك: إنَّ امرأ أعمه عينه في القوم ليس بذليل.

فقال له: صدق أبوك فما ذاك يا ابن أخي؟

فقال له: يقتل ابن أخيك وأنت تأكل وتشرب؟!!

فوثب وأخذ سيفه فتعلقت به أمُّ جميل، فرفع يده ولطم وجهها لطمه فقفا عينها، فماتت وهي عوراء، وخرج أبو لهب ومعه السيف، فلما رآته قریش عرفت الغضب في وجهه، فقالت: ما لك يا أبا لهب؟

(١) الاصطباح: الشرب في الصباح.

فقال: أبايعكم على ابن أخي ثم تريدون قتله! واللات والعزى لقد هممت أن أسلم، ثم تنظرون ما أصنع فاعتذورا إليه ورجع»<sup>(١)</sup>.

قال المحدث الكاشاني رحمته في بيان هذا الحديث:

«أبو لهب كان عم النبي عليه، وأمّ جميل كانت امرأة أبي لهب، وهي حمالة الحطب التي ذكرها الله تعالى في القرآن، وكانت أخت أبي سفيان، والاصطباح الشرب بالغداة، وعين القوم شريفهم، ويقال العين للديدبان، ولعلّ المراد به هاهنا الثاني؛ لأنه أضيف إلى المرء دون القوم، ويستفاد من قوله أبايعكم على ابن أخي أنه كان بايعهم على نصرتهم بشرط أن لا يؤذوا رسول الله عليه»<sup>(٢)</sup>.

وقال العلامة المجلسي رحمته: «... والمراد بالعين السيّد أو الرقيب أو الحافظ، والحاصل أنّ من كان عمّه مثلك سيّد القوم وزعيمهم لا ينبغي أن يكون ذليلاً بينهم.

وكأنّه كان مكان عينه أبو عتبة أو أبو عتيبة؛ فإنّه كان يكتنّى بأبي عتبة وأبي عتيبة وأبي معتب أسماء أبنائه، ووجدت في ديوان أبي طالب أنّه بعث إليه هذه الأبيات:

(١) الكافي: ٢٧٦/٨.

(٢) الوافي: ٣٦٥/٢٦.

وإنَّ امرءَ أبو عتيبة عمّه      لفي معزل من أن يسام المظالما

أقول له وأين منه نصيحتي      أبا معتب ثبت سوادك قائماً»<sup>(١)</sup>

أقول: هذه الأبيات ستأتي، وهي في مناسبة أخرى.

وإذا وقفنا أمام هذه الواقعة سنلاحظ:

١- أن قريشاً لم تفتأ من حياكة المؤامرات ضدَّ النبي عليه السلام، وتريد أن تفتك

به غدرًا حتى مع وجود المهادنة والمصالحة بينهم وبين أبي لهب الذي لم يؤمن بالنبي عليه السلام، وكان مع قريش وعلى دينهم، ولكنه لم يرخص بقتل النبي عليه السلام.

٢- إنَّ وجود أمِّ جميل أخت أبي سفيان في المحادثات السريّة بين قريش

للقيام بمؤامرة كبرى كهذه يكشف عن ضلوع بني أمية في هذه المؤامرة، ومدى كراهيتهم للنبي عليه السلام وبني هاشم.

٣- إنَّ أبا طالب عليه السلام كان يقظاً حذراً؛ بحيث اكتشف وجود المؤامرة قبل

وقوعها، وهذا شاهد آخر على الحسِّ الأمنيِّ عند أبي طالب عليه السلام.

٤- إنَّ أبا طالب عليه السلام كان محنكاً عرف كيف يفسد خطة قريش، ويحبط

مؤامرتهم، فأرسل ابنه لأبي لهب.

٥- إنَّ أبا طالب عليه السلام كان حكيماً لبقاً عارفاً بطريق استمالة العدوِّ وقلبه

وتحويله إلى صالحه، فحرَّك الوتر الحساس في قلب أبي لهب، فتحرَّك نحو

القوم بما أراه أبو طالب ﷺ.

الشاهد الثالث: قوله لأبي لهب أيضاً كما في رواية ابن أبي الحديد<sup>(١)</sup>، ولعبة

بن ربيعة كما في رواية ابن إسحاق؛ فإنه قال:

«ثم إن الإسلام جعل يفتشو بمكة حتى كثر في الرجال والنساء، وقريش

تجسس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من الناس، فقال أبو

طالب: يمدح عتبة بن ربيعة، حين ردّ على أبي جهل فقال: ما ينكر أن يكون

محمد نبياً؟!».

والأقرب ما في شرح النهج؛ لكون الخطاب لابن شيبه، وعبد المطلب هو

شيبه الحمد، وللتعبير بـ(أنّ له قرباً لديك قريبة)، وهذا يناسب أبا لهب لكونه

عمّه، ويؤيده رواية السيّد فخّار بن معد في مناسبة القصيدة؛ حيث قال في

كلام له:

«...ولذلك قال أبو لهب -لما سمع قريشاً يتحدثون في شأنه، ويفيضون

في أمره-: دعوا عنكم هذا الشيخ؛ فإنه مغرم بابن أخيه، والله لا يقتل محمد

حتى يقتل أبو طالب، ولا يقتل أبو طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة، ولا

تقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف، ولا تقتل بنو عبد مناف حتى تقتل

أهل البطحاء، فأمسكوا عنه، وإلا ملنا معه.

(١) شرح نهج البلاغة: ٥٧/١٤.

## فخاف القوم أن يفعل فكفوا.

فلما بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته، فقال ﷺ: يستعطفه ويرققه»<sup>(١)</sup>.

والآيات برواية ابن إسحاق هي:

عجبت لحلم يا ابن شيبه حادث	وأحلام أقوام لديك سخاف
يقولون شايح من أراد محمداً	بسوء وقم في أمره بخلاف
فلا تركبن الدهر مني ظلامه	وأنت امرء من خير عبد مناف
ولا تتركه ما حييت لمطمع	وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف
تدور العدى عن دورة هاشمية	إلافهم في الناس خير إلاف
فإن له قرباً لديك قريبة	وليس بذى خلف ولا بمضاف
ولأنه من هاشم في صميمها	إلى أبحر فوق البحور صواف
وزاحم جميع الناس فيه وكن له	ظهيراً على الأعداء غير مجاف
فإن غضبت فيه قریش فقل لهم	بني عمنا ما قومكم بضعاف
فما بالكم تغشون منّا ظلامه	وما بال أحلام هناك خفاف
وما قومنا بالقوم تغشون ظلمنا	وما نحن فيما ساءهم بخفاف
ولكننا أهل الحفاظ والنهى	وعزّ ببطحاء الحطيم مواف <sup>(٢)</sup>

(١) الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٣٤٢.

(٢) الديوان: ١٠١.

الشاهد الرابع: قال لابن أخيه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب<sup>(١)</sup>:

اعلم أبا أروى بأنك ماجد      من صلب شيبية فانصرنَّ محمدًا  
 لله درّك إن عرفت مكانه      في قومه ووهبت منك له يدا  
 أمّا علي فازتبتُهُ أمه      ونشا على مقّة له وتزيّدا  
 شرف القيامة والمعاد بنصره      وبعاجل الدنيا تحوز السؤددا  
 أكرم بمن يفضي إليه بأمره      نفساً إذا عدّ النفوسُ ومحتدا  
 وخلاتقاً شرفت بمجد نصابه      يكفيك منه اليوم ما ترجو غدا  
 والملاحظ في هذه الأبيات أمور:

١- الدعوة لنصرة النبيّ محمد ﷺ، وهذه الخصلة التي أجهد أبو

طالب ﷺ نفسه فيها وفي سبيل تحصيلها.

٢- إنّ الأماجد هم الذين يستحقّون نصره النبيّ ﷺ، فنصرته في الواقع

توفيق ولطف خاصّ لا يتوفّق له أيّ أحد، فمن توفّق لنصرته عرفنا أنّه

(١) سيرة ابن إسحاق: ١٨٩.

وهو أسنّ من عمّه العباس بستتين، عدّ في من بقي مع الرسول ﷺ يوم حنين في سبعة نفر أو ثمانية، وإليه تنسب هذه الأبيات:

ما كنت أحسب أن الأمر منتقل      عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن  
 أليس أوّل من صلّى لقبلتهم      وأعلم الناس بالآيات والسنن  
 وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن      جبريل عون له في الغسل والكفن  
 إلى آخرها.

ماجد، ومن لم يتوقّف لها عرفنا انتفاء هذه الصفة عنه، وهذا معنى عميق كشف سرّه أبو طالب ﷺ بإيماثة خفيّة، ويدلّ دلالة واضحة على عمق المعرفة النبويّة في نفس أبي طالب ﷺ.

٣- إنّ نصره النبيّ محمد ﷺ شرف في المعاد، وسيادة في الدنيا، فما على من أراد اكتسابها إلّا أن ييمّم صوب منبع النور.

٤- إنّ أبا طالب ﷺ يؤمن بالقيامة والمعاد؛ إذ اعتبر نصرته ﷺ شرفاً في القيامة والمعاد، فأين هذا القول من مقالة المشركين والكافرين: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا أَلْهَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن جهة أخرى: إنّ أبا طالب ﷺ الذي يحثّ الغير على نصره النبيّ ﷺ، ويزيّنه له بأنّه شرف القيامة لا بدّ وأن يسبق لما يدعو إليه؛ فلهذا تراه هو الناصر الأوّل ليحوز شرف القيامة والمعاد.

وهذا البيت لا يدلّ فقط على إيمانه بالقيامة والمعاد، وإنّما يدلّ على عمق معرفته بالنبيّ ﷺ.

٥- الدعوة لبذل النفس دون النبيّ ﷺ وبلفظ (أكرم)، فكلام النفوس هي التي تبذل نفسها في سبيله ﷺ، ولا يدعو بمثل هذا وبهذه الصفة إلّا مع الاعتقاد القاطع بصحّة ما عليه المدعو له.

٦- ثمَّ يَحْتَمُّ بِأَنَّ الْخَلَائِقَ الشَّرِيفَةَ تَسِيرُ فِي مَجْدِ رِكَابِهِ، وَمَنْ يَغْتَرَفُ مِنْهَا الْيَوْمَ تَكْفِيهِ غَدًا بِكُلِّ مَا يَرْجُو.

### المشهد الثاني عشر: أبو طالب المجير :

لقد فرضت شخصيَّة أبي طالب ﷺ نفسها في بطحاء مكَّة، وما حولها، فهو سيّد قريش وزعيمها، فلهذا يستجير به القريب والبعيد إذا ما أملت به ملامَّة، أو وقع في مصيبة، وعلى ذلك شواهد، منها:

١- ففي المستدرک للمحدِّث النوري:

«أبو القاسم الكوفيّ في كتاب الأخلاق: عن عمر بن خارجة، أنّه قال: أخبرني جلهمة بن عرفطة قال: أقبلت عير من أعلى نجد، حتى إذا جاءت الكعبة، وإذا بـغلام قد رمى نفسه عن عجز بعير، فأتى الكعبة فتعلّق بأسجافها<sup>(١)</sup>، ثمَّ قال: أيا ربّ البنيّة أجزني، فقام إليه رجل جسيم وسيم، له سيّء الملوك وبهاء الأنبياء، فقال: ما شأنك يا غلام؟ فقال: إنّي أنا ربّها<sup>(٢)</sup>».

(١) السجف: الستر، يعني هنا كسوة البيت المكرم.

انظر: لسان العرب: ١٤٤/٩ (سجف).

(٢) في الكلام نقص، ويوضّحه ما أخرجه الذهبيّ في كتابه تاريخ الإسلام: ٥٢/١، ولكن نسب القصة إلى عبد المطلب ﷺ، قال:

قال جلهمة: فسألت عن الشيخ من هو؟

ف قيل هو أبو طالب بن عبد المطلب.

قال: وإذا بشيخ نجديّ قد أسرع نحو الغلام، وانتزع يده من أسجاف الكعبة، فقال الغلام لأبي طالب: إنَّ أبي مات وأنا صغير، وإنَّ هذا الشيخ قد استعبدني، وقد كنت أسمع أنَّ لله بيتاً يمنع به من الظلم، فأجرني ممَّن ظلمني، فأجاره أبو طالب عليه السلام من النجدي، وانتزعه من يده، ومضى النجديّ وقد يبست يده»<sup>(١)</sup>.

٢- قال ابن إسحاق: «وأما أبو سلمة بن عبد الأسد، فحدّثني أبي إسحاق بن يسار، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، أنّه حدّثه: أنّ

«وقال إبراهيم بن محمّد الشافعيّ، عن أبيه، عن أبان بن الوليد، عن أبان بن تغلب حدّثني جلهمة بن عرفطة قال: إنّي لبالقاع من نمرة إذ أقبلت عير من أعلى نجد فلما حاذت الكعبة إذا غلام قد رمى بنفسه عن عجز بعير، فجاء حتى تعلّق بأستار الكعبة، ثمّ نادى يا ربّ البنية أجرني؛ وإذا شيخ وسيم قسيم عليه بهاء الملك ووقار الحكماء.

فقال: ما شأنك يا غلام فأنا من آل الله وأجير من استجار به؟

قال: إنَّ أبي مات وأنا صغير وإنَّ هذا استعبدني وقد كنت أسمع أنَّ لله بيتاً يمنع من الظلم فلما رأيته استجرت به.

فقال له القرشيّ: قد أجرتك يا غلام قال: وحبس الله يد الجندعيّ إلى عنقه... إلخ»، وسنذكر التّمّة تحت عنوان التوسّل، في الهامش.

(١) مستدرک الوسائل: ٢٠٧/٦.

أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه الرجال من بني مخزوم، فقالوا له:  
يا أبا طالب، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا؟

قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن  
أخي، فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ،  
ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهنّ عنه أو لنقومنّ  
معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد.

قال: فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، وكان لهم ولياً وناصرأ على  
رسول الله ﷺ، فأبقوا على ذلك، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما  
يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ، فقال أبو طالب يجرّض أبا  
لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ:

وإن امرأاً أبو عتيبة عمّه	لفي روضة ما إن يسام المظالم
أقول له، وأين منه نصيحتي	أبا معتب ثبتت سوادك قائما
ولا تقبلنّ الدهر ما عشت خطة	تسبّ بها إمّا هبطت المواسم
وولّ سبيل العجز غيرك منهم	فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإنّ الحرب نصف ولن ترى	أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عزيمة	ولم يخذلوك غانماً أو مغارما
جزى الله عنّا عبد شمس ونوفلاً	وتياماً ومخزوماً عقوقاً ومأثما
بتفريقهم من بعد ودّ وألفة	جماعتنا كيما ينالوا المحارما

كذبتهم وبيت الله نبزى محمداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائماً  
قال ابن هشام: نبزى، نسلب، قال ابن هشام: وبقي منها بيت  
تركانه!!!<sup>(١)</sup>.

وجاء في كتاب جواهر التاريخ: «والبيت الذي حذفه رواه القاضي  
النعمان في المناقب: ١٢٣... إلى قوله: وروى البيت الذي حذفه ابن هشام  
وهو:

أطاعوا ابن ذكوان وقيساً ودَيْسماً فضلّوا وذاقوا بالجميع المياسماً  
وقال: يعني بابن ذكوان: عقبة بن أبي معيط. ودَيْسَم: الوليد بن المغيرة.  
وقيس: قيس بن عاقل.

والدَيْسَم: ابن الذئب من الكلبة! (لسان العرب: ١٢ / ٢٠١).  
وكان أبو طالب ﷺ يطعن في نسب الوليد بن المغيرة، وقد صدّقه الله تعالى  
فوصفه في سورة القلم بأنّه: ﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٥٦﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿٥٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>  
(فتح الباري: ٨ / ٥٠٧)؛ أي دَعِيَ ملحق بأبيه وليس له! (العين:  
٣٧٥ / ١).

فقد ترك ابن هشام هذا البيت ليغطّي على الذين حكموا هذه الأمة

(١) السيرة النبوية: ٢٤٨/١ - ٢٤٩.

(٢) سورة القلم: ١٢-١٣.

المسكينة! ومنه تعرف لماذا يكرهون شعر أبي طالب ﷺ!

ويظهر أن قيس بن عاقل كان رئيس بني جمح، فقد ذمهم أبو طالب،  
ووصفهم بأثم عبيده. (ابن هشام: ١ / ١٧٩).

كما يظهر أن ابن أبي معيط الأموي كان له تأثير على أبي سفيان وبني أمية  
عامّة في عداوة النبي ﷺ، ونسبوا آل معيط إلى ذكوان بن أمية، وقال عنه  
النبي ﷺ: ما أنت وقريش، وهل أنت إلا يهودي من صفورية؟!  
(البكري: ٣ / ١٣١) انتهى.

أقول: وفي هذه الأبيات يبرز أبو طالب ﷺ الناصح الشفيق العارف  
بأحوال زمانه، وبمكارم ما يكرم به الرجل عند قومه وفي سائر القبائل، وبما  
يشينه عندهم، فيقول لأخيه:

ولا تقبلنَّ الدهر ما عشت خطّة      تسبّ بها إمّا هبطت المواسما  
فلا تقبل بشيء تسبّ به أمام الملأ وعند الناس متى ما أتيت مجامعهم،  
فمتى ما رآك الناس قالوا هذا الذي فعل كذا، أو قال كذا، أو سكت عن  
كذا.. فتكون سبة بينهم، ولم يقبل النصح فصار سبة أبد الدهر بقرآن يتلى  
آناء الليل وأطراف النهار: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) جواهر التاريخ: ١/٣٢١.

(٢) سورة المسد: ١.

ونصحته بأن لا يكون عاجزاً خنوعاً جباناً، وليدع هذه الصفات لغيره  
فهم أولى بها منه:

وولّ سبيل العجز غيرك منهم فإنّك لم تخلق على العجز لازماً  
ثمّ يختم أبو طالب ﷺ كلامه بالقضية المحورية التي شغلت فؤاده ليل  
نهار، ودافع عنها بكلّ إصرار، وأعلن عن نصرته لها وتحديّه لكلّ أحد في  
سبيل حفظها، ممّا يدلّل على أهمّيّتها في نفسه، وعظم شأنها في حياته، فكان  
يحوظها حياتته لنفسه ولأهله:

كذبتهم وبيت الله نُبزى محمّداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائماً

### المشهد الثالث عشر: أبو طالب مستشار النبيّ:

في الفصول المختارة للشيخ المفيد رحمته الله: «وأخبرني الشيخ أدام الله عزّه قال:  
لما أراد رسول الله ﷺ الاختفاء من قريش، والهرب منهم إلى الشعب؛ لخوفه  
على نفسه، استشار أبا طالب رحمة الله عليه في ذلك فأشار به عليه...»<sup>(١)</sup>.

### المشهد الرابع عشر: في الشعب:

وتكملة رواية الشيخ المفيد رحمته الله:

«... ثمّ تقدّم أبو طالب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن يضطجع على فراش رسول  
الله ﷺ؛ ليقيه بنفسه فأجابه إلى ذلك، فلمّا نامت العيون جاء أبو طالب ومعه

أمير المؤمنين ﷺ فأقام رسول الله ﷺ وأضجع أمير المؤمنين ﷺ مكانه، فقال أمير المؤمنين ﷺ: يا أبتاه إنِّي مقتول. فقال أبو طالب ﷺ:

إصبرن يا بُنيَّ فالصبر أحجى	كلَّ حيٍّ مصيره لشعوبٍ
قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء النجيب وابن النجيبِ
لفداء الأغرّ ذي الحسب	الثاقب والباع والفناء الرحيبِ
إن يصبك المنون فالنبيل يبرى	فمصيب منها وغير مصيبِ
كلَّ حيٍّ وإن تملى بعيش	أخذ من سهامها بنصيبٍ» <sup>(١)</sup>

وفي هذه الأبيات التي أنشأها أبو طالب ﷺ بعد أن تمت المشاورة وصار قرار الدخول في الشعب تبرز القيم العليا في حياة أبي طالب ﷺ، ويظهر إيمانه بالمبدأ الذي يعتنقه؛ إذ من حقنا أن نسأل: هل رأيت أو ترى أحداً يفدي ابن أخيه بابنه الصلبيّ لمجرد النسب والمحبة؟!

لم تر، ولن ترى، فابحث في التاريخ فلن تجده عند أحد إلا عند أبي طالب ﷺ، وما ذاك إلا لأنه يرى العلاقة بينه وبين النبي محمد ﷺ ليست مجرد علاقة نسب أو سبب، وإنما هي علاقة رسول من الله بمرسل إليه، وعلاقة واسطة الفيض من المبدأ الأعلى إلى المفاض إليه وعليه، علاقة الإيمان والدين، والعاطفة الدينية إذا كانت خالصة صادقة أقوى من جميع العلائق، فيبذل فيها الإنسان كلَّ غالٍ ونفيس، فهو يصبر مهجة قلبه، وي بذله في سبيل مبدئه

وهو يعلم أنّ البلاء شديد؛ ولكنّ المذبول له هو النجيب ابن النجيب، الأغرّ، ذو الحسب الثاقب، والباع والفناء الرحيب.

هنا يتجلّى الإيمان العميق، وتسفر المعرفة الحقيقية عن وجهها.

ثمّ يأتي دور الولد البار ليجيب أباه:

أأمرني بالصبر في نصر أحمد      والله ما قلت الذي قلت جازعا

ولكنني أحببت إظهار نصرتي      وتعلم أنّي لم أزل لك طائعا

وسعي لوجه الله في نصر أحمد      نبيّ الهدى المحمود طفلاً ويافا

وحسبنا أن نردّد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ بَادِرًا وَوَحَاً وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ

عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### المشهد الخامس عشر: قصة الصحيفة :

وفي كتاب شرف المصطفى: «بعث الله على صحيفتهم الأرضة فلاحسها،

فنزل جبرئيل فأخبر النبيّ عليه السلام بذلك، فأخبر النبيّ عليه السلام أبا طالب فدخل أبو

طالب على قريش في المسجد فعظّموه وقالوا: أردت مواصلتنا وأن تسلم ابن

أخيك إلينا؟

قال: والله ما جئت لهذا ولكن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - أنّ الله قد

أخبره بحال صحيفتكم، فابعثوا إلى صحيفتكم: فإن كان حقاً فاتّقوا الله

وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم، فأتوا بها فكفوا الخواتيم وإذا فيها: بسمك اللهم واسم محمد، فقط.

فقال لهم أبو طالب: اتقوا الله وكفوا عما أنتم عليه، فسكتوا، وفي ذلك

يقول أبو طالب» ثم ساق الأبيات الآتية، التي نقلها مع الرواية القادمة:

وذكرها البيهقي في دلائل النبوة، والذهبي في تاريخ الإسلام، وابن كثير

في البداية والنهاية باختلاف في الألفاظ<sup>(١)</sup>:

«كان أبو طالب مدة إقامتهم بالشعب يأمره عليه السلام فيأتي فراشه كل ليلة حتى

يراه من أراد به شرّاً وغائلة، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه، أو إخوانه، أو بني

عمّه أن يضطجع على فراش المصطفى عليه السلام، ويأمر هو أن يأتي بعض فرشهم

فيرقد عليها.

ثم إن الله تعالى أوحى إلى النبي عليه السلام إن الأرضة أكلت جميع ما في

الصحيفة، من القطيعة والظلم، فلم تدع سوى اسم الله فقط، فأخبر النبي عليه السلام

عمّه أبا طالب بذلك، فقال:

يا ابن أخي! أربك أخبرك بهذا؟ قال: نعم.

قال: والثواقب ما كذبتني قط.

فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب، حتى أتوا المسجد، فأنكر

(١) دلائل النبوة: ٣١٣/٢، تاريخ الإسلام: ٢٢١/١، البداية والنهاية: ١٠٦/٣.

قريش ذلك، وظنّوا أنّهم خرجوا من شدّة البلاء؛ ليسلموا إليهم رسول الله عليه السلام، فقال أبو طالب: يا معشر قريش، جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم، فأتوا بها؛ لعلّ أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنّما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها، فأتوا بها وهم لا يشكّون أنّ أبا طالب يدفع إليهم النبي عليه السلام، فوضعوها بينهم، وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عمّا أحدثتم علينا وعلى أنفسكم؟

فقال: أتيتكم في أمر هو نصّف بيننا وبينكم؛ إنّ ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: إنّ الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها إلا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول فأفيقوا عمّا أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتهم أو استحيتهم.

فقالوا: رضينا. ففتحوها فوجدوها كما قال عليه السلام.

فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً.

وإنّ أبا طالب قال لهم - بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به عليه السلام - : علام

نُحصر ونُحبس وقد بان الأمر وتبيّن أنّكم أولى بالظلم والقطعية؟

ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا،

وقطع أرحامنا، واستحلّ ما يحرم عليه منّا.

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة.

وفي رواية الديوان: «فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب في ذلك ويمدح النفر الذين سعوا في نقض الصحيفة وإبطالها، وبعث بها إلى جعفر وأصحابه بالحبشة:

ألا هل أتى بحرّينا <sup>(١)</sup> صنع ربّنا	على نأيهم؟ والله بالناس أرود <sup>(٢)</sup>
فيخبرهم: أنّ الصحيفة مزقت	وأن كلّ ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجّمع	ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطائرها في رأسها يتردّد <sup>(٣)</sup>
وكانت كفاء وقعة بأثيمة	ليقطع منها ساعد ومقلّد
ويظعن أهل المكتّين فيهربوا	فرائصهم من خشية الشرّ ترعد
ويترك حرّاث يقلب أمره	أيتهم فيها عند ذاك وينجد <sup>(٤)</sup>
وتصعد بين الأخشبين كتيبة	لها حدج سهم وقوس ومرهد <sup>(٥)</sup>
فمن ينش من حضّار مكّة عزّه	فعزّتنا في بطن مكّة أتلد <sup>(٦)</sup>

(١) يريد به: من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر.

(٢) أرود: أرفق.

(٣) القرقر: اللين السهل. وقال السهيلي: من ليس فيها بقرقر: أي ليس بذليل.

وطائرها: أي حظّها من الشوم والشرّ، وفي التنزيل: ﴿الزّمنَةُ طائِرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾.

(٤) الحرّاث: المكتسب. يأتي تهامة. يُنجد: يأتي نجداً.

(٥) الأخشبان: جبلان بمكة. المرهد: الرمح اللين.

(٦) ينش: أي ينشأ بحذف الهمزة على غير قياس. أتلد: أقدم.

نشأنا بها والناس فيها قلائل  
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم  
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا  
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم  
أعان عليها كل صقر كأنه  
ألا إن خير الناس نفساً ووالداً  
نبيّ الإله والكريم بأصله  
فلم ننفكك نزداد خيراً ونحمدُ  
إذا جعلت أيدي المفيضين ترعدُ<sup>(١)</sup>  
على ملأ يهدي لحزم ويرشدُ  
مقاولة<sup>(٢)</sup> بل هم أعزُّ وأمجدُ  
إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرُدُ<sup>(٣)</sup>  
إذا عدّ سادات البرية أحمدُ  
وأخلاقه وهو الرشيد المؤيدُ

وبقية الأبيات تقدّمت في عنوان معرفته ﷺ بمنزلة الرسول ﷺ.

وذكر ابن الأثير قصة الصحيفة في الكامل فقال: «وقيل: كان سبب خروجهم من الشعب أن الصحيفة لما كتبت وعلقت بالكعبة اعتزل الناس بني هاشم وبني المطلب، وأقام رسول الله ﷺ وأبو طالب ومن معهما بالشعب ثلاث سنين، فأرسل الله الأرضة، وأكلت ما فيها، من ظلم وقطيعة رحم، وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى، فجاء جبرائيل إلى النبي ﷺ فأعلمه بذلك، فقال النبي لعمّه أبي طالب - وكان أبو طالب لا يشكّ في قوله -،

(١) المفيضين: الضاربون بقداح الميسر. يريد سلام الله عليه: إنهم يطعمون إذا بخل الناس.

(٢) المقالة: الملوك.

(٣) رفرف الدرع: ما فصل منها. أحرّد: بطيء المشي لثقل الدرع.

فخرج من الشعب إلى الحرم، فاجتمع الملائم من قريش.

وقال: إن ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة، فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم، وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها، فإن كان صادقاً علمتم أنكم ظالمون لنا، قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذباً علمنا أنكم على حق، وإنّا على باطل.

فقاموا سراعاً وأحضرُوا، فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله ﷺ، وقويت نفس أبي طالب واشتدّ صوته، وقال: قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة، فنكسوا رؤوسهم ثم قالوا: إننا تأتوننا بالسحر والبهتان، وقام أولئك النفر في نقضها، كما ذكرنا، وقال أبو طالب في أمر الصحيفة، وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً منها:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة      متى ما يخبر غائب القوم يعجب  
محا الله منهم كفرهم وعقوقهم      وما نقموا من ناطق الحقّ معرب  
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً      ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب<sup>(١)</sup>

أقول: في هذه الأبيات من الدلالة على الإيمان والمعرفة بالله والرسول ﷺ ما لا يخفى على الناظر الرشيد، وتكشف عن سرور وارتياح يغمر قلب أبي طالب ﷺ بانتصار الحق، وبالتأييد الغيبيّ الإلهيّ لرسوله ﷺ، فهو ما سمع

بقوله ﷺ إلا وحمل نفسه، وخفّ قدميه ليلبغ رسالة رسول الله ﷺ بل إنَّ كلَّ من يقرأ مناسبة هذه الآيات، وما جرى بين النبي ﷺ وأبي طالب ﷺ أولاً، ثمَّ كلام أبي طالب مع قريش ثانياً، ثمَّ يقرأ الشعر، يدرك إدراكاً لا ريب فيه أن معرفة أبي طالب ﷺ بالنبي ﷺ وما جاء به، وإيمانه به لم يوجد عند أحد من الصحابة في ذلك الوقت، ما عدا الذي عند ولده عليّ ﷺ، فهو سمع النبي ﷺ بكلِّ صدق وإيمان وإذعان، ثمَّ ذهب مسرعاً إلى قريش بكلِّ ثقة بما جاء به ابن أخيه؛ ليخبر مرده قريش بما أخبر به ابن أخيه، ثمَّ لما أخرج قريشاً، وجعلهم أمام الأمر الواقع أرّخ هذه الكرامة.

فلنقرأ بعض كلماته وأبياته فيها، فمثلاً قوله:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب  
 إنَّ ما حصل للصحيفة ليس أمراً عادياً، ولم يجر حسب مجريات عوامل  
 الطبيعة، ولم يحدث صدفة، بحيث ينمحي العقوق والكفر ويبقى اسم الله  
 تعالى، ويخبر بذلك النبي ﷺ، ويكون ما أخبر به مطابقاً للواقع، فليس ذلك  
 إلا عبرة لمن اعتبر، ومعجزة تقضي على المنصف بالإيمان.

وقوله:

حما الله منهم كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحقِّ معرب  
 وأيِّ لفظ أدلَّ على الإيمان بالله أكثر من صدر هذا البيت؟! ففيه:

١- إسناده نحو الصحيفة إلى الله تعالى كما أخبره ابن أخيه ﷺ، فهو إيمان بالله تعالى من جهة، وإيمان بصدق الرسول ﷺ فيما يسنده إلى الله تعالى من جهة أخرى.

٢- أن ما كتبوه فيها كفر وعقوق.

٣- أن الرسول ﷺ ناطق بالحق ومظهر له، فيسأل متعجباً عن سبب نقمتهم، وهو الناطق بالحق؟!  
وقوله:

فأصبح ما قالوا: من الأمر باطلاً ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب  
لقد بينت قصة الصحيفة بطلان ما قاله كفار قريش، ويستنتج من ذلك  
حكمة تسير مسير الأمثال: (ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب)، وحبل  
الكذب قصير كما يقال، فما أسرع أن يفضح صاحبه.

وقوله:

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً على سخط من قومنا غير معتب  
بيان صريح بصدق النبي ﷺ، وهو - لا شك - أنه كان يعتقد به قبل  
ذلك، كما بينته تصريحاته الكثيرة قبل الصحيفة؛ ولكن لعله يريد أنه بان  
للجميع صدق مقالته ﷺ على رغم أنف المعاندين، مما أوجب سخطهم.

وقوله:

فلا والذي تحدى إليه قلايص لإدراك نسك من منى والمحصب  
 حلف بالله تعالى الذي تحدى إليه القلائص التي تساق لإدراك مناسك  
 منى والمحصب.

وفي القصيدة نصحه لقريش بالإفاقة من نومتهم، والاستيقاظ من  
 جهلهم وزيغهم، فيقول:

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي	ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستحلبوا حرباً عواناً وربّما	أمرّ على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أهدأ	لعرّاء من عَضّ الزمان ولا كرب
ولما تبنا منّا ومنكم سواف	وأيدٍ أترت بالمهندة الشهب
بمعترك ضنك ترى قصد القنا	به والضباع العرج تعكف كالشرب
كأنّ عجال الخيل في حجراته	وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شدّ أزره	وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نملّ الحرب حتى تملّنا	ولا نشتكي ممّا ينوب من النكب
ولكنّا أهل الحفائظ والنهي	إذا طار أرواح الكهامة من الرعب

وفيها من الوعظ والإرشاد والعقلانية وحبّ السلم والسلام الشيء  
 الكثير، ولا يدُرُّ في خلد أحد أنّ ذلك ناشئ عن ضعف أو جبن أو خوف؛  
 فإنّهم أهل الحرب والطعن والضرب، وإذا طارت الأرواح من الهلع والخوف

فإنَّهم أهل الحفائظ والنهى، ثابتون مطمئنون، ولكنَّهم لا يريدون قطع  
أواصر المودَّة والقرب واتباع زيغ الشيطان.

وفي البحار عن ابن البطريق:

«أقول: ثمَّ ذكر قصَّة الصحيفة إلى أن قال: فقال له أبو طالب: يا ابن أخي  
من حدَّثك بهذا؟ فقال رسول الله ﷺ: أخبرني ربِّي بهذا.  
فقال له عمّه: إنَّ ربك الحَقُّ وأنا أشهد أنَّك صادق.

أقول: ثمَّ ذكر إتيانه القوم وإخباره إياهم بذلك ومباهلته معهم، فقال:  
فلولا تصديقه لرسول الله ﷺ عمًّا بلَّغه عن الله تعالى لما سارع إلى القوم  
بالمباهلة بالنبيِّ وتصديقه، وما باهل به إلَّا ولم يكن عنده شكٌّ في أنَّه هو  
المنصور عليهم بما ثبت عنده من آيات الرسول الله ﷺ وصدقه  
ومعجزاته»<sup>(١)</sup>.

وبما أنَّ طغاة قريش لا يريدون الحَقَّ والاعتراف به - فقد طبع على قلوبهم  
فهم لا يعقلون، وغلَّف الحسد نفوسهم فهم لا يبصرون، ولفَّهم العصيان  
والطغيان من فوق رؤسهم ومن تحت أرجلهم - أبوا أن يستضيئوا بنور الحَقِّ  
والإذعان له، وأصرّوا على عنادهم وكبرياتهم.

ولمَّا رأى غير واحد من شخصيات قريش عناد أصحابهم لم يرتضوا بما

(١) بحار الأنوار: ١٤١/٣٥.

فعلوه، فسعوا إلى نقض الصحيفة؛ ليعود بنو هاشم إلى موقعهم، ولهذا استحق هؤلاء النفر المدح على موقفهم، والثناء على فعلهم فمدحهم أبو طالب عليه السلام بقوله:

سقى الله رهطاً هم بالحجون	بليل وقد هجع النوم
قضوا ما قضوا في دجى ليلهم	ومستوسن <sup>(١)</sup> القوم لا يعلم
بهاليل صيدٌ لهم سورة	تداوى بها الأبلخ <sup>(٢)</sup> المجرم
شبيهه المقاول عند الحجون	بل هم أعزُّ وهم أكرم

إلى آخر القصيدة وقد أشاد فيها بنفسه وببني هاشم:

فإننا بمكة قدماً لنا	بها العزّ والخطر الأعظم
ومن يك فيها له عزّة	فعزّي ببطحائها أقدم
نشأنا فكنا قديماً بها	نجير وكنا بها نُطعم
إذا عَضَّ عَضُّ السنين المهيض	وحبّ القُتارَ بها المُعدِم
نهاني شبيهة ساقِي الحجيج	ومجدٌ منيفُ الذرى معلّم <sup>(٣)</sup>

ومن الواضح أنّ قصيدة الصحيفة وما جرى فيها وما بعدها قد أخذت حيزاً كبيراً من فكر أبي طالب عليه السلام، ومن ثمّ أخذت حيزاً كبيراً من شعره، فنراه يقول في قصيدة أخرى، غاية في الجزالة والبلاغة والحماسة:

(١) مستوسن: من الوسن وهو ثقلة النوم.

(٢) الأبلخ: من البلخ وهو التكبر، أو الأبلخ من بلّح بمعنى جحد أو أعيى.

(٣) الديوان: ٢٣٨.

فَبَلَّغَ عَنِ الشَّحْنَاءِ أَفْنَاءَ غَالِبٍ  
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْقَطِيعَةَ مَأْتُمْ  
 فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ يَعْرِفُ فِي غَدٍ  
 فَلَا تَسْفَهُوا أَحْلَامَكُمْ فِي مُحَمَّدٍ  
 تَمَنَيْتُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ وَإِنَّمَا  
 فَإِنَّكُمْ - وَاللَّهِ - لَا تَقْتُلُونَهُ  
 وَلَمَّا تَصَلَّ لِلْقَوْمِ مَنَا مَلَا حِمًّا  
 وَتَدْعُو بِأَرْحَامٍ أَوْاصِرَ بَيْنَنَا  
 وَتَسْمُو لِحَيْلٍ نَحْوَ حَيْلٍ يَجْتَهَا  
 أَتَرْجُونَ أَنَا مُسْلِمُونَ مُحَمَّدًا  
 بِكُلِّ فَتَى ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ مَا جِدَ

لُوِيًّا جَمِيعًا عِنْدَ نَصِّ الْعِزَائِمِ  
 وَأَمْرٍ تَلَاقَيْتُمْ بِهِ غَيْرُ حَازِمِ  
 وَإِنْ نَعِيمَ الْيَوْمِ لَيْسَ بِدَائِمِ  
 وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغَوَاةِ الْأَشَائِمِ  
 أَمَانِيكُمْ تَلَكُمْ كَأَحْلَامِ حَالِمِ  
 وَلَمَّا تَرَوْا نَشْرَ الطُّلَى وَالْجَاهِمِ  
 تَحُومَ عَلَيْهَا الطَّيْرَ بَعْدَ مَلَا حِمِ  
 وَقَدْ قَطَعَ الْأَرْحَامَ وَقَعُ الصَّوَارِمِ  
 إِلَى الرُّوْعِ أَوْلَادُ الْكُهُولِ الْقِمَاقِمِ  
 وَلَمَّا نَقَازَفُ دُونَهُ بِالْمَرَاجِمِ  
 تَمَكَّنَ فِي الْعَلْيَاءِ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ<sup>(١)</sup>

### المشهد السادس عشر: توثيقه لخصائص بعض قبائل قريش :

لقد طُفِحَ قَلْبُ الْحَلِيمِ بِمَا تَقُومُ بِهِ بَعْضُ قَبَائِلِ قَرِيْشٍ، فَرَسَمَ لِحَالِهِ وَحَالِهِمْ  
 صُورَةً وَاضِحَةً الْمَعْلَمِ، تُوْتِقُ مَا كَانَ يَجْرِي مِنْهُمْ إِزَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

أَرَقْتَ وَقَدْ تَصَوَّبْتَ النُّجُومُ  
 لَظَلَمَ عَشِيرَةَ ظَلَمُوا وَعَقَّوْا  
 هُمْ أَنْتَهَكُوا الْمَحَارِمَ مِنْ أَخِيهِمْ  
 إِلَى الرَّحْمَنِ وَالكَرْمِ اسْتَنْدَمُوا

وَبَتَّ وَمَا تَسَالَمَكَ الْهَمُومُ  
 وَغَبُّ عَقُوقِهِمْ كَلًّا وَحَيْمُ  
 وَلَيْسَ لَهُمْ بَغَيْرِ أَخٍ حَرِيمُ  
 وَكُلُّ فَعَالِهِمْ دَنْسٌ ذَمِيمُ

بنو تيم توارثها هُصِيصُ      ومخزوم لها منّا قسيمٌ  
 فلا تنهى غواة بني هُصِيصٍ      بنو تيم وكلّهم عديمٌ  
 ومخزوم أقلّ القوم حلماً      إذا طاشت من العِدّة الخُلومُ  
 أطاعوا ابنَ المغيرة وابن حربٍ      كِلا الرجلين متّهمٌ مُليماً<sup>(١)</sup>

مختصر من القول يوثق فيه ما جرى ويجري في وقت البعثة، لقد أرق ليلته إلى أن انحدرت النجوم وغابت أو كادت، يسلمه الهم إلى همّ مثله! والسبب ظلم العشيرة لهم وعقوقهم الذي سيعقبه خزبي وعار وندامة، فلقد انتهكوا حقوق الأخوة، وأضاعوا الحرمة، مع أنّه ليست لهم حرمة بغير الأخ.

لقد فعلوا ما يذمهم عليه الرحمن، ويذمهم عليه الكرم؛ فإنّ كريم النفس لا يرضى بفعالهم، فيذمهم العالم العلوي والعالم السفلي معاً.  
 فبنو تيم وبنو هصيص ومخزوم - وكلّهم بطون من قريش - على حدّ سواء، وكلّ فعالهم دنس ذميم؛ بل فيهم من لا عقل له، أو لا شيء عنده من الخصال التي يمدح عليها صاحبها.

ولعلّ من الغرابة بمكان أنّهم أطاعوا المتّهم الملام على ذنبه أو فعله.

### المشهد السابع عشر: الحسّ الأمنيّ عند أبي طالب :

إنّ تأريخ الدعوة الإسلاميّة والبعثة النبويّة مرّ بمراحل كابد فيها

الرسول عليه السلام، ومن آمن معه أحلك الظروف، وقاسى عليه السلام ومن معه أشدّ العقبات؛ فإنه عليه السلام واجه عتاة قريش ومردتهم الذين خافوا على عروشهم الوهميّة من السقوط، وحياتهم الماديّة من الزوال، فانتفضوا ضدّ النبيّ عليه السلام ودعوته المباركة، وكان الناصر الأشدّ له في ذلك الظرف العصيب هو عمّه أبو طالب عليه السلام باتفاق جميع المؤرخين؛ بل اعتبره الجميع حامي الرسول عليه السلام وناصره، ولقد قام أبو طالب عليه السلام بعدة تدابير أمنيّة لحفظ الرسول عليه السلام، ولعلّ القارئ للتأريخ يدرك أنّ التدابير كانت مختلفة في نوعيتها وألوانها بحسب ما تقتضيه الظروف، ولا شكّ أنّه الخبير المجرب ذو الكياسة والحنكة والفتنة، فلهذا نلاحظ الحسّ الأمنيّ عند أبي طالب عليه السلام في أعلى صورته، ومن أمثلة ذلك:

- ١- إرهاب قريش وتهديدهم إن وقع شرّ على النبيّ محمد عليه السلام، كما عرفنا ذلك في حوادث متعدّدة.
- ٢- وكان النبيّ عليه السلام إذا أخذ مضجعه، ونامت العيون، جاءه أبو طالب فأنهضه عن مضجعه، وأضجع علياً مكانه، ووكل عليه ولده وولد أخيه.
- ٣- ما ورد في قصّة إسلام أبي ذر رضي الله عنه، وأنّهم لم يدخلوه على النبيّ عليه السلام مباشرة؛ بل بعد أن أخذ أبو طالب عليه السلام عليه الإقرار بأنّه يشهد الشهادتين، ثمّ أوصله إلى ولده جعفر، ثمّ منه إلى حمزة، ثمّ منه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ

إلى النبي عليه السلام، وهذا يدل على احتراز أمنيّ مشدّد؛ حفظاً لحياة الرسول عليه السلام من الخطر، والذي يبدو للناظر أنّ هذه الاحترازات كانت في وقت اشتداد الأزمة بين النبي عليه السلام وقريش التي حاولت أن تشيه عن دعوته بعدة أساليب وإغراءات، وإليك الرواية بطولها؛ لما فيها من فوائد وعوائد:

روى الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده «عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لرجل من أصحابه: ألا أخبرك كيف كان سبب إسلام سلمان وأبي ذرّ رحمة الله عليهما؟

فقال الرجل -وأخطأ-: أمّا إسلام سلمان فقد علمت، فأخبرني كيف كان سبب إسلام أبي ذرّ.

فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إنّ أبا ذرّ رحمة الله عليه كان في بطن مرّ<sup>(١)</sup> يرمى غنماً له؛ إذ جاء ذئب عن يمين غنمه، فهشّ أبو ذرّ بعصاه عليه، فجاء الذئب عن يسار غنمه، فهشّ أبو ذرّ بعصاه عليه، ثمّ قال له: والله ما رأيت ذئباً أخبث منك ولا شرّاً.

فقال الذئب: شرٌّ -والله- مني أهل مكة، بعث الله إليهم نبياً فكذبوه وشتموه.

فوقع كلام الذئب في أذن أبي ذرّ، فقال لأخته: هلمّي مزودي

(١) بطن مرّ: موضع إلى مرحلة من مكة.

وإداوتي<sup>(١)</sup> وعصاي، ثم خرج يركض حتى دخل مكة، فإذا هو بحلقة مجتمعين، فجلس إليهم، فإذا هم يشتمون النبي صلى الله عليه وسلم يسبونه كما قال الذئب، فقال أبو ذرّ: هذا والله ما أخبرني به الذئب، فما زالت هذه حالتهم، حتى إذا كان آخر النهار وأقبل أبو طالب، قال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جاء عمّه، فلمّا دنا منهم أكرموه وعظّموه، فلم يزل أبو طالب متكلمهم وخطيبهم إلى أن تفرّقوا.

فلما قام أبو طالب تبعته، فالتفت إليّ، فقال: ما حاجتك؟

فقلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم.

قال: وما حاجتك إليه؟

فقال له أبو ذرّ: أو من به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلا أطيعته.

فقال أبو طالب: تشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله؟

قال: فقلت: نعم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله.

قال: فقال: إذا كان غداً في هذه الساعة فائتني.

قال: فلمّا كان من الغد جاء أبو ذرّ، فإذا الحلقة مجتمعون، وإذا هم يسبون

النبيّ صلى الله عليه وسلم ويشتمونه كما قال الذئب، فجلس معهم حتى أقبل أبو طالب،

فقال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جاء عمّه، فكفّوا، فجاء أبو طالب فجلس،

(١) المزود: وعاء الزاد، والإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء.

فما زال متكلّمهم وخطيبهم إلى أن قام.

فلما قام تبعه أبو ذرّ، فالتفت إليه أبو طالب فقال: ما حاجتك؟ فقال: هذا النبيّ المبعوث فيكم.

قال: وما حاجتك إليه؟ قال: فقال له: أوّمن به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته.

فقال أبو طالب: تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله؟

فقال: نعم، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله.

قال: فرفعني إلى بيت فيه جعفر بن أبي طالب.

قال: فلما دخلت سلّمت، فردّ عليّ السلام، ثمّ قال: ما حاجتك؟

قال: فقلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم.

قال: وما حاجتك إليه؟

قلت: أوّمن به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته.

قال: تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله؟

قال: قلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله.

فرفعني إلى بيت فيه حمزة بن عبد المطلب، فلما دخلت سلّمت، فردّ عليّ

السلام، ثمّ قال: ما حاجتك؟

فقلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم.

قال: وما حاجتك إليه؟

قلت: أوؤمن به وأصدقه، ولا يأمرني بشيء إلا أطيعه.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟

قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

قال: فرفعني إلى بيت فيه علي بن أبي طالب ﷺ، فلما دخلت سلمت، فردّ

عليّ السلام، ثم قال: ما حاجتك؟

قلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم.

قال: وما حاجتك إليه؟

قلت: أوؤمن به وأصدقه، ولا يأمرني بشيء إلا أطيعه.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟

قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

قال: فرفعني إلى بيت فيه رسول الله ﷺ، وإذا هو نور على نور، فلما

دخلت سلمت، فردّ عليّ السلام، ثم قال: ما حاجتك؟

قلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم.

قال: وما حاجتك إليه؟

فقلت: أوؤمن به وأصدقه، ولا يأمرني بشيء إلا أطيعه.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله؟

قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله.  
فقال ﷺ: أنا رسول الله، يا أبا ذرّ، انطلق إلى بلادك، فإنك تجد ابن عمّ  
لك قد مات، فخذ ماله، وكن بها حتى يظهر أمرى.

قال أبو ذر: فانطلقت إلى بلادي، فإذا ابن عمّ لي قد مات، وخلف مالا  
كثيراً في ذلك الوقت الذي أخبرني فيه رسول الله ﷺ، فاحتويت على ماله،  
وبقيت ببلادي حتى ظهر أمر رسول الله ﷺ فأتيته»<sup>(١)</sup>.

٤- ورد في رواية الشعب: «... فجمع أبو طالب بني هاشم، وبني عبد  
المطلب في شعبه، وكانوا أربعين رجلاً، مؤمنهم وكافرهم، ما خلا أبا لهب،  
وأبا سفيان - ابن الحرث بن عبد المطلب - فظاهروهم عليه، فحلف أبو طالب  
لئن شاكت محمدًا شوكة لآتينّ عليكم يا بني هاشم، وحصن الشعب، وكان  
يجرسه بالليل والنهار»<sup>(٢)</sup>.

٥- وفيها أيضاً: «... ثمّ تقدّم أبو طالب إلى أمير المؤمنين ﷺ أن يضطجع  
على فراش رسول الله ﷺ؛ ليقيه بنفسه فأجابه إلى ذلك، فلمّا نامت العيون  
جاء أبو طالب ومعه أمير المؤمنين ﷺ فأقام رسول الله ﷺ وأضجع أمير

(١) الأماشي: ٥٦٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٦٣/١.

المؤمنين ﷺ مكانه..»<sup>(١)</sup>.

فالهدف الأسمى عند أبي طالب ﷺ هو حفظ الرسول ﷺ، والنأي به عن كل ما يؤذيه، وبما أن همَّ قريش الأوحدهو الرسول ﷺ، ولو أمكنهم الظفر به واغتياله لما توانوا عن ذلك لحظة واحدة، وأبو طالب يدرك ذلك كله، وعارف بمكانه وزمانه، وهمَّ الأوحدهأن يحفظ الرسول ﷺ ويبعده عن كل خطر، فلهذا كان يفديه بابنه، ويجعل فلذة كبده مكانه، فمن اطلع على أماكن النوم في أول الليل يرى أن النبي ﷺ في المكان المعين، فلو دبر غادر حيلة للاغتيال وجاء بعد أن تنام العيون لم يظفر بالنبي ﷺ؛ لِتَغْيَرُ مكانه من حيث لا يشعر أحد.

### المشهد الثامن عشر: وصية أبي طالب للنبي ﷺ :

أخرج ابن سعد في الطبقات بالسند «عن محمد بن سيرين قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دعا رسول الله ﷺ فقال له: ابن أخ، إذا أنا مت فأت أخوالك من بني النجار؛ فإنهم أمتع الناس لما في بيوتهم»<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من هذه الرواية معرفته بالناس وبأحوالهم، وبشدة حياطته للنبي ﷺ وحذره عليه حياً وميتاً.

(١) الفصول المختارة: ٥٨ - ٥٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ٥٤٣/٣.

## **الباب الرابع**

**وقفات مع تراث أبي طالب**



## الفصل الأول: تأثر شعره بالقرآن الكريم

مما يدلّ على اندماج أبي طالب عليه السلام بالقرآن الكريم، وتعلّقه به تأثره بألفاظه وكلماته في موارد متعدّدة من شعره؛ بحيث ضمّن آيات أو ألفاظاً في أشعاره، فمنها:

١-

تكون لغابركم عبرة وربّ المغارب والمشرق  
قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢-

غداة أتاهم بها صرصر وناقاة ذي العرش إذ تستقي  
وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا أَهْلِكُوهَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صِرْصِرَةً عَاتِيَةً﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- من قصيدة في مدحه للنجاشي:

---

(١) سورة المعارج: ٤٠.

(٢) سورة الحاقة: ٦.

تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها لك لازبٌ

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾<sup>(١)</sup>،

وقال تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ

تُقْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا هُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

في تفسير مجمع البيان: «اللغة: اللازب واللازم بمعنى أبدلت من الميم

الباء.

قال النابغة:

ولا يحسبون الخير لا شرّ عنده ولا يحسبون الشرّ ضربة لازبٍ

وبعض بني عقيل يقولون: لاتب أيضاً بالتاء.

وقيل: بأن معنى اللازب اللاصق، والثابت، ولعلّ المعنى الثاني هو

الأوفق في بيت أبي طالب ﷺ.

ونستفيد من البيت:

أ- إنه لم يذكر متعلق (بسطة)؛ أي لم يذكر البسطة في أي شيء، وترك

المتعلق يفيد العموم كما قيل؛ ولكن يحتمل هنا بمناسبة الحكم والموضوع أنه

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة الأعراف: ٦٩.

(٣) سورة الصافات: ١١.

أراد بسطة في الملك والسلطنة والقدرة.

ويحتمل بالمقارنة بين (بسطة) وأفعال خير، أن يكون مراده من متعلق (بسطة) الأمور غير الاختيارية للعبد؛ أي الأمور التي تكون من قبل الله ﷻ، وأن يكون المراد من أفعال الخير، الأفعال الاختيارية؛ كالكرم والشجاعة والعفة وغير ذلك.

ب- نستفيد من الآية الكريمة أنَّ المدار في القيادة الإلهية على (العلم والقوة)؛ إذ يحتمل أن يكون المراد من (الجسم) الكناية عن القوة؛ فإنَّ عظم الجسم في حدِّ نفسه ربِّما لا يكون مرغوباً فيه، ولا يدلُّ على مدح صاحبه، كما قال الشاعر في ذمِّ قوم:

جسم البغال وأحلام العصافير

ولكن إذا اقترن عظم الجسم بالقوة وكان مع عقل وعلم كان مدحاً، وبها أنَّ الآية في مقام المدح فهي تدلُّ على أنَّ المراد من البسطة في الجسم هو الجسم القوي الذي يستفيد منه صاحبه في الحرب ووقت الشجاعة.

ثمَّ إنَّ صفة العلم من الصفات اللازمة للأنبياء كما يستفاد من الآية ويؤكد ذلك ما ورد في الرواية: «إنَّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفِّقهم الله ويؤتيتهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيتهم غيرهم، فيكون

علمهم فوق علم أهل الزمان»<sup>(١)</sup>.

وفي مجمع البيان في صفة طالوت: «وكان أعلم بني إسرائيل في وقته، وأجملهم وأتمهم وأعظمهم جسماً وأقواهم شجاعة»<sup>(٢)</sup>.

ثم إنَّ المعنى الذي جاء به أبو طالب ﷺ في هذا البيت لا يخلو إمَّا أن يكون قبل نزول الآية الكريمة فيدلُّ على إدراكه ما ينبغي أن يكون عليه القائد.

وإمَّا أنَّه قاله بعد نزول الآية، فيدلُّ على اتِّباعه أثر القرآن، ومشيه على خطاه.

٤- وقال في قصيدة:

يأتي بأمرٍ جليٍّ غير ذي عوجٍ      كما تبين في آيات ياسين  
وقوله:

وقد أتانا بحقٍّ غير ذي عوجٍ

وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما أنَّ فيه إشارة إلى معرفته بما في سورة (يس)، ومن المعلوم أنَّها سورة مكيَّة.

(١) الكافي: ٢٠٢/١.

(٢) مجمع البيان: ١٤٢/٢.

(٣) سورة الزمر: ٢٨.

٥- قال في قصيدة الصحيفة:

وإنَّ عليه في العباد محبةً      ولا خير ممن خصَّه الله  
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ  
وُدًّا﴾<sup>(١)</sup>.

٦- قال في قصيدته اللامية الطويلة:

أعوذ بربِّ الناس من كلِّ طاعن      علينا بسوءٍ أو ملحٍ بباطلٍ  
وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

-٧

وبالبيت ركن البيت من بطن مكة      وبالله إنَّ الله ليس بغافلٍ  
وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

-٨

فأيده ربُّ العباد بنصره      وأظهر ديناً حقه غير ناصلٍ  
وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ  
وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة مريم: ٩٦.

(٢) سورة الناس: ١.

(٣) سورة البقرة: ٧٤.

(٤) سورة الأنفال: ٦٢.

-٩

مليك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدي المعيد  
وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

-١٠

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشُر بذاك وقرّ منك عيوننا  
وقال تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

-١١

بميزان قسط لا يغيض شعيرة له شاهد من نفسه حقّ عادل  
وقال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>.

-١٢

ولا شكّ أنّ الله رافع أمره ومُعلية في الدنيا ويوم التجادل  
وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا  
عَمَلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

-١٣

(١) سورة الروم: ١١.

(٢) سورة الحجر: ٩٤.

(٣) سورة الإسراء: ٣٥.

(٤) سورة النحل: ١١١.

حتى متى نحن على فترة يا هاشماً والقوم في جحفل  
وينسب إليه وإلى ابنه طالب قوله:

وخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ  
الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٤ - ورد في الديوان: قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس:

اتَّساقه: اجتماعه، قال أبو طالب:

إِنَّ لَنَا قَلَائِصاً فَوَائِقاً قد اتسقن لا يجدن سائِقاً<sup>(٤)</sup>

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٤، الحجّة على الذهاب: ٢٨٣.

(٢) سورة المائدة: ١٩.

(٣) سورة الانشقاق: ١٨.

(٤) الديوان: ٢٧٤، وقال محقق الديوان: وردت هذه الفقرة في حاشية الأصل، ولم يتضح

لنا أنّها من الأصل أو من إضافات الناسخ؛ ولذلك وضعناها بين قوسين.



## الفصل الثاني : الدعاء والتوسّل عند أبي طالب

مسألة التوسّل من المسائل التي تاه فيها كثير من المسلمين، وأصبحت في العصور المتأخرة مثار جدل كبير؛ بسبب بعض الإثارات التي أثارها من انتسب للعلم، ولكننا نلاحظ أنّ أبا طالب عليه السلام قام به قولاً وعملاً، ووجد ما أمّله، ويكشف عمله وقوله عن معرفة بمقام التوسّل به، ومنزلته عند الله تعالى، ولنا شواهد على التوسّل:

### شاهد أول :

إنّ قارئ التاريخ يرى توّسل أبي طالب عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله أيّام صباه؛ أي في الوقت الذي لا تعلم قريش، ولا سائر أهل مكّة بشأن هذا الغلام الذي يعيش في كنف أبي طالب عليه السلام، فضلاً عن معرفتهم أنّه نبيّ أو خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين، وهذا المعنى يكشف عن التلقّي الغيبيّ، والارتباط بالوحي، وقد قال بيته المشهور:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ربيع اليتامى عصمة للأرامل

ولقد قاله عن علم ودراية، لا مجرد شعر أو رواية، ولهذا طبّقه بنفسه لما جاءته قريش مستجيرة به؛ ففي مستدرک الوسائل «عن أبي القاسم الكوفي في كتاب الأخلاق:

قال عمر بن خارجة: فلما سمعت منه هذا الخبر -أي الخبر الأسبق على هذا وهو يرتبط بإجارة أبي طالب لسلام، وقد تقدّم تحت عنوان (أبو طالب المجير)-، قلت: إن لهذا الشيخ لشأنًا، فضربت نحو مكة باحثًا عن شأنه، حتى وردت الأبطح، وقد كانت أجذبت مكة وما حولها، باحتباس المطر عنها.

قال: فإذا قريش قد اجتمعت بالأبطح، وارتفعت ضوضاؤها، فقائل منهم يقول: اعبدوا اللات والعزى، وقائل منهم يقول: اعبدوا المناة الثالثة الأخرى، فقام إليهم رجل منهم من أهل الكتاب، يقال له: ورقة بن نوفل، فقال: يا معشر قريش، أين تذهبون؟ وأنى تؤفكون؟ فيكم بقية إبراهيم عليه السلام، وسلالة إسماعيل.

فقالوا: كأنك تعني أبا طالب.

فقال: أجل، فلم نلبث إذ خرج علينا أبو طالب من دار نسائه، وعليه حلة خضراء، وكان رأسه يقطر من دهانه، فقاموا إليه بأجمعهم وأنا منهم، وقالوا: يا أبا طالب قد قحطت البلاد، وأجذبت العباد، فهلّم فاستسق بنا.

فقال: نعم؛ موعدكم دلوك الشمس، وقت هبوب الريح -يعني بالدلوك الزوال- فلما زالت الشمس؛ فإذا بأبي طالب قد أقبل نحو الكعبة، وحوله الغيلمة من بني عبد المطلب، وفي وسطهم غلام كأنه شمس دجن، إذا نفرت عنها غمامة قتيماً؛ يعني رسول الله ﷺ، فأقبل أبو طالب حتى أسند ظهره إلى الكعبة في مستجارها، ثم رمق السماء بعينه، ولاذ بإصبعه، وحرّك شفّتيه، ونضنضت<sup>(١)</sup> الأغيلمة حوله كذلك، وما في السماء يومئذ قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، ونما ودنا، وكثف وأوكف<sup>(٢)</sup>، وأسجم وأقتم<sup>(٣)</sup>، واغدودق وأبرق، واثعنجر<sup>(٤)</sup> واسحنفر<sup>(٥)</sup>، ثم سحّ سحّاً، أفعم منه الوادي، وأخصب له البادي<sup>(٦)</sup>.

(١) نضنض لسانه: حرّكه، الضاد فيه أصل وليست بدلاً من صاد كما زعمه قوم.

انظر: لسان العرب: ٧ / ٢٣٨٨.

(٢) وكف الدمع والماء: سال. انظر: لسان العرب: ٩ / ٣٦٢ (وكف).

(٣) لقتمة: سواد ليس بشديد. انظر: لسان العرب: ١٢ / ٤٦١ (قتم).

(٤) اثعنجر: انصب. انظر: لسان العرب: ٤ / ١٠٣ (ثعجر).

(٥) اسحنفر المطر: كثر.. والمسحنفر: الكثير الصب الواسع. انظر: لسان العرب: ٤ / ٣٥٢

(سحفر).

(٦) مستدرك الوسائل: ٦ / ٢٠٧.

وقد أخرج الذهبي هذا الخبر في كتابه تاريخ الإسلام: ١ / ٥٢، في ذيل ما تقدّم تحت عنوان

ومن خلال هذه الرواية يعرف:

١- أن قريشاً وأشياخها تعرف حقيقة أبي طالب ﷺ ومنزلته ومقامه؛ إذ

أبو طالب المجير ما لفظه:

«قال جلهمة: فحدثت بهذا الحديث عمرو بن خارجة وكان قعدد الحيّ فقال: إن لهذا الشيخ ابناً يعني أبا طالب.

قال: فهويت رحلي نحو تهامة أكسع بها الحدود وأعلوا بها الكدان حتى انتهيت إلى المسجد الحرام وإذا قريش عزيزين قد ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون فقاتل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزى؛ وقاتل يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى.

وقال شيخ وسيم قسيم حسن الوجه جيّد الرأي: أتى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم ﷺ وسلالة إسماعيل؟ قالوا له: كأنك عنيت أبا طالب. قال: إيها. فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدقنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه مصفرّ عليه إزار قد أتشح به فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب قحط الوادي وأجدب العباد فهلهم فاستسق؛ فقال: رويدكم زوال الشمس وهبوب الريح؛ فلما زاغت الشمس أو كادت خرج أبو طالب معه غلام كأنه دجن تجلّت عنه سحابة قتاء وحوله أغيلمة؛ فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأضبعه الغلام وبصبصت الأغيلمة حوله وما في السماء قرعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي؛ وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تطيف به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة	ووزان صدق وزنه غير عائل»

لم يكن الوحيد من بقية إبراهيم ﷺ من حيث النسب والسلالة في ذلك الوقت، ولكن لم تتجه أنظارهم إلى أحد من إخوته أو بني عمومته؛ بل تبادرت الأذهان إليه، وامتدّت الأعناق إلى بهاء وجهه، فلم تعدّ غيره، ولم تطلب سواه، فهو بقية إبراهيم ﷺ روحاً وجسداً، بما يضمّه بين جوانحه من علم ومعرفة وإيمان واتصال غيبيّ.

٢- أن أبا طالب ﷺ كان خالص الإيمان، فلم يخطر في باله التوسّل بالأصنام، ولا الاستجارة بالأوثان، لا مباشرة، ولا بالواسطة، فلم يتوجّه إلّا إلى الله تعالى، ولم يلذ إلّا ببيته الحرام، ولم يتوسل إلّا بخاصّة خلقه وخالصته النبيّ محمد ﷺ.

٣- أنّه على معرفة بوقت استجابة الدعاء فواعدهم عند الزوال، ووقت هبوب الرياح، فاختيار المكان والزمان والحالة دليل على معرفته التامة النافذة.

٤- أنّه ﷺ على معرفة كبيرة بالنبيّ ﷺ ومقامه عند الله تعالى منذ صباه، فلجأ إلى البيت الحرام، وأسند ابن أخيه على المستجار متوسلاً به.

فأية معرفة يريدّها القارئ والسامع تعدل هذه المعرفة؟!!

ويؤيد هذه الواقعة ما رواه الكثير، منهم الماورديّ في كتابه: (الأحكام

السلطانيّة):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتُكَ وَمَا لَنَا بَعِيرٌ يَنْطُ<sup>(١)</sup> وَلَا صَبِيٌّ يَصْطَبِحُ ثُمَّ أَنْشَدَهُ، (من الطويل):

أَتَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

لَتَرْحَمَنَا مِمَّا لَقِينَا مِنَ الْأَزْلِ<sup>(٢)</sup>

أَتَيْتُكَ وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لَبَائِهَا

وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطُّفْلِ<sup>(٣)</sup>

وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الصَّبِيُّ اسْتِكَانَةً

مِنْ الْجُوعِ ضَعْفًا لَا يُمِرُّ وَلَا يُجْلِي

وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا

سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسْلِ<sup>(٤)</sup>

(١) ينط: أي يحنّ وبصيح، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، قال في النهاية: (يريد ما لنا بغير أصلاً، لأنّ البعير لا بدّ أن ينط).

(٢) الأزل بسكون الزاي: الشدّة والضيّق والجذب.

(٣) يدمى لبانها: قال في النهاية: (أي: يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة، حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجذب وشدّة الزمان).

(٤) الحنظل العامي: هو منسوب إلى العام؛ لأنه يتخذ في عام الجذب، كما قالوا للجذب: السنة.

والعلهز: شيء يتخذونه في سنيّ المجاعة، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه.

والفسل: الرديء الرذل من كلّ شيء.

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا

وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسُلِ

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْرُ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمُنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ

وَقَالَ:

اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا غَدَقًا مُغِيثًا سَحًّا طَبَقًا غَيْرَ رَائِثٍ<sup>(١)</sup> يَنْبُتُ بِهِ الزَّرْعُ وَيُمَلَى

بِهِ الضَّرْعُ وَتَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ.

فَمَا اسْتَمَّ الدُّعَاءَ حَتَّى أَلْقَتْ السَّمَاءُ بَارَوْاقَهَا فَجَاءَ أَهْلَ الْبِطَانَةِ يَصِيحُونَ

يَا رَسُولَ اللَّهِ الْعَرَقُ فَقَالَ: حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا<sup>(٢)</sup>.

فَأَنْجَابَتْ السَّحَابُ عَنِ الْمَدِينَةِ كَالِإِبِلِ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى

(١) الغدق بفتح الدال: المطر الكبار القطر. وغيث طبق: أي عام واسع مالمى للأرض مغطاً لها. والرائث: البطيء المتأخر.

(٢) حوالينا ولا علينا: فيه حذف أي أمطر في الأماكن التي حوالينا ولا تمطر علينا. وقيل: في إدخال الواو في قوله (ولا علينا) معنى دقيق، وذلك أنه لو أسقطها لكان مستسقياً للاكام والظراب ونحوها مما لا يستسقى له لقلّة الحاجة إلى الماء هنالك، وحيث أدخل الواو آذن بأن طلب المطر على هذه الجهات ليس مقصوداً بنفسه؛ بل ليكون وقاية من أذى المطر على نفس المدينة.

فالمراد أنزل المطر حوالينا حيث لا نستضرّ به ولا تنزله علينا حيث نستضرّ به، فلم يطلب منع الغيث بالكلية وهو من حسن الأدب في المدعاء لأنّ الغيث رحمة من الله، ونعمة مطلوبة، فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته، وإنما يسأل سبحانه كشف البلاء والمزيد في النعماء.

بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ:

لِلَّهِ دَرُّ أَبِي طَالِبٍ، لَوْ كَانَ حَيًّا لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ، مِنَ الَّذِي يَنْشُدُ شِعْرَهُ؟  
فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ كَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتَ قَوْلَهُ مِنَ الطَّوِيلِ:  
وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعِمَامُ بِوَجْهِهِ تَهَالُ الْيَتَامَى عِضْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ  
إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ وَقَدْ تَقَدَّمَتْ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ فَأَنْشَدَ النَّبِيَّ ﷺ (مِنَ الْمُتَقَارِبِ):

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرَ	سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمُطَّرِّ
دَعَا اللَّهَ خَالِقَهُ دَعْوَةً	وَأَشْخَصَ مَعَهَا إِلَيْهِ الْبَصَرُ
فَلَمْ يَكُ إِلَّا كَالِقَاءِ الرَّدَاءِ	وَأَسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا الْمُطَّرَّ
دِفَاقِ الْعَزَالِيِّ جَمِّ الْبُعَا	قِ أَغَاثٍ بِهِ اللَّهُ عَلِيًّا مُضَرَّ
وَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّهُ	أَبُو طَالِبٍ أَبْيَضَ ذَا عَرَزُ
بِهِ اللَّهُ أَرْسَلَ صَوْبَ الْعَمَّا	مَ وَهَذَا الْعِيَانُ وَذَلِكَ الْحَبْرُ» <sup>(١)</sup>

وذكرها الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه الأمل في باختلاف يسير، وفيه بعد قول

الرسول ﷺ: «لله درُّ أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟

فقام عمر بن الخطاب فقال: عسى أردت يا رسول الله:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمة من محمد

فقال رسول الله ﷺ: ليس هذا من قول أبي طالب؛ بل من قول حسان ابن ثابت.

فقام علي بن أبي طالب ﷺ فقال: كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل<sup>(١)</sup>

ونرى في هذه الواقعة قد استذكر الرسول ﷺ عمه أبا طالب بما فعله وقاله من الشعر قبل سنين متطاولة، وبكلمة (لله درّ أبي طالب)، وهذه الكلمة تقال في مقام المدح، وقد قيل: لله درّك من رجل، معناه الله خيرك وفعالك، وإذا شتموا قالوا: لا درّ درّه؛ أي لا كثر خيره.

وهذا يكشف عن حسن ما قام به أبو طالب ﷺ من الفعل، وما قاله من الشعر، وأنه قد لاقى قبولاً واستحساناً من الرسول ﷺ.

### إيماءة في غنى النبي :

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ      ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ  
يُلَوِّذُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

يستفاد من هذين البيتين أنه ﷺ كان مضيفاً بحيث يكون:

١- ثمال اليتامى، وفي رواية أخرى ربيع اليتامى؛ بمعنى يقوم بهم، أو

يرعى شؤونهم.

٢- وعصمة للأرامل.

٣- ويلوذ به الهلاك من آل هاشم.

وهذا يكشف عن تمتعه بثروة طائلة تسمح له أن يقوم بهذه الأعمال الجليلة، فلا يُعبأ بقول من يقول كان فقيراً عائلاً، فلقد كان شاباً يضارب في أموال خديجة، ثم صارت ثروة خديجة بين يديه، وتحت سلطنته وتصرفه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾<sup>(١)</sup>، فلها معنى آخر، قال العلامة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول: «﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾؛ أي وجدك تعول أقواماً فأغناهم بعلمك، قال علي بن إبراهيم: اليتيم الذي لا مثل له، ولذلك سميت الدرّة اليتيمة؛ لأنه لا مثل لها، ووجدك عائلاً فأغناك بالوحي، لا تسأل عن شيء أحداً»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية العيون عن الإمام الرضا عليه السلام: «﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ يقول: أغناك بأن جعل دعائك مستجاباً»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه الإفصاح بما تلخيصه في نقاط:

١- إن الله تعالى قد أخبر بأنه المتولي لأمر نبيه ﷺ، ورفع الحاجة عنه في

(١) سورة الضحى: ٨

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٣٣٨/٢٥.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١٧٧/١.

الدين والدنيا فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾<sup>(١)</sup>.

٢- لو جاز أن يحتاج - مع هذا التعهد - إلى نوال أحد من الناس لجاز أن يحتاج في هداه إلى غير الله تعالى، ولما ثبت أنه غني في الهدى بالله وحده، ثبت أنه غني في الدنيا بالله تعالى.

٣- لو تعدى الفضل إلى أحد من الناس، لاختصّ بأبائه ﷺ، وبعمه أبي طالب ﷺ، وبولده ﷺ، وبزوجته خديجة بنت خويلد >، ولم يكن لأبي بكر في ذلك حظ ولا نصيب على كل حال؛ لأن الله تعالى آوى يتمه بجده عبد المطلب، ثم بأبي طالب من بعده، فرباه وكفله صغيراً، ونصره وواساه ووقاه من أعدائه بنفسه وولده كبيراً، وأغناه بما رزقه الله من أموال آبائه رحمهم الله تعالى وتركاتهم وهم ملوك العرب، وأهل الثروة منهم واليسار بلا اختلاف، ثم ما أفاده من بعده في خروجه إلى الشام من الأموال، وما كان انتقل إليه من زوجته خديجة بنت خويلد.

وقد علم جميع أهل العلم ما كانت عليه من سعة الأحوال، وكان لها من جليل الأموال، وليس لأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم من سائر الناس سوى من

سمّيناه سبب لشيء من ذلك، يتعدّى به فضلهم إليه على ما بيّناه؛ بل كانوا فقراء فأغناهم الله بنبيّه ﷺ، وكانوا ضلّالاً فدعاهم إلى الهدى، ودلّهم على الرشاد، وكانوا أدلة فتوصلوا بإظهار اتباع نبوته إلى الملك والسلطان<sup>(١)</sup>.

## شاهد ثانٍ :

ومّا يمكن أن يدخل في شواهد التوسّل ما ورد في حرب الفجّار، فقد نقل ابن أبي الحديد عن الزبير بسنده عن معروف بن خربوذ: «قال: كان أبو طالب يحضر أيام الفجّار، ويحضر معه النبيّ ﷺ وهو غلام، فإذا جاء أبو طالب هزمت قيس، وإذا لم يجيء هزمت كنانة، فقالوا لأبي طالب: لا أبأ لك! لا تغب عنا، ففعل»<sup>(٢)</sup>.

فيمكن أن يستفاد منها أنّ مجيء أبي طالب ﷺ بالنبيّ ﷺ كان للتوسّل به لأجل الغلبة على الخصم، ويحتمل أن تكون غلبتهم منوطة بحضور أبي طالب ﷺ نفسه لشجاعته وبسالته في الحرب، والنبيّ ﷺ وإن كان أشجع من أبي طالب ﷺ بلا شكّ ولا ريب إلّا أنّ المستفاد من سيرته ﷺ أن لا يقتل أحداً؛ فإنّه رحمة للعالمين<sup>(٣)</sup>.

(١) الإفصاح: ٢١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٢٠/١٥.

(٣) روى الشيخ الطوسي رحمه الله في التهذيب ٦: ١٧٣ «بسنده عن محمد الحلبيّ عن أبي عبد

ثُمَّ إِنَّ مَخَاطَبَةَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِقَوْلِهِمْ: (لَا أَبَا لَكَ) لَيْسَتْ بِنَفْسِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ حِينَ الْخُصُومَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَقَلُّ شَأْنًا، وَأَذَلُّ نَفْسًا مِنْ أَنْ يَنْالُوا أَبَا طَالِبٍ بِهَذَا التَّعْبِيرِ وَهُوَ سَيِّدُهُمْ وَسَيِّدُ الْبَطْحَاءِ.

### شاهد ثالث :

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى في قضية الصحيفة، بعد أن افتضحت

قريش:

الله ﷺ قال: لم يقتل رسول الله ﷺ رجلاً صبراً قطّ غير رجل واحد عقبه بن أبي معيط لعنه الله، وطعن ابن أبي خلف فمات بعد ذلك». كذا في المصدر، وفي هامش الوسائل: ١٤٨/١٥: «في نسخة من التهذيب: أبي بن أبي خلف (هامش المخطوط)، والظاهر كما في مصادر أخرى أن اسمه (أبي بن خلف) أخو أمية بن خلف».

ونقل العلامة المجلسي رحمه الله قصة قتل أبي في ملاذ الأخيار: ٤٥٨/٩ فقال: «وذكر في ربيع الشيعة أنه روي أن أبي بن خلف أقبل يومئذ وهو على فرس له يقول: هذا ابن أبي كبشة بوء بذنبك، لا نجوت إن نجوت، ورسول الله ﷺ بين الحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، يعتمد عليهما، فحمل عليه، فوفاه مصعب بن عمير بنفسه، فطعن مصعباً فقتله، فأخذ رسول الله ﷺ عنزة كانت في يد سهل بن حنيف، ثم طعن عليه وآله السلام أياً في جريان الدرع، فاعتنق فرسه، فانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثور. فقال أبو سفيان: ويلك ما أجزعك! إنما هو خدش ليس بشيء».

فقال: ويلك يا ابن حرب تدري من طعنني! إنما طعنني محمد، وهو قال لي بمكة: سأقتلك، فعلمت أنه قاتلي، والله لو أن ما بي كان بجميع أهل الحجاز لقتضت عليهم، فلم يزل يخور الملعون حتى صار إلى النار».

«...ورجع أبو طالب إلى الشعب وهو يقول: يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر؟!»

ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحلّ منا ما يحرم عليه منا، ثم انصرفوا<sup>(١)</sup>.  
 والتوسّل بالكعبة واضح في فعله، ثم إنّه لو قرأ أيُّ عربي سليم السليقة، قويم الطريقة هذا الدعاء - من دون أن يعرف القائل - وسألناه عن صفة القائل من حيث الإيثار والشرك لقال بضرر قاطع أنّه بمنّ محض الإيثار محضاً، ولا يصدر إلّا من موحد يؤمن بالله وحده لا شريك له.

### شاهد رابع :

وقال أبو طالب ﷺ في قصيدته اللامية داعياً متوسّلاً وقد لاذ بالبيت العتيق، عارفاً أنّه محلّ استمطار الرحمة الإلهية:  
 ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم  
 وقد قطعوا كلّ العرى والوسائل  
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى  
 وقد طأعوا أمر العدو المزابل<sup>(٢)</sup>

(١) الطبقات الكبرى: ١٨٩/١.

(٢) أظنّه: جمع ظنين وهو الرجل المتهم، وهنا حالفوا القوم المتهمين.

وقد حالفوا قوماً علينا أظنّة<sup>(١)</sup>

يعضّون غيظاً خلفنا بالأناملِ

صبرت لهم نفسي بصفراء سمحة

وأبيض ماضٍ من تراثِ المقاولِ<sup>(٢)</sup>

وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي

وأمسكت من أثوابه بالوصائلِ

قياماً معاً مستقبلين رتاجه

لدى حيث يقضي نسكه كل قافل<sup>(٣)</sup>

ففي هذه الأبيات تتجلى معرفة أبي طالب ﷺ بالله تعالى وإيمانه العميق به،

وأنه تبارك وتعالى من ورائهم ولا يخذلهم؛ فإنّ القوم (المشركين) لا ودّ فيهم،

وقد قطعوا جميع حبال الوصل، وحلقات الاتصال، وأعلنوا العداوة بكلّ

صراحة، وأجمعوا على إدخال الأذى على النبي ﷺ ورهطه ومن معه، وفي

(١) المزابل: اسم فاعل من زايله مزايلة وزيالاً: فارقه وباينه.

(٢) بصفراء سمحة: القوس، وفي رواية: وسمراء، والمقصود بها القناة.

وأبيض ماضٍ: السيف.

من تراث المقاول: المقاول جمع مقول وهم الملوك والرؤساء، وكأنّه عنى بملك آبائه الكرام، زعماء مكة ورؤساءها وإن لم يكونوا ملوكاً بالمعنى المصطلح، واحتمل البعض أنّه يقصد السيف للذي هو من هدايا الملوك لأبيه؛ فإنّ ابن ذي يزن وهب إلى عبد المطلب هبات جزلة، ولعلّ منها سيفاً.

(٣) الرتاج: الباب.

كلّ قافل: كلّ عائد إلى بلده يأتي مودّعاً للبيت العتيق.

مقدمتهم أبو طالب ﷺ، وقد طأوعوا العدو الذي بلغت به العداوة للمفارقة والقطيعة، وتحالفوا مع الأعداء المتهمين الحاقدين، الذين يتميزون غيظاً، فتعاهدوا فيما بينهم، وتعاهدوا على أن يقفوا يداً واحدة ضدّ أبي طالب ورهطه، فليس لأبي طالب - وهو الشجاع المدره- إلا أن يعلن استعداداه للموت؛ دفاعاً عن الحقيقة التي يؤمن بها، والمبدأ الثابت عليه، ويوطن نفسه على اللقاء بأدواته الحربيّة المجربّة، من القوس، والسيف الصقيل الذي ورثه عن آبائه، وكأنّه يلمح إلى أنّ هذا السيف هو ذلك السيف الذي عرفتموه في سواعد من عرفتم، ولعلّ نظير ذلك قول ابنه أمير المؤمنين ﷺ في خطابه إلى معاوية:

«فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي»<sup>(١)</sup>.

ولا غرو في ذلك فإنّهم قوم يتوارثون المكارم كابراً عن كابر.

وأبو طالب ﷺ - وهو في هذه الحالة والاستعداد لخوض الحرب مع قلة العدد وخذلان الناصر في مقابل مشركي قريش - لم يلجأ إلى أحد إلا إلى الله تعالى، فلاذ ببيته العتيق، وأخذ معه رهطه وإخوته، ووقف معهم عند باب المشرف خاشعين لله تعالى يطلبون منه المدد والعون، فهو مع إيمانه بالله تعالى

(١) نهج البلاغة: ١١/٣، شرح الشيخ محمد عبده.

يعرف أنه لا ملجأ إلا إليه، متيقناً بأنه تعالى سينصرهم ويكون معهم.

ويستمر في أبياته الدالة على عمق الإيمان والمعرفة المستفادة من كيفية

الدعاء والتوسل، وبما يتوسل به، من شعائر الله تعالى:

أعوذ بربّ الناس من كلّ طاعن  
 ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة  
 وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه  
 وبالبيت ركن البيت من بطن مكّة  
 وبالحجر المسودّ إذ يمسخونه  
 وموطئ إبراهيم في الصخر وطأة  
 ومن حجّ بيت الله من كلّ راجلٍ  
 وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له  
 علينا بسوءٍ أو ملحّ بباطلٍ  
 ومن مفترٍ في الدين ما لم نحاولِ  
 وعيرٍ وراقٍ في حراءٍ ونازلٍ  
 وبالله إنّ الله ليس بغافلٍ  
 إذا اكتفوه بالصّحى والأصائلِ  
 على قدميه حافياً غير ناعلٍ  
 ومن كلّ ذي نذرٍ ومن كلّ راجلٍ  
 إلاّ إلى مفضى الشّراج القوابلِ  
 ويؤكد في البيت الأوّل من هذه القطعة استعاذته بربّ الناس، فهو

المستعاذ به بالذات، وسائر الأمور مرتبطة به، ومقرّبة إليه.

وقد امتلأت القصيدة اللامية بالتوسّلات، وأبانت عن الأمور المعظمة

عند أبي طالب ﷺ، وهي نفسها التي عظمها الإسلام فيما بعد، منها:

١- وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي.

٢- وبالحجر المسودّ إذ يمسخونه.

٣- وموطئ إبراهيم في الصخر وطأة.

٤- ومن حجّ بيت الله من كلّ راكبٍ.

٥- وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له.

والمراد من المشعر الأقصى عرفة، وإلال جبل عرفة، قال النابغة:

يزرن إلالاً سيرهن التدافع

وسمّي كذلك لأنّ الحجيج إذا رأوه أُلّوا في السير، واجتهدوا فيه ليدركوا

الموقف.

والشراج: جمع شرح: وهو سيل الماء.

وما دنا مع أبيات هذه القصيدة العصماء، التي عدّها ابن كثير أفضل من

المعلّقات السبع كما سيأتي، فمن الجيّد أن نشير إلى ما ذكره المؤرخون من

مناسبة هذه القصيدة:

### مناسبة القصيدة :

قال ابن هشام في سيرته، وابن كثير في كتابه البداية والنهاية، وفي السيرة

النبويّة<sup>(١)</sup>:

«قال ابن إسحاق: ولما خشي أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه،

قال قصيدته التي تعوّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودّد فيها أشرف

قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنّه غير مسلم لرسول الله عليه السلام،

(١) السيرة النبويّة: ١٧٦/١، البداية والنهاية: ٧٠/٣، السيرة النبويّة لابن كثير: ٤٨٦/١.

ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه، فقال:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كلّ العرى والوسائل  
ثمّ قال ابن كثير في ذيلها:

«قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقة السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً، وقد أوردتها الأمويّ في مغازيه مطوّلة بزيادات آخر والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

والذي يظهر أنّ وقت إنشائها كان في السنين الأولى للبعثة رداً على إعلام قريش الكاذب وتحريضهم العرب على النبيّ عليه السلام، وقد أخطأ العديد من كتّاب السيرة في وقت القصيدة فجعلوه بعد محاصرة قريش لبني هاشم في الشعب، أو عندما عرضت قريش عليه شاباً بدل النبيّ عليه السلام.

### شاهد خامس :

ويدخل في هذا الباب ما رواه قطب الدين الراوندي في الخرائج في باب معجزات النبيّ عليه السلام قوله:

«ومنها: أنّ أبا طالب مرض، فدخل عليه رسول الله عليه السلام فقال: يا ابن أخ، أَدع ربّك الذي تعبه أن يعافيني.  
فقال النبيّ عليه السلام: اللهم اشف عمّي.

(١) البداية والنهاية: ٧٤/٣، السيرة النبويّة لابن كثير: ٤٩١/١.

فقام فكأنها أنشط من عقال»<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا الطلب لا يصدر عن مجرد مؤمن؛ بل لا يصدر إلا عن مؤمن راسخ الإيمان، شديد اليقين بما يؤمن به؛ فإنَّ أبا طالب ﷺ كان يعلم بأنَّ الأمر بيد الله تعالى، فهو الذي: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>(٢)</sup>، ويؤمن بأنَّ ابن أخيه محمداً هو أقرب الناس إلى الله تعالى، وأتته مستجاب الدعاء والدعوة، فطلب منه أن يدعو الله ربّه لشفائه، فدعا النبيّ ﷺ، فاستجاب الله دعاءه بلحظة عين أو أقل، وما هو إلا من باب: كن فيكون.

ثمَّ لو غرضنا الطرف عمّا كشفته لنا الواقعة من عمق إيمان أبي طالب ﷺ، فمن حقنا أن نسأل: هل يتصوّر المنصف العاقل أن مثل أبي طالب ﷺ الذي لم يعاند ولم يلاجج ولم يحاجج أن يرى مثل هذه الكرامة أمام عينه وبأسرع من لمح البصر فلا يستجيب لدعوة النبيّ ﷺ له؟!!

(١) الخرائج والجرائح: ٤٩/١.

(٢) سورة الشعراء: ٨٠.

## الفصل الثالث: مُثُل إنسانية وإسلامية

منها ما تقدّم، ونعيده لصلته بالمقام:

صلة الرحم: وهو خلق إنسانيّ يتمتّع به الإنسان السّوي بما هو إنسان، وقد أوجبه الإسلام، وجعله في رقبة ذي الرحم، وأناط به أحكاماً؛ بل له تأثير تكوينيّ على الإنسان، فيطول عمره ببركة صلته للرحم، ويقصر عمره بسبب قطعه لها، وقد طبّقه أبو طالب (عليه السلام) قولاً وعملاً، فقال:

لآل محمّدٍ راعٍ حفيظ      وودّ الصدر منّي والضميرُ  
فلست بقاطعٍ رحمي وولدي      ولو جرّت مظالمها الجزورُ

فهو يفصح بلسان واضح: (لآل محمّد راعٍ حفيظ)، ونسبة الآل لـ(محمّد) في ذلك الوقت الذي لم يعرف هذا اللقب بين الناس، يكشف عن عناية خاصّة، ومعرفة تامّة بالنبيّ محمّد (عليه السلام)، فهو الذي يصلح لأن يُنسب إليه غيره، وأنّه المدار في حركته (عليه السلام)، وقد قام بما قاله، وصدّق قوله فعلاً إلى أن غادر الحياة.

ويصرّح أيضاً بقوله: (فلمست بقاطع رحمي) ولو بلغ الأمر ما بلغ.

## الفصل الرابع: وعظ وإرشاد

شأن الكبير أن يعظ، وشأن الخبير أن يرشد، وشأن العظيم أن ينصح ويعطف على من دونه ممن لم يدرك عمق الأمور، ولم يعرف أولها من آخرها، وأبو طالب عليه السلام هو العظيم في قومه والخبير بشؤون مجتمعه، والعارف ببني قومه وأتهم قد ضلّوا ضلالاً مبيناً من موقفهم من النبي عليه السلام ومن بني هاشم، فلهذا تراه يقف ناصحاً وواعظاً ومرشداً في كثير من شعره فمنه:

١- قوله عليه السلام:

وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى وأمر أتى من عند ذي العرش قيّم

٢- وقوله عليه السلام:

ألم تعلموا أنّ القطيعة مآثم وأنّ سبيل الرشديعلم في غدٍ فلا تسفهن أحلامكم في محمّد  
وأمر بلاء قاتم غير حازم؟ وأنّ نعيم الدهر ليس بدائم ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم  
أمانيّكم هذي كأحلام نائم ولما تروا كطف اللحاء والغلاصم  
وإنكم والله لا تقتلونهم

وهذه الموعدة واضحة لا غش فيها؛ ولكن نشير إلى أن قوله: (وَأَنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ يَعْلَمُ فِي غَدٍ) يظهر منه أن المقصود من (في غد) يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ السَّرَائِرُ﴾<sup>(١)</sup>؛ حيث تظهر الأمور على حقائقها، فيدل ذلك بوضوح على إيمانه بيوم المعاد، وعلى شدة يقينه بما سيحصل فيه.

٣- وقوله عليه :

لا تيأسن إذا ما ضقت من فرجٍ يأتي به الله في الروحات والدلج  
فما تجرّع كأس الصبر معتصمٍ بالله إلا سقاه الله بالفرج<sup>(٢)</sup>  
وعلق السيّد فخّار عليها بقوله: «ألا ترى هذا الشعر ما أحسن معناه  
وأعذب ألفاظه، وأشدّ يقين قائله بالله تعالى، وأصدقه بالتوكّل عليه  
سبحانه».

(١) سورة الطارق: ٩.

(٢) مستدركات الديوان: ٣٣١، عن الحماسة البصريّة: ٢/٢، والحجّة على الذهاب إلى

تكفير أبي طالب: ٢٩٥.

## الفصل الخامس : حكم وأمثال

الحكم والأمثال عادة ما تصدر من أصحاب الخبرة، وذوي التجارب، من قنّاصي الفكرة الطائفة، فهي تنبئ عن ذهن ثاقب، وفكر غوّاص، يستطيع التقاط الصورة، وصياغتها بأسلوب جميل، سهل التناول؛ لأنّها أشبه ما يكون بالكليّات المنتزعة من المصاديق، وتصلح للانطباق على أفراد كثيرين، وهي تبدأ من استقراء ناقص قد اكتشف المستقرئ علّة الحدوث وسببه، فتحتاج إلى تجريد الفكرة من مصداقها لتصبح عامّة.

والحكمة في اللغة -على ما قيل- معرفة أفضل الأمور.

ويُعرّف شعر الحكمة: بأنّه قول بليغ موجز صادر عن ذي فكر منير، وعقل رشيد، ويتضمّن رأياً أو علماً أو تجربة أو موعظة، ويكون الغرض منه التوجيه أو التوضيح والتعديل.

وهو ينبع عادة من فكر نير خاض التجارب، فعركها وعركته، فيقدّم ما استفاده منها في قالب شعريّ أو نثريّ رصين، يسرع حفظه، ولا يملّ قارئه.

وقد تناثرت أبيات الحكمة في شعر أبي طالب عليه السلام وهو الحكيم المجرب،  
فإليك أيها العزيز ما وجدته في شعره مما يصلح أن يذهب مذهب الأمثال،  
يستفيد منها الفصيح في استعماله، ولا يستغني عنها البليغ في عباراته:

- ١

وقالوا خطّة جوراً وحمقاً (وبعض القول أبلج مستقيم)

- ٢

اصبرن يا بُنَيَّ فالصبر أحجى (كلُّ حيٍّ مصيره لشعوب)

- ٣

إن تصبك المنون بالنبل تترى (فمصيب منها وغير مصيب)  
(كلُّ حيٍّ وإن تطاولَ عمراً آخذٌ من سهامها بنصيب)

- ٤

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً (ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب)

- ٥

(وجربي أراها من لؤي بن غالب متى ما تراحمها الصحيحة تجرب)

- ٦

(وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب)

- ٧

وقد جربوا فيما مضى غبّ أمرهم (وما عالم أمراً كمن لم يجرب)

قاله أبو طالب عليه السلام في شأن الصحيفة؛ حين رأى قومه لا يتناهون، وقد رأوا فيها من العلم ما رأوا، كما حدّث بذلك ابن إسحاق في سيرته<sup>(١)</sup>.

المعنى: أن العالم بالأمر ينظر إلى عاقبته، ويتأمل في أوله وآخره، ولا يقدم عليه إلا بعد طول أناة وصبر؛ حتى يقدم عليه عن بصيرة من أمره، ووضوح من فعله، وأمّا من لم يعلم بالأمر ولم يخض التجربة تأخذه الغرّة، ويتهور في الدخول في الأمر، وقد ذهب هذا المعنى مذهب الأمثال بتغيير طفيف، فقاله أبو القلوص أيام المختار، فلقد روى الطبري في خبر:

«فقالوا له: يا أبا القلوص، والله إنك عندنا لأشجع العرب، فما يحملك على الذي تصنع؟ قال: إنَّ المجرب ليس كمن لم يجرب، إنِّي أردت أن ترجع إليكم أفئدتكم، وأن توطنوا على القتال أنفسكم، وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم على حال دهش»<sup>(٢)</sup>.

-٨

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي  
(ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب)

-٩

وتستحلبوا حرباً عواناً (وربما) أمرٌ على من ذاقه حلبُ الحربِ

(١) السيرة النبوية: ١٤٤/٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٢٣/٤.

- ١٠ -

فيا قومنا لا تظلمونا فإننا (متى ما نخف ظلم العشيرة نغضب)

- ١١ -

فمهلاً قومنا لا تركبونا بمظلمة لها خطب جسيم  
فيندم بعضكم ويذل بعض (وليس بمفلاح أبداً ظلوم)

- ١٢ -

يرى الناس برهاناً عليه وهيبة (وما جاهل في قومه مثل عالم)

- ١٣ -

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة (والعفو عن قدرة ضرب من الكرم)  
قال المسعودي في مروج الذهب بالسند: «عن الحارث بن مسمار البهراني،  
قال: حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي، وعبد الله بن الكواء  
اليشكري، ورجالاً من أصحاب عليٍّ مع رجال من قريش، فدخل عليهم  
معاوية يوماً فقال: نشدتكم بالله إلا ما قلتكم حقاً وصدقاً، أي الخلفاء  
رأيتموني؟»

فقال ابن الكواء: لولا أنك عزمت علينا ما قلنا لأنك جبار عنيد، لا  
تراقب الله في قتل الأخيار، ولكننا نقول: إنك ما علمنا واسع الدنيا، ضيق  
الآخرة، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً، والنور ظلمات.  
فقال معاوية: إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن بيضته،

التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلين ما حرم الله، والمحرمين ما أحل الله.

فقال عبد الله بن الكواء: يا ابن أبي سفيان، إن لكلّ كلام جواباً، ونحن نخاف جبروتك، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد، لا تأخذها في الله لومة لائم، وإلا فإننا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه.

قال: والله لا يطلق لك لسان.

ثم تكلم صعصعة فقال: تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عما أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أتى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟

أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلا كما قال القائل: (لا حُلي ولا سيري)، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنى تصلح الخلافة لطلق؟!!

فقال معاوية: لو لا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلياً ومغفرة... البيت، لقتلتكم<sup>(١)</sup>.

- ١٤

فإنِّي وإيّاكم كما قال قائل (لديك البيان لو تكلمت أسودُ)  
قال السهيليّ: أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله، فقال أولياء  
المقتول: لديك البيان لو تكلمت أسود؛ أي يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا  
عمّن قتله.

فيظهر أنّه ذهب مذهب الأمثال.

وقال جامع الديوان: «قالوا: أراد الأسود بن عبد العزّي، وقالوا: أراد  
الليل، وقالوا: أراد الحجر الأسود؛ أي أنّه لو تكلم لأنبأ بفضلنا»<sup>(١)</sup>.  
والأقرب ما ذكره السهيليّ؛ فإنّ مراد أبي طالب عليه السلام - كما يظهر - أن يذكره  
كمثل يطبّقه على الحال الذي هم فيه، وليس مراده شيئاً أسود بعينه أو باسمه؛  
ولهذا قال: (كما قال قائل)، ثم يأتي في المرحلة الثانية المعنى الأخير الذي نقله  
جامع الديوان.

- ١٥

للعِبْ قُصَيِّ بِأَحْلَامِهَا (وهل يرجع الحلم بعد اللعِبْ)

- ١٦

وَأَنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ يَعْلَمُ فِي غَدٍ وَأَنَّ نَعِيمَ الدَّهْرِ لَيْسَ بِدَائِمٍ

- ١٧

لأحلام أقوام أرادوا محمّداً      بظلم ومن لا يتقي البغي يظلم

- ١٨

لا يمنعك من حقّ تقوم به      أيديّ تصول ولا سلق بأصوات  
فإنّ كفّك كفيّ إن بليت بهم      ودون نفسك نفسي في الملمات<sup>(١)</sup>



## الفصل السادس: افتخاره بمناقبه

سلوا من قريش كلَّ كهل وأمرد  
متى شرك الأقبام في جلَّ أمرنا  
وكنّا قديماً لا نقرّ ظلامه  
وندرک ما شئنا ولا نتشددّ  
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم  
وهل لكم فيما يجيئ به الغدّ

من المناقب التي افتخر بها أنّهم قوم لا يقرون ظلامه، وفي هذه اللفظة القصيرة معان كثيرة؛ فإنّ الإنسان السّوي في عقله وروحه، وعلمه وعمله هو الذي لا يظلم أحداً، ولا يقرّ على ظلم أحد، فمتى ما رأى ظلماً من ظالم وقف مع المظلوم ليردّ له ظلامته، وديدن سلف أبي طالب عليه السلام أنّهم يمشون على هذا النهج السويّ: (وكنّا قديماً لا نقرّ ظلامه)، فهي خصلة ممتدة في السلف، سارية في الخلف، ونعمت المنقبة المتوارثة.

وفي الشطر الثاني لهذا البيت: (وندرک ما شئنا ولا نتشددّ) نستوحي معنى إنسانياً جميلاً قد اتسموا به؛ فإنّ لهم القدرة والقوّة أن يدركوا ما شاؤوا، فلا

يستطيع الظالم أن يهرب من بين أيديهم؛ ولكنهم مع ذلك لا يتشدّدون في أمره، فيكفيهم ردّ الظلامه، ولا يغرقون معه في الخصومة، ولا يكيلون له الصاع بصاعين، مع تمكّنهم من ذلك، وما ذلك إلا لما امتازوا به من الرفق والإحسان حتى بالعدو، فهم مجلى (العفو عند المقدرة).

ويقول في قصيدة أخرى:

فلا تحسبونا خاذلين محمّداً      لدى غربة منّا ولا متقرّبِ  
ستمعه منّا يدّ هاشميّة مرّكبها      في المجد خير مُرْكَبِ

وفيها:

ولا تبدأونا بالظلامه والأذى      فنجزيكم ضعفاً مع الأمّ والأبِ  
أي: إذا بدأت في ظلمنا وأذانا فسنردّ عليك ظلمكم ضعفاً مع وجود  
الرحم القريبة بيننا؛ فإنّ الرحم محترمة عندنا ولكن إذا بلغت هذا الحدّ فلا بدّ  
أن تؤدّب، فتقطع اليد التي امتدّت عبثاً وظلماً.

وهذا البيت يكشف عن وجود خطوط حمراء عند أبي طالب ﷺ لا يريد  
منهم تجاوزها، مع أنّه قد يغضّ الطرف في مواقف أخرى.

فهنا أبو طالب ﷺ يفتخر بنفسه، وبأهله الأقربين، وافتخاره بمناقب  
وشمائل وفضائل ودفاع عن صاحب الرسالة الإسلامية.

وتراه يفتخر بأنّه ينصر النبيّ ﷺ، وتلك دلالة واضحة على ما يكنّه قلبه

من حبّ ومعرفة للرسول ﷺ، وهذا النوع من الفخر فخر ديني، أو عقدي، فلا سبيل لذمه ولا ذكره بعيب أبداً، بخلاف الفخر بالنفس أو بالأسرة والقبيلة أو بالقومية بذات عناوينها؛ فإنه يكون معيباً في أحيان كثيرة؛ وذلك عندما يكون صدوره ممن لا يستحقّ الافتخار الحقيقي، كمن يفتخر بفعله الذي ظلم به الآخرين، أو بجيشه الذي غزا بها الآخرين حباً في النهب والسيطرة، وهكذا...؛ فإنّ الفعل ليس بما يفتخر به في الواقع والحقيقة؛ ولكن للشاعر لساناً وبياناً وشعراً يغطّي به عوراته الكثيرة، فيزيّن فعله القبيح، ويضع الرتوش الجميلة على قبح ما قام به ليري الناس عكس ذلك.

أمّا أبو طالب ﷺ فيفتخر بنصره للحقّ المتمثّل بالنبيّ محمد ﷺ، ويصرّح بنصرته للنبيّ، لا لكونه ابن أخيه، ولا لكونه من قبيلته وأسرته، فهو فخر عقديّ دينيّ بامتياز:

أقيم على نصر النبيّ محمد  
أقاتل عنه بالقنا والقنابل  
ويقول:

وجدت بنفسي دونه وحميته  
ودافعت عنه بالطلّ والكلاكل  
ويقول:

والله لا أخذل النبيّ ولا  
يخذه من بنيّ ذو حسب  
حتى ترون الرؤوس طائحة  
منا ومنكم هناك بالقضب  
وترجع الخيل بعد شدتها  
مردودها نحو وجهة الهرب

حتى ترى الجَدَّ حين يُقضب بالسـ      —مر وبالمرهفات كاللعبِ  
نحن وهذا النبيّ أسرته      نضرب عنه الأعداء كالشهبِ  
إن نلتموه بكلّ جمعكم      فنحن في الناس ألامّ العربِ"  
فهو يفتخر - أولاً وبالذات - بأنّه وبنيه ذوي الحسب لا يخذلون النبيّ،  
فإذن هو يفتخر بحمايته ونصرته والذود عنه ﷺ، ويفتخر -ثانياً وبالعرَض-  
بشجاعته وبطولته وبطولة أسرته، فهذا الافتخار افتخار بالفخر الحقيقيّ  
المبني على أسس الدين والعقيدة.

ومن صور الفخر الدينيّ في شعر أبي طالب ﷺ قوله من قصيدة حماسية  
-وهو يذود عن النبيّ الأعظم ﷺ، ويصف حاله لو وقعت الحرب بينه وبين  
من أراد الإساءة للنبيّ ﷺ :

هنالك يا بنيّ تكون منّي      بوادرٌ لا يقوم لها ثبيرُ  
كدهمة الصخور من الروابي      إذا ما الأرض زلزلها النذيرُ  
وقيّ دون نفسك إن أرادوا      بك الدهياء أو سالت بحورُ  
لك الله الغداة وعهدُ شيخٍ      تجنّبهُ الفواحشُ والفجورُ  
بتحفاظٍ ونصرةٍ أريحيّ      من الأعمام أعضادُ نصورُ

فتراه هنا يصف نفسه في الحرب التي لو قدّر لها أن تقع لكان فيها الفارس

المجّلي، وما أحسن هذا الوصف الذي كُنّي به عن اندفاعه للأعداء: (كدهذه الصخور من الروابي)، فكيف ترى الصخرة مندفعة من الأعالي بقوة لا تلوي على شيء، وتقضي على كل من يقف أمامها، هكذا أبو طالب عليه يصوّر إقدامه على أعدائه في مواطن الحرب.

ثمّ تراه يفتخر بتجنّب الفواحش والفجور، مع ملاحظة أنّه يعيش في زمن الجاهليّة التي عرفت بهما، فيدلّ ذلك على عقل راجح ودين راسخ، وعقيدة ثابتة، ومبدأ متجدّر، يظهر أثر كلّ ذلك في الأفعال والأقوال.

ومن فخره الجميل:

أنا يوم السّلم مكفي      يّ ويوم الحرب فارس  
أنا للحمسة أنف      حين ما للحمس عاطس<sup>(١)</sup>

وقد شرّحه الجاحظ كما في هامش الديوان بقوله: «إنّه إذا كان في السلم فهو لا يحتاج مع الكفاية والأعوان إلى ابتدال نفسه في حوائجه، وإذا كان في الحرب فهو فارس يبلغ جميع إرادته».



## الفصل السابع: مدحه لأبيه وأنه من بيت الدين والكرم

مما يدلّ على إيمانه العميق، وحسّه الدينيّ، وصفاء روحه، وحسن سرّه  
وسريرته مدحه لأبيه بقوله:

أبكى العيون وأذرى دمعها درراً مصاب شيبة بيت الدين والكرم  
فهو يمدح أباه بأنّه من بيت الدين والكرم، وهما خصلتان يتبارى فيهما  
أصحاب النفوس الطاهرة النقيّة.

ثمّ يضيف جهة دينيّة أخرى كانت في أبيه:

العامر البيت بيت الله يملؤه نوراً فيجلو كسوف القحط والظلم  
فمدح أباه بأنّه يعمر بيت الله تعالى بالعبادة والدعاء والتهجد، كما يستفاد  
من قوله: (يملأه نوراً)؛ فإنّه كناية عمّا ذكرناه، فالمدح كان من جانب دينيّ  
محض، ثمّ ببركة هذا التعمير يجلو كسوف القحط والظلم، وهذا يعني أنّه  
بنفس عبادة عبد المطلب ﷺ يرفع الله تعالى القحط عن البلاد والعباد، من

قبيل قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(١)</sup>، أو قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبهذا النور الذي يعلو من عبد المطلب عليه تنقش سحب الظلمة المعنوية.

---

(١) سورة الجن: ١٦.

(٢) سورة هود: ٥٢.

## الفصل الثامن: فخره بأبيه ومدحه له

في المقطوعة الآتية يرثي أبو طالب عليه السلام أباه عبد المطلب عليه السلام، ويتناول ألفاظاً ومعاني تدلّ على أنّ مدحه له وفخره به كان من جانب ديني، ولم يكن مثل غيره من الشخصيات الاجتماعية العامة، فعبد المطلب شفيع الناس، وشفيعهم إلى الله تعالى، فيأتون إليه ليستسقي لهم، ويطلب من الله تعالى، فيغيثهم ويمطرهم ويسقيهم، فهو يفتخر بأبيه القريب من الله تعالى، والمجاب الدعوة عنده، يقول أبو طالب:

أبونا شفيع الناس حتى سقوا به	من الغيث رجّاف العشيّ - بكور
ونحن سنين المحل قام شفيعنا	بمكّة يدعو والمياه تغور
فلم يبرح الأقوام حتى رأوا بها	سحابات مُزني صوبهنّ دُرور
وقيس أتتنا بعد أزمٍ وشدّة	وقد عضّها دهرٌ أكبّ عثور
فما برحوا حتى سقى الله أرضهم	بشيبة غيثاً فالنبات نضير <sup>(١)</sup>



## الفصل التاسع: مدحه قومه وعشيرته

قد سبقوا بالمجد من تعرّفوا<sup>(١)</sup> مجدّاً تليداً واصلاً مستطرفاً<sup>(٢)</sup>  
لو أنّ أنف الريح جاراهم هفاً<sup>(٣)</sup> أو صار عن مسعاتهم مغلّفاً  
كانوا لأهل الخافقين سلفاً وأصبحوا من كلّ خلق خلفاً  
هم أنجم وأبدر لن تكسفا

فأبو طالب عليه السلام في هذه المقطوعة يمتدح عشيرته سلفاً وخلفاً؛ إذ هم الأكارم والأماجد ومن بنوا المجد وشيّدوه، وهم القدوة لغيرهم سلفاً وخلفاً، وهم الأنجم والبدر المضيئة في الأرض، وسوف يستمرّ إشعاعها إلى الأبد.

وهذه المعاني التي ذكرها أبو طالب عليه السلام لم تأت من خيال شاعر، وإنما هي

---

(١) تعرّف: أي عرف المجد، وقالوا: من أتى عرفة، كما ذكر جامع الديوان.

(٢) التليد: الموروث عن الآباء، والمستطرف: المستحدث، واصلاً يصل هذا بهذا، كما ذكر جامع الديوان.

(٣) أنف الريح: أشدها، وهفاً: استطير.

حكاية واقعية عن حال أجداده من حيث السلف، وحال ابن أخيه وأبنائه صلوات الله عليه وعليهم أجمعين من حيث الخلف، فلقد كانوا نجوم الأرض يهتدي الضالون بهداهم.

وفي البيت الأخير نبأ غيبي، يظهر أنه من أسرار علمه المخزون:

هم أنجم وأبدر لن تكسفا

ف(لن) - كما قيل - لنفي التأييد، فهو يستشرف المستقبل ليخبر بقول الواثق أن هذه الأنجم لن تكسف؛ يعني ستستمر ويستمر شعاعها إلى الأبد، وهذا هو الذي نراه؛ فإن نور النبي محمد ﷺ وأنوار عترته الطاهرة الهادية مستمر عبر الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر	فعبد مناف سرّها وصميمها
وإن حصّلت أشراف كلّ قبيلة	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإنّ محمّداً	هو المصطفى من سرّها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنّا قديماً لا نقرّ ظلامه	إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحامي حماها كلّ يوم كريمة	ونضربُ عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العودُ الذوي وإنّا	بأكنافنا تندی وتنمى أرومها
همُ السادةُ الأعلون في كلّ حالة	لهم صرمةٌ لا يستطاع قرومها

يدين لهم كل البرية طاعة ويكرمهم للأرض عندي أديمها<sup>(١)</sup>

مَنْ مِنَ الْعَرَبِ يَحْقُّ لَهُ أَنْ يَفْخَرَ وَأَبُو طَالِبٍ ﷺ مَوْجُودٌ؟!!

فقريش تفتخر على سائر العرب؛ ولكن سرّها وصميمها هو عبد مناف جدّه، وأشرف عبد مناف هاشم وبنوه، وإن فخرت يوماً فالنبيّ محمد ﷺ هو المصطفى من سرّها وكريمها.

ثمّ هو يفخر بأنّهم لا يقرّون ظلامه عند ظالم؛ بل يأخذون للمظلوم منه بحقّه، ويقىمون ميل المتكبر.

فالفخر عند أبي طالب ﷺ فخر مبادئ وأمجاد، وحكاية مواقف إنسانية، وهبات ربانية، وبطولة وشجاعة، وكرم وجود.

تداعت قریش كلّهم عليهم؛ ولكنّها لم تظفر، وباعت بالفشل حتى جنّ جنونها.

وكانوا قبل ذلك لا يقرّون ظلامه لأحد على أحد، ومن يميل بخذه تكبراً يقيّمونه بسيوفهم.

ويقول في قصيدة أخرى مخاطباً قریش:

زعمتم بأنكم جيرة وأنكم إخوة في النسب  
فكيف تعادون أبناءه وأهل الديانة بيت الحسب

(١) الديوان: ١١٣ - ١١٤، ملأرض: أي من الأرض.

فانظر لترى أن مدحه لقومه، لم يكن لمجرد أنهم قومه وعزوته؛ بل لكونهم (أهل الديانة وبيت الحسب)، فالمدح في الأساس مبني على الدين والحسب. وكذلك عندما قال في نفس القصيدة:

عليها رجال بني هاشم هم الأنجبون مع المنتجب  
فالمدح لهم لكونهم هم الأنجبون، ولكونهم مع المنتجب، وهو  
الرسول ﷺ، فالمدح للعشيرة ناشئ من داعٍ إيمانيٍّ وحسٍّ دينيٍّ، لا ترى مثله  
في شعر عرب الجاهلية.

ويقول في قصيدة أخرى:

لأتا سيوف الله والمجد كلُّه إذا كان صوت القوم وحي الغمامِ  
ويقول في قصيدة أخرى:

فإننا بمكة قدماً لنا به العزّ والخطرُ الأعظمُ  
ومن يكُ فيها له عزّةٌ حديثاً فعزّتنا الأقدمُ  
ونحن ببطحائها الرائسون والقائدون ومن يحكمُ  
نشأنا فكنّا قليلاً بها نجير وكنّا بها نطعمُ  
إذا عَضَّ أزمُ السنين الأنامُ وجبَّ القتارَ بها المعدمُ  
نماني شيبه ساقِي الحجيجُ ومجدُّ منيف الذرى مُعلمُ

فمفردات فخره:

١- هم الرؤساء والقادة والحكام في مكة المكرمة، وقد جمعوا بين الرئاستين: الدنيوية والديوية.

٢- أنهم يجيرون من يستجير.

٣- يطعمون الطعام لكل من احتاج.

٤- إنهم سقاة الحجيج.

ومن تأمل في ذلك علم أن دوافع أصحاب هذه المفردات دوافع دينية إلهية فلا يريدون إلا وجهه تعالى.

ومن ذلك وهو يفخر بعشيرته وقومه:

فمن يك ذا عز بمكة تاليدٍ فعزتنا في بطن مكة أتلدُ

علونا بها والناس فيها أذلةٌ فلم ننفك نزداد عزاً ونحمدُ

ونُطعم حتى يترك الناس فضله إذا جعلت أيدي المقصر تجمدُ<sup>(١)</sup>

ولعله يشير بذلك إلى جدّه هاشم الذي أطعم الثريد، حتى قيل إنه أوّل

من أطعم الثريد بمكة، وإن كان يظهر من الروايات التاريخية أن (قصياً)

أطعم الثريد أيضاً.

ومن ذلك<sup>(١)</sup>:

ولكنّه من هاشم في صميمها      إلى أبحر فوق البحور صوافٍ  
فإن غضبت منه قريش فقل لها      بني عمّنا ما هاشم بضعافٍ  
فما بالنّا يغشون منّا ظلامه      وما بال أرحام هتكن حوافٍ  
ولكنّنا أهل الحفائظ والنّهى      وعزٌّ ببطحاء الخطائم وافٍ

ويقول في أخيه الزبير وهو يرثيه<sup>(٢)</sup>:

أسبلتُ عبرةً على الوجناتِ      قد مرّتها عظيمة الحسراتِ  
لأخ سيّد نجيب لقرمٍ      سيّد في الدّرا من الساداتِ  
سيّد وابن سادة أحرزوا المج      سدّ قديماً وشيّدوا المكرماتِ  
جعل الله مجده وعلاه      في بنيّه نجابة والبناتِ  
من بني هاشم وعبد منافٍ      وقصيّ أرباب أهل الحياةِ  
حيّهم سيّد لأحياء ذا الخلد      قٍ ومن مات سيّد الأمواتِ

فالمدح والفخر مرتبط عند أبي طالب ﷺ بالمبدأ الأعلى ﷺ، وبالمثل العليا التي يتمناها كلّ متمنٍّ، من نجابة وسيادة وسقاية حجيج، فلاحظ هنا (جعل الله مجده وعلاه في بنيّه)؛ أي بني عبد المطلب؛ لأنّه قال في البيت الثاني: (لقرم سيّد) فالضمير يعود عليه، فالاعتزاز والفخر والمدح لقومه لأنّ الله تعالى

(١) الديوان: ١٧٧.

(٢) الديوان: ٩٩.

جعل مجده وعلاه فيهم، فعبد المطلب شجرة المجد، وقد ورّثها لأبنائه كما أنّه ورّثها من آبائه وأجداده الأكارم: (هاشم، وعبد مناف، وقصي) كابراً عن كابر، (حيّهم سيد الأحياء، وميتهم سيّد الأموات).



# الباب الخامس

## مع النحاة واللغويين



## شعر أبي طالب في كتب اللغة

لا شك أن أبا طالب عليه السلام من فصحاء العرب وبلغائهم، ولا عجب في ذلك فإنه من قريش في الصميم، ومن بني هاشم على نحو التخصيص، سادة البلغاء والفصحاء، ويحقّ لمثله أن يستشهد اللغويون بشعره وبشره.

ولكي يتّضح للقارئ أنّ أشعار أبي طالب عليه السلام قد انتشرت في الآفاق، وسارت بها الركبان، فاستشهد بها أئمة اللغة في كتبهم، ناسبينها له من غير تأمل أو توقّف، فانتسابها له أمر مفروغ عنه.

ولكي لا يدخل في الكتاب نقص من جهة من الجهات حاولت أن أجمع موارد استشهادهم بشعره، ومحلّ اعتنائهم بلغته، وإليك ما وصلت له يداي منها:

في كتاب العين للخليل بن أحمد:

«ويوم قَمَطَرِيْرٌ: فاشي الشّرّ. وشرّ قَمَاطِرٍ، و قِمَطَرٌ ومُقَمَطِرٌ. قال أبو

طالب:

وكنت إذا قوم رموني رميتهم بمسقطه الأحمال فقهاء قِمَطْر»<sup>(١)</sup>  
 وفيه أيضاً: «وَجَرْمٌ: قبيلة من اليمن. وأقمت عنده حولاً مُجْرَماً؛ أي حولاً  
 تاماً حتى انقضى، وقال أبو طالب:  
 شهوراً وأياماً علينا مُجْرَماً»<sup>(٢)</sup>.

وفي الغريب المصنّف: «بَابُ ابْتِدَاءِ [نَبَاتِ] الْأَشْجَارِ وَتَوْرِيْقِهَا.

الأصمعيّ: يقال لِلرَّمْثِ أَوَّلُ مَا يَتَفَطَّرُ لِيَخْرُجَ وَرَقُهُ قَدْ أَقْمَلَ، فإذا زاد  
 [قليلًا] قيل أَدْبَى، فإذا ظهرت خضرته، قيل: بَقَلَ، فإذا ابْيَضَّ وَأَدْرَكَ قيل:  
 حَنَطَ، فإذا جاوز ذلك قيل أَوْرَسَ فهو وَارِسٌ، ولا يقال مُورِسٌ، وإذا تَفَطَّرَ  
 العَرَفَجُ لِيَخْرُجَ قيل أَخْوَصَ، وإذا تَفَطَّرَ الغُضَا قيل قَدْ نَضَحَ، قال أبو طالب  
 بن عبد المطلب: [خفيف]

كَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرِينَ أَبِي عَمٍّ رَوِ وَلَيْتَ يَقُوهُمَا الْمُخْزُونَ  
 بُورِكَ المَيْتُ الغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضَحَ الرُّمَانِ وَالزَّيْتُونِ»<sup>(٣)</sup>

وقال في معجم مقاييس اللغة لما استشهد بهذا البيت:

«وَنَضَحَ الغُضَا: تَفَطَّرَ، وكانَّ سُقُوطَ نوره يشبهه بنضح الماء، قال أبو

(١) العين: ٢٥٨/٥.

(٢) العين: ١١٩/٦.

(٣) الغريب المصنّف: ٢ / ٤٢٤.

طالب، وساق البيت»<sup>(١)</sup>.

وفي أساس البلاغة: «وَحَفَرْتُ رَوَاضِعُ الْمُهْرِ إِذَا تَحَرَّكَتْ لِلسَّقُوطِ؛ لِأَنَّهَا إِذَا سَقَطَتْ بَقِيَتْ مَنَابِتُهَا حَفْرًا، فَكَأَنَّهَا إِذَا نَعَّضَتْ أَخَذَتْ فِي الْحَفْرِ، وَأَحْفَرَ الْمُهْرُ إِذَا حَفَرَتْ رَوَاضِعُهُ، وَحَفَرَ الْفَصِيلُ أُمَّه حَفْرًا، وَهُوَ اسْتِلَاؤُهُ طَرَقَهَا حَتَّى يَسْتَرْخِيَ لِحْمُهَا بِامْتِصَاصِهِ إِيَّاهَا. وَمَا مِنْ حَامِلٍ إِلَّا وَالْحَمْلُ يَحْفَرُهَا إِلَّا النَّاقَةُ أَي يَهْزُهَا.

وحكى أبو زيد: لو كانت العنز غزيرة لحفرتها ذلك، لأنهم يلحون عليها في الحلب لغزارتها فتَهزِلُ. وَحَفَرْتُ ثَرَى فُلَانٍ إِذَا فَتَشَّتْ عَنْ أَمْرِهِ؛ قَالَ أَبُو طَالِبٍ:

أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى      وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجِنِ ذَنْبًا كَذِي الذَّنْبِ»<sup>(٢)</sup>  
وفيه أيضاً:

«وِثُوبٌ رَفِيفٌ بَيْنَ الرَّفْفِ: رَفِيفٌ رَفِيفٌ، وَرَفْرَفَ الطَّائِرُ: حَرَّكَ جَنَاحِيهِ وَهُوَ لَا يَبْرَحُ مَكَانَهُ، وَضَرَبَتِ الرَّيْحُ رَفْرَفَ الْفَسْطَاطِ، وَهُوَ أَسْفَلُهُ وَذِيْلُهُ وَرَفْرَافُهُ، وَهُوَ يَجْرُ رَفْرَفَ قَمِيصِهِ، وَرَفْرَفَ دَرْعِهِ؛ قَالَ أَبُو طَالِبٍ:

تَتَابَعُ فِيهِ كُلُّ صَقِيرٍ كَأَنَّهُ      إِذَا مَا مَشَى فِي رَفْرَفِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤٣٨/٥.

(٢) أساس البلاغة: ١٣٣.

من حَرَدَ البَعِيرُ وهو أن تنقطع عَصَبَةٌ في يده فينفضها إذا مشى، وثوبٌ رُفِرُفٌ: رقيق»<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً:

«ومن المجاز: ساح الرّجل في الأرض سياحة، ورجل سائح و سَيَّاحٌ ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>، و شُبّه الصَّائمُ به فقيل له: سائح، قال أبو طالب:

وبالسَّائحِينَ لا يذوقونَ قَطْرَةَ لَرَبِّهِمُ والرَّاتِكاتِ العَوَامِلِ»<sup>(٣)</sup>

وفيه:

«ومن المجاز: قد نَضَحَ الشَّجَرُ: تَفَطَّرَ، ورأيتُ نَضْحَ الرُّمَّانِ وغيره، قال

أبو طالب:

بُورِكَ المَيْتُ الغريبُ كما بُورِكَ نَضْحُ الرُّمَّانِ والزَّيتونِ»<sup>(٤)</sup>

وفيه:

«نوط: نُطْتُ القِرْبَةَ بنياطِها نَوَطًا، وعنده أنواطٌ من التَّمَرِ والعنب:

مَعَالِيقٌ. وكلُّ ما نيط بشيء فهو نَوَطٌ، وفي المثل: (عاطٍ بغير أنواطٍ)، وله نَوَطٌ

يأكل منه متى شاء أي مَزُودٌ مَنُوطٌ بمَحْمِلِه.

(١) أساس البلاغة: ٢٤٢.

(٢) سورة التوبة: ٢.

(٣) أساس البلاغة: ٣١٦.

(٤) أساس البلاغة: ٦٣٧.

وفي مثل: (إِنْ صَجَّ فزده نَوْطاً) وهو العِلاوة لأنها تُناط بالوَقْرِ، وانقطع نياطه ونَوْطُهُ، وهو عِرْقٌ غليظٌ عُلِقَ به القلب من الوَتَيْنِ، قال أبو طالب في رسول الله ﷺ:

بُنِّيَ أَخِي وَنَوَطَ الْقَلْبَ مِنِّي      وَأَبْيَضُ مَاءُهُ غَدَقٌ كَثِيرٌ<sup>(١)</sup>  
وفيه أيضاً<sup>(٢)</sup>:

«وَقَوْمٌ هُلَاكٌ: صَعَالِيكُ سَيِّئُ الْحَالِ، قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

يَلُوذُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      فَهَمَّ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلٍ  
وفي تهذيب اللغة:

«وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ      وَلَمَّا نَطَاعَنْ دُونَهُ وَنَقَاتِلِ  
فَإِنَّ شَمْرَ قَالَ: مَعْنَاهُ: يُقَهَّرُ وَيُسْتَدَلُّ، وَالْبَزْوُ: الْعَلْبَةُ وَالْقَهْرُ، وَمِنْهُ سَمِّيَ  
الْبَازِي، قَالَهُ الْمَوْرِخُ<sup>(٣)</sup>.

واستشهد ابن منظور بهذا البيت أيضاً مع اختلاف في بعض الألفاظ، وإضافة شرح فقال:

(١) أساس البلاغة: ٦٥٧.

(٢) أساس البلاغة: ٧٠٥.

(٣) تهذيب اللغة: ١٨٣/١٣.

«وأما قول أبي طالب يعاتب قريشاً في أمر سيدنا رسول الله عليه السلام ويمدحه:

كذبتُمْ وحقَّ اللهُ يُبْزَى مُحَمَّدٌ  
ولمَّا نطاعنُ دُونَهُ ونناضلِ  
قال شمر: معناه يُقَهَّرُ وَيُسْتَدَلُّ؛ قال: وهذا من باب صَرَزْتُه وَأَصْرَزْتُ  
به، وقوله يُبْزَى؛ أي يُقَهَّرُ ويغلب، وأراد لا يُبْزَى فحذف لا من جواب  
القسم وهي مراده، أي لا يقهر ولم يُقاتل عنه ونُدافع»<sup>(١)</sup>.

وفي الفائق:

«الذَّرءُ: أصله من ذَرَأَ الأَرْضَ إِذَا بَدَّرَهَا، وَذَرَأَ فِيهَا، وَزَرَعَ فِيهَا الحَبَّ:  
ألقاه فيها، وزرع ذريء؛ ومنه قوله:

سَقَقْتَ القَلْبَ ثُمَّ ذَرَأْتَ فِيهِ  
هواكَ فليَمَ فالتأمَ الفُطُورُ  
فاستعير للخلق.

ومنه قول أبي طالب: (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع  
إسماعيل)<sup>(٢)</sup>.

وفي شمس العلوم:

«وَحَصَّ رَأْسَهُ: إِذَا حَلَقَهُ، وَفِي الحَدِيثِ: كانَ عَلِيٌّ يُحْصِ شَعْرَهُ.

ومنه قول أبي طالب:

(١) لسان العرب: ٧٣/١٤.

(٢) الفائق: ٣٧٦/١.

بميزان قسطٍ لا تحُصُّ شعيرة ووزان عدلٍ وزنه غير عائلٍ»<sup>(١)</sup>  
وفي لسان العرب:

«والمِنْسَاءُ: العصا، يهمز ولا يهمز، يُنْسَأُ بها، وأبدلوا إبدالاً كلياً فقالوا:  
مِنْسَاءٌ، وأصلها الهمز، ولكنها بدل لازم، حكاها سيبويه.

وقد قرئَ بهما جميعاً، قال الفراءُ في قوله عليه السلام: ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاءَتُهُ﴾، هي  
العصا العظيمة التي تكون مع الراعي، يقال لها المِنْسَاءُ، أخذت من نَسَأْتُ  
البعير؛ أي زَجَرْتُهُ لِيَزْدَادَ سَيْرُهُ، قال أبو طالب عمُّ سيدنا رسول الله عليه السلام، في  
الهمز:

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلِ لَا أَبَاكَ ضَرَبْتُهُ بِمِنْسَاءٍ قَدْ جَرَّ حَبْلَكَ أَحْبُلًا  
هكذا أنشده الجوهريّ منصوباً قال: والصواب قد جاء حَبْلٌ بِأَحْبِلُ،  
ويروى وأَحْبِلُ، بالرفع، ويروى قد جَرَّ حَبْلَكَ أَحْبِلُ، بتقديم المفعول، وبعده  
بأبيات:

هَلُمَّ إِلَى حُكْمِ ابْنِ صَخْرَةَ إِنَّهُ سَيَحْكُمُ فِيمَا بَيْنَنَا، ثُمَّ يَعْدِلُ  
كَمَا كَانَ يَقْضِي فِي أُمُورِ تَنُوبِنَا فَيَعْمِدُ لِلْأَمْرِ الْجَمِيلِ وَيَفْصِلُ»<sup>(٢)</sup>  
وفيه أيضاً:

«الرجل يَسْتَأْكِلُ قوماً أي يأكل أموالهم من الإِسنات، وفلان يَسْتَأْكِلُ

(١) شمس العلوم: ٣ / ١٢٨٥.

(٢) لسان العرب: ١ / ١٦٩.

الضُّعفاء أَي يأخذ أموالهم، قال ابن بري: وقول أبي طالب:

وما تَرَكَ قَوْمٍ، لا أَبَا لَكَ سَيِّدًا      مَحْوَطَ الدِّمَارِ غَيْرَ ذَرِبِ مَوَاكِلِ  
أَي: يَسْتَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً:

«وأما قول النابغة:

وكلُّ قَتَى وَإِنْ أَمْشَى وَأَثْرَى      سَتَخْلِجُهُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنُونُ  
قال: فالظاهر أنه المنية؛ قال: وكذلك قول أبي طالب:

أَيِّ شَيْءٍ دَهَاكَ أَوْ غَالِ مَرْعَاكَ      وَهَلْ أَقْدَمْتَ عَلَيْكَ الْمُنُونُ؟  
قال: الْمُنُونُ هُنَا الْمَنِيَّةُ لا غير»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً:

«قال ابن بري: شاهد الرَّاويَةِ البعير قول أبي طالب:

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ      تُهُوِّضُ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ  
فالرَّوَايَا: جمع رَاويَةٍ للبعير»<sup>(٣)</sup>.

وفيه أيضاً:

«هندك: رجل هِنْدِكِي: من أهل الهِنْدِ، وليس من لفظه؛ لأنَّ الكاف

(١) لسان العرب: ١٩/١١.

(٢) لسان العرب: ٥٠٨/١٠.

(٣) لسان العرب: ٣٤٦/١٤.

ليست من حروف الزيادة، والجمع هَنَادِكُ، إلى أن قال:

وقال أبو طالب:

بَنِي أُمَّةٍ مَجْنُونَةٍ هِنْدَكِيَّةٍ      بَنِي جُمَحٍ عَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلٍ<sup>(١)</sup>  
وفيه أيضاً:

«قنبل: القنبلَة والقنبل: طائفة من الناس ومن الخيل، قيل: هم ما بين  
الثلاثين إلى الأربعين ونحوه، وقيل: هم جماعة الناس، قنبلَة من الخيل، وقنبلَة  
من الناس طائفة منهم، والجمع القنَابِل...، إلى قوله: ورجل قُنْبُلٍ وقُنَابِلٍ:  
غليظ شديد، والقنَابِل: العظيم الرأس؛ قال أبو طالب:

وَعَرَبَةٌ أَرْضٌ لَا يُحِلُّ حَرَامَهَا      من الناس، غير الشَّوْتَرِيِّ القُنَابِلِ  
عَرَبَةٌ: اسم جزيرة العرب. و الشَّوْتَرِيُّ: الجريء»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً:

«الوَكْلُ والوَكِيلُ: البليدُ والجبان، وقيل: العاجز الذي يَكِلُ أمره إلى غيره،  
ورجل وُكَلَةٌ إذا كان يَكِلُ أمره إلى الناس، ووَأَكَلْتُ فلاناً مُوَأَكَلَةً إذا اتَّكَلْتُ  
عليه، واتَّكَل هو عليك، والوَكَاةُ: الضعف... إلى قوله:

وقال أبو طالب:

(١) لسان العرب: ٣٤٦/١٤.

(٢) لسان العرب: ٥٦٩/١١.

وما تَرَكَ قَوْمٌ لَّا أَبَا لَكَ سَيِّدًا يَحُوطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَائِلٍ»<sup>(١)</sup>  
 وفيه أيضاً: «في الحديث: فاطمةٌ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُنْصَبُني ما أَنْصَبَهَا، أَيُّ  
 يُتَعَبُّني ما أُتْعِبَهَا، والنَّصَبُ: التَّعَبُّ؛ إلى قوله:

قال ابن بري: وقد قيل غير هذا القول، وهو الصحيح، وهو أن يكون  
 ناصِبٌ بمعنى مُنْصَبٍ، مثل مكان باقِلٌ بمعنى مُبْقِلٍ، وعليه قول النابغة؛  
 وقال أبو طالب:

أَلَا مَنْ لَهُمَّ، آخِرَ اللَّيْلِ، مُنْصَبٍ

قال: فَناصِبٌ، على هذا، و مُنْصَبٍ بمعنى»<sup>(٢)</sup>.

وفي مجمع البحرين: «والسَّبْتُ: الدهر، والسَّبْتُ: ثلاثون سنة، ومنه قَوْلُ  
 أَبِي طَالِبٍ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، أُمُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: اصْبِرِي سَبْتًا أُبَشِّرُكَ بِمِثْلِهِ.  
 وكان بين علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة»<sup>(٣)</sup>.  
 وفيه:

«(صمد) قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قيل الصَّمَدُ الذي انتهى إليه  
 السُّودد، وقيل: هو الدائم الباقي، وقيل: هو الذي يُصَمَدُ في الحوائج؛ أي

(١) لسان العرب: ١١/٣٥٠.

(٢) لسان العرب: ١/٧٥٨.

(٣) مجمع البحرين: ٢/٢٠٣.

يقصد.

قال بعض الأعلام: اختلف أقاويل أهل التفسير في بيان الصِّمَدِ، وأولى تلك بالتقديم ما وافق أصول أهل اللغة، واشتهر بين أهل اللسان: أَنَّ الصِّمَدَ السَّيِّدَ المتفوق في السؤدد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم.

وَفِي الْحَدِيثِ: الصِّمَدُ الْمُصْمُودُ إِلَيْهِ فِي الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ.

وعليه قول أبي طالب عليه السلام في بعض ما كان يمدح النبي صلى الله عليه وآله:

وبالجمرة القصوى وقد صمّدوا لها يؤمّون قذفاً رأسها بالجنادل  
يعني قصدوا نحوها يرمونها بالجنادل، يعني الحصا الصغار التي تسمى

بالجمار»<sup>(١)</sup>.

وفيه:

«وَفِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ فِي نُورِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ وَعَدَّ مِنْهَا: مَنْ كَانَ عِصْمَةً أَمْرِهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ.

أي: ما يعصم من المهلك يوم القيامة. والمعنى: من كانت الشهادتان، و  
يعني بهما الإيمان، عِصْمَةً ووقاية له من المعاصي تحجزه وتمنعه من اقتراف  
ساخط الله و ساخط رسوله. ومنه قول أبي طالب عليه السلام:  
ثمّال اليتامى عِصْمَةً للأرامل

أي: حفظ لهم ووقاية يمنعهم من الضياع والحاجة»<sup>(١)</sup>.

وفي الطراز الأول: «ومن المجاز: ضَبَحَ عَنْهُ: جادل وخاصم، والقارئُ بقراءتِهِ: رفع صوتهُ.

قيل: ومنه قول أبي طالب:

وَإِنِّي وَالضَّوَابِحِ كُلِّ يَوْمٍ

يريدُ القسمَ بمن يرفعُ صوتهُ بالقراءة»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً:

«سفسر السفسارُ، بالكسرِ: الجِهْدُ؛ رُومِيَّةٌ...الجمعُ: سَفاسِيرُ،

وَسَفاسِرَةٌ.

ويقالُ للعالمِ بالشيءِ: هُوَ ابنُ سِفْسِيرِهِ، كما يُقالُ: ابنُ سُرْسُورِهِ.

وعلفَ دابَّتَهُ سِفْسِيرًا، وسِفْسِيرَيْنِ: حُزْمَةٌ وحُزْمَتَيْنِ مِنْ حُزْمِ الرُّطْبَةِ.

وفسّرُوا قولَ أبي طالبٍ يمدحُ النبيَّ عليه السلام:

فإِنِّي وَالضَّوَابِحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَا تَتَلَّوُا السَّفاسِيرَةَ الشُّهُورُ

بأصحابِ الأَسْفارِ؛ وهي الكُتُبُ، والشُّهُورُ العُلَمَاءُ؛ جَمْعُ شَهْرٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجمع البحرين: ١١٧/٦.

(٢) الطراز الأول: ٢١٥/٨.

(٣) الطراز الأول: ١١٦/٨.

وقال في الطراز الأول:

«وَفُلَانٌ شَهْرٌ مِنَ الشُّهُورِ: عَالِمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ»<sup>(١)</sup>، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بَيْتَ أَبِي

طالِبِ عليه السلام.

وفي تاج العروس:

«وَفِي التَّوْشِيحِ: أَهْلُ الْحِجَازِ، يَقُولُونَ: كَذَبْتَ بِمَعْنَى أَخْطَأْتَ، وَقَدْ

تَبِعَهُمْ فِيهِ بَقِيَّةُ النَّاسِ، وَعَلَى الرَّابِعِ خَرَجُوا قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ بَطَّلَ عَلَيْهِمْ أَمْلُهُمْ، وَكَذَا قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَبْرِي مُحَمَّدًا      وَلَمَّا نَطَاعِنُ حَوْلَهُ وَنُنَاضِلِ

وَانظُرْ بَقِيَّةَ هَذَا الْكَلَامِ فِي شَرْحِ شَيْخِنَا، فَإِنَّهُ نَفِيسٌ جَدًّا»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً:

«الْوَحَاوْحُ: السَّيِّدُ الرَّئِيسُ، جَمْعُهُ وَحَاوِحٌ، وَبِهِ فَسَّرَ ابْنُ الْأَثِيرِ قَوْلَ أَبِي

طالِبِ يَمْدَحُ النَّبِيَّ ﷺ:

حَتَّىٰ مُجَالِدِكُمْ عَنْهُ وَحَاوِحَةٌ      شَيْبٌ صَنَادِيدٌ لَا يَدْعَرُهُمُ الْأَسْلُ

هُوَ جَمْعٌ وَحَوَاحٍ، وَالْهَاءُ فِيهِ لِتَأْنِيثِ الْجَمْعِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) الطراز الأول: ١١٦/٨.

(٢) تاج العروس: ٣٦٥/٢، وكذا في الطراز الأول ٨٥/٥.

(٣) تاج العروس: ٢٤٥/٤.

وفيه أيضاً:

«وقال شَمِرٌ: الحَرَعُ: هو الدَّهْشُ، كما في الصَّحاح، ومنه قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ  
لَمَّا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ: لَوْلَا رَهْبَةٌ أَنْ تَقُولَ قُرَيْشٌ: دَهَرَ الحَرَعُ لَفَعَلْتُ.

وفي أُخْرَى: لَقَلْتُهَا.

وَيُرْوَى بِالْجَلِيمِ وَالزَّيِّ، وهو الخَوْفُ، قَالَ ثَعْلَبٌ: إِنَّمَا هُوَ الحَرَعُ، بِالْحَاءِ

وَالرَّاءِ»<sup>(١)</sup>.

وقال اللَّيْثُ:

«نَضَلَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا نَضَلَهُ فِي مُرَامَةٍ فَعَلَبَهُ، وَمِنَ المَجَازِ: نَاضَلَ عَنْهُ إِذَا  
دَافَعَ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ بَعْدَ رِه، وَحَاجَجَ وَخَاصَمَ، وَمِنهُ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ يَمْدُحُ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ وَلَمَّا نَطَاعَنْ دُونَهُ وَنَاضَلِ»<sup>(٢)</sup>

وفيه أيضاً:

«وَالرَّجَائِمُ: الجِبَالُ الَّتِي تَرْمِي بِالْحِجَارَةِ، وَاحِدُهَا رَجِيمَةٌ.

وَهَضْبُ الرَّجَائِمِ: مَوْضِعٌ فِي قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ:

(١) تاج العروس: ٩٠/١١.

(٢) تاج العروس: ٧٤٠/١٥.

غِفَارِيَّةٌ حَلَّتْ بِبَوْلَانٍ حَلَّةً      فَيَبْعُ أَوْ حَلَّتْ بِهَضْبِ الرَّجَائِمِ<sup>(١)</sup>  
وفي تهذيب اللغة:

«أبو عبيد عن الأصمعيّ: قال الميزان إذا مال، مأخوذ من الجور.

وقال أبو طالب بن عبد المطلب:

بميزان قِسط لا يَغُلُّ شَعِيرَةً      له شاهد من نفسه غيرُ عائل<sup>(٢)</sup>  
وفيه أيضاً:

«ثعلب عن ابن الأعرابيّ: الدَّمِيلَةُ الْمُعْيِيَّةُ، وجمع الدَّمِيلَةِ من النوق  
الذَّوَامِلُ.

وقال أبو طالب: نَحَبٌ إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الذَّوَامِلُ<sup>(٣)</sup>  
وفيه أيضاً:

«وقال ابن بُزْرَجٍ: ثَمَلْتُ الْقَوْمَ، وَأَنَا أَثْمِلُهُمْ، وَأَثْمِلُهُمْ.

قلت: مَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَ ثِمَالاً لَهُمْ؛ أَي غِيَاثاً يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ...

ويقال: فُلَانٌ ثِمَالٌ لِبَنِي فُلَانٍ، إِذَا كَانَ لَهُمْ غِيَاثاً وَقَوَاماً يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ.

يقال: هُوَ يَثْمِلُهُمْ، وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ يَمْدَحُ النَّبِيَّ ﷺ:

(١) تاج العروس: ٢٧٤/١٦.

(٢) تهذيب اللغة: ١٢٥/٣.

(٣) تهذيب اللغة: ٣١٢/١٤.

ثَمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ<sup>(١)</sup>

وفسر الثمال في معجم مقاييس اللغة بقوله: ومن ذلك قولهم: فلان ثمال بني فلان، إذا كان مُعْتَمَدَهُمْ، وهو ذلك القياس، لأنه يُعَوَّلُ عليه كما تعوّل الإبل على تلك الثميلة.

وقال: في الثمال أبو طالب في ابن أخيه رسول الله عليه السلام، ثم ساق البيت<sup>(٢)</sup>.  
وفي الصحاح:

«وَاللُّبُّ: الْعَقْلُ، الْجَمْعُ الْأَلْبَابُ، وَقَدْ جَمَعَ عَلَى الْأَلْبِ، كَمَا جَمَعَ بؤس على أبؤس، ونُعْمٌ على أنعم، قال أبو طالب:  
قلبي إليه مُشْرِفُ الْأَلْبِ<sup>(٣)</sup>  
وفيه أيضاً:

«الْحُبْلُ: الرَّسَنُ؛ وَيَجْمَعُ عَلَى حِبَالٍ وَأَحْبِلٍ، وَقَالَ:  
أَمِنْ أَجْلِ حَبْلِ لَا أَبَاكَ ضَرَبْتُهُ بِمِنْسَاءٍ قَدْ جَرَّ حَبْلَكَ أَحْبِلًا  
قال محقق الكتاب في الهامش: في نسخة قال أبو طالب<sup>(٤)</sup>».

(١) تهذيب اللغة: ٦٩/١٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣٨٩/١.

(٣) الصحاح: ٢١٦/١.

(٤) الصحاح: ١٦٦٤/١٦، وتقدم نسبته لأبي طلب في لسان العرب، وكذا في تاج

العروس: ٢٦١/١.

وفي المحيط الأعظم:

«والأَعْوَرُ: الرَّدِيُّ من كلِّ شيءٍ، وفي الحديث: لما اعترض أبو لهبٍ على النبي ﷺ عند إظهاره الدَّعوة قال له أبو طالب: يا أَعْوَرُ ما أنتَ وهذا؟  
التفسير لابن الأعرابي حكاه عنه ثعلب»<sup>(١)</sup>.

وأضاف في الفائق شرحاً على هذه الجملة فقال:

«لما اعترض أبو لهب على رسول الله ﷺ عند إظهار الدعوة، قال له أبو طالب: يا أعور، ما أنت وهذا!

قال ابن الأعرابي: لم يكن أبو لهب بأعور؛ ولكنَّ العرب تقول للذي ليس له أخ من أبيه وأمه أعور، وقيل: معناه يا رديء، وكلُّ شيء من الأمور والأخلاق إذا كان رديئاً قيل له أعور، ومنه: الكلمة العوراء»<sup>(٢)</sup>.

وتعرض لها ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، وعلّق عليها بقوله: «قيل: إنهم يقولون للرديء من كلِّ شيء من الأمور والأخلاق: أَعْوَر. وللمؤنث منه عَوْرَاء»<sup>(٣)</sup>.

وفي المحيط الأعظم أيضاً:

(١) المحيط الأعظم: ٣٤٣/٢.

(٢) الفائق: ٤٠٩/٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣١٩/٣.

«وبارك الله الشيء، وبارك فيه، وعليه: وضع فيه البركة، وفي التنزيل: ﴿أَنْ يُبْرَكَ مَنْ فِي التَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقال أبو طالب بن عبد المطلب:  
 بُورِكَ المَيْتُ الغَرِيبُ كَمَا بُو  
 رِكَ نَضْحُ الرُّمَانِ وَالزَّيْتُونِ<sup>(٢)</sup>  
 وفيه أيضاً:

«وَرَسَ اِهْوَى فِي قَلْبِهِ، وَالسَّقَمُ فِي جِسْمِهِ رَسًا وَرَسِيْسًا، وَأَرَسَ: دَخَلَ  
 وَثَبَّتَ، وَرَسُ الحُبِّ وَرَسِيْسُهُ: بَقِيَّتُهُ وَأَثْرُهُ، وَرَسَ الحَدِيثَ فِي نَفْسِهِ يُرْسُهُ  
 رَسًا: حَدَّثَهَا بِهِ، وَبَلَغَنِي رَسٌ مِنْ خَيْرٍ، أَي: طَرَفٌ، وَرَسَ لَهُ الخَبْرَ: ذَكَرَهُ لَهُ،  
 قال أبو طالب:

هَمَا أَشْرَكَآ فِي المَجْدِ مِنْ لآ أَبآ لَهُ  
 أَي: إِلا أَنْ يُذَكَرَ ذِكْرًا خَفِيًّا<sup>(٣)</sup>.

وفي شمس العلوم: «وَرَفَرَفَ الدرع: حَوَّافَهَا وَمَا تَدَلَّى مِنْهَا، قال أبو  
 طالب:

تَتَابَعَ فِيهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ  
 أَي: يَنْفِضُ الدرع كَمَا يَنْفِضُ البَعِيرُ الأَحْرَدُ رَحْلَهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النمل: ٨.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم: ٢٣/٧.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم: ٤١٠/٨.

(٤) شمس العلوم: ٢٨٣٦/٥.

وفيه أيضاً «الرَّمْحُ: الرجل القصير، ويقال: الرَّمْحُ: اللئيم، وكذلك الرَّمْحِيُّ منسوب أيضاً اللئيم، قال أبو طالب:

لا رُمَحِّيَّين إِذا جئْتهم      وفي هِياجِ الحربِ كالأشْبُلِ»<sup>(١)</sup>

وفي معجم البلدان: «ثَوْرٌ: لفظ الثور فحل البقر: اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي عليه السلام:

وقال أبو طالب عم النبي عليه السلام، وساق الأبيات إلى:

وثورٍ ومن أرسى ثبيرا مكانه      وعير وراق في حراء ونازل»<sup>(٢)</sup>  
وفيه أيضاً:

«رَيْدَةٌ: وهي مدينة باليمن على مسيرة يوم من صنعاء ذات عيون وكروم... إلى أن قال:

وقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثي أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وساق الأبيات إلى قوله:

فيصبح آل الله بيضاً كأنما      كستهم حبوراً ريدةً ومعاقر»<sup>(٣)</sup>

(١) شمس العلوم: ٢٣٥٢/٤.

(٢) معجم البلدان: ٨٦/٢.

(٣) معجم البلدان: ١١٢/٣.

وفيه أيضاً<sup>(١)</sup>:

«شِعْبُ أَبِي يُوسُفَ: وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصحيفة، ثم ساق أبيات أبي طالب ﷺ في ذلك إلى أن قال:

كذبتم وبيت الله نبي محمدًا      ولما تروا يوماً لدى الشعب قائماً  
وفي معجم البلدان:

«الطائفُ: بعد الألف همزة في صورة الياء ثم فاء: وهو في الإقليم الثاني، وعرضها إحدى وعشرون درجة، وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة، عمّرها حسين بن سلامة وسدّها ابنه، وهو عبد نوبيّ وزر لأبي الحسين بن زياد صاحب اليمن، في حدود سنة ٤٣٠، فعمر هذه العقبة عمارة يمشي في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها.

وقال أبو منصور: الطائف العاصّ بالليل، وأمّا الطائف التي بالغور فسميت طائفاً بحائطها المنيّ حولها المحدق بها، والطائف والطيّف في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾، ما كان كالحيال والشيء يلمّ بك، وقوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، لا يكون الطائف إلاً ليلاً ولا يكون

(١) معجم البلدان: ٣٤٧/٣، والملاحظ أن الحموي لم ينسب الشعب إلى أبي طالب ﷺ مع أن المعروف من اسمه عند مؤرخي السيرة النبوية هو شعب أبي طالب ﷺ ولكن من يعرف الحموي واتجاهه الأموي لا يتعجّب من ذلك.

نهاراً، وقيل في قول أبي طالب بن عبد المطلب:

نحن بنينا طائفاً حصيناً

قالوا: يعني الطائف التي بالغور من القرى<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً مما يخص الطائف وبني ثقيف: «...ثم جاءهم بنو عامر ليأخذوا ما تعودوه فمنعوهم عنه وجرت بينهم حرب انتصرت فيها ثقيف وتفرّدت بملك الطائف فضربتهم العرب مثلاً، فقال أبو طالب ابن عبد المطلب:

منعنا أرضنا من كلّ حيّ كما امتنعت بطائفها ثقيف

أتاهم معشر كي يسلبوهم فحالت دون ذلكم السيوف<sup>(٢)</sup>

وفيه أيضاً: «...الذي يتبين ويصحّ من هذا أنّ كلّ من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها فهم العرب، سمّوا عرباً باسم بلدهم العربات، وقال أبو تراب إسحاق بن الفرج: عربية باحة العرب، وباحة: دار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم ﷺ، قال: وفيها يقول قائلهم، وهو أبو طالب بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ:

وعربة دار لا يحلّ حرامها من الناس إلا اللوذعيّ الحلالح

يعني النبي ﷺ، أحلتّ له مكّة ساعة من نهار ثمّ هي حرام إلى يوم

(١) معجم البلدان: ٨/٤

(٢) معجم البلدان: ١١/٤.

القيامة...»<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً<sup>(٢)</sup>:

«قَسَاسٌ: بالضم، وبعد الألف سين أخرى: جبل لبني نمير، وقال غيره: قسّاس جبل لبني أسد، وإذا قيل بالصاد فهو جبل لهم أيضاً فيه معدن من حديد تنسب السيوف القسّاسية إليه...، إلى أن قال:

وقال أبو طالب بن عبد المطلب يخاطب قريشاً في الشعب -وساق قصيدته البائية التي تقدّم ذكرها-: (ألا أبلغا عني على ذات بيننا) والشاهد منها:

ولما تبّن منّا ومنكم سوائف وأيد أتّرت بالقسّاسية الشّهيب

وفيه: «وقال أبو زياد: هباله وهبيل من مياه بني نمير... إلى قوله:

وكان مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس قد جسا، فخرج إلى

الحيرة ليتداوى، فمات هباله، فقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثيه:

ليت شعري مسافر بن أبي عم -رو وليت يقولها المحزون

رجع الوفد سالمين جميعاً وخليلي في مرمسٍ مدفون

ميّت درء على هباله قد حا لت فيافٍ من دونه وحزون

مدره يدفع الخصوم بأيدي وبوجه يزينه العرنين

(١) معجم البلدان: ٩٧/٤.

(٢) معجم البلدان: ٣٤٥/٤.

بورك الميِّت الغريب كما بو رك نضر الريحان والزيتون<sup>(١)</sup>  
 وفي جمهرة اللغة: «والمزَّمَس: القبر بعينه، والجمع مَرَامِس، والرجل  
 رَميس ومرموس، قال الشاعر (خفيف):

رجع الرِّكْبُ سالمين جميعاً وخليلي في مرمى مدفون  
 وعلّق محقق الكتاب بقوله: «من أبيات لأبي طالب بن عبد المطلب، عمّ  
 النبيّ، في الأغاني: ٤٩ / ٨، والخزانة: ٤ / ٣٨٧»<sup>(٢)</sup>، وقد لاحظنا البيت في  
 ضمن القصيدة السابقة.

وفي الطراز الأوّل<sup>(٣)</sup>:

«وَالزَّمْحُ، كسكَّر: القصيرُ الذَّمِيمُ، وَالضَّعِيفُ، وَاللَّثِيمُ كالزُّمْحِيِّ بياءِ  
 النسبة، قال أبو طالب:

لا زُمْحِيَّين إِذَا جِئْتَهُم وَفِي صِيَاحِ الحَرْبِ كالأشْبَلِ  
 وفيه أيضاً:

«وَالسَّائِحُ: الصَّائِمُ؛ لاسْتِمْرَارِهِ فِي الإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ كاسْتِمْرَارِ  
 السَّائِحِ فِي الأَرْضِ، أَوْ لِأَنَّ الصَّوْمَ عَائِقٌ لَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ كَالسِّيَاحَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ  
 كَالسَّائِحِ فِي الأَرْضِ مُتَعَبِّدًا لَا يَحْمِلُ زَادًا، أَوْ لِسِّيَاحَتِهِ فِي عَالَمِ العَقْلِ بِمَا يَنْفَتِحُ

(١) معجم البلدان: ٣٩٠/٥.

(٢) جمهرة اللغة: ٧٢٠/٢.

(٣) الطراز الأوّل: ٣٤٠/٤.

عليه من أبواب المعاني والحكم، ويتجلى له من أنوار المعارف والحقائق إذا  
راض نفسه به؛ قال أبو طالب:

وَبِالسَّائِحِينَ لَا يَذُوقُونَ قَطْرَةَ  
لِرَبِّهِمْ وَالرَّاتِكَاتِ الْعَوَامِلِ  
وقول الفيروزآبادي:

السَّائِحُ: الصَّائِمُ الْمَلْزَمُ لِلْمَسَاجِدِ، غَلَطٌ؛ لَوْصِفِ النِّسَاءُ بِهِ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿عَبَدَاتٍ سَبَّحْتِ﴾<sup>(١)</sup>، وَالنِّسَاءُ لَا يَلْزَمُنَ الْمَسَاجِدَ<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة التحريم: ٥.

(٢) الطراز الأول: ٣٧٥/٤.

## شعر أبي طالب في كلمات النحاة

لقد استشهد علماء النحو بشعر أبي طالب عليه السلام كما استشهد علماء اللغة بشعره عليه السلام، ولا غرو في ذلك فإنه ابن بجدتها، والصميم في لغتها، وقد تتبعت في كثير من كتب النحو، واستخلصت مجموعة من الشواهد، وفي أثناء البحث والتتبع سنح لي أن أبحث في عالم الشبكة العنكبوتية عن عناوين ربّما تفيدني في البحث، فاطلعت على بحث يخصّ العنوان للدكتور سجّاد عباس حمزة، باسم (الاستشهاد بشعر أبي طالب في المسائل النحوية)<sup>(١)</sup>، فسبرت ما

---

(١) منشور في الانترنت في (أوراق ثقافية)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة نصف سنوية، وقال في آخره:

الخاتمة : تبين من خلال البحث الآتي:

١- جمع البحث عشرة شواهد نحوية أو متعلّقة بالنحو ممّا استشهد به النحاة واللغويون من شعر أبي طالب، منها شواهد استشهد على أكثر من قضية فيكون عدد الاستشهادات ١٩ استشهداً.

٢- استشهد بأقوال أبي طالب شيخ النحاة سيبويه ومن الكوفيين ابن الأنباري وعدد من

فيه، وقارنت بينه وبين ما استخرجته، فوجدت بينهما عموماً وخصوصاً من وجه، فنشترك في موارد ونفترق في موارد أخرى، فربما انفرد ببعض شواهد

النحاة منهم السيرافي وابن الحاجب وابن مالك وأبو حيان وابن هشام.

٣- لشعر أبي طالب أهمية كبيرة، فهو مقدّم على غيره في الفصاحة والبلاغة عند العلماء حتى فضل ابن كثير لأميته على المعلّقات؛ ولذلك يكتسب الشاهد من شعره أهمية خاصة، فقال ناظر الجيش عند استشهاده بشعره: (وأبو طالب في الفصاحة والبلاغة أبو طالب) كناية عن أنه ليس فوقه فيهما أحد.

٤- استشهد سيبويه بما يقارب ١٨ بيتاً من شعر امرئ القيس، و١٠ أبيات من شعر طرفة، و٢٠ بيتاً من شعر زهير، في حين استشهد ببيتين فحسب من شعر أبي طالب، على الرغم من أن عدد أبيات ديوانه قريب من عدد الأبيات في شعر كلٍّ منهم بل يزيد على شعر طرفة مثلاً.

٥- ربّما يكون قلّة الاستشهاد بشعره نتيجة لأسباب سياسيّة أو مذهبيّة، وربّما تكون فصاحته وقرشيّته تجعله بعيداً عن الاستعمال الشاذّ، أو النادر؛ إذ هو مطبوع على لغة قريش في حين يتكلّف الشعراء الآخرون النظم بهذه اللغة الفصحى فيقعون في الشاذّ والنادر.

٦- ومنها شاهد لم يستشهد به إلّا نحويّ واحد نحو استشهاد ابن الأنباريّ بقوله: (ألا يا لقومي...) على استعمال لام الاستغاثة المفتوحة.

٧- ومنها شواهد تشبه المثال؛ لأنّها استشهاد على كثير، كاستشهادهم على استعمال لام الأمر للدعاء، واستشهاد بعضهم على لام المستغاث المفتوحة.

٨- ومنها شواهد وحيدة في بابها لم يستشهد النحاة بغيرها واكتفوا بها.

٩- ومنها ما استشهد به على استعمال نادر.

١٠- ومنها ما استشهد به على أكثر من قضية نحويّة.

١١- بعض الشواهد كانت من قصيدة واحدة.

لم أذكرها، وربّما انفردت ببعض شواهد لم يذكرها، فاكتفيت بها استخرجت، وبالإشارة إلى ما كتبه لمن أحبّ الاطلاع، والشواهد التي استخرجتها هي:

### الشاهد الأوّل :

قال نجم الأئمة في شرحه على الكافية:

«اعلم أنّ قولك: زيد قائم حقّاً، مثل رجوع زيد القهقري في أنّ المصدر في كليهما مؤكّد لما يحتمل غيره، إلّا أنّ المحتمل في الأوّل جملة، وفي الثاني مفرد؛ أعني مجرد الفعل من دون الفاعل.

واعلم أنّ المؤكّد لغيره في الحقيقة مؤكّد لنفسه، وإلّا فليس بمؤكّد؛ لأنّ معنى التأكيد تقوية الثابت بأن تكررّه، وإذا لم يكن الشيء ثابتاً فكيف يقوى؟ وإذا كان ثابتاً فمكررّه إنّما يؤكّد نفسه.

وبيان كونه مؤكّداً لنفسه أنّ جميع الأمثلة الموردة للمؤكّد لغيره، إمّا صريح القول أو ما هو في معنى القول، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، وقولهم: هذا القول لا قولك؛ أي هذا هو القول الحقّ لا أقول مثل قولك، إنّّه باطل، وهذا زيد غير ما تقول، (ما) فيه مصدرية؛ أي قولاً غير قولك، ومعنى هذا زيد كمعنى قوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي هذا هو ذلك المشهور الممدوح، لا كما تقول في حقّه من ضدّ ذلك،  
وقولك: هذا زيد حقّاً؛ أي قولاً حقّاً، وكذا: هذا عبد الله حقّاً، والحقّ لا  
الباطل، وكذا قول أبي طالب:

إذن لا تبعناه على خير حالة      من الدهر جداً غير قول التهازل  
أي قولاً جداً<sup>(١)</sup>.

### الشاهد الثاني :

قال الرضي في شرحه على الكافية:

«ويجوز جمع المثني إذا لم يلبس، نحو: قرّ زيد عيوناً، قال أبو طالب  
يخاطب النبي ﷺ:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة      وابشّر بذاك وقرّ منه عيوناً<sup>(٢)</sup>»

### الشاهد الثالث :

قال سيبويه في الكتاب:

«وأما إنَّ وليت، فحرّكت أو اخرهما بالفتح؛ لأنّهما بمنزلة الأفعال نحو  
كان فصار الفتح أولى، فإذا صيرت واحداً من الحرفين اسماً للحرف فهو  
ينصرف على كلّ حال.

(١) شرح الرضيّ على الكافية: ٣٢٤/١.

(٢) شرح الرضيّ على الكافية: ٦٨/٢.

وإن جعلته اسماً للكلمة وأنت تريد بلغة من ذكر لم تصرفها، كما لم تصرف امرأة اسمها عمرو، وإن سميتها بلغة من أنث كنت بالخيار.

ولابد لكل واحد من الحرفين إذا جعلته اسماً أن يتغير عن حاله التي كان عليها قبل أن يكون اسماً، كما أنك إذا جعلت فعل اسماً تغير عن حاله وصار بمنزلة الأسماء، وكما أنك إذا سمّيته بأفعل غيرته عن حاله في الأمر قال الشاعر - وهو أبو طالب -:

ليت شعري مسافر بن أبي عم — ووليت يقو لها المحزون<sup>(١)</sup>

### الشاهد الرابع :

الشاهد الثاني والتسعون بعد المائتين: وهو من شواهد (س) الطويل:

ضروبٌ بنصل السيف سوق سمانها

هذا صدر وعجزه:

إذا عدموا زاداً فإنك عاقر

على أن أبنية المبالغة لكونها للاستمرار لا لأحد الأزمنة عملت، فضروب مبالغة ضارب، وقد عمل النصب في سوق على المفعولية.

قال ابن ولاد: سألت أبا إسحاق الزجاج: لم صار ضروبٌ ونحوه يعمل وهو بمنزلة ما استقر وثبت، وضاربٌ لا يعمل إذا كان كذلك؟

(١) الكتاب لسيبويه: ٢٦٠/٣.

فقال: لأنك تريد أنها حالة ملازمة هو فيها، ولست تريد أنه أفعل مرة واحدة وانقضى الفعل كما تريد في ضارب، فإذا قلت: هذا ضروب رؤوس الرجال، فإنها هي حال كان فيها فنحن نحكيها.

قال ابن عصفور: هذا هو الصحيح، والدليل على صحته قول أبي طالب: (ضروب بنصل السيف الخ)؛ لأنه مدح به أبا أمية بن المغيرة بما ثبت له واستقرّ، وحكى الحال التي كان فيها من عقر الإبل إذا عدم الزاد، ولو أراد المضيّ المحض ولم يرد حكاية حاله لما ساغ الإتيان بـ(إذا) لأنها للمستقبل<sup>(١)</sup>.

(١) خزانة الأدب: ٢٢٤/٤-٢٧.

وقال بعد ذلك: «قال ابن السيد في شرح أبيات الجمل: نصل شفرته؛ أي: حده الذي يقطع به؛ فلذلك أضافه إلى السيف كله نصلاً. وسوق: جمع ساق. والسمان: جمع سمينه. والضمير للإبل. وعقر البعير بالسيف عقراً: ضرب قوائمه. لا يطلق العقر في غير القوائم. وكانوا يعقرون الناقة إذا أرادوا نحرها: إمّا لتبرك فيكون أسهل لنحرها أو ليعاجل الرجل ذلك فلا تمنعه نفسه من عقرها فيكون قد عاجلها لثلاً تأمره بغير ما في نفسه. وضروب: خبر مبتدأ محذوف أي: هو ضروب، فقوله: فإنك عاقر التفات. قال بعضهم: ولو قدر أنت ضروب لكان الالتفات معدوماً فيه ويكون إنك عاقر على مقتضى الظاهر، وإذا شرطية تجزم في الشعر، وجملة عدموا شرطها في محلّ جزم وهي العامل في إذا، والجملة المقرونة بالفاء جوابها. ولا يجوز أن يكون عاقر عاملاً في إذا؛ لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها؛ لأنها حرف والحرف لا يتقدم معموله ولا معمول معموله عليه.

وقيل: إذا هنا شرطية غير جازمة.

قال ابن هشام في المغني: وفي ناصبها مذهبان:

أحدهما: أنه شرطها، وهو قول المحققين، فتكون بمنزلة متى وحيشما وأيان.

وقول أبي البقاء إنه مردود بأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف غير وارد؛ لأن إذا عند

هؤلاء غير مضافة كما يقوله الجميع إذا جزمت كقوله -الكامل:-

وإذا تصبك خصاصة فتجمل.

والثاني: أنه ما في جوابها من فعل أو شبهه، وهو قول الأكثرين. انتهى.

وعلى هذا اقتصر اللخمي في شرح أبيات الجمل، فقال: العامل في إذا فعل محذوف، دلّ

عليه عاقر، والتقدير: إذا عدموا زادا عقرت، ولا يجوز أن يعمل في إذا عاقر؛ لأنه لا يعمل

ما بعد إن فيما قبلها...

وهذا البيت من قصيدة لأبي طالب عم النبي ﷺ رثى بها أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن

عمر بن مخزوم، وكان ختنه، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له: (سرو

سحيم)، فرثاه أبو طالب بهذه القصيدة.

كذا في شروح أبيات سيبويه، وأبيات الجمل وغيرها، إلا أن في بعض نسخ ما ذكرنا سقطاً

من الكتاب، وهو أنهم حذفوا المضاف من أبي أمية والصواب إثباته كما يأتي بيانه.

وغلط بعضهم فزعم أنها مدح في مسافر بن أبي عمرو.

كأن فراشي فوقه نار موقد	من الليل أو فوق الفراش السّواجر
على خير حافٍ من قريش وناعل	إذا الخير يرجي أو إذا الشرّ حاضر
ألا إن زاد الرّكب غير مدافع	بسرو سحيم غيّبته المقابر
بسرو سحيم عارفٌ ومناكر	وفارس غاراتٍ خطيبٌ ويسر
تنادوا بأن لا سيّد الحيّ فيهم	وقد فجع الحيان كعبٌ وعامر
وكان إذا يأتي من الشام قافلاً	تقدّمه تسعى إلينا البشائر

وقال في موضع آخر:

«الشاهد الثاني بعد الستائة: وهو من شواهد سيبويه: (الطويل)

ضروبٌ بنصل السيف سوقٌ إذا عدموا زاداً فإنك عاقرٌ  
على أن ضروباً صيغة مبالغة اسم الفاعل محول عن ضارب، ولهذا عمل  
عمله، وسوق نصب به على المفعولية.

كستهم حبيراً ريدةً ومعافراً	فيصبح أهل الله بيضاً كأنما
مجمععة كومٌ سمانٌ وياقرُ	تري داره لا يبرح الدهر عندها
زواحق زهمٌ أو محاضٌ بهازرُ	إذا أكلت يوماً أتى الغد مثلها
إذا عدموا زاداً فإنك عاقرُ	ضروبٌ بنصل السيف سوق سمانها
تكبّ على أفواههنّ الغرائرُ	فإلاّ يكن لحمٌ غريضٌ فإنّه
شراعيّة تصفرّ منها الأظافرُ	فيا لك من ناعٍ حبيت بألّة

الغائر: من غار الماء في الأرض غوراً: ذهب فيها، والشؤون: جمع شأن وهو عرق ينحدر من الرأس إلى الحاجب ثم إلى العين ومنه تجيء الدموع.

والأعاور: جمع أعور من عورت العين من باب تعب: نقصت أو غارت.  
والسّواجر: جمع ساجر بكسر الجيم وهو الموضع الذي يأتي عليه السّيل فيملؤه، يريد  
كثرة الدموع.

وقوله: ألا إنّ زاد الرّكب الخ زاد الركب: لقب أبي أمية...

أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وإنّما قيل لهم أزواد الرّكب لأنهم  
كانوا إذا سافروا لم يتزوّد معهم أحد.

وسحيم بضمّ السين وفتح الحاء المهملتين: موضع وسروه: أعلاه، كذا قال ابن السيد  
وغيره... الخ».

ولهذا أورده سيويوه»<sup>(١)</sup>.

### الشاهد الخامس :

قال عبد القادر البغداديّ في شرح أبيات مغني اللبيب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمّال اليتامى عصمة للأرامل  
«على أن ربَّ المقدّرة بعد الواو للتقليل، والمصنف في هذا تابع لأبي حيان  
في (شرح التسهيل) وهذا غفلة من أبي حيان، فإنّ الواو عاطفة، وأبيض  
معطوف على مفعول في البيت قبله، وهو:

وما ترك قوم لا أباً لك سيّداً يحوط الذّمار غير ذرب مواكل  
فأبيض معطوف على قوله: (سيّداً) المنصوب بالمصدر، وهو من عطف  
الصفات التي موصوفها واحد، هكذا أعربه الزركشيّ في نكته على صحيح  
البخاريّ المسمى بـ(التفريح لألفاظ الجامع الصحيح) وقال: لا يجوز غير  
هذا، تبعه ابن حجر في (فتح الباري) والدمامينيّ أيضاً في (تعليق المصابيح  
على الجامع الصحيح) ونبه عليه في شروحه الثلاثة على مغني اللبيب»<sup>(٢)</sup>.

### الشاهد السادس :

قال ابن مالك في كتاب شرح التسهيل:

(١) خزانة الأدب: ١٤٩/٨.

(٢) شرح أبيات مغني اللبيب: ١٦٨/٣.

«لا يجوز أن يكون ضمير الشأن مثنى ولا مجموعاً؛ لأنه كناية عن الشأن في التذكير، وعن القصة في التأنيث، وهما مفردان فوجب إفراد ما هو كناية عنهما، فيقال: إنه أخواك منطلقان، وإنها جاريتاك حسستان، وإنه إختوك صالحون، وإنها إماؤك مُطيعات، ولا يؤنث إلا إذا وليه مؤنث كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أو مذكر شُبّه به مؤنث نحو: إنَّها قمرٌ جاريتك، أو فعل بعلامة تأنيث مسنداً إلى مؤنث كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾.

وقول الشاعر:

على أنَّها تَعْفُو الكَلُومَ وإنَّما نُوكَلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يمضي  
فهذا وأمثاله التأنيث فيه أجود من التذكير؛ لأنَّ مع التأنيث مشاكلة تحسن  
اللفظ مع كون المعنى لا يختلف؛ إذ القصة والشأن بمعنى واحد، والتذكير  
مع ذلك جائز، كما قال أبو طالب:

وإن لا يكن لحمٌ غريض فإنه تُكَبُّ على أفواههن الغرائز<sup>(١)</sup>

### الشاهد السابع :

قال ابن عقيل في المساعد على تسهيل الفوائد:

«فصل: المقسم عليه جملة مؤكدة بالقسم، تصدر في الإثبات بلام

(١) شرح التسهيل لابن مالك: ١ / ١٦٤ - ١٦٥.

مفتوحة... أو إن مثقلة أو مخففة...

وتُصدرُ في الشرط الامتناعي بلو أو لولا... وفي النفي بما أو إن أو لا...

(وقد تصدرّ بلن أو لم) وهو نادر لا يقاس عليه، وقال ابن جنّي إنّه

ضرورة، قال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوارى في التراب دفينا<sup>(١)</sup>

### الشاهد الثامن :

في كتاب شرح ألفية ابن مالك للشاطبيّ، المقاصد الشافية:

«هذا هو البناء الثالث، وهو أفعلّة، وهو من أبنية القلّة، وجعله قياساً في

كلّ اسم مذكّر رباعيّ فيه مدّة ثالثة، فهذه أربعة أوصاف معتبرة في هذا الجمع

لا يكون قياساً إلّا عند وجودها، فأما كونه اسماً فمعتبر؛ إذ لو كان صفة لم

يجمع قياساً على أفعلّة، فإن جاء عليه فمحفوظ لا يقاس عليه، قالوا في فعيل:

شحيح وأشحة، وظنين وأظنة، قال تعالى: ﴿أَشْحَةَ عَلَيْكُمْ﴾.

وقال أبو طالب:

وقد حالفوا قوماً علينا أظنة يعضون غيضاً خلفنا بالأنامل

وحبيب وأحبة، وعزيز وأعزة، وذليل وأذلة، وعبيّ وأعيبة<sup>(٢)</sup>.

(١) المساعد على تسهيل الفوائد: ٣١٣/٢ - ٣١٤.

(٢) شرح ألفية ابن مالك للشاطبيّ، المقاصد الشافية: ٣٩/٧.

### الشاهد التاسع :

قال ابن هشام في شرح قطر الندى:

«وَقَدْ يَقَعُ كُلُّ مَنْ الْحَالِ وَالتَّمْيِيزِ مُؤَكِّدًا غَيْرَ مُبِينِ لِهَيْئَةِ وَلَا ذَاتِ، مِثَالِ ذَلِكَ فِي الْحَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾...»

وَمِثَالِ ذَلِكَ فِي التَّمْيِيزِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾... وَقَوْلُ أَبِي طَالِبٍ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا<sup>(١)</sup>

### الشاهد العاشر :

قال ابن هشام في تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد:

«والزعم: قول يقترن به اعتقاد، ومذهب الأكثر أن يكون باطلاً نحو:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون صحيحاً كقول أبي طالب يخاطب النبي ﷺ:

ودعوتني وزعمت أنك ناصحٌ ولقد صدقتَ وكنتَ ثمَّ أميناً<sup>(٣)</sup>

(١) شرح قطر الندى: ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) سورة التغابن: ٨.

(٣) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: ٤٢٩.

**ملحق**

**قصائد معاصرة في أبي طالب**



لقد لاحظنا في هذه الدراسة شخصيّة أبي طالب المثاليّة، وما تتمتع به من خصال وصفات وفضائل ومناقب، وما قام به من جلائل الأعمال، وكريم الفعال، فلا غرو أن يقف الشعراء أمام هذا الجبل الشامخ خاشعين برؤوسهم أمام عظمته، مادّين أعينهم لنور غرّته، يرسمون لوحات إعجابهم به؛ فإنّ الشاعر تأسره الصورة الجميلة، والموقف النبيل، واللسان الفصيح، والمنطق البليغ، وقد اجتمعت هذه الصور في شخص أبي طالب عليه السلام.

فلهذا نرى الكثير من الشعراء قد كتبوا في مدح أبي طالب عليه السلام، وتغنّوا بمواقفه الكريمة، ونصرتة لسيد الخلق أجمعين، وجمع ذلك يقتضي إفراده في كتاب مستقلّ، وربّما يبلغ مجلّدات، وأنّى لنا ذلك في هذه الدراسة؛ ولكن أحببت أن أزيّن كتابي ببعض ما قيل فيه عليه السلام من الشعر المعاصر الذي لم ينشر، فطلبت ذلك من جماعة من الشعراء فاستجاب بعضهم، وأرسلوا نتائجهم، وفقهم الله تعالى لمراضيه، وجعل مستقبل أمرهم خيراً من ماضيه، وجزاهم خير جزاء من أحسن عملاً.

## أبو طالب عليه السلام

للشاعر العلامة الشيخ أحمد العسيليّ العامليّ<sup>(١)</sup>.

أبديتَ يا دَهْرُ للأبرار أضغانا      فكانَ غَدْرُكَ أشْكَالاً وألوانا  
 هذا بِسْمِ نَقِيْعِ رُحْتِ تَقْتُلُهُ      وذاكَ تَقْتُلُهُ بِالطَّفِّ ظمَانَا  
 وتلكَ تَمْنَعُهَا مِنْ إرِثِ والِدِهَا      والصلعَ تَكْسِرُهُ ظُلماً وَعُدْوَانَا  
 ورُحْتِ تُعْلِي زَنِيمَ الأَصْلِ تُكْرِمُهُ      وَمَنْ عَلَا حَسَباً تُذْنِي لَهُ شَانَا  
 تَرْمِي أبا طَالِبٍ بالكُفْرِ مُدْعِياً      في النَّارِ مَسْكَنَهُ زُوراً وبُهْتَانَا  
 هلْ كانَ ذلكَ وَحياً قَدْ حُيِّتَ بِهِ      أَمْ كانَ ذلكَ أَحْقَاداً وَأضْغانَا  
 أَمَا عَلِمْتَ بِسَاقِي السَّلْسِيلِ غِداً      هذا ابْنُهُ كانَ للإِسْلامِ فُرْقَانَا  
 هذا عَلِيٌّ قَسِيمُ النَّارِ يَوْمَ غَدِ      فكيفَ يَصَلِي أبُوهُ الطَّهْرُ نيرانَا  
 فالنَّارُ تَبْقَى جِزَاءً لِلأُلَى جَحَدُوا      وَيَدَّلُوا نِعْمَةَ الإِيْمَانِ كُفْرانَا  
 هذا أبو المُرتَضَى إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُهُ      قَدْ كانَ في صَفْحَةِ الإِيْمَانِ عُنوانَا

(١) العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد العسيليّ الشهابيّ العامليّ، من مواليد ١٩٣٨م، سافر إلى النجف الأشرف عام ١٩٦٢م، وتدرّج في دروسها ومدارسها، طالباً ومدرّساً، ومن جملة من حضر عندهم: زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئيّ عليه السلام والشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام والشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم عليه السلام وغيرهم، ثمّ بعد أن نال حظّه من العلم عاد لبلده عام ١٩٨٠م، وبقي في بلده الشهابيّة إماماً للجماعة ومرشداً دينياً للمؤمنين فيها، له ديوان شعر بعنوان: (عطر المودة)، في مدح وثناء المصطفى وأهل بيته

ما خَالَطَ الشُّرَكَ يَوْمًا قَلْبَهُ أَبَدًا  
 مَنْ كَانَ كَافِلَ طَهْ وَهُوَ فِي صِغَرٍ  
 وَمَنْ حَمَى فِي رُبُوعِ الْبَيْتِ فِتْيَتَهُ  
 لَوْلَاهُ مَا قَامَ لِلْإِسْلَامِ قَائِمَةٌ  
 أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ مِنْ فَهْرٍ وَمِنْ مُضَرٍ  
 أَبَاؤُهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ بُعِثُوا  
 قَدْ كَانَ فِي صُلْبِهِ النُّورُ الَّذِي سَجَدَتْ  
 هَذَا هُوَ الْمَجْدُ لَا مَالٌ وَلَا حَوْلٌ  
 ذُرِّيَّةُ الْمُصْطَفَى مِنْ نَسْلِ فَاطِمَةَ  
 أَصْلَابُهُمْ شَمَخَتْ أَرْحَامُهُمْ طَهَّرَتْ  
 أَيْمَّةَ الْحَقِّ وَالْمَهْدِيِّ قَائِمُهُمْ  
 وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا بَعْدَمَا مُلِئَتْ  
 فَيَا أَبَا الْمُرْتَضَى يَا مَنْ مَاتَرُهُ  
 لَسَوْفَ تَبْقَى شَذَا عِطْرِ يُحَامِرُهُ  
 عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا طَلَعَتْ  
 سَلَامٌ مِنْ بَاتٍ صَبَّأً فِي مَوَدَّتِكُمْ

فَقَلْبُهُ لِسَوَى الدِّيَانِ مَا دَانَا  
 وَكَانَ نَاصِرَهُ جَهْرًا وَكِتْمَانَا  
 وَكَانَ فِيهَا لِعَيْنِ الدِّينِ إِنْ سَانَا  
 وَلَا بَنَى أَحَدٌ لِلدِّينِ بُنْيَانَا  
 لَمْ يَعْْبُدُوا قَطُّ أَصْنَامًا وَأَوْثَانَا  
 لِيَمْلُؤُوا الْأَرْضَ إِضْلَاحًا وَإِيمَانَا  
 لَهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَانِ إِذْعَانَا  
 وَلَا لِمَنْ لَبَسُوا لِلْمَلِكِ تَيْجَانَا  
 أَبْنَاؤُهُ جُعِلُوا لِلْوَحْيِ خُزَانَا  
 نُفُوسُهُمْ قَدْ زَكَتْ شَيْبًا وَشُبَّانَا  
 يُقِيمُ شَرَعَ الْهُدَى عَدْلًا وَإِحْسَانَا  
 ظُلْمًا وَجَوْرًا وَتَحْرِيفًا وَبُهْتَانَا  
 غَدَتْ لِعِشْقِ دِينِ الْحَقِّ عُنْوَانَا  
 عِطْرُ النُّبُوَّةِ فَوَاحًا وَنَشْوَانَا  
 شَمْسٌ وَمَا قَمَرٌ فِي أَفْقِهِ بَانَا  
 يَرْجُو بِهَا فِي غَدٍ عَفْوًا وَغُفْرَانَا

## ليثُ الحمي

للشاعر: معتوق المعتوق<sup>(١)</sup>.

لسيدي ومولاي شيخ الأباطح، وكافل النبوة، وأبي الإمامة أبي طالب عليه السلام  
راجياً شفاعته، وآملاً رفته.

هاك رتّل يا حديث السورِ	أيها المُلهمُ سِرَّ القَدَرِ
من ثنا آدمَ للمنتظرِ	أيها الممتدُّ في الغيبِ رؤى
يا فتى أُسدِ الشرى من مُضِرِ	يا أبا طالبَ يا ليثَ الحمي
يُلهمُ الليلَ بنجوى القمرِ	يا مُظِلَّ الشمسِ هذا أهدُّ
أنت وِرْدٌ في ضميرِ الغيرِ	والظلماتِ التي حيرتها
وغلا البيعُ فجاءت تشتري	أنتَ قايضتِ المعالي عُمَرها
في سلالِ النورِ غيرِ الدرِّ	أنتَ من علّمَها لا تجمعي
وهي تومي: هذه من عُرري	فإذا الموقفُ يختار لها

(١) الشاعر معتوق عبد الله محمد آل معتوق، من مواليد ١٨ ربيع الآخر ١٣٨٨هـ في جزيرة تاروت، حاصل على هندسة ميكانيكية من جامعة البترول والمعادن بالظهران، جده لأمه هو العلامة الحجة الشيخ عبد الله بن معتوق عليه السلام، وهو من أبرز العلماء المجتهدين الذين مروا على تاريخ المنطقة، بدأ بالمشاركة كمقدم لاحتفالات ومناسبات أهل البيت عليهم السلام منذ عام ١٤١٠هـ، وكانت هذه بدايته مع الكتابة الشعرية، ويعتبر من المطورين لعملية التقديم في الاحتفالات من ناحية الكيفية والقيمة الأدبية، ابتداء مشوار الكتابة الشعرية بقصيدة في الإمام الحسين في شعبان ١٤٢٣هـ، طبع له ديوان (نقش على الأحداق) في أهل البيت عليهم السلام ورتاء جماعة من العلماء.

شَيْخَ بَطْحَاءِ الْعُلَا أَنِيكَ قَدْ  
تَلَّكَ كَاسَاتُ عَلِيٍّ فَاسْقِنِي  
طَرُقُ حَاجَاتِي عَلَى أَبْوَابِكُمْ  
عَذْبَ الْوَرْدُ فَخِذْ مِنْ صَدْرِي  
ثُمَّ دَثِرْنِي جَنَاحِي جَعْفَرِ  
مَبْتَدَا السُّؤْلِ، فَهَلْ مِنْ خَيْرٍ؟

القطيف - ٥/١٢/١٤٤٤ هـ

## ميثاق هوى أبي طالب

للشاعر: السيّد محمد محمد الحاضري<sup>(١)</sup>.

أعزني جواباً يا صدى المجد عزّي  
تعاليت حتى ازددت في كلّ رفعة  
أسير وفي سيري حكايات طهرهم  
إليه وإثر الطير والوحش حجّها  
تنادمني في الليل أقمار دهرهم  
ويا أيها الرّبان والموج هادز  
إليهم وكلّ الذنب أنّي أحبّهم  
وبدئي وتكويني أقلب في الرؤى  
بهم ولهم شكلت والريح تشتهي  
أفيض ويؤويني يطمئن راحلي  
كريم وصيّ النور نور كتابه  
حنيفيّة ألواح نبراس سرّه  
يسلّمها تزهو لأحمد عهدة  
هوى هاشم والشوق ميثاق جتّي  
علوّاً وأحيتني ترانيم غربتي  
ووحى الهدى المبعوث في طيّ وحدتي  
ديار هداة الكون في بطن مكّة  
معطّرة بالضوء تجتاح ظلمتي  
بقلبي لهم منّي مسافات عودتي  
وعشق رسول الله أمشاج خلقتي  
وفي فلوات الذكر تختال طينتي  
غنائي وذاك النحل يشترار لذتي  
أبو طالب جوداً ويغتال وحشتي  
صراط وليّ الحمد من غير علة  
ليحملها والوحي من غير خلة  
تسلّمها من قبل من خير أمّة

(١) الشاعر الأديب الفاضل السيّد محمد محمد الحاضريّ، من اليمن السعيد، من مواليد ١٩٧٣، أستاذ في الحوزة العلميّة في الأدب العربيّ والأصول والفقه في مستوى السطوح، يعيش في النجف منذ ٢٠١١م، له عدّة دواوين شعريّة: (من جبل الشوق تأتي وحيداً)، و(كأنك اليمن للذي لا ينتهي)، و (من يحبّ العشق المالح)، و(نتف من مذكرات نبيّ متقاعد).

بتسبيح طه زينت كل بقعة  
 أتو من عميق الفج من كل ملّة  
 قبيل طواف الحج في خير قبله  
 ليغنهم والخلق من دون منّة  
 وفي جلال الآل يجتث هدأتي  
 وفي وكنات الغيب تعدو بسطوة  
 تكافح أهل الشكر من دون ذلّة  
 وكفارها باؤوا بخسر- المذلة  
 ووالد خير الخلق رب الأظلة  
 وكاسر أصنام العداة المضلّة  
 طريّ وعود الحق من غير قوّة  
 غداة يحوم الكفر من دون حجة  
 وشيبة حمد الله درع النبوة  
 وإيمانه سرّ احتشاد الأخوة  
 وأقلامه تحصي- البرايا بلوعة  
 وفي الأرض يسقيها كؤوس الفتوة  
 بنو كفرها حتى أطاحت وهدّت  
 ألا إن سيف الله من خير صفوة  
 ومن سار باسم الله في كل لحظة  
 سيول وما غيضت تمر بلهفة  
 ومجمع بحرهما به الشمس صلّت

كما شيبة الحمد العليّ صلّاته  
 هو المطعم البطحاء والطير والألى  
 تهاووا وفوداً والحجيج طوافهم  
 بعبد مناف أحدقوا وتجمّعوا  
 ويطعمني والشمس سكرى بظله  
 وعن شعبه نبئت والخيل تغتدي  
 محمّلة بالصبر والحبّ والندی  
 وبغي قريش كالسراب أحاله  
 ومن هو؟ أبو الأبطال سيّد بأسها  
 أبو حيدر الكرار يعسوب دينها  
 وعمّ رسول الله حاميه والهدى  
 وحارس دين الله مؤنس نأيه  
 سوى بغيه والحقد والغبيّ نهجه  
 وجبريل يدري والكتاب حليفه  
 أغاث يتيم الله يكفل لوحه  
 وسيف عليّ في السماء براءة  
 على كتفه يرقى ويهدم ما بنى  
 ويعلو ويعلو الصوت من عمق كونها  
 أخو أحمد والنفس منه وروحه  
 ومن كان منها القطب عنه تحدّرت  
 ومن شاد شوق السدّ أفرغ قطره

ومن أوقد التنور والماء طائف  
 وها سيّد البطحاء مؤنس ليلها  
 غداة أعاد البحر أحجار عابِر  
 وما اسطاع أعداء السماء مساسةً  
 غياث فجاج الروح مقباس وهجها  
 نديّ العطايا سائس الصدق من دعا  
 أعاد حدود الله جذلي يسوقها  
 ويحفظ عهد الله ميثاق جدّه  
 ويقتسم الأحزان يرتقب المدى  
 وصيّ وصيّ الله عبد نبيّه  
 ظهور من الأحقاب دارت بوجهه  
 وفي حلك الأكوار شعشع ناصراً  
 عليه سلام الله والشمس دونه  
 له سكك الأزمان تلهج بالسنا  
 ونخل ديار الله والكعبة التي  
 أعزني جواباً يا صدى المجد وانحني  
 منيباً شفيعي آل أحمد شافعي  
 أبو طالب عمّ النبي كفيله

به حيث شدو الفلك آفاق نهضة  
 ونجم هداها بالدجى حيث مرّت  
 وجاس خلال الموج من غير بلّة  
 به والصحارى حيثما كان بلّت  
 وراح نجوم الليل تلهو بلدّة  
 طيور سؤال العشق أيان صرّت  
 بأحمد يستستقي مجيب الوصيّة  
 الخليل واسماعيل ذبح الأهلّة  
 مجيباً وفيض الهّم من كلّ وجهة  
 وعبد وصيّ الأنبياء المثبّت  
 وفي صلبه الأنوار في كلّ دورة  
 ملائكة الوحيين في كلّ كورة  
 كواكبها دارت تهيم ومدّت  
 وتسجد ما صلّى وهم بسجدة  
 به كم اجيرت همسه كم تشهت  
 لأشرعتي يسري بها ليل شهقتي  
 إليهم وبحري الدمع فاض بمقلتي  
 وسيّد بطحاء الهدى والنبوة

## مجاراة لثراء أمير المؤمنين لأبيه

للشاعر: الشيخ أحمد الدر العاملي<sup>(١)</sup>

وأنتَ الموحدُ منذُ القَدَمِ	رأى فيكَ كهفاً لدينِ الإلهِ
الرسولِ بلا، أنتَ قلتَ: نعم	ويومَ قريشٍ أجابت دعاءَ
لا تخشَ من عُربها والعجمِ	وناديتُهُ اصدعُ بأمرِ الرسالةِ
ومن ذا كمثلِكَ يرعى الذَّممِ	نصرتَ النبيَّ وحاميتَ عنهُ
للحزنِ عاماً فعمَّ الألمِ	ويومَ رحلتَ بكاكِ وسمَّاهُ
سأنصُرُ طَهَ بروحِ ودمِ	أبا طالبٍ نَمَ قرييرَ العيونِ

(١) ولد في قرية الخرايب من قرى جبل عامل في شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، وترعرع في بيئته الإيمانية حتى عام ١٩٩٢م فذهب إلى بيروت لإكمال الدراسة الأكاديمية، ولما أكملها عام ١٩٩٩، بعدها اتجه نحو قم المقدسة للدراسة الحوزوية الدينية، فتدرّج فيها وحضر عند أساتذها، ومن بينهم سماحة المرجع الكبير الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله، ثم يمّم صوب النجف فلم يسعه البقاء إلّا سنة واحدة حضر فيها عند جماعة، منهم سماحة المرجع الكبير المرحوم السيد محمد سعيد الحكيم عليه السلام له من المطبوع: ديوان مرآة الشعور، كتاب تنزيه الأخبار من دسائس كعب الأخبار.

## سيد البطحاء

للشاعر: محمود فهد المؤمن<sup>(١)</sup>.

عَزِيْمَتِكَ الَّتِي بَاتت عَرِينَا  
تَفَانُوا فِي تَرَابِ الطِّفْلِ لَمَّا  
فَلُو يَا سَيِّدِي قُدِّرْتَ فِيهِمْ  
بِمَوْتِكَ خَرَّ لِلإِيمَانِ رُكْنٌ  
كَفَلْتَ مُحَمَّدًا وَأَقَمْتَ حَقًّا  
وَأَهْمَتَ القَرَائِحَ حَيْثُ جَادَتْ  
(وَأَبْيَضُ) دَوَّتِ الأَسْمَاعُ حَيْنًا  
إِذَا مَا جَت قَرِيْشٌ كُنْتَ سَدًّا  
وَأَنْجَبْتَ الأَكَابِرَ مِنْ قَرِيْشٍ  
وَذَا الطِّيَّارُ جَعْفَرُ حَازَ فَضْلًا  
فِيَا لَهِ مِنْ نَسْلِ عَظِيمٍ  
جَلَالُكَ يَا ابْنَ هَاشِمٍ قَدْ دَعَانِي  
عَلَى البَطْحَاءِ شَخْتًا بِكُلِّ عِزٍّ

تَجَلَّتْ فِي لِيوْثِكَ أَجْمَعِينَا  
بَدَا الإِسْلَامُ مُرْتَهِنًا سَجِينَا  
لَكُنْتَ هُنَاكَ أَوْلَهُمْ طَعِينَا  
وَعَامٌ ظَلَّ مُكْتَتِبًا حَزِينَا  
فَفَدَّيْتَ الرِّسَالَةَ وَالْأَمِينَا  
بِأَعْدَبَ مَا تُقَرُّ بِهِ عُيُونَا  
(وَلَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) تَشَعُّ حَيْنَا  
وَصَيَّرْتَ الجَبَابِرَ صَاغِرِينَا  
فَتَاجَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَا  
بِهِجْرَتِهِ الَّتِي أَمْتَدَّتْ سَنِينَا  
عَلَا فِخْرًا وَمَكْرَمَةً وَدِينَا  
لَأَلْتُمَ مِنْ مُحْيَاكَ الجَبِينَا  
وَحَاشَا قَدْرُ عِزِّكَ أَنْ يَهُونَا

(١) من مواليد الخبر بالسعودية ٣٠ أبريل ١٩٨٢، حاصل على دبلوم شبكات، وعلى بكالوريوس تربية خاصة، تخصص صعوبات تعلم، له ديوان مطبوع بعنوان (نافذة من عناق)، وله ديوانان مخطوطان، أحدهما بعنوان (منتشياً بالبياض)، والآخر بعنوان (مستوطناً رحم السماء)، عضو ملتقى ابن المقرب الأدبي بالدمام، عضو ملتقى شعراء الأحساء، شارك في العديد من الأماسي داخل المملكة وخارجها.

فَأَشْرَقَ نُورُهُ نَصْرًا مَبِينًا  
 مُخَلَّدَةً تُرَاثَ الْأَكْرَمِينَا  
 بَرُونِقٍ كُنْهِ ذَاتِكَ مَا حِينَا  
 تَظَلُّ بِخُلْدِهَا كَنْزًا دَفِينَا  
 أَبَا الْعِظْمَاءِ يَا ابْنَ الْأَطْهَرِينَا  
 غَدَا الْعِرْفَانَ مَكْتَمَلًا يَقِينَا  
 سَتُشْرِقُ فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَا  
 النَّبِيِّ وَعِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَا  
 يَفُوحُ شَذَاكَ بَيْنَ الْعَاشِقِينَا  
 لِمَنْ آوَتُوا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَا  
 أَبِي غَيْرِ الْكِرَامَةِ أَنْ يَكُونَا  
 تُقَلَّبُ فِي ظَهْرِ السَّاجِدِينَا  
 وَمَنْ شَهِدَ الْقَدَاسَةَ قَدْ سُقِينَا  
 فَدَى لِلدِّينِ نَفْسًا وَالْبَنِينَا  
 وَوَرَّثَنَا أَجْيَالًا تَلِينَا  
 فَفِيكَ قَصِيدَتِي جُنْتُ جُنُونَا

سِرَاجِ الدِّينِ شَعَّ بِكَ أَعْتَرَا  
 وَوَلَّاحَتْ مِنْكَ لِلْعَلِيَاءِ ذِكْرِي  
 حَنَانِيكَ الْعَقُولُ تَظَلُّ حَيْرِي  
 فَمَا عَرِفْتُ فَضَائِلَكَ الْبَرَايَا  
 مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَمَسَّكَ شِرْكُ  
 مَحْضَتِ مَعَارِفِ الْإِيمَانِ حَتَّى  
 إِذَا مَا غَيَّبَتِكَ السُّحْبُ حَقْدًا  
 وَحَقِّ مَقَامِكَ السَّامِي بِقَلْبِ  
 سَأَقْطِفُ زَهْرَةَ الْكَلِمَاتِ كَيْمَا  
 وَأَنْحَتُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ حَبًّا  
 وَأَغْرِفُ مِنْ مَعِينِكَ عَذَبَ ذِكْرِي  
 فَأَنْتَ لِشَيْبَةِ الْحَمْدِ امْتِدَادُ  
 فَبُورِكْنَا بِحُبِّكَ بَلْ سَعَدْنَا  
 فَمَا نَحَتِ الضَّمَائِرُ عَنِ شَرِيفِ  
 تَسَلَّمْنَا الْوِلَاءَ وَسَامَ فَخْرِي  
 عَلَيْكَ مَحَبَّةً أَلْقَيْتُ مَنِّي

## الوصي الحبر

للشاعر سعيد الدبوس<sup>(١)</sup>:

أبو طالبٍ ذُخْرِي، وهل مثله ذُخْرُ؟	وهل لِنَدَاهُ البحرِ في نبعِهِ بَحْرُ؟
أيا حاميِ الاسلامِ حينَ تَكَالَبَتْ	عليه قوى الكفَّارِ واستَحَكَمَ العَدْرُ
فما وَهَنْتَ منك العزيمةُ حينما	تَقَدَّمْتَ يومَ الحربِ يَقدِمُكَ النَّصْرُ
فلولاكَ ما تَمَّ البلاغُ لأحمدٍ	ولا كانَ للإسلامِ رَسْمٌ ولا ذِكْرُ
فواجهتَ بالنفسِ النفيسةِ حربَهُم	بقوةِ إيمانٍ يُمازِجُهُ صَبْرُ
وناديتَ: (أنا قَدْ وَجَدنا محمداً	رسولاً) كما أوصى بهذا لنا السِفْرُ
(حليماً رشيداً عادلاً غيرَ طائشٍ)	صَدوقاً، وبالرحمنِ يُشغِلُهُ الفِكْرُ
(أقيمُ على نَصْرِ النبيِّ محمّدٍ)	أدافعُ لا يُثني عزيمةَ الدُّعْرُ
و (أصبحَ فينا أحمدٌ في أرومةِ)	شريفاً وفي كُُلِّ الشؤونِ له الأُمْرُ
(وَجُدْتُ بِنَفْسِي دونهُ وَحَمِيَّتُهُ)	كفاني يبذلِ النفسِ من أجلِهِ فَخْرُ
(ولا شَكَّ أَنَّ اللهَ رافعُ أمرِهِ)	وناصرُهُ مهما طغى أو بغى الكُفْرُ

(١) الشيخ سعيد بن عبد الله بن سلمان الدبوس من أهالي حي الدبابية بالقطف.

حصل على شهادة البكالوريوس في علوم الهندسة المدنية من جامعة البترول والمعادن بالظهران عام ١٩٨٢م.

ولازم الدراسة الحوزوية متزامناً مع عمله في أقسام هندسة المشاريع في شركة أرامكو. وتفرغ لطلب العلم الديني بعد تقاعده المبكر، وهو الآن من حضار بحث الخارج.

جلُّ شعره بالفصحى، واقتصر في شعره على مدح وثناء أهل البيت عليهم السلام.

(نبيُّ أتاهُ الوحيُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ)  
 حكى النصرَ والتأييدَ مِنْكَ لِأَحْمَدِ  
 فَأَنْتَ لِبَطَّةِ كَافِلٌ وَمَوْازِرٌ  
 فَأَنْتَ عَلَى رِغْمِ النَوَاصِبِ شَافِعٌ  
 وَأَنْتَ أَبُو الْأَبْطَالِ وَرَثْتَ حِيدِرَا  
 هُوَ الْبَطْلُ الْعَبَّاسُ مَنْ كَانَ ذَائِدَا  
 هُوَ الْفَارِسُ الْمَقْدَامُ فِي سَاحَةِ الْوَعَى  
 وَفِي أَبِي الضَّمِيمِ مِنْهَاجِ عِزَّةٍ  
 جَوَادٌ لِأَجْلِ الدِّينِ بَحْرٌ نَوَالُهُ  
 فَجَادَ بِكَفَّيْهِ الْكَرِيمِ هَدِيَّةً  
 وَقَدَّمَ هَامَ الْعِزِّ نَصْرًا لِدِينِهِ  
 فَنَادَاهُ سَبَطُ الْمِصْطَفَى بِتَأْسُفٍ  
 أَخِي زَيْنَبُ تَرْجُوكَ أَنْتَ كَفِيلُهَا

شَهَادَةٌ إِيْمَانٍ حَكَاهَا لَنَا الشُّعْرُ  
 كَمَا قَدْ حَكَى التَّوْحِيدَ فِي لَفْظِهِ النَّثْرُ  
 وَلَوْلَاكَ مَاتَ الدِّينُ وَاسْتَفْحَلَ الشَّرُّ  
 وَمِنْ أَوْصِيَاءِ اللَّهِ وَالسَّيِّدِ الْحَبْرُ  
 وَمِنْهُ اقْتَنَى السَّبْطَانُ وَالْفَارِسُ الْبَدْرُ  
 عَنِ الطُّهْرِ فِي الْهَيْجَاءِ، دَيْدَنُهُ الْكَرُّ  
 مَتَى قَارَعَ الْأَبْطَالَ، عَنْ وَجْهِهِ فَرُّوا  
 وَمَا طَبَّهُ جَبْنٌ وَلَا طَبَعُهُ الْغَدْرُ  
 عَمِيقٌ شَدِيدٌ الْمَدِّ لَيْسَ لَهُ جَزْرُ  
 فَهَلْ فِي الْوَرَى جُودٌ يُدَانِيهِ أَوْ قَدْرُ؟  
 فَهَالِ لَوَاءِ الْحَقِّ وَانْخَسَفَ الْبَدْرُ  
 أَخِي شَمَّتَ الْأَعْدَاءُ وَانْكَسَرَ الظُّهْرُ  
 أَتَرَكُهَا وَالْأَهْلَ يَأْسِرُهُمْ زَجْرُ

## رشفة من حبّ أبي طالب

للشاعر: حسن علي جليح<sup>(١)</sup>:

مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ الْأَنْبِيَاءِ تُرَى  
 وَفِي جَبِينِكَ نُورٌ لِلهُدَى ظَهَرَا  
 شَيْخَ الْأَبَاطِحِ فِي سِيَمَائِكَ افْتُنِنْتَ  
 كُلُّ الْقُلُوبِ وَقَدْ قَاسَتْ بِهَا الْقَمَرَا  
 نَاجَيْتَ رَبِّكَ سِرًّا وَالِدُعَاءِ نَدَى  
 قَدْ فَاضَ مِنْكَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَإِنَّمَرَا  
 جَبْرِيلُ يَأْتُمُّ وَالْأَمْلَاكُ خَلْفَكَ لَا  
 تَرَى سِوَاكَ وَفِي الْمِحْرَابِ مُسْتَتِرَا  
 نُحْيِي اللَّيَالِي تَسَابِيحَ الْعُرُوجِ بِهَا  
 وَبِالْعِبَادَةِ كُنْتَ الْوَاهِبَ الْعُمَرَا  
 جَنَّانُ أَنْفَاسِكَ الْأَرْوَاحُ تَتَّبَعُهَا  
 لِكَيْ تَنَالَ نَسِيمًا عَابِقًا عَطِرَا

(١) ولد عام ١٤١٤هـ في قرية السنابس إحدى قرى جزيرة تاروت في منطقة القطيف المحروسة، وتربى في كنف أبوين كريمين محاطاً بأجواء الإيمان والولاء لأهل البيت ﷺ، فنشأ على حبهم ومودتهم والتمسك بهم، وقد انعكس ذلك على مسلكه وشعره، يقرض الشعر الفصيح والعامي أيضاً، حاصل على شهادة البكالوريوس، في تخصص الإدارة المالية من جامعة الدمام.

تَسْمُو وَرِجْلَاكَ بِالْأَشْوَاقِ مَا تَعِبَتْ  
وَأَنْتَ تَسْعَى لِبَيْتِ اللَّهِ مُبْتَدِرًا  
تَهْوَاكَ مَكَّةُ يَا ابْنَ الشَّائِخِينَ وَلَا  
إِلَّاكَ أَعْظَمُ مَنْ قَدْ طَافَ وَاعْتَمَرَ  
وَحِينَ أَشْرَقَ نُورُ الْعَرْشِ فِي أَمَلٍ  
مِنْ آلِ هَاشِمٍ ذَاعَ الصِّيتُ وَانْتَشَرَ  
بُشْرَى إِلَى الْأَرْضِ صَوْتُ الْوَحْيِ أَعْلَنَهَا  
خَتَمَ الرِّسَالَةَ فِي طَهَ قَدْ انْحَصَرَ  
وَأَنْتَ يَا سَيِّدَ الْبَطْحَاءِ تَرْمُقُهُ  
وَالْحُبُّ بَانَ وَحَظُّ الْحُبِّ مَا فَتَرَ  
قَرَّ الْعُيُونَ أَبَا الزُّهْرَاءِ وَالتَّامَتْ  
كُلُّ الْجِرَاحِ بِهِ وَاللُّطْفُ مِنْهُ جَرَى  
وَعَنْهُ تُرْوَى حِكَايَاكَ الَّتِي خَلَدَتْ  
وَالْمُصْطَفَى مِنْكَ نَالَ الْعَوْنَ وَالظَّفَرَ  
يَا كَافِلَ الدِّينِ مَنْ إِلَّاكَ يَنْصُرُهُ  
وَفِي قُرَيْشٍ بَشَّتْ الرُّعْبَ وَالذُّعْرَا  
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي حِفْظِ الرُّسُولِ وَلَا  
تَنْسَاهُ عَيْنَاكَ كَيْ تَهْنَا بِطَيْبِ كَرَى  
كَالظِّلِّ كُنْتَ لَهُ فِي كُلِّ عَاصِفَةٍ  
طَوْدًا إِلَيْهِ يُخَوِّضُ الْهَوَلَ وَالْحَطَرَ

وَالشَّعْبُ فِيهِ بُطُولَاتٌ وَمَلْحَمَةٌ  
 حَيَّ الصُّمُودَ وَمَنْ بِالشَّعْبِ قَدْ حَضَرَ-  
 يَنَامُ طَهَ بِمِلءِ الْعَيْنِ دُونَ قَدَى  
 وَفِي النَّوَاحِي حُمَاةٌ بَلَّ أُسُودُ شَرَى  
 يَزَعَاهُ هَمْزَةٌ وَالكَرَارُ يَجْرُسُهُ  
 وَمِنْهُمَا نَفْسُ الْأَعْدَاءِ مَا عَبَرَ  
 وَالْقَائِدُ الْفَدُّ عَمُّ الْمُصْطَفَى بَطَلٌ  
 تَرَاهُ يَفُودِيهِ بِالْأَكْفَانِ مُتَزِرًا  
 صَلْبُ الْعَقِيدَةِ يَأْبَى مِنْ إِرَادَتِهِ  
 مَعْنَى الْهَزِيمَةِ لَمَّا عَادَ مُنْتَصِرًا-  
 وَلَا يَزَالُ أَبُو الْإِيمَانِ كَهْفَ جَمِيٍّ  
 إِلَى الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْفُقَرَا  
 رَمُوكَ بِالْكَفْرِ يَا مَوْلَايَ وَاعْجَبًا  
 فَمَنْ رَمَاكَ بِدَاءِ الْحِقْدِ قَدْ كَفَرَا  
 لَكَ الْخُلُودُ وَمِنْ نَاوَا بِفِرْيَتِهِ  
 مَاذَا يُجِيبُ بِيَوْمِ الْحَشْرِ- مُعْتَذِرًا  
 قَدْ حَارَبُوكَ لِيُبْعِضَ الْمُرْتَضَى حَسَدًا  
 فَهُوَ الْإِمَامُ وَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ وَرَا  
 جَدُّ الْأُيُمَّةِ عَلِيُّ الْكِبْرِيَاءِ بِهِ  
 الدِّينُ بَيْرُقُهُ بِالْجَدِّ قَدْ نَشَرَا-

يَا وَالِدَ الْمُرْتَضَى نَبْضُ الْمُحِبِّ تَلَا  
مَا شَاخَ حُبُّكَ فِي قَلْبِي وَإِنْ كَبُرَا  
أَهْوَاكَ خُذْ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامِ وَلَا  
أَخْشَى بِقُرْبِكَ لَا هَمًّا وَلَا كَدْرَا  
وَفِي كِتَابِكَ نِلْتُ السَّعْدَ مُبْتَهَجًا  
لَمَّا دَعَانِي (نِزَارُ الْعِلْمِ) مُبْتَشِّرَا  
يُسْتَلُّ مِنْكَ أبا الْبَطْحَاءِ مَعْرِفَةً  
وَقَدْ أَجَادَ وَفِيهَا كَانَ مُبْتَكِرَا  
مُحَلَّقًا فِي فَضَاءَاتِ الْوِلَاءِ وَكَمْ  
نَادَى بِحُبِّكَ كَيْ يَسْتَنْطِقَ الشُّعْرَا  
وَفِي مَقَامِكَ بِالْأَشْوَاقِ مِنْ وَلِيهِ  
لَقَدْ كَتَبْنَا مِنَ الْأَشْعَارِ مَا بَهَّرَا  
نَظْمًا إِلَيْكَ غَمَامَ الْعَطْفِ نَطْلِبُهُ  
مِنْ رَاحَتَيْكَ لِنَسْتَسْقِي بِهَا الْمَطْرَا!..

## نفثة مصدور

وفي الأخير نقول:

لا زال تراث أبي طالب ﷺ الشعريّ غائباً؛ بل مغيباً عن أنظار ورواد الأدب العربيّ، ولهذا أهيب بالأدباء، والنقاد، ومحبيّ الأدب، وعشاق اللغة العربيّة، أن يتناولوا شعره بالدراسة، والنقد، والتحليل، والمقارنة بين شعره وشعر غيره، من شعراء الجاهليّة والمخضرمين، وأن يرموا عن كواهلهم العصبية المقيتة، التي تنأى بهم بعيداً عن روح الأدب.

ولو أنصفه الكتّاب والأدباء والدارسون لكتبوا في شعره الكثير، كما كتبوا في شعر غيره من شعراء الجاهليّة الذين لم يعرفوا الله طرفة عين، فلم يمنعهم شرك الشعراء عن الكتابة فيهم، فما بالهم لم ييمّموا صوب معين شيخ البطحاء وهو من أكابر المؤمنين بالله تعالى حسب ما أفاده البرهان، وقام عليه الدليل! وإني لأعجب منهم حين تسيل أقلامهم في دراسة شعر شعراء الجاهليّة حبّاً في الأدب، ودراسة الأدب للأدب، وتكعّ أقلامهم عن شعر أبي طالب ﷺ، ولا عذر لهم - حسب ظني - إلا لأنّ بني أمية وبني العباس رموه بالكفر وحشّدوا الإعلام ضده، فصارت قلوب أتباعهم ملأى ظغينة عليه، فلا يطيقون له ذكراً، ومن لم يصل لهذه المرحلة يخاف على نفسه أن يرمى بالتشيع، وتلك جريمة غير مغتفرة!

ومع ذلك يأتي السؤال: لماذا لم يغضوا الطرف عن ناحية العقيدة والملة،  
وينظروا للأدب نفسه، لا سيما أنه فتح لهم باباً جديداً لم يعرفه الشعراء قبله،  
وهو شعر المدائح المحمدية، أو الشعر الإسلامي.



## ختام

هذا ما وفقني الله تعالى لكتابته، حول زعيم مكة، وشيخ البطحاء، وعمّ الرسول ﷺ، ووالد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وجدّ العترة الطاهرة المطهّرة، الهادية المهديّة، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(١)</sup>، والرجاء منه تعالى أن يتقبّله بقبول حسن، وأن ينبت نباتاً حسناً، فيكون لبنة صلبة في صرح الثقافة الإسلاميّة، و﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤١﴾ تُوِّقَ أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾<sup>(٢)</sup>، فقد حاولت جهدي أن أدرس تراث أبي طالب (عليه السلام) لأبرزه بطريقة أخرى غير معهودة التناول، وهو جهد القاصر، وهدية المملق إلى مولاه، فعساه يحظى بالقبول.

وآخر دعوانا: ﴿إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة هود: ٨٨.

(٢) سورة إبراهيم ٢٤ - ٢٥.

(٣) سورة يونس: ١٠.



## ثبت المصادر

١. القرآن الكريم، كتاب الله تعالى.
٢. أبو طالب (ع) حامي الرسول وناصره، نجم الدين العسكري، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ.
٣. اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (ع)، علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦)، الناشر: أنصاريان، الطبعة الثالثة إيران قم ١٤٢٦ هـ.
٤. الأحاد والمثاني، ابن أبي عاصم (ت ٢٧٨)، تحقيق الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
٥. الأحاديث الطوال، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
٦. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت ٤٥٠)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ.

٧. أساس البلاغة، الزمخشري، دار ومطابع الشعب القاهرة ١٩٦٠م.
٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ
٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، انتشارات اسماعيليان تهران.
١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد الموجود الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ
١١. الاعتقادات، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١)، تحقيق عصام عبد السيد، دار المفيد الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ
١٢. إعلام الوری بأعلام الهدی، أمين الإسلام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٤١٧ هـ
١٣. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار احياء التراث العربي.
١٤. الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين (ع)، الفقيه المتكلم أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣)،

قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ

١٥. الأمالي، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القميّ (ت ٣٨١)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ

١٦. الأمالي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ

١٧. الإمامة والتبصرة من الحيرة، الفقيه المحدث أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القميّ والد الشيخ الصدوق (ت ٣٢٩ سنة تناثر النجوم)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام قم المقدّسة.

١٨. إمتاع الأسماع بما للنبي (ص) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي للدين أحمد بن عبد القادر بن محمد المقرئ (ت ٨٥٤)، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسيّ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ

١٩. أنساب الأشراف، النسابة المؤرخ الشهير أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ من أعلام القرن الثالث الهجريّ، حقّقه وعلّق عليه الشيخ محمد باقر المحموديّ، منشورات مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات بيروت - لبنان الطبعة، الأولى ١٣٩٤ هـ

٢٠. أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، العلامة الشيخ علي ابن الشيخ حسن البلاديّ (ت ١٣٤٠)، تحقيق عبد

الكريم محمد علي البلادي، منشورات مؤسسة الهداية بيروت-لبنان،  
الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ

٢١. أهل البيت (ع) في الشعر القطيفي المعاصر، الشيخ نزار محمد  
شوقي آل سنبل، المركز الثقافي للنشر والتوزيع بروت -لبنان ١٤٢٣ هـ  
٢٢. أوراق ثقافية مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة نصف فصلية  
محكمة تعنى بقضايا الثقافة والأدب، لبنان بيروت العدد التاسع عشر  
٢٠٢٢م، عنوان البحث: الاستشهاد بشعر أبي طالب في المسائل النحوية  
م.د سجاد عباس حمزة

٢٣. إيمان أبي طالب، الإمام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان  
ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (ت ٤١٣)، تحقيق مؤسسة  
البعثة.

٢٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلم العلامة  
الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، مؤسسة  
الوفاء بيروت - لبنان الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ

٢٥. البحر المحيط في أصول الفقه، الإمام بدر الدين محمد بن بهادر  
بن عبد الله الزركشي (٧٩٤) ضبط نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه  
الدكتور محمد محمد تامر، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب  
العلمية بيروت - لبنان.

٢٦. البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير  
الدمشقي (ت ٧٧٤)، حققه ودقّق أصوله وعلّق حواشيه علي شيري، دار

إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

٢٧. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقّب بملك العلماء (ت ٥٨٧) الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، الناشر المكتبة الحبيبيّة باكستان.

٢٨. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ع)، الثقة الجليل والمحدّث النبيل شيخ القميين أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار (ت ٢٩٠)، تعليق وتصحيح العلّامة الحجّة الحاج ميرزا محسن (كوچه باغي)، منشورات الأعلميّ - طهران طبع ١٤٠٤ هـ

٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام محبّ للدين أبي فيض السيّد محمّد مرتضى الحسينيّ الواسطيّ الزبيديّ الحنفيّ، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، بيروت - لبنان.

٣٠. تاريخ يحيى بن معين، الإمام يحيى بن معين بن عون المريّ الغطفانيّ البغداديّ (ت ٢٣٣)، رواية أبي الفضل العبّاس بن محمّد بن خاتم الدوريّ البغداديّ (ت ٢٧١)، حقّقه وعلّق عليه عبد الله أحمد حسن باشراف، مكتب الدراسات الإسلاميّة لتحقيق التراث، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

٣١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الحافظ المؤرّخ شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبيّ (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمريّ، دار الكتاب العربيّ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ.

٣٢. تاريخ الأمم والملوك، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة المقابلة على النسخة المطبوعة بمطبعة (بريل) بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩ م، راجعه وصحّحه وضبطه نخبه من العلماء، منشورات مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات بيروت - لبنان.

٣٣. تاريخ اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسيّ المعروف باليعقوبيّ، ناشر: مؤسسة ونشر فرهنگ أهل بيت (ع)، - قم خيابان دار صادر بيروت.

٣٤. تاريخ مدينة دمشق، الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١)، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٣٥. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العامليّ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر: مكتب الإعلام الإسلاميّ،

٣٦. تفسير السمرقنديّ، أبو الليث السمرقنديّ (ت ٣٨٣)، تحقيق د. محمود مطرجيّ، بيروت - دار الفكر.

٣٧. تفسير القرآن، الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعانيّ (ت ٢١١)، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية - الرياض.

٣٨. تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠)، تحقيق

- أحمد فريد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ لبنان/ بيروت - دار الكتب العلميّة.  
 ٣٩. تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد، جمال الدين أبو محمد عبدا  
 لله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١)، تحقيق: د. عبّاس مصطفى  
 الصالحيّ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ دار الكتاب العربيّ.  
 ٤٠. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد  
 بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠) حقّقه وعلّق عليه الحجّة السيّد حسن  
 الموسويّ الخراسان، الطبعة الرابعة.  
 ٤١. تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد الأزهريّ (ت ٣٧٠)، دار احياء  
 التراث العربيّ بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ  
 ٤٢. جامع الأخبار، محمّد بن محمّد الشعيريّ، المطبعة الحيدريّة،  
 النجف الأشرف، الطبعة الأولى.  
 ٤٣. الجامع الصحيح، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم  
 القشيريّ النيسابوريّ، طبعة مصحّحة ومقابلة دار الفكر بيروت - لبنان.  
 ٤٤. جمهرة اللغة، محمد بن حسن ابن دريد (ت ٣٢١)، دار العلم  
 للملايين بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.  
 ٤٥. جواهر التاريخ السيرة النبويّة عند أهل البيت(ع)، الشيخ علي  
 الكورانيّ العامليّ الطبعة الأولى - ١٤٣٠هـ الناشر باقيات.  
 ٤٦. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، شيخ الفقهاء وإمام  
 المحقّقين الشيخ محمّد حسن النجفيّ (ت ١٢٦٦)، تحقيق وتعليق  
 وتصحيح محمود القوجانيّ، الناشر دار الكتب الإسلاميّة الطبعة الثالثة.

٤٧. الحجّة على للذاهب إلى تكفير أبي طلب، الإمام شمس للدين أبو علي فخّار بن معد الموسويّ (ت ٦٣٠)، تحقيق: السيّد محمّد بحر العلوم، انتشارات سيد الشهداء، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ
٤٨. الخرائج والجرائح، الفقيه المحدث والمفسّر الكبير قطب الدين الراونديّ (ت ٥٧٣)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي (ع)، قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ
٤٩. خزنة الأدب، عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت ١٠٩٣)، تحقيق: محمد نبيل طريفي/إميل بديع، اليقوب، دار الكتب العلميّة، الطبعة: الأولى ١٩٩٨ م.
٥٠. الخصال، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١)، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة قم المقدّسة، ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ هـ
٥١. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طلب (ع)، الإمام الحافظ أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائيّ الشافعيّ (ت ٣٠٣)، حقّقه وصحّح أسانيده محمد هادي الأمينيّ، مكتبة نينوى الحديثيّة.
٥٢. الدر النظيم، الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشاميّ المشغريّ العامليّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ.
٥٣. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، صدر الدين السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ الحسينيّ (ت ١١٢٠)، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ منشورات

مكتبة بصيرتي - قم.

٥٤. دلائل الإمامة، المحدث الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة قم، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ

٥٥. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨)، وثق أصوله وخرج حديثه للدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

٥٦. ديوان أبي طالب بن عبد المطلب (ع)، صنعه أبي هفان المهزبي البصري (٢٥٧)، صنعه علي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥)، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال الطبعة الأولى ١٤٢١هـ بيروت لبنان.

٥٧. ديوان الإمام علي (ع)، المنسوب للإمام علي أمير المؤمنين (ع)، مصطفى زماني، مطبعة صدر قم.

٥٨. الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، الفقيه المحدث أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي (ت ٥٨١)، علّق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر ١٤٠ هـ بيروت - لبنان.

٥٩. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، المولى محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠) نمّقه وعلّق عليه السيد حسين الموسوي الكرمانلي

والشيخ علي پناه الإشتهاردي، الناشر بنياد فرهنگ اسلامي، المطبعة العلمية بقم المقدسة.

٦٠. روضة الواعظين، الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري (الشهيد في سنة ٥٠٨)، منشورات الرضي قم - إيران.

٦١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢)، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود/الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ

٦٢. سلوة الحزين المعروف بـ (الدعوات)، للفقيه المحدث والمفسر الكبير المولى أبي الحسين سعيد بن هبة الله المشهور بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي.

٦٣. سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٢٧٥)، حقق نصوصه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٤. سنن الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩)، حققه وصحّحه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ

٦٥. السنن الكبرى، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١١ هـ

٦٦. سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي)، محمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١)، تحقيق محمد حميد الله، الناشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

٦٧. سيرة النبي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١)، وهذبها أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨) حقق أصلها وضبط غرائبها محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتب محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر ١٣٨٣هـ

٦٨. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، بيروت - دار المعرفة ١٤٠٠هـ

٦٩. السيرة النبوية، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٤٧ هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٣٩٦هـ

٧٠. شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣)، تحقيق عبد العزيز رباح/أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ

٧١. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١) مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ

٧٢. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (٣٦٣)، مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

٧٣. شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجبّاني (ت ٦٧٢)، تحقيق د. عبد الرحمن السيّد/د. محمد بدويّ المختون، هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

٧٤. شرح الرضيّ على الكافية، نجم الأئمة وفاضل هذه الأمة المحقّق محمد بن الحسن الشهير بالرضيّ الأستراباذيّ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ١٣٩٨ هـ

٧٥. شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١)، الطبعة الحادية عشرة ١٣٨٣ هـ المكتبة التجارية الكبرى.

٧٦. شرح المائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، العالم الربانيّ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرانيّ، تصحيح وتعليق مير جلال الدين الحسينيّ الأرمويّ المحدث، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة.

٧٧. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربيّة، الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ

٧٨. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميريّ (ت ٥٧٣)، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ

٧٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حماد

الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٨٠. صحيح البخاري، الامام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزية البخاري الجعفي، دار الفكر ١٤٠١هـ — طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.

٨١. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار الصادر بيروت.

٨٢. الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، السيد علي خان بن أحمد المدني (ت ١١٢٠)، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ مشهد.

٨٣. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، العالم العابد الزاهد رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى ابن طاووس الحلبي (ت ٦٦٤)، مطبعة الخيام — قم ١٣٩٩ هـ.

٨٤. ظلامة أبي طالب (ع) تاريخ ودراسة، السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

٨٥. العثمانية، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ١٣٧٤هـ، دار الكتاب العربي بمصر.

٨٦. العقد النضيد والدرّ الفريد في فضائل أمير المؤمنين وأهل بيت النبي (ع)، محمد بن الحسن القمي، تحقيق عليّ أوسط الناطقي، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٨٧. علل الشرايع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي ابن

الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (ت ٣٨١)، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبتها في النجف الأشرف ١٣٨٥ هـ

٨٨. عمدة القاري، العينيّ (ت ٨٥٥) بيروت - دار إحياء التراث العربيّ.

٨٩. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، الحافظ يحيى بن الحسن الأسديّ الحلبيّ المعروف بابن البطريق (ت ٦٠٠)، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة ١٤٠٧ هـ

٩٠. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥)، تحقيق د. مهدي المخزوميّ/د. إبراهيم السامرائيّ، منشورات مؤسسة الأعلميّ بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

٩١. عيون أخبار الرضا، الشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١)، صحّحه وعلّق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلميّ، منشورات مؤسسة الأعلميّ بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ

٩٢. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن عبد الله بن يحيى ابن سيّد الناس (ت ٧٣٤) مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٤٠٦ هـ

٩٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الحبر العلم الحجّة شيخ عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ، دار الكتاب العربيّ بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ

٩٤. الغريب المصنّف، أبو عبيد قاسم بن سلام (ت ٢٢٤)، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، تونس، الطبعة الأولى ١٩٩٠ هـ.
٩٥. الفائق في غريب الحديث، العلّامة جبار الله محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٨٣)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان.
٩٦. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، الإمام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانيّ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان الطبعة الثانية.
٩٧. الفصول المختارة، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبريّ البغداديّ (ت ٤١٣)، تحقيق السيد علي مير شريفّي، دار المفيد للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
٩٨. فهرست أسماء مصنفيّ الشيعة المشتهر بـ (رجال النجاشي)، الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشيّ الأسديّ الكوفيّ (ت ٤٥٠)، تحقيق الحجّة السيّد موسى الشبيريّ الزنجانيّ، مؤسسة النشر الاسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة-إيران.
٩٩. الفهرست، الشيخ منتجب الدين علي بن بابويه الرازيّ من أعلام القرن السادس الهجريّ، تحقيق السيّد جلال للدين محدّث أرموي، منشورات المكتبة العامّة لآية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ بقم.
١٠٠. قادتنا كيف نعرفهم، آية الله العظمى السيّد محمد هادي الحسينيّ

الميلانيّ (ت ١٣٩٥) تحقيق السيّد محمد علي الميلانيّ، مشهد المقدّسة  
الطبعة المنقحة الأولى ١٤٢٦هـ

١٠١. الكافي، ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق  
الكلينيّ الرازيّ (ت ٣٢٨ / ٣٢٩)، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاريّ،  
دار الكتب الاسلاميّة تهران - بازار سلطانيّ الطبعة الثالثة

١٠٢. الكامل في التاريخ، الشيخ العلّامة عزّ الدين أبي الحسن علي بن  
أبي الكرم محمد الشيبانيّ المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة  
والنشر/ دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥ هـ

١٠٣. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح  
عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى.

١٠٤. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،  
أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ (ت ٥٣٨)،  
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ بمصر ١٣٨٥هـ

١٠٥. كشف المشكل من حديث الصحيحين، الإمام أبو الفرج عبد  
الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧)، تحقيق د. علي حسين البوّاب، دار  
الوطن الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ

١٠٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبيّ)، تحقيق محمد  
بن عاشور، دار إحياء التراث العربيّ الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - بيروت -  
لبنان.

١٠٧. كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بـ

(الخصائص الكبرى)، الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعيّ (ت ٩١١)، دار الكتاب العربيّ.

١٠٨. كمال للدين وتمام النعمة، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١)، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الاسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة محرم ١٤٠٥ هـ.

١٠٩. كنز الفوائد، أبو الفتح محمد بن عليّ الكراجكيّ (ت ٤٤٩).

١١٠. لسان العرب، الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقيّ المصريّ، نشر أدب الحوزة قم - إيران ١٤٠٥ هـ.

١١١. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمّة من ولده (ع) من طريق العامّة، الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القميّ المعروف بـ (ابن شاذان)، مدرسة الإمام المهدي (ع) قم المقدّسة.

١١٢. مجمع البحرين، العالم المحدثّ الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحيّ (ت ١٠٨٥)، تحقيق السيّد أحمد الحسينيّ، المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة الطبعة الثانية.

١١٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ من أعلام القرن السادس الهجريّ، مؤسسة الأعلميّ بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

١١٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر  
للهيتمي (ت ٨٠٧) بتحرير للحافظين للجليلين: للعراقي ولبن جحر،  
بيروت - لبنان دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ

١١٥. المحاضرات والمحاورات، الإمام الحافظ جلال الدين عبد  
الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١)، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري  
الأردن دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

١١٦. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل ابن سيدة (ت  
٤٥٨)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

١١٧. المدائح النبوية في الشعر العربي، زكي المبارك، طبع سنة  
١٣٥٤هـ

١١٨. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، شيخ الإسلام المولى  
محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية  
١٤٠٤هـ تهران.

١١٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر، الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل  
أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦)، دار الهجرة  
قم الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ

١٢٠. المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق د.  
محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ

١٢١. المستدرک علی الصحیحین، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم  
النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، إشراف د. يوسف عبد

الرحمن المرعشليّ، دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٢٢. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسيّ (ت ١٣٢٠)، تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

١٢٣. مستدركات علم رجال الحديث، العلامة الحجّة المحقّق الشيخ علي النمازيّ الشاهروديّ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر بيروت.

١٢٥. المصنّف، الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١)، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظميّ.

١٢٦. المعارف، ابن قتيبة أبو محمّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦)، حقّقه د. ثروت عكاشة الطبعة الثانية دار المعارف بمصر.

١٢٧. معاني الأخبار، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١)، علي أكبر الغفاريّ، انتشارات إسلاميّ ١٣٧٩هـ.

١٢٨. معجم البلدان، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ الروميّ البغداديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان ١٣٩٩هـ.

١٢٩. المعجم الكبير، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت ٣٦٠)، حقّقه حمدي عبد المجيد السلفيّ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقّحة

١٤٠٦هـ

١٣٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥)، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، مركز النشر-مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ

١٣١. مفاهيم القرآن، العلامة الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة التاريخ العربيّ بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٣١هـ

١٣٢. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبيّ (ت ٧٩٠)، مجموعة محققين، معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى - مكّة المكرّمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ

١٣٣. المقنعة، فخر الشيعة أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبريّ البغداديّ الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣)، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ

١٣٤. ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، العلم العلامة الحجّة فخر الأئمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسيّ، تحقيق السيّد مهدي الرّجائي، مكتبة آية الله المرعشيّ - قم ١٤٠٧هـ

١٣٥. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١)، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاريّ الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ — منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة.

١٣٦. مناقب آل أبي طالب، الإمام الحافظ مشير المدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (ت ٥٨٨)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية ١٣٧٦هـ.

١٣٧. موسوعة العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار المؤرخ العربي الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

١٣٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

١٣٩. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

١٤٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦)، تحقيق محمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان قم - إيران.

١٤١. نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، شرح الإمام الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقاً، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

١٤٢. الوافي، للمحدث الفاضل والحكيم العارف الكامل محمد محسن المشتهر بالفيض الكاشاني، تحقيق ضياء الدين الحسيني (العلامة

الأصفهانيّ، منشورات مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامّة  
أصفهان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

# الفهرس

٧	الإهداء
٩	المقدمة
١٣	تنبيه:
١٤	قصة الكتاب :
١٧	الباب الأول
١٧	عقب من السيرة العطرة
١٩	الفصل الأول : أبو طالب في سطور
٢٥	الفصل الثاني : صفات وشمائل
٢٥	أولاً: روايات المعصومين :
٢٥	١- أبو طالب في المحشر :
٢٥	٢- أبو طالب لا تمسه النار :
٢٧	٣- حبّ النبيّ لأحد حبّ أبي طالب :
٢٨	٤- نور أبي طالب في يوم القيامة :

- ٣٣ ..... تنبيه :
- ٣٤ ..... ٥- مقام الشفاعة :
- ٣٦ ..... ٦- مقامه وأثره في الآخرة :
- ٣٦ ..... ٧- مع النبيين :
- ٣٧ ..... ٨- عبد الله وأبو طالب أطهر طاهرين :
- ٣٩ ..... ٩- يحشر في زمرة عبد المطلب :
- ٤٠ ..... ١٠- إيمان أبي طالب أرجح من إيمان الخلق :
- ٤٤ ..... ١١- افتخار أمير المؤمنين بأبيه :
- ٤٦ ..... ١٢- التوسل بأبي طالب :
- ٤٧ ..... ١٣- كرامة من كرامات النبي لأبي طالب :
- ٤٨ ..... ثانياً: أقوال العلماء والمؤرخين :
- ٤٨ ..... ١- ميثم التمار :
- ٤٨ ..... ٢- إسحاق بن عيسى :
- ٤٨ ..... ٣- ابن إسحاق :
- ٤٩ ..... ٤- البلاذري :
- ٤٩ ..... ٥- المسعودي :
- ٥٠ ..... ٦- السيوطي :
- ٥٢ ..... ٧- ابن أبي الحديد :
- ٥٣ ..... ٨- ابن شهر آشوب :

- ٥٣ ..... ٩- الشيخ الصدوق:.....
- ٥٣ ..... ١٠- الشيخ الكليني:.....
- ٥٤ ..... ١١- الشيخ الطبرسي:.....
- ٥٤ ..... ١٢- النويري:.....
- ٥٤ ..... ١٣- الحلبي:.....
- ٥٧ ..... الفصل الثالث
- ٥٧ ..... أدلة إيمانه
- ٥٩ ..... ثبت بأسماء من ألف في إيمانه من المتقدمين :.....
- ٦٢ ..... إجماع أهل البيت والشيعة على إسلامه :.....
- ٦٣ ..... كلمة جامع الديوان عن إسلام أبي طالب وذكر بعض أشعاره في ذلك :.....
- ٦٦ ..... فائدة جديدة في إثبات إيمان أبي طالب من قبل البعثة :.....
- ٧١ ..... الإيمان بالقرآن :.....
- ٧٢ ..... أبو طالب داعية للإسلام :.....
- ٧٧ ..... أبو طالب أول من سنّ القسامة :.....
- ٨٢ ..... قوانين سنّها أبو طالب فجاء بها الإسلام :.....
- ٨٣ ..... الفصل الرابع
- ٨٣ ..... وفاته
- ٩٧ ..... رثاء أمير المؤمنين أباه :.....
- ١٠٣ ..... الباب الثاني

- معارف أبي طالب وعقائده ..... ١٠٣
- تمهيد ..... ١٠٥
- ١ - كلمة في ديوانه : ..... ١٠٥
- ٢ - بين شعر أبي طالب وشعر الجاهليّة : ..... ١٠٧
- ٣ - دلالة الشعر على العقيدة : ..... ١١١
- ٤ - استذكار الرسول ﷺ شعر أبي طالب : ..... ١١٨
- ٥ - خطب أبي طالب ووصاياه : ..... ١١٩
- تمهيد: عقيدة المشركين في التوحيد والمعاد ..... ١٢١
- النقطة الأولى: عقيدة قريش في الإله : ..... ١٢١
- عقيدة قريش في المعاد : ..... ١٢٣
- الفصل الأول: العقيدة الدينيّة ..... ١٢٧
- عقيدته في الإسلام : ..... ١٢٧
- معارف أبي طالب الدينيّة في خطبته في زواجه : ..... ١٢٨
- الفصل الثاني: التوحيد والمعاد ..... ١٤٣
- ١ - التوحيد وصفات الله تعالى : ..... ١٤٣
- ٢ - المعاد : ..... ١٥٦
- الفصل الثالث: النبي والنبوّة ..... ١٦١
- معرفة أبي طالب بلزوم أن يكون للأنبياء دليل على نبوتهم : ..... ١٦١
- معرفته بمنزلة الرسول : ..... ١٦٤

- الشاهد الأول: الرسول خير الورى : ..... ١٦٧
- الشاهد الثاني: محمد الموحى إليه : ..... ١٦٨
- الشاهد الثالث: جاء بالحقّ الجلي : ..... ١٦٩
- الشاهد الرابع: فداء أبي طالب للنبيّ : ..... ١٧١
- الشاهد الخامس: الاستشفاء بالنبيّ : ..... ١٧٢
- الشاهد السادس: لا يدعو إلا إلى خير : ..... ١٧٦
- الشاهد السابع: بعض خواطره مع النبيّ : ..... ١٧٧
- الشاهد الثامن: خطبة أبي طالب في زواج النبيّ : ..... ١٨١
- الشاهد التاسع: شعره وفعله مع قريش لما أفسدوا على النبيّ صلّاته : ..... ١٨٨
- الشاهد العاشر: شعره في الصحيفة : ..... ١٩١
- الشاهد الحادي عشر: المصطفى من عبد مناف : ..... ١٩٨
- الشاهد الثاني عشر: أبو طالب يعبر عن النبيّ بسيدّيّ : ..... ٢٠٠
- الشاهد الثالث عشر: أبو طالب يصف النبيّ بأوصاف العظمة : ..... ٢٠٣
- الشاهد الرابع عشر : ..... ٢٠٦
- الشاهد الخامس عشر : ..... ٢٠٨
- الشاهد السادس عشر: وصف النبيّ في وصيّة أبي طالب : ..... ٢٠٩
- الشاهد السابع عشر: الصادق الأمين : ..... ٢١١
- ما كلّفتهم شططاً : ..... ٢١٥
- الشاهد الثامن عشر: مواقف أبي طالب في الدفاع عن النبيّ وبيان صفاته : ..... ٢١٩

- الشاهد التاسع عشر: المبارك: ٢٤٧.....
- الشاهد العشرون: التيمّن بمشهد النبيّ: ٢٥١.....
- الشاهد الحادي والعشرون: الله اختاره ويمنعه: ٢٥٣.....
- الفصل الرابع: المعارف الدينيّة العامّة..... ٢٥٥
- أولاً: معرفته بما في الكتب السماويّة القديمة: ٢٥٥.....
- شاهد ١: ٢٥٥.....
- ملاحظة: ٢٥٦.....
- شاهد ٢: ٢٦٣.....
- شاهد ٣: ٢٦٥.....
- شاهد ٤: ٢٦٥.....
- ثانياً: إيمانه بالغيب: ٢٦٥.....
- ثالثاً: علمه بالغيب: ٢٦٧.....
- شاهد ١: معرفته بولادة ابنه عليّ أمير المؤمنين قبل ولادته بثلاثين سنة: ٢٦٨.....
- شاهد ٢: معرفته بنبوّة النبيّ قبل بعثته: ٢٧٣.....
- شاهد ٣: إخباره عن مآل العرب مع النبيّ: ٢٧٤.....
- شاهد ٤: تنبؤه بمستقبل النبيّ ودعوته وأمر أنصاره: ٢٧٤.....
- شاهد ٥: إخباره عن بقاء العداوة بين بني هاشم وبني عبد شمس: ٢٨١.....
- رابعاً: معارف وإرشادات متفرقة في وصيته لقريش: ٢٨١.....
- خامساً: معرفته بقصص الأمم السابقة: ٢٩٢.....

- سادساً: معرفته بالأدعية النافعة المؤثرة : ..... ٢٩٤
- سابعاً: روايات أبي طالب عن النبيّ : ..... ٢٩٥
- ثامناً: معرفته بالأحكام الإلهية : ..... ٢٩٧
- شاهد ١ : ..... ٢٩٧
- شاهد ٢ : ..... ٣٠٠
- تاسعاً: تكرّر صدور الحلف بالله تعالى من أبي طالب : ..... ٣٠٠
- حلف المشركين بأهنتهم : ..... ٣٠٣
- عاشراً: معرفته بالتقية : ..... ٣٠٦
- الحادي عشر: معرفته باللغات : ..... ٣١٠
- الثاني عشر: معرفته بحساب الجمل : ..... ٣١٢
- الباب الثالث..... ٣١٥
- مؤرّخ الإسلام الأوّل..... ٣١٥
- مؤرّخ الإسلام الأوّل..... ٣١٧
- رثاء والد النبيّ : ..... ٣١٧
- المشهد الأوّل: اللقاء مع بحيرا : ..... ٣١٨
- المشهد الثاني: محاولة اليهود اغتيال النبيّ : ..... ٣٤٢
- المشهد الثالث: في إسلام حمزة : ..... ٣٤٤
- المشهد الرابع: قصّة لصوق الحجر بيد أبي جهل : ..... ٣٤٦
- المشهد الخامس: موقف النجاشيّ من المسلمين المهاجرين : ..... ٣٤٧

- المشهد السادس: جواب على رسالة أحد المهاجرين إلى الحبشة : ٣٤٩.....
- المشهد السابع: توثيق ما جرى بين عمرو وعمارة : ٣٥٠.....
- المشهد الثامن: موقفه في الدفاع عن عثمان بن مظعون : ٣٥٤.....
- المشهد التاسع: مع قريش : ٣٥٦.....
- المشهد العاشر: قرار قريش قتل الرسول : ٣٦٦.....
- المشهد الحادي عشر: أبو طالب ناصر النبيّ : ٣٧٠.....
- المشهد الثاني عشر: أبو طالب داعية لنصرة النبيّ : ٣٧٨.....
- المشهد الثاني عشر: أبو طالب المجير : ٣٨٦.....
- المشهد الثالث عشر: أبو طالب مستشار النبيّ : ٣٩١.....
- المشهد الرابع عشر: في الشعب : ٣٩١.....
- المشهد الخامس عشر: قصّة الصحيفة : ٣٩٣.....
- المشهد السادس عشر: توثيقه لخصائص بعض قبائل قريش : ٤٠٤.....
- المشهد السابع عشر: الحسّ الأميّ عند أبي طالب : ٤٠٥.....
- المشهد الثامن عشر: وصيّة أبي طالب للنبيّ : ٤١٢.....
- الباب الرابع..... ٤١٣.....
- وقفات مع تراث أبي طالب..... ٤١٣.....
- الفصل الأول: تأثر شعره بالقرآن الكريم..... ٤١٥.....
- الفصل الثاني: الدعاء والتوسّل عند أبي طالب..... ٤٢٣.....
- شاهد أول :..... ٤٢٣.....

- ٤٣١.....إيماءة في غنى النبيّ : .....
- ٤٣٤.....شاهد ثانٍ : .....
- ٤٣٥.....شاهد ثالث : .....
- ٤٣٦.....شاهد رابع : .....
- ٤٤٠.....مناسبة القصيدة : .....
- ٤٤١.....شاهد خامس : .....
- ٤٤٣.....الفصل الثالث: مُثَلْ إنسانيّة وإسلاميّة.....
- ٤٤٥.....الفصل الرابع: وعظ وإرشاد.....
- ٤٤٧.....الفصل الخامس: حكم وأمثال.....
- ٤٥٥.....الفصل السادس: افتخاره بمناقبه.....
- ٤٦١.....الفصل السابع: مدحه لأبيه وأنه من بيت الدين والكرم.....
- ٤٦٣.....الفصل الثامن: فخره بأبيه ومدحه له.....
- ٤٦٥.....الفصل التاسع: مدحه قومه وعشيرته.....
- ٤٧٣.....الباب الخامس.....
- ٤٧٣.....مع النحاة واللغويين.....
- ٤٧٥.....شعر أبي طالب في كتب اللغة.....
- ٤٩٩.....شعر أبي طالب في كلمات النحاة.....
- ٥٠١.....الشاهد الأوّل : .....
- ٥٠٢.....الشاهد الثاني : .....

- الشاهد الثالث : ..... ٥٠٢
- الشاهد الرابع : ..... ٥٠٣
- الشاهد الخامس : ..... ٥٠٧
- الشاهد السادس : ..... ٥٠٧
- الشاهد السابع : ..... ٥٠٨
- الشاهد الثامن : ..... ٥٠٩
- الشاهد التاسع : ..... ٥١٠
- الشاهد العاشر : ..... ٥١٠
- ملحق ..... ٥١١
- قصائد معاصرة في أبي طالب ..... ٥١١
- أبو طالب ..... ٥١٤
- ليثُ الحمي ..... ٥١٦
- ميثاق هوى أبي طالب ..... ٥١٨
- مجاراة لثناء أمير المؤمنين لأبيه ..... ٥٢١
- سيّد البطحاء ..... ٥٢٢
- الوصيّ الحبر ..... ٥٢٤
- رشفةٌ من حُبِّ أبي طالب ..... ٥٢٦
- نفثةٌ مصدر ..... ٥٣٠
- ختام ..... ٥٣٣

٥٣٥..... ثبت المصادر

٥٥٧..... الفهرس